مسيرة دار العلوم بديوبند

عبر مئة وخمسين عامًا

الجزء الأول

تأليف

محمد ساجد القاسمي

أستاذ التفسير والأدب العربي

بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، الهند

إشراف وتقديم

فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني حفظه الله

رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، الهند

أكاديمية شيخ الهند

الجامعة الإسلامية: دار العلوم / ديوبند



الجزء الأول



مسيرة دارالعلوم بديوبند
عبر مئة وخمسين عاماً

مسيرة دار العلوم بديوبند
عبر مئة وخمسين عامًا

الجزءُ الأوّل

تأليف
محمد ساجد القاسمي
أستاذ التفسير والأدب العربي
بالجامعة الإسلامية: دار العلوم بديوبند (الهند)

إشراف وتقديم
فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني/ حفظه الله
رئيس الجامعة الإسلامية: دار العلوم بديوبند (الهند)

ملتزم الطبع والنشر
أكاديمية شيخ الهند
الجامعة الإسلامية: دار العلوم بديوبند (الهند)

سلسلة المنشورات: ٧٥

اسم الكتاب : **مسيرة دارالعلوم بديوبند عبر مئة وخمسين عامًا**
المؤلف : **محمد ساجد القاسمي**
الطبعة الأولى : جمادى الأولى / ١٤٤٣هـ = ديسمبر / ٢٠٢١م

ملتزم الطبع والنشر
أكاديمية شيخ الهند
الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند)



مقدمة

بقلم: فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني/ حفظه الله

رئيس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيِّدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإثْرَ انقراض الدولة المغولية المسلمة في دهلي بعد الثورة الفاشلة لعام ١٨٥٧م، واستيلاء الإنجليز على ولايات الهند كلها، وتعطُّل دور العلم وحلقاتِ التدريس وخرابها في دهلي، وهجرة العلماء وأصحاب النبوغ منها؛ إثر هذه الحوادث المؤلمة كلها، قام طائفة من العلماء الربانيين الغيارى على دين الله وشريعته بإنشاء مدرسة صغيرة متواضعة في قرية «ديوبند» التابعة لمديرية «سهارنفور» بولاية «أترابراديش» بالهند، وذلك في ١٥/ المحرم ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م).

تقبل الله جلَّ وعلا هذه المدرسة بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا؛ فنَمَتْ وازدهرت، وتطورت وتوسعت، حتى تحولت إلى جامعة إسلامية تُعرف اليوم بالجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند التي هي أكبر الجامعات الإسلامية والمدارس الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية وأعرقها وأشهرها في العالم.

كما أصبحت في فجر إنشائها حركة تعليمية ومدرسة فكرية؛ فأنشئت على غرارها المدارس والجامعات الإسلامية لا في شبه القارة الهندية فحسب، بل في مختلف قارات العالم، وهي كلها تتبعها في الفكر والمنهج، وهكذا عادت أمَّ هاتي المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية المنتشرة في العالم.

وانتشر خريجوها الذين بلغ عددهم أكثر من مئة ألف في كل قطر من أقطار العالم يحملون رسالتها ودعوتها التي هي عصارة تعاليم الكتاب والسنة،

وهكذا وصلت خيراتها وعطاؤها إلى آفاق الأرض.

فهي اليوم أحد مراكز الثقافة الإسلامية، ومصدر الإشعاع الروحي، وإحدى المدارس الفكرية والتوجيهية والدعوية في العالم؛ لها تاريخ مشرق، وجهود جبارة، وتضحيات عظيمة في الحفاظ على علوم الشريعة ونشرها، وتثقيف الأجيال المسلمة وتربيتها، وإرشاد عامة المسلمين وتوجيههم، وتخريج دفعات من العلماء الربانيين، والدعاة العاملين، والكُتَّاب والمؤلفين، والقادة المخلصين، والمشتغلين بالعمل الإسلامي بشتى أنواعه، الذين يعملون في مختلف مجالات الحياة وميادينها.

فجهود الجامعة العظيمة وخدماتها الجُلّىٰ وتاريخها الطويل الممتد على أكثر من مئة وخمسين عامًا، وقِدَمُها وعَراقَتُها جعلتْها تقف في مَصَافِّ المعاهد الإسلامية العريقة العالمية كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، والجامع الأزهر بمصر.

فالجامعة مقصد العلماء والدعاة والمصلحين، ومزار السُيَّاح والإعلاميين والباحثين، وعامة المسلمين من شتى أكناف الأرض الناطقين بمختلف اللغات، الذين يتطلعون إلى معرفة تاريخ هذه الجامعة العريقة وتطورها وجهودها الممتدة على أكثر من قرن ونصف.

بناءً على هذا فقد وافقنا نحن المسؤولين على مشروعِ إعداد تعريفٍ بالجامعة شَاملٍ موجز في أربع لغات، وهي: الأردية، والهندوسية، والعربية، والإنجليزية.

قام الدكتور/ محمد الله القاسمي – رئيس قسم الإنترنيت بالجامعة – بإعداد التعريف بالأردية، باسم «التاريخ الموجز الشامل لدارالعلوم بديوبند»، كما قام هو بإعداده باللغة الهندوسية مع الأستاذ/ محمد سليمان باسم «تاريخ دارالعلوم بديوبند».

وقام أخونا الفاضل الأستاذ/ محمد ساجد القاسمي – أستاذ التفسير و الأدب العربي بالجامعة – بتأليف هذا الكتاب بالعربية وفقًا للمشروع باسم **«مسيرة دارالعلوم بديوبند عبر مئة وخمسين عامًا»**.

يَسُرُّنا أن نُقَدِّم إلى القراء والباحثين هذا الكتاب الذي يعطي صورة

واضحة عن نشأة الجامعة وخلفياتها، ودستورها وأهدافها، وخصائصها ومميزاتها، وأسسها الفكرية والمذهبية، ومناهجها التعليمية والتربوية، وأقسامها وإداراتها، وجهودها وجهادها في المجالات التعليمية والتربوية والثقافية والدعوية، بالإضافة إلى تراجم مشايخها وعلمائها و أبنائها النابهين، وانطباعات وشهادات من زارها من كبار الشخصيات من شتى بلاد العالم.

والكتاب حافل بالمعلومات المعزوة إلى مراجعها ومصادرها، عسى أن ينفع الباحثين ويفي بحاجتهم، كما يُطلع القراء الناطقين بالضاد على تاريخ هذا المعهد العلمي العريق وتطوره.

فجزى الله خيرًا أخانا الفاضل محمد ساجد القاسمي على هذا الإنجاز العلمي المهم الذي استنفد كثيرًا من جهده ووقته، وشكر سعيه، ووفقه لفعل المزيد من الأعمال العلمية و الثقافية.

وستسعد أكاديمية شيخ الهند التابعة للجامعة بطباعة وتوزيع هذا الكتاب كدأبها في الكتب والمؤلفات الأخرى الحديثة، وهي حريصة على إخراج الجديد والمزيد من الكتب والمؤلفات إلى أوساط القراء والدارسين.

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وبارك وسلم.

وكتبه

أبو القاسم النعماني

رئيس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند)

٧/ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ الموافق ١٩/ يونيو ٢٠٢١م

كلمة الناشر

نحمد الله جلَّ وعلا، والصَّلاة والسَّلام على محمدٍ رسوله المصطفىٰ، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا نجوم طريق الهدى، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم يكون إلى ربك الرجعىٰ، وبعد:

فقد مضى على إنشاء الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند) أكثر من مئة وخمسين عامًا، شهدت خلالها تطورات وتوسيعات كثيرة، وقامت بخدمات وإنجازات هائلة، وأنجبت رجالات وشخصيات كثيرة، ونالت مكانة مرموقة وسمعة عالمية بين المعاهد الدينية في العالم.

كلّ ذلك كان يقتضي أن يُدَوَّن تاريخها وتطورها وإنجازاتها عبر هذه المدة الطويلة، وفعلًا أ لَّفَ بعض أبنائها تاريخَها باسم «تاريخ دارالعلوم ديوبند» في جزأين في اللغة المحلية، وهي الأردية، وذلك قبل نحو خمسين سنة، كما أعِدَّت في العربية كُتَيِّباتٌ بالتعريف بنشأتها وأهدافها ومنهجها التعليمي وأقسامها وخدماتها، ولكنها لم تكن لتغني الباحثين والمتطلعين إلى معرفة تاريخها؛ فكانت الحاجة ماسَّة والضروةُ قائمةً إلى كتابٍ في العربية يستوعب جميع ما يتعلق بهذه الجامعة العريقة بدءًا من نشأتها ومرورًا بتطورها وتوسعها وانتهاءً إلى جهودها وإنجازاتها.

فعلى إيعازٍ من رئيس الجامعة فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني قام الأخ الفاضل الأستاذ محمد ساجد القاسمي – عضو هيئة التدريس بالجامعة ورئيس تحرير مجلة «النهضة الأدبية» الفصلية الصادرة عن النادي الأدبي التابع لها- بتأليف هذا الكتاب بالعربية المسمى بـ **«مسيرة دارالعلوم بديوبند عبر مئة وخمسين عامًا»**، كما قام قبله الدكتور/ محمد الله القاسمي- رئيس قسم الإنترنيت بالجامعة- بتأليف كتابٍ بالأردية، باسم «التاريخ الموجز الشامل لدارالعلوم بديوبند».

يَسُرُّ أكاديميةَ شيخ الهند التابعة للجامعة أن تُقَدِّم هذا الكتاب إلى القرَّاء والباحثين، علَّهم يجدون فيه ما يتوخونه من المعلومات ذات الصلة بالجامعة، ويظفرون فيه بما لم يظفروا به في الكُتيِّبات المعدَّة بالعربية.

لقد سعدت الأكاديمية في الماضي بنشر عدد من الأعمال المترجمة إلى العربية للمؤلف، مثل: «حجة الإسلام»، و«محاورات في الدين»، و« ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام»، و«العقيدة الإسلامية: شبهات وردود»، وهي كلها للإمام محمد قاسم النانوتوي، و«الصحابة ماذا ينبغي أن نعتقد عنهم؟» لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، والترجمة الأردية لكتاب «الهدية السنية في ذكر المدرسة الإسلامية الديوبندية» للشيخ ذو الفقار علي الديوبندي.

فأشكر أولا المؤلف الفاضل على جهده العلمي القيم داعيًا له المولى الكريم أن يمن عليه بالصحة والعافية، ويوفقه لإنجاز المزيد من الأعمال العلمية النافعة.

ثم أرفع أسمى معاني الشكر والتقدير إلى صاحب الفضيلة المفتي أبو القاسم النعماني- حفظه الله- رئيس الجامعة الموقر، وأصحاب الفضيلة: أعضاء المجلس الاستشاري المحترمين- حفظهم الله- على إذنهم بطبع هذا الكتاب من أكاديمية شيخ الهند.

والشكر موصول للأخ الكريم المفتي عمران الله القاسمي الذي تطلع الأكاديمية -بعنايته وإشرافه- على القراء بالمؤلفات الحديثة في ثوب جميل وحلة قشيبة.

و إلى الله جلّ وعلا أتضرع أن يتقبل منّا جميعًا ما نبذل للأكاديمية من المساعي، و يجعلها في موازين حسناتنا، إنه سميع قريب مجيب.

بدر الدين أجمل القاسمي
عضو المجلس الاستشاري
للجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند)
ومدير أكاديمية شيخ الهند التابعة لها
٨/ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠/ يونيو ٢٠٢١م

كلمة المؤلف

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فيُسعدني جدًّا أن أضع بين يدي القُرَّاء الأفاضل هذا الكتاب المُعَنْوَن بـ «**مسيرة دارالعلوم بديوبند عبر مئة وخمسين عامًا**» الذي جاء تأليفه ضمن المشروع الذي وضعه مكتب رئيس الجامعة عام ١٤٣٣هـ (٢٠١١م).

فبمناسبة مرور مئة و خمسين عامًا على إنشاء الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند) وضع مكتب رئيس الجامعة عام ١٤٣٣هـ مشروع إعداد تعريف شامل موجز للجامعة في اللغات العالمية والمحلية: العربية، والإنجليزية، والأردية، والهندوسية.

وكان نصيبي من هذا المشروع المهم إعدادَ التعريف باللغة العربية، كما كان نصيب صديقي الدكتور/ محمد الله القاسمي- رئيس قسم الإنترنيت التابع للجامعة- إعداده بالأردية، وقد كان أحثَّ مني خُطى وأسرع سيرًا، حيث قام بإنجاز المشروع باسم «التاريخ الموجز الشامل لدارالعلوم بديوبند»، وانتهى منه قبلي عام ١٤٣٨هـ (٢٠١٦م).

أما أنا فقد بدأتُ العمل للمشروع عام ١٤٣٣هـ - بجانب ممارسة أشغالي التدريسية والكتابية الأخرى- وصرفت له المسامحامات وما تيسَّر لي من الفرص والأوقات، ولا سيما أيام الفراغ خلال جائحة «كورونا» التي اجتاحت موجتها البلاد والعباد، حتى فرغت منه هذا العام ١٤٤٢هـ (٢٠٢١م) ، وهكذا قد استغرق إنجازه نحو عشر سنوات.

جمعتُ المواد والمعلومات المتصلة بالموضوع من مظانها ومصادرها التي كان معظمها في الأردية، وقمتُ بصياغتها بالعربية وعزوتُها إلى مصادرها ومراجعها، واعتمدت في هذا الشأن خاصة على «تاريخ دارالعلوم ديوبند» لصاحبه السيد محبوب الرضوي، وعلى التقارير السنوية للجامعة المودعة إدارةَ المحفوظات التابعة لها، والمجلات العربية والأردية الصادرة عنها، وعلى كتب مشايخها، وعلى الكتب والكتيِّبات الـمُعَدَّة بالعربية والأردية للتعريف بها. وقد صنفت هذه الموادَّ كلها وقسمتها، حتى جاء الكتاب مشتملًا على ثمانية أبواب:

الباب الأول في تاريخ المدارس الإسلامية في الهند، وخلفيات تأسيس الجامعة، وقصة تأسيسها، ودستورها وأهدافها، ومميزاتها وخصائصها.

والباب الثاني في مسيرة الجامعة الممتدة على أربعة عصور بدءًا من السنة الأولى: ١٢٨٣هـ وانتهاءً إلى السنة المئة والستين: ١٤٤٢هـ، ومهرجانها المئوي، والخط الزمني لأهم الأحداث التي وقعت خلال هذه العصور، ومباني الجامعة وعماراتها.

والباب الثالث في الكلام عن المنهج الإداري للجامعة والأقسام والإدارات التابعة لها.

والباب الرابع في المنهج التعليمي للجامعات والمدارس الإسلامية في الهند، والمنهج التعليمي للجامعة وخصائصها التعليمية، والمنهج الدراسي للعلوم الشرعية للجامعة، و منهج القبول والتسجيل لها.

والباب الخامس في النسب العلمي والانتماء الفكري لعلماء ديوبند، وكونهم من أهل السنة والجماعة، وعضِّهم على مذهبهم بالنواجذ، و شيء من عقائدهم ومواقفهم في مسائل الدين، ونماذج مشرقة من سيرتهم وسلوكهم.

والباب السادس في جهود الجامعة في نشر الثقافة الإسلامية، والدفاع عن الإسلام، وجهودها في مجال السياسة والاجتماع، وفي تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني.

والباب السابع في انطباعات وشهادات من زار الجامعة من كبار الشخصيات

من شتى بلاد العالم، والأناشيد والمدائح التي قيلت عنها.

الباب الثامن في تراجم كبار أساتذتها ومشايخها وأبنائها النابهين.

وألحقت في آخر الكتاب قوائم أسماء مؤسسي الجامعة والمشرفين عليها، ورؤسائها، ومشيخة الحديث لها، وأعضاء هيئة التدريس سابقًا وحاليًا، وأعضاء هيئة الإفتاء، وأعضاء المجلس الاستشاري كذلك.

والجدير بالذكر أني عبّرتُ عن «الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند» خلال الكلام عنها حينًا بـ «الجامعة» رومًا للإيجاز، وحينًا باسمها: «دارالعلوم» إيثارًا لما تُعْرفُ به في الهند وخارجها.

لقد كتب المؤلفون والكُتَّاب كثيرًا من الكتب والمقالات عن الجامعة في اللغة الأردية، وتناولوا نواحيها المختلفة بالتحليل والتفصيل، وألفوا مجاميع وموسوعات في شخصياتها ورجالاتها تحقيقًا لحاجة الناطقين بالأردية.

أما في هذا الكتاب فقد ركزت عنايتي على جوانب الجامعة التي تهم القراء العرب، وترجمتُ لمشايخها الأحياء الذين يدرِّسون في السنة الرابعة من المرحلة الجامعية (دورة الحديث) ولمشايخها وأبنائها الماضين الذين قاموا بأعمال علمية بالعربية أو الأردية، أو خدمات جليلة في مجال من المجالات العلمية أو الإصلاحية أو الاجتماعية أو السياسية.

إني أعترف بأن الموضوع كان متعدد الجوانب واسع الأكناف، وحاولت الإحاطة به، غير أني لا أدعي استقصاءه من جميع جوانبه، واستيعاب أطرافه، وأني وفَّيتُ الموضوع حقَّه، وأعطيت كل جانب قسطه. فإن كان فيه ما ينفع القُراء فمن توفيق الله وتيسيره، وإن كان فيه خطل أو زلل، أونقص أو خلل، فالكمال لله وحده، ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل.

وهنا أتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني/ حفظه الله -رئيس الجامعة - الذي ولَّاني العمل لهذا المشروع، وزوَّدني بين الفينة والفينة بتوجيهات مهمة فيما يتعلق بالموضوع، وقدَّم الكتاب إلى المجلس

الاستشاري للإذن بطباعته ونشره على الإنترنيت، فتفضل أصحاب الفضيلة: أعضاء المجلس الاستشاري المحترمون بالإذن بطباعته ونشره مشكورين.

ولصديقي الكريم الدكتور/ محمد الله القاسمي- رئيس قسم الإنترنيت بالجامعة- مني جزيل الشكر والتقدير حيث أعطاني المواد والمعلومات في الموضوع، وأرشدني إلى المصادر والمراجع، التي يَسَّرت لي إنجاز المشروع.

وجزى الله خيرًا كلا من الأخ في الله/ هداية الله القاسمي الآسامي، والأخ في الله/ محمد ذكوان القاسمي الديوبندي اللذين قاما بقراءة مبيضة الكتاب وتصحيحها وتنقيحها من الأخطاء.

ولا يفوتني أن أشكر القائمين على أكاديمية شيخ الهند والعاملين فيها ولاسيما فضيلة الشيخ بدر الدين أجمل علي القاسمي - عضو المجلس الاستشاري للجامعة ومدير أكاديمية شيخ الهند التابعة لها- والمفتي عمران الله القاسمي - المشرف على الأكاديمية- حيث رأى الكتاب النور بعنايتهم وسعيهم جميعًا.

إنَّ هذا الكتاب الذي أسعد بتقديمه إلى السادة القراء لصورة ولاء ووفاء لهذه الجامعة العريقة من أحد أبنائها، وإنه تحية للجهود التي بذلتها منذ إنشائها إلى الآن للحفاظ على الإسلام وعلومه وثقافته في شبه القارة الهندية، وتحية لشيوخها وأساتذتها الذين أسهموا في بنائها وتطويرها وتوسيعها، وفي تبليغ رسالتها وتحقيق أهدافها، وتحية لمسلمي شبه القارة الهندية الذين بذلوا لها طارفهم وتليدهم وغاليهم ورخيصهم، ولمسلمي العالم الذين يحبونها ويعتبرونها قلعة حصينة من قلاع الإسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد ساجد القاسمي

أستاذ التفسير والأدب العربي

بالجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند (الهند)

١٠/ ذوالقعدة ١٤٤٢هـ الموافق ٢١/ يونيو ٢٠٢١م

الباب الأول

تأسيس و أهداف

- نبذة من تاريخ المدارس الإسلامية في الهند
- خلفيات تأسيس الجامعة
- قصة تأسيس الجامعة
- دستور الجامعة وأهدافها
- خصائص الجامعة ومزاياها

تمهيد

الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند
مدرسة فكرية عظيمة وحركة تعليمية شاملة

إنَّ الجامعــة الإســلامية دارالعلــوم بديوبنــد أمُّ المــدارس والجامعــات الإسلامية الأهلية و أكبرها وأعرقها في شبه القارة الهندية، وإحدى الجامعات الإسلامية المعروفة في العالم. كما أنها معقل الثقافة الإسلامية، ومصدرالإشعاع الفكري للمسلمين، والحركة المتعددة الأبعاد، والمدرسة الفكرية ذات الاعتدال والوسطية في فهم الإسلام وتفسيره.

عقب انقراض الحكومة المغولية المسلمة في الهند أنشئت على أيدي نخبة من العلماء الربانيين والمشايخ الصالحين باسم «المدرسة العربية الإسلامية» في قرية ديوبند، التي عُرِفتْ فيما بعدُ بـ «الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند».

إنها أنشئت للحفاظ على الإسلام وعلومه وثقافته، والإبقاء على شخصية المسلمين الدينية والثقافية في هذه البلاد؛ لأن كيانهم ودينهم وثقافتهم كان في خطر من قبل الاستعمار الإنجليزي، الذي كان يهدف أن يحوِّل الهند إلى دولة مسيحية و يجعل أهلها مسيحيين.

إنها أنشئت على أساس تبرعات المسلمين ومساعداتهم؛ لأن الحكومة الإنجليزية كانت قد صادرت الأوقاف، وجففت موارد الدخل التي كانت تُغطي ميزانية المدارس والمعاهد على عهد الحكم الإسلامي المغولي.

إنها قامت على المنهج الفكري للإمام ولي الله الدهلوي واستقت روح حركته العلمية والدعوية والإصلاحية؛ لأن معظم مؤسسيها وعلمائها الأوائل كانوا من تلاميذ مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي، و ورثة فكره ودعوته، كما أنها

تبنَّت خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من فهم الكتاب والسنة في ضوء أقوال السلف الصالح وذوقهم، والاعتدال والوسطية في العقيدة والعمل، واحترام جميع الشخصيات الإسلامية، والأخذ بجميع شعب الدين العلمية والعملية.

إنها أسست على التقوى من أول يومها، فبارك الله فيها، وأضفى عليها مسحة القبول والشعبية، فسرعان ما طبَّق صيتها في العالم الإسلامي، ونالت مكانة مرموقةً في قلوب المسلمين، وتقاطر إليها طلبة العلوم الإسلامية من أقطار الهند، بل من شتى أنحاء العالم، واستقوا من منهلها العذب، وقفلوا إلى بلادهم راجعين، حيث أنشؤوا جامعات ومدارس إسلامية على غرار ها، وسمَّوا معظمها بدارالعلوم، فدور العلم ومعاهد التعليم في شبه القارة الهندية - الهند وباكستان وبنغلاديش- وفي جنوب إفريقيا، وفي بريطانيا، وفي أمريكا، بل في مختلف بلاد العالم هي امتداد علمي وروحي لها.

هكذا توسع نطاقها وكثرت فروعها وأصبحت حركة تعليمية ومدرسة فكرية. رسالتها وأهدافها تعليم علوم الكتاب والسنة ونشرها، وتخريج الجيل المسلم وتربيته، وتوجيه المسلمين وإرشادهم، والدفاع عن الإسلام والمحافظة على صورته المتوارثة عن السلف الصالح، والسعي لمصالح المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية.

لقد حققت الجامعة أهدافها ونجحت في رسالتها؛ حيث حافظت على الكيان الإسلامي والثقافة الإسلامية في الهند، و تركت آثارًا كبيرةً بعيدة المدى في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمسلمين الهنود، ، فلولم تقم بالحفاظ على دينهم وثقافتهم، وتوجيهم وإرشادهم، وبعثِ روح جديدة فيهم للمقاومة والصمود أمام التيارات الوافدة وسيول الحضارة الغربية الجارفة لكان لهم تاريخ غيرما هو اليوم.

لقد قامت بضخ الدماء الزكية الحارة في شرايين الحياة الدينية للمسلمين، وتزويدهم بالغذاء الروحي، كما أنجبت علماء بارعين، وعباقرة نابغين، ومحدثين

أجـلاء، ورجـال الإحـسان والتزكيـة، وفقهـاء كبـارًا، وكُتَّابًـا ومـؤلفين، وأدبـاء وصحفيين، ودعاة ومصلحين، وقادة وسياسيين، وخدمة اجتماعيين، يعملون في مجالاتهم في مشارق البلاد ومغاربها بل في شتى أكناف العالم.

لقد شهد من طوَّف في أكناف العالم، وتجول في مناكب الأرض أنه وجد خريجيها أو من تخرجوا عليهم في كل مكان من العالم، وحيث لا يخطر وجودهم على بال، ينشرون دعوة الجامعة ويؤدون رسالتها، وهكذا وصل عطاؤها ورسالتها إلى كل بقعة من بقاع العالم.

لقد قام مشايخ الجامعة ومتخرجوها بأعمال جليلة ومآثر خالدة، ولا سيما في مجال خدمة الكتاب والسنة وعلومهما، فألفوا كتبًا ومؤلفات قيمة ازدانت بها المكتبة الإسلامية العامرة، ونالت إعجابا وقبولا بالغين في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي، وقد أكرمت المؤسسات بعضهم على مؤلفاتهم بجوائز عالمية تقديرًا لجهودهم العلمية.

أبرز سمات مشايخها ومتخرجيها أنهم يعملون في صمت، ويتقشفون في العيش والحياة، ويتخشنون في المأكل والمشرب، و يتسمون بإنكار الذات والتواضع، ولا يجرون وراء الصيت والسمعة، ولا إلى المال والمادة، ولايبتغون وراء ما يفعلونه سواء كان في مجال التدريس، أو الدعوة، أو السياسة، أو الاجتماع إلا وجه الله تعالى.

إنها تمتاز بين مثيلاتها بمزايا متنوعة، وتُعْتَبر منذ قرن ونصف من كبرى الجامعات للتعليم الديني والتربية الإسلامية ليس في شبه القارة الهندية فحسب، بل في العالم الإسلامي كله. إنَّها قامت بخدمات علمية ودينية ودعوية شاملة لم تقم بمثلها جامعة أو مدرسة في شبه القارة الهندية، بل في البلاد الإسلامية كلها في هذه الفترة من الزمن. وليس اليوم في الأقطار الإسلامية - بعد جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس بالمغرب، والجامع الأزهر بمصر - جامعة أقدم تاريخًا، وأكثر إنجازًا، وأكبر تأثيرًا في المجتمع، وأعظم مكانة في قلوب المسلمين منها.

إنَّها ليست مدرسة فحسب، وإنما هي حركة تعليمية دعوية إصلاحية شاملة قامت في القرن الثالث عشر الهجرى، تلبيةً لنداء الوقت وسدًّا لحاجة الزمان. ولولاها لتعذر بقاء الكيان الإسلامي في الهند، ولأُعيدت قصة «إسبانيا» مع المسلمين الهنود، ولأصبحوا أثرًا بعد عين.

إنَّها محاولة جادَّة مشكورة قام بها علماء شبه القارة الهندية للحفاظ على الدين، وحماية الإسلام، ونشر العلوم الإسلامية، وتسليح الجيل المسلم بما يحتاج إليه من سلاح العلم وتوجيه المسلمين وتربيتهم على منهج السلف الصالح.

إنَّها مفخرة عظيمة لمسلمي شبه القارة الهندية، وصفحة ناصعة من تاريخهم المعاصر، ومحاولة ناجحة للحفاظ على الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية، فإذا درسنا تاريخ هذه الجامعة وخدماتها وأعمالها دراسةً عميقةً مستوعبةً وجدنا أنها ليست مدرسة من الطراز القديم، وإنَّما هي حركة عظيمة للحفاظ على الإسلام في صورته الأصيلة في هذه البلاد.

تلك إطلالة على الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند- تلك المدرسة الفكرية العظيمة والحركة التعليمية الشاملة - سيجد القارئ تفاصيلها في الصفحات الآتية.

❊ ❊ ❊

نبذة من تاريخ المدارس الإسلامية في الهند

يُعِير العالم المعاصر للتعليم أهمية قصوى، فهو يُعَدُّ من هبات العصر الحديث ومعطياته، والحق أنَّ رُقيَّ التعليم وتقدُّمه وشيوعه وانتشاره يرجع فيه الفضل إلى الإسلام، حيث أمر الله جلّ وعلا في أول ما أوحى إلى نبيه ﷺ، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ١-٥] ونعى على الجهل والأمية، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩]. ووعد برفع درجات أهل العلم، فقال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

لقد دعا الإسلام بأوامره إلى القراءة والكتابة والتعلم والتعليم دعوة عامة، ولم يجعل ذلك حكرًا على طائفة دون طائفة، وطبقة دون طبقة، فأعطى الجميع حقًّا للتعليم. بينما لم يكن التعليم عامًا للجميع قبل الإسلام، فكان الإغريق و الصين والهند لا يُتِيحون حق التعليم لكل فرد من أفراد المجتمع، بل يحكرونه على أفراد الطبقة العليا. فإذا تجرَّأ أفراد الطبقة الدنيا على التعلم يُعذَّبون عذابًا شديدًا.

وأما أوروبا فقد كانت في العصور المظلمة (Dark Ages) غارقة في الجهل والأمية والهمجية، فكان العلماء وأصحاب الفنون إما يُصْلَبُون أو يُحَرَّقُون أو يُسْجَنُون.

وأما الجزيرة العربية فقد كانت تسودها الأمية والبداوة كذلك، حيث لا كُتَّابَ ولا مدرسةَ، ولا قراءةَ ولا كتابةَ، وكان في قريش - وهي أشرف القبائل وسيدها- عددُ من يعرفون الكتابة والقراءة ١٧ شخصًا، وكان عدد كُتّاب الوحي من المهاجرين والأنصار ٤٣ شخصًا.

وتلك هي حال التعليم في الأمم المختلفة قبل الإسلام، فالإسلام أمر

أتباعه خاصة بالتحلي بحلية العلم، فقال رسوله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[1]. وفتح أبواب معاهده ومدارسه لأتباع الديانات الأخرى كذلك، فقد تلقى اليهود والنصارى التعليم في مدارس الأندلس ونقلوا نور العلم إلى أوروبا، فتبدّد به الظلام المطبق عليها.

فما فعله الإسلام في شأن التعليم وترويجه وإتاحة فرصه للجميع لا يقل عن انقلاب عظيم.

لقد كانت الحضارة التي أرسيت على أسس الإسلام وتعاليمه حضارةَ علم ومعرفة، وحضارةَ عدل ونصفة، وحضارة مواساة ومساواة، فحيثما وصل المسلمون أقاموا منارًا للعلم والمعرفة، وبسطوا العدل والنصفة، وأعطوا للأمم ما لهم من الحقوق والحريات.

بداية المدارس الإسلامية

كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في الحضارة الإسلامية، فلم يكن مكان عبادة فحسب، بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة. ثم أقيم بجانب المسجد الكُتَّابُ، وخُصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضية، وكان الكتَّاب يُشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر.

ثم قامت المدرسة بجانب الكتّاب والمسجد، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية في عصرنا الحاضر. كان التعليم فيها مجَّانيًّا ولمختلف الطبقات، فلم يدفع الطلاب في دراستهم الثانوية والعالية رسًما ما من رسوم الدراسة التي يدفعها طلابنا اليوم، ولم يكن التعليم فيها محصورًا بفئة من أبناء الشعب دون فئة، بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصائغ والمزارع.

(١) الأربعون حديثًا للآجري: ١/ ٧٥.

وكانت الدراسة فيها قسمين: قسمًا داخليًّا للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسمًا خارجيًّا لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه. أما القسم الداخلي فكان بالمجان أيضًا، يُهيأ للطالب فيه الطعامُ والنوم والمطالعة والعبادة... وبذلك كانت كل مدرسة تحتوي على مسجد، وقاعات للدراسة، وغرف لنوم الطلاب، ومكتبة، ومطبخ، وحمام. فالجامع الأزهر وجامع القرويين والمدارس الواقعة بدمشق خير نماذج لهذه المدارس التي غمرت العالم الإسلامي كله[1].

قد اختلف المؤرخون فيمن بنى أول مدرسة في التاريخ الإسلامي، ويرى بعضهم أنه أول ما ظهر هو المعاهد العلمية التي مهدت السبيل لظهور المدارس. فالخليفة المامون العباسي يُعَدُّ أول من أقام معهدًا للعلم في بغداد سماه بيت الحكمة سنة ١٩٨هـ. وفي الموصل بالعراق أسس جعفر بن محمد الموصلي دارًا للعلم زوَّدها بمكتبة تزخر بعدد ضخم من الكتب في جميع فنون المعرفة، وأسس الفاطميون في مصر دورًا مماثلة لنشر الدعوة الفاطمية، وكان في قصرهم أعظم مكتبة في الإسلام كانت تشتمل على نحو أربعين غرفة مليئة بالكتب من جميع فروع المعرفة والعلوم.

كما أنشأ يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله نزار في داره مجلسًا للعلم كان يتردد عليه طائفة من العلماء والفقهاء، ثم أقام الحاكم بأمر الله في القاهرة عام ٣٩٥هـ دار الحكمة شمال القصر الفاطمي الغربي، وكان داعي الشيعة يجلس فيها ويجتمع إليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المختلفة والعلوم المتعلقة بالمذهب الشيعي. وغلبت شهرة هذه الدار على الدور السابقة كلها، وألحقت بها مكتبة كانت تحتوي على قاعة للمطالعة ومجلس للاجتماعات وغرف للتدريس، كما بنى الحاكم دورًا مماثلة في الفسطاط وحلب. وأنشأ الحسن بن عمار في طرابلس الشام دارًا للحكمة تشبه دارالحكمة بمصر، وكانت هذه المعاهد وأمثالها تقوم بوظيفة من أكبر وظائف الدولة هي إعداد الدعاة وتزويدهم بالعلوم الخاصة بالمذهب الشيعي.

---

(١) من روائع حضارتنا لمصطفى السباعي، ص: ٢٠٥.

بينما كانت دار الحكمة وغيرها من المراكز العلمية تقوم بوظيفتها كانت المدرسة تنمو وترعرع في الدول السنية بالمشرق، وقامت المدرسة بمحاربة المذهب الشيعي في فارس، وعنيت بنشر المذاهب السنية.

وكان تأسيس المدارس بادئَ ذي بدء من صميم أعمال الخير و البر؛ لذلك ساهم عدد كبيرمن الناس في بنائها. كما بنى كثير من الفقهاء مدارس على نفقاتهم الخاصة؛ فأسس أبو حاتم البستي المتوفى ٤٢٠هـ مدرسة في مرو كانت بها مكتبة وغرف لإيواء الطلبة الغرباء. وفي عهد السلطان محمود الغزنوي ظهرت أربع مدارس، هي المدرسة البيهقية التي أسسها البيهقي، والمدرسة السعيدية التي أسسها الأمير نصر بن سبكتكين حاكم نيسابور، ومدرسة أبي سعد إسماعيل بن علي المثنى الأسترابادي، ومدرسة رابعة بناها أبو إسحق الإسفراييني. وهكذا شهدت فارس مولد هذا النظام الجديد وهو المدرسة ومنها انتشر إلى الأقطار الإسلامية.

وازدهرت حركة تأسيس المدارس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، فأنشأ نظام الملك أبو علي الحسن بن علي عدة مدارس في خراسان وفي بغداد والبصرة وأصفهان.. وكان أشهر هذه المدارس كلها المدرسة النظامية ببغداد التي أسسها عام ٤٥٤هـ.

واقتدى الناس بنظام الملك في بناء المدارس، فانتشرت في جميع أنحاء الدول السلجوقية في بغداد ونيسابور ومرو. ثم أنشأ الخليفة المستنصر بالله العباسي المدرسة المستنصرية وخصصها للمذاهب الأربعة، وجعل لكل مدرس خمسة وسبعين طالبًا ومعلمًا للقرآن وآخر للحديث، وكان بها مكتبة وحمامات، ومارستان ومطابع.

وانتشرت حركة بناء المدارس في سوريا في القرن الخامس الهجري إذ أخذها السلطان نور الدين محمود زنكي عن السلاجقة، ونشرها في الشام والجزيرة وأقيمت في عهد هذا السلطان مدارس في دمشق وحلب وحماة وبعلبك وحمص والرقة والبصرة. وكان الناس يفدون إلى هذه المدارس من نيسابور وبغداد

ومن قرطبة وغرناطة ومراكش.

ومن مدارس الشام انتقل نظام المدارس الفارسية إلى مصر على يدي السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكثر إنشاء المدارس في عهده في مصر والشام، فأقيمت المدرسة الصلاحية بجوار ضريح الإمام الشافعي عام ٥٧٥هـ، وأقام صلاح الدين المدرسة الشريفية عام ٥٦٦هـ، وبعد ذلك أسست مدارس أخرى بمصر في عهده، مثل: المدرسة القطبية، والمدرسة الأرسوفية، كذلك أسست في بلاد الشام مثل: المدرسة العادلية بدمشق، و المدرسة الظاهرية بحلب، والمدرسة السلطانية بحلب، ومدرسة الفردوس التي أسسها الملك الظاهر غازي عام ٦٣٣هـ، والمدرسة الشرفية عام ٦٤٠هـ، والمدرسة الكاملية بحلب وغيرها.

ثم انتقل نظام المدارس السنية من مصر إلى أنحاء المغرب، ويعتبر بنو مرين هم أعظم بناة المدارس في المغرب، وأكثرهم نشاطًا وأوفرهم همة. وكان ذلك عندهم مظهرًا من مظاهر حماستهم الدينية.. وكانت مدارسهم أجمل وأروع وأزهى من القصور التي أقامها بنو الأحمر بغرناطة، ومن بين هذه المدارس التي أقيمت مدرسةُ الصفارين، ومدرسة العطارين، ومدرسة الصهريج [١].

هكذا ملأت المدارس مدن العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وظلت مراكز العلم والمعرفة للأمة الإسلامية قرونًا طويلة.

بداية المدارس الإسلامية في الهند

في أوائل القرن السابع الهجرى قامت أول حكومة إسلامية في وسط الهند على يد قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٦هـ) ، والأمير ناصر الدين قباجه هو أول من أسس مدرسة في أوج (ملتان) (٦٢٤هـ=١٢٢٦م) ، كما أن محمد بختيار الخلجي -الذي كان يعاصره- بنى مدينة «رنكافور» بـ «بنغال» واتخذها عاصمة له، وأسس مساجد، وزوايا ومدارس [٢].

---

(١) مجلة المنهل السعودية، العدد ٣٦٧، السنة ٥٥، المجلد ٥٠.

(٢) تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب الرضوي ١/ ٧١، ٧٢.

و تطورت حركة بناء المدارس في الهند حتى عمَّتْ في القرن الثامن الهجري، فقد روى لنا المقريزي أنه كانت بدهلي ألف مدرسة على عهد حكومة محمد شاه تغلق (٧٢٥- ٧٥٢هـ) ، تُصْرَفُ الرواتب للمدرسين من بيت المال، وتُدرَّسُ فيها علومُ الشريعة والعلوم العقلية والرياضية، وانتشر التعليم في عهده انتشارًا حتى كانت تكون الإماء حافظات للقرآن وعالمات، وقد كان محمد شاه تغلق نفسه عالمًا فاضلًا حافظًا للقرآن ولمعظم كتب العلوم والفنون والهداية للمرغيناني بأجزائه الأربعة.

وكان الملك فيروز شاه تغلق (٧٢٥- ٧٩٠هـ) كثير الاهتمام بالعلم وأهله وإقامة المدارس، فقد أقام بدهلي مدرسة وهي مدرسة فيروز شاهي منقطعة النظير في بنائها وموقعها وحسن هندستها، كما أنه قام بإصلاح المدارس القديمة وإدخال الترميم والتعديل والتحسين عليها، وصرف للعلماء والطلبة الأرزاق من بيت المال، ووقف عليها الأراضي والعقارات[١]. وكان يُعنى بتعليم العبيد والإماء والأطفال عناية شديدة، وقد أقام لتعليم البنات مدارس خاصة[٢].

وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين أقام الملوك والأمراء في كجرات مدارس ودورا للعلم في غربي الهند، كما أقام ملوك الشرق في «جونفور» مئات من المدارس، ودعوا لها العلماء والمدرسين من البلاد البعيدة، وعَيَّنوا لهم الرواتب

(١) قال فيروز شاه في رسالته الفارسية المسماة بـ «فتوحات فيروز شاه»: «ومن مواهب الله تعالى لي أنه وفقني لتشييد المباني الخيرية، فبنيت كثيرًا من المساجد، والمدارس، والخوانق[الزوايا]، ليعبد فيها العلماء والمشايخ والزُّهَّاد والعُبَّاد الله جلَّ وعلا، ويدعوا لبانيها بالخير.

ومن هبات الله تعالى لي أنَّ العمارات والأبنية التي قام ببنائها السلاطين والأمراء السالفون كان قد دبَّ إليها البلى والخلل على مر الأيام وكر الأعوام، فقمتُ بترميمها وتجديدها، وفضلت إحكامها على تشييد عماراتي. فجامع دهلي القديم الذي كان قد بناه السلطان معز الدين سام كان يحتاج لقدمه إلى الترميم والتجديد، فأدخلت عليه الترميم والتجديد بحيث أصبح كالجديد في الإحكام. (رسالة فتوحات شاهي، ص: ١٧)

(٢) تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب الرضوي ١/ ٧٣.

وأقطعوا لهم الإقطاعات، وظلت هذه الحركة مزدهرة إلى قيام الدولة المغولية، ومباني المدرسة التي أقيمت بجوار مسجد «أتاله» بـ «جونفور» باقية حتى الآن، وفي هذه المدرسة دَرَسَ الملك شير شاه سوري المتوفى سنة ٩٥٢هـ[١].

المدارس في عصر الحكومة المغولية

قامت الحكومة المغولية في الهند عام ٩٣٢هـ=١٥٢٦م، وقد عُرِفَ ملوكها وأمراؤها بميلهم إلى العلم وأهله وإقامة دور العلم في البلاد الخاضعة لهم، فقد كثرت المدارس على عهد همايون وأكبر، كما أقيمت على عهد الملك المغولي شاه جهان (١٠٣٧ – ١٠٦٨هـ) مدارسُ في «دهلي» و«لاهور» و«سيالكوت» و«أحمد آباد» و«جونفور»، يفد إليها طلاب العلم من أقطار الهند، ومن «هراة» و«بدخشان» وما إليها.

من هذه المدارس مدرسة المسجد الفتحبوري التي هي باقية حتى الآن، ومنها مدرسة أبي البقاء بجانب جامع دهلي التي أغلقها الإنجليز عام ١٨٥٧م[٢].

وقد كثرت المساجد والمدارس والزوايا على العهد المغولي كثرة مدهشة في ولايتي «أوده» و«إله آباد»، وكان أصحاب الإقطاعات يُعْنَون بإيواء العلماء وطلبة العلم وإطعامهم وتكَفُّل نفقاتهم، ويَعْتَبِرْون ذلك سعادةً لهم، وكان الملك شاه جهان يعتَزُّ بهم ويقول: فورب شيراز ما است (شرقي الهند شيرازنا)[٣].

وكان بمدينة لكناؤ زاوية ومدرسة على شاطئ نهر كومتي، كان يدرس فيها الشيخ محمد المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، فعُرِفت المدرسةُ والزاويةُ باسمه، ثم خلفه فيها صاحبه ملا غلام محمد نقشبند المتوفى سنة ١١٢٦هـ الذي كان أستاذ ملا نظام الدين الفرنكي محلي المتوفى سنة ١١٦١هـ، ويقدر أنه كان يَدْرُسُ في هذه المدرسة

(١) راجع تاريخ سلاطين شرقي و صوفياء جونفور لسيد إقبال أحمد الجونفوري.

(٢) واقعات دارالحكومة دهلي، ص: ٢/ ١١٣.

(٣) مآثر الكرام لغلام علي آزاد البلجرامي، ص: ١/ ٢٢١– ٢٢٢).

نحو سبع مئة طالب [١].

وكان عهد الملك أورنك زيب المتوفى سنة ١١١٨هـ معروفًا بالنشاطات العلمية والتعليمية، فقد أنشأ المدارس في المدن والقرى، وأقطع أراضي للعلماء والمدرسين، وصرف الرواتب للطلاب، فبفضل جهوده وصل نور العلم إلى كل مدينة وقرية. وتفيد بعض مراسيمه أنه أنشأ مدرسة في ديوبند كذلك [٢].

ومن مدارس دهلي المعروفة مدرسة غازي الدين التي تقع بقرب باب أجميري، والتي حوَّلها الإنجليز على عهدهم إلى الكلية الإنجليزية العربية، وقد تصدَّر فيها التدريسَ الشيخُ مملوك العلي النانوتوي المتوفى سنة ١٢٦٧هـ ودَرَسَ عليه فيها الشيخ محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة ١٣٠٢هـ ومباني هذه المدرسة مثال حي للهندسة الإسلامية. وهي تعرف اليوم بكلية الدكتور ذاكر حسين، وتابعة لجامعة دهلي.

ومن المدارس التي أقيمت في عهد الملك عالمكير أورنك زيب مدرستان معروفتان، لهما أثر كبيرعلى تاريخ الهند العلمي والديني والتعليمي، إحداهما: المدرسة النظامية بـ «فرنكي محل» بمدينة لكناؤ، وثانيتهما: المدرسة الرحيمية بدهلي.

أما المدرسة النظامية فقد أسسها ملا نظام الدين السهالوي الفرنكي محلي صاحب المنهج الدراسي المعروف بـ «الدرس النظامي» المتبع في المدارس الإسلامية في الهند منذ نحو ثلاثة قرون، وقد تخرج من هذه المدرسة فطاحل العلماء أمثال: بحرالعلوم ملا عبد العلي الفرنكي محلي المتوفى سنة ١٢٢٥هـ، وملا حسن المتوفى سنة ١١٩٩هـ، وأبو الحسنات عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة١٣٠٤هـ، والشيخ عبد الباري الفرنكي محلي المتوفى سنة ١٣٤٥هـ، وغيرهم. وعلماء هذه المدرسة يغلب

(١) حيات شبلي ص: ١٥.

(٢) تاريخ ديوبند، ص: ١٠٩.

عليهم التدريس والتأليف والفقه والإفتاء، ولهم شروح وتعليقات على كتب الفقه[1].

وأما المدرسة الرحيمية بدهلي فقد بناها الشاه عبد الرحيم (والد الشاه ولي الله الدهلوي) في حي «مهنديان» بدهلي، ثم خلفه فيها الشاه ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، فلما ضاقت المدرسة بالطلاب نقلها الملك محمد شاه المعروف بـ «رنكيلا» إلى عمارة عظيمة في حي «كوجه جيلان». كانت هذه المدرسة كبيرة فخمة جميلة، يتوافد إليها طلاب العلم من أفغانستان وأقطار آسيا الوسطى، فلما وقعت الثورة عام ١٨٥٧م خَرِبَت المدرسة، وهذا الحي يُعرف حتى الآن بحي الشاه عبد العزيز.

ثم تولى التدريس في هذه المدرسة أبناء ولي الله الدهلوي، وهم الشاه عبد العزيز الدهلوي المتوفى سنة ١٢٣٩هـ، والشاه رفيع الدين الدهلوي المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، والشاه عبد القادر الدهلوي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ، وكانوا علماء أفاضل، فالشاه عبد العزيز تولى التدريس في المدرسة نحو ٦٠ عامًا، ودرس علوم الكتاب والسنة ونشرها بشكل غير مسبوق، وتخرج عليه خلال هذه الفترة خلق كثير، فلم يخلُ جزء من أجزاء الهند إلا وفيه تلاميذه.

ثم خلف الشاه عبدالعزيز سِبْطُه الشيخ محمد إسحاق الدهلوي، فلما هاجر الشيخ محمد إسحاق إلى مكة المكرمة خلفه في مهمة تدريس علوم الكتاب والسنة الشيخ عبد الغني المجددي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ الذي أخذ عنه الحديثَ مشايخُ دارالعلوم بديوبند أمثالُ الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي الذين تولوا مهمة تدريس علوم الشريعة ونشرها بعدهم، وكانوا ورثتهم الأصلاء.

علاوة على هذه المراكز العلمية فقد كانت المدارس في كل من «خيرآباد» و«رامفور» و«بدايون» و«كانفور» و «بنارس» وما إليها، وكانت مدرسة «خير آباد» معروفة بتدريس العلوم العقلية.

---

(١) راجع: تذكره علماء فرنكي محل لمولانا عنايت الله الفرنكي محلي.

عصارة القول أن المسلمين ما وطئت أقدامهم أرضًا إلا وأقاموا فيها مدارس ومعاهد، ولم تخلُ مدينة أو بلدة إلا وقاموا فيها بالنشاطات العلمية. أما الهند فقد تمتاز جميع عصورها بالعناية الشديدة بالعلم وأهله، و الملوك والأمراء المسلمون يقومون بنشر العلم و المعرفة في جميع أنحاء البلاد الخاضعة لهم، و يتنافسون في خدمة العلم، و يعتبرون ذلك وسيلة لنجاتهم في الآخرة[1].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند ١/ ٦٧-٩١، و٩٦-١٣٦ وهندوستان كى قديم إسلامى درسگاهيں، ص: ١٠-٣٣. لأبوالحسنات الندوي، وهندوستان كے مسلمان حكمرانوں كے عهد كے تمدنى كارنامے، ص: ١٨٨-٢٢١.

خلفيات تأسيس الجامعة

يُعْتَبرُ عصر الحكومات الإسلامية في الهند من العصور الذهبية في التاريخ الهندي، وقد بذل الملوك المسلمون لبنائها ورقيها وازدهارها ورفع مكانتها بين بلاد العالم مجهودات مشكورة جديرة بأن تُكتَب بماء الذهب. قامت الحكومة الإسلامية في الهند منذ فجر القرن الهجري الأول، واستمرَّت بعده عبر العصور حتى القرن الثاني عشر الهجري، وقد امتدت ظلالُها حينًا وتقلَّصت حينًا آخر، ولانَعْدُو الصواب إذا قلنا: إنَّ الإمبراطور المغولي «أورنغ زيب عالمكير» هو آخرُ الأباطرة المغوليين الذي انتهت به الحكومة المغولية الإسلامية ذات الجُنود والبُنود، ثم انقسمت الهند إلى إمارات ودُويلات، وإن كانت الحكومة المغولية قد بقيتْ بعده نحو قرن ونصف، غير أنَّها كانت جسدًا بلا روح. وقد فقد ملوكها نفوذهم وسلطانهم. ففي هذه الفترة العصيبة استغل الأعداء من الهنود والأجانب الحكومةَ المغولية استغلالًا كبيرًا، وحرَّشُوا بين ولاة الإمارات وأشْعلوا نار الخلاف بينهم، وسعوا على إضعاف الحكومة.

جاء الإنجليز إلى الهند تجارًا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وقد سَمَحت لهم الملكة «إلزابيث» بإنشاء الشركة الهندية الشرقية (East India company) عام ١٦٠٠م، فظلوا منقطعين إلى تجارتهم نحو قرن ونصف، فلما رأوا ضعف الحكومة المغولية ونُشُوب الحروب الأهلية بين أمرائها ووُلاتها انتهزوا الفرصة طمعًا في حكم البلاد، ونشروا بمكائدهم ومؤامراتهم عُمَلاءهم في كل إمارة حتى تمكَّنُوا من الاستيلاء على معظم إمارات الهند من «الدكن» و«بنغال» و«ميسور» و«السند» و«بورما» و«أوده» وانتهى بهم المطاف إلى السيطرة على «دهلي» عاصمة الحكومة المغولية عام ١٨٥٧م، ونفوا الملك المغولي« بهادرشاه ظفر»

إلى «رنكون» عاصمة «بورما» – ميانمارحاليًا–. هكذا استولت الشركة على بلاد الهند كلها، ثم تسلمت حكومة «إنجلترا» مقاليد الحكم منها.

حدثت في الهند ثورة عارمة ضدَّ الاستعمارالإنجليزي عام ١٨٥٧م، غيرأنَّها أخفقت – بإذن الله ومشيئته – ؛ فصبَّ الإنجليزالعُتاة القُساة على الهنود من المسلمين وغيرهم، من صنوف الأذى وأفانين العذاب ما تنفطر لمجرد سماعه الأكبادُ، وتنشقُّ له المرائر. ولما كان الإنجليز قد اغتصبوا الحكم من المسلمين استهدفوهم خاصة. وكان قد صارح أحد الولاة الإنجليز قبل ثورة عام ١٨٥٧م بـ « أن المسلمين هم أعدى الأعداء لهم». فلما فشلت الثورة اثَّأروا من المسلمين، فقتَّلوا علماءهم وقادتهم وأدباءهم وشعراءهم تقتيلًا، وعملوا على إضعاف عامة المسلمين وتدميرهم بطريقة أو أخرى، ولم يرقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمَّة. ويُقدَّر أنه قد قُتِل في ثورة عام ١٨٥٧م نحو مئتي ألف من المسلمين، من بينهم أكثرمن ٥٥ ألف عالم من علماء المسلمين.

بفشل ثورة عام ١٨٥٧م استتبّتْ إِمرة الإنجليز في الهند، وقُضِيَ على الحكومة المغولية التي كانت محصورة في«دهلي»، وطُمِسَت المعالم الإسلامية، وأُوحِشت المدارس الدينية، واستُهْدِفت الأسر العلمية، وذهب الوعي الدينيُّ، وحلَّ محلَّه الجهل والأمية، وماتت السنن النبوية في المسلمين، وراجتْ مكانَها فيهم الأهواء و البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية.

هذا وقد طلعت شمسُ الحضارة الغربية في الهند، وأرسلت أشعتها البرَّاقة على أهاليها، وبهرتْ عيونهم، كما انتشرت فيهم سلبياتها من الإلحاد والزندقة واتباع الهوى وحرية الرأي والإباحية. وعاد وجه الإسلام الجميل مشوَّهًا وأصبحت معالمُه غريبةً في هذه البلاد.

ثم إنَّ الإنجليز بعد تدخُّلهم في سياسة البلاد قاموا بإنشاء «جمعيات الإنجيل» (Bible Sociteys) في مدن شتى، وترجموا الإنجيل إلى اللغات الهندية المختلفة، وشنُّوا حملة تبشيرية قوية. وكان من أهداف الشركة الهندية الشرقية أن

تُجَهِّل أهالي الهند وتُفَلِّسهم لاسيما المسلمين منهم، فتبنَّت لتحقيقها طرقًا غير شرعية، ولما كان المسلمون - لتمسكهم بدينهم وثقافتهم - عقبة كؤودًا في تحقيق أهدافها ومطامعها طرحت خطة تعليمية جديدة للهند عام ١٢٥١هـ الموافق ١٨٣٨م وضعها أحد رجال التعليم الإنجليزي «اللورد ميكالا» وهي: «يجب علينا إعدادُ جيل هنديّ المولد والنشأة، غربيّ الفكر والنزعة». كانت هذه الخطة الخبيثة غاية في الخطورة للمسلمين دينيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، ولم يكونوا راضين بقبولها. بينما هم كانوا كذلك إذ حدثت ثورة عارمة عام ١٨٥٧م، روَّعت أهوالُها وتداعياتُها قلوبهم، وأطارت ألبابهم، وثبَّطت هممهم، وأثارت فيهم اليأس والتشاؤم. كانت هذه الفترة أخطر فترة مرَّ بها المسلون في تاريخهم الطويل في هذه البلاد؛ حيث إنَّ الإنجليزكانوا يبذلون مجهودات مكثفة لإبعادهم عن سُدَّة الحكم والقضاء على هويتهم الإسلامية.

وهكذا ألمت بالمسلمين مصا ئبُ لاتُحصى، تُقدَّر خطورتُها من أوضاع وملابسات تلك الفترة، وكلُّ المؤشِّرات كانت تدل على أنه تُعاد قصةُ «إسبانيا» على أرض الهند. فإذا طائفة من العلماء الربانيين وأولياء الله المخلصين تقدَّموا إلى مجال العمل، وقد أهمَّهُم أمرُ الحفاظ على الثقافة الإسلامية في هذه البلاد، وإنقاذ أهاليها المسلمين من براثن الكفر والردة؛ فألقى الله في رُوْعِهم أنَّه لاسبيل إلى بقاء الإسلام في هذه البلاد إلا أن يُزَوَّد المسلمون بالتعليم الديني، ويُربُّوا تربية إسلامية، وذلك بإنشاء مدرسة تقوم بتدريس العلوم الإسلامية، وصَبْغِ حياة المسلمين بجميع نواحيها صبغةً إسلاميةً، حتى يَحْظَوا بالقيادة الدينية في جانبٍ، وينشأ فيهم وعي سياسي في جانبٍ آخر.

تحقيقًا لهذا الهدف السامي النبيل شمَّروا عن ساق جِدِّهم، وخاضوا المعركة. إنَّهم لم يكونوا قادة وزعماء، وإنما كانوا أولياء الله المخلصين، ولم يكن حديثُهم وحِوارهم مَشُوْرةً عاديةً، وإنما كانوا مؤيَّدين من الله وموفَّقِين. فأجمعوا أمرهم، وقامو - بتوفيق من الله وتأييد ه - بإنشاء مدرسة تضمن للمسلمين

الحفاظ على كيانهم وثقافتهم في هذه البلاد، وهي «المدرسة العربية الإسلامية» -الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند حاليًا-.

وكان معظم هؤلاء العلماء ممن تخرّجوا في مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي على أيدي أبنائه وأحفاده وتلاميذهم، أمثال: الشاه عبد العزيز الدهلوي، والشاه محمد إسحاق الدهلوي، والشيخ عبد الغني المجددي، وورثوا منهم الوراثة العلمية والفكرية والغيرة الدينية، وقد خربت هذه المدرسة مع سقوط الدولة المغولية في دهلي عام ١٨٥٧م. فقرروا أن يتخذوا ديوبند مركزًا لهم ويمارسوا من هذا المركز ما كان مشايخهم يمارسونه في مدرسة الإمام في دهلي من النشاطات العلمية والفكرية والدعوية والإصلاحية، فنقلوا حركة الإمام الشاملة إلى ديوبند حيث أنشؤوا المدرسة العربية.

قال الشيخ محمد يعقوب النانوتوي- رحمه الله - وهو يتحدث عن خلفيات تأسيس المدرسة ويصف الحالة السيئة للمسلمين في حفلة توزيع الجوائز التي عُقِدَتْ فيها سنة ١٣٠١هـ -:

«لقد جاء تأسيس هذه المدرسة بعد ثورة عام ١٨٥٧م بفترة قصيرة، لإحياء علوم الدين، وكانت الحالة توحي أن العلوم الإسلامية سيُقْضى عليها بالزوال، ولايتمكَّن أحد أن يَدرُس أو يُدَرِّس؛ فقد أوحشت كبرى المدن التي كانت تحتضن دورالعلم ومعاهد التعليم، وأصبح العلماء في هَرْج ومَرْج، وضاعت الكتب، وساد الخوف. فإذا رغب أحد في تحصيل العلم فأين يذهب، وعمَّن يأخذه؟ وخُيِّل أنَّ العلماء الذين هم الآن على قيد حياتهم إذا ماتوا في غضون عشرين أو ثلاثين سنة، لايوجد من يُعَلِّم الناس أركان الوضوء وواجبات الصلاة.

«في هذه الفترة العصيبة والجوّ المتشائم أقبل فضلُ الله على عباده، وعمَّتهم رحمتُه، ونزلت سحائب عطائه غزيرةً، حيث ألقى في رُوع عباده الصالحين فكرة تأسيس هذه المدرسة».

ولما كانت هذه المدرسة نتيجة فكرة مُلْهَمة أُلْقِيت في رُوْعِهم، وباركتها يدُ

الرحمن، أصبحت حركة علمية فكرية إصلاحية شاملة، وقد كانت في بداية أمرها نبتة صغيرة فعادت دوحةً وارفة الظلال كثيرة الشعب والأغصان ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِيْ أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّها﴾ [إبراهيم: ٢٤].

كأنَّهم قالوا عندما أنشؤوا هذه المدرسة: «نحن نخرِّج جيلا هنديَّ النِّجار واللون، إسلاميَّ الفكر والثقافة، وفيًّا للحضارة الإسلامية، ذا وعي إسلامي في مجالات الحياة المختلفة».

فكان من نتيجة ذلك كلِّه أنْ قامَ سدٌّ منيع أمام تيار التغريب الجارف في هذه البلاد، فلئن نشأت فيها طبقة المثقفين ثقافةً غربيةً، فقد نشأت طبقة أخرى تقابلها، وهي طبقة المثقفين ثقافة إسلامية، فزالت أخطار سيل التغريب الذي يكاد يكتسح المسلمين. فإن يَطْغَ سيل التغريب في حين من الأحيان، يكفّه - بإذن الله - سدّ أقيم في وجهه[1].

تلك هي خلفيات تأسيس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند.

❊ ❊ ❊

(١) دارالعلوم ديوبند كى صد ساله زندگى (دارالعلوم ديوبند عبر مئة عام) للمقرئ محمد طيب القاسمي، ص: ١٣- ٢١، و تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب الرضوي ١/ ١٣٦- ١٥٠، وتقرير عن حفلة إناطة العمائم في المدرسة العربية الإسلامية بديوبند لعام ١٣٠١هـ، ص: ١٠.

قصة تأسيس الجامعة

الجزء الشمالي الغربيّ من ولاية «أترابراديش» الهندية يحتضن قُرى ومدنًا كثيرة استوطنها منذ عهد الحكم الإسلامي كثيرٌ من علماء الدين والمشايخ الربَّانِيِّين، والأسر الكريمة والبيوتات الدينية النازحة من البلاد الإسلامية، فتوارث أهلُها الإسلامَ، ونشؤوا على ثقافته، ودرجوا على الاستماتة في سبيله، وعُرِفوا بالغيرة الدينية والحمية الإسلامية، ومارسوا جلائل الأعمال و كبرى الخدمات التي رفعت ذكرهم وخلّدت أسماءهم في التاريخ.

بلدة ديوبند

ومنها بلدة «ديوبند» التي سكَنَها أسر عريقة في النسب و العلم والفضل من أولاد الخلفاء الراشدين، والمشايخ الربانيين، أمثال القاضي دانيال القطري الذي ورد ديوبند على عهد السلطان قطب الدين أيبك المتوفى سنة ٦٠٢هـ، والشيخ علاء الدين السهروردي المتوفى سنة ٧٤٢هـ، والشيخ شهاب الدين البخاري المعروف بـ«شاه ولايت» المتوفى سنة ٧٨٠هـ، والشيخ مُعِزُّ الإسلام الذي هو الجد الأكبر للصديقيين في ديوبند، والشيخ أبو الوفاء العثماني الذي نزل بديوبند أوائلَ القرن التاسع الهجري، وهوجدُّ العثمانيين في ديوبند، والشيخ أحمد الديبني المتوفى سنة ١٠٣٤هـ، والسيد محمد إبراهيم الذي سكن ديوبند أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وهو جد الأشراف في ديوبند[1].

سكن هؤلاء ديوبند وتوالدوا وتناسلوا، فتوارث أولادهم الدين وعلومه، وتناقلوا آدابه وثقافته، فنبغ فيهم كثيرمن كبار العلماء والفقهاء والدعاة

---

(١) تاريخ ديوبند لمحبوب الرضوي، ص: ٦٢ -١٠٠.

والأدباء والشعراء.

وهي بلدة قديمة معروفة يعود تاريخها إلى ألف، أو ألفي سنة [١]، «كأنَّها أوَّل عُمْران عُمِّرَ بعد الطوفان، ذاتُ المعاهد الوسيعة، والمساجد الرفيعة، والمعالم المشهورة» [٢].

و هي من أعمال مديرية «سهارنفور» التابعة لولاية «أترابراديش» الهندية، تقع على بعد ١٤٤ كيلومترًا في الشمال الغربي من دهلي العاصمة، وتربطها بالعاصمة والمدن الأخرى سِكَّة حديديَّةٌ تمَّ تمديدُها على العهد الإنجليزي.

وديوبند مركبة من كلمتين: إحداهما «دِيْوِي» والأخرى «بَنْ»، وغَيَّرتْها ألسنةُ المتكلمين إلى« دِيْبَنْ» ثم إلى «ديوبند»، شأنَ أسماء المدن التي غَيَّرتْها ألسنةُ الناس على مرِّ الأيام.

أما إجماليُّ سكانها فبحسب إحصائية ٢٠١١م قد بلغ عددهم ٩٧٠٦٨، ونسبة المسلمين فيهم ٧١٪ بينما نسبة الهندوس ٢٨٪. ولها بلدية يُنْتَخب رئيسُها من المسلمين بحكم أغلبيتهم الساحقة.

وقد كانت تشتمل على ٣٦ حيًّا، ثم توسَّع عُمْرانُها، فأُنشِئَت أحياء جديدة أخرى حتى بلغ عددُها ٤٠ حيًّا. بها أكثر من مئة مسجد، بعضها بُنِيَت على العهد الإسلامي، مثل: مسجد القلعة المبنيِّ على عهد السلطان سكندر اللودهي المتوفى سنة ٩٢٣هـ، ومسجد الخانقاه (التكية) المبنيِّ على عهد الإمبراطور أكبر المتوفى سنة ٩٨٣هـ، ومسجد في حي أبو المعالي بُنِي على عهد الملك الصالح أورنك زيب عالمكير المتوفى سنة ١١١٨هـ، ومسجد تشته، ومسجد القاضي، وما إليها من مساجد أخرى قديمة ليس عليها لوحات تفيد بتاريخ بنائها.

أما أسلوبُ عُمْرانِها فقد يتوسَّطُها شارع شمالًا وجنوبًا، فمعظم المسلمين يسكنون في الجانب الغربي منه، والهندوس في الجانب الشرقي، مما يدل على أنَّ

---

(١) تاريخ ديوبند، ص: ٣٠.

(٢) الهدية السنية في ذكر المدرسة الديوبندية للشيخ ذو الفقار علي الديوبندي، ص: ١٠

إسكانهم ليس عشوائيًا، وإنما جاء تحتَ مخطط مدروس من قبل بعض الملوك أو الحكام المسلمين.

أما أرضُها فهي ذاتُ خِصْبٍ ونَماء، ومياه وأنهار، ورياض وأشجار، تُنْبِتُ أنواع الحبوب والثمار، كما أنَّها معروفة بطيب هوائها وعُذُوبة مائها(١).

كانت ديوبند قرية جامعة، فتطوَّرت على مرِّ الزمان وتوسَّعت، حتى أصبحت بلدة (Town) ، وقد حظِيت بكونها مَقرَّ دارالعلوم التي طبق صيتُها الخافقين، ونالت ديوبند كذلك بفضلها شهرة عالمية.

فكرة تأسيس المدرسة

بعد ما أخفقت الثورة العارمة ضدَّ الاحتلال الإنجليزي عام ١٨٥٧م، طُوِي بساط الحكومة المغولية، وعُطِّلت المدارس، وأوحشت دور العلم، وزال الثقل العلمي في دهلي، واضْطُرَّ إلى النزوح منها أساطينُ العلم، وأعلام المعرفة، ورموز الآداب والفنون. فالعلماء الربَّانيون والعباد الصالحون الذين رأوا هذه الثورة الدامية بأمّ أعينهم قد شغل بالَهم أمرُ الحفاظ على العلوم الإسلامية وهوية المسلمين في هذه البلاد.

قال الشيخ محمد يعقوب النانوتوي- رحمه الله - وهو يتحدث عن الأوضاع التي سبقت تأسيس المدرسة:

«لقد جاء تأسيس هذه المدرسة بعد ثورة عام ١٨٥٧م بفترة قصيرة، لإحياء علوم الدين، وكانت الحالة توحي أن العلوم الإسلامية سيُقْضى عليها بالزوال، ولايتمكَّن أحد أن يَدرُس أو يُدَرِّس؛ فقد أوحشت كبرى المدن التي كانت تحتضن دورالعلم ومعاهد التعليم، وأصبح العلماء في هَرْج ومَرْج، وضاعت الكتب، وساد الخوف. فإذا رغب أحد في تحصيل العلم فأين يذهب، وعمَّن يأخذه؟ وخُيِّل أنَّ العلماء الذين هم الآن على قيد حياتهم إذا ماتوا في غضون

(١) الهدية السنية، ص: ١٠

عشرين أو ثلاثين سنة، لايوجد من يُعَلِّم الناس أركان الوضوء وواجبات الصلاة.

«في هذه الفترة العصيبة والجوّ المتشائم أقبل فضلُ الله على عباده، وعمَّتهم رحمتُه، ونزلت سحائب عطائه غزيرةً، حيث ألقى في رُوع عباده الصالحين فكرة تأسيس هذه المدرسة»[1].

وقال الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي:

«لما أراد الله تعالى شأنُه وعزَّ سُلطانُه، خيرَ هذه البلاد وإرشاد العباد، بإحياء العلوم الدينية..ألهمَ السيد الأجلَّ محمد عابد – أدامه الله وأبقاه وإلى منتهى الآمال رقَاه– بتأسيس هذه المدرسة التي أسِّست على التقوى والطريقة المثلى، وإن لم يساعده الزمان والمكان، ولم يوافقه الحين والأوان، ذلك تقدير العزيز العليم..»[2].

جمع المساعدات المادية

تجسيدًا لهذه الفكرة الملهمة خرج الشيخ الصالح السيد محمد عابد الديوبندي من معتكفه في مسجد «تشته» بعد ما أشرقت الشمس وأرسلت أشعتها الأرجوانية على الكون، خرج متخذًا من منديله مِكْتَلا ليجمع التبرعات لهذه المدرسة المرجوَّة، وقد وضع فيه ثلاث روبيات من عند نفسه، وتوجَّه إلى الشيخ مهتاب علي الديوبندي، فتبرَّعَ الشيخ بست روبيات، ودعا بالخير والبركة. كما تبرَّعَ الشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي باثنتي عشرة روبية، والشيخ فضل حق بست روبيات. ثم يمَّمَ وجهَه نحو منزل الشيخ ذوالفقار علي العثماني الديوبندي، فتبرَّع باثنتي عشرة روبية، وكان معه آنذاك سَمِيُّه السيد ذوالفقارعلي الثاني، فتبرَّع من قبله بالمبلغ نفسه. ثم توَجَّه الشيخ الصالح تلقاء حيّ « أبوالبركات» بديوبند، فما إن أمسى المساءُ حتى اجتمعت في مكتله مئتا روبية.

و معظم من تَبرَّعُوا للمدرسة كانوا من أهل المشورة لها، وإلى ذلك أشار الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي، حيث قال:

---

(١) الهدية السنية، ص: ٢.

(٢) تقرير عن حفلة إناطة العمائم في المدرسة العربية الإسلامية بديوبند لعام ١٣٠١هـ، ص: ١٠.

«..نَدَبَ السيد أهل الخير إلى إعانة هذه المثوبة، وتأييد هذه المشورة، سنة اثنتين وثمانين بعد الألف والمئتين من هجرة سيِّد الثقلين ﷺ فاستمعوا له وانتدَبُوه، وأجابوه واتَّبَعُوه»(١).

افتتاح المدرسة

افْتُتِحَت المدرسة- التي تعرف الآن بالجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند- تحت شجرة الرمان في مسجد «تشته»، وذلك يوم الخميس: ١٥/ من المحرم الحرام ١٢٨٣هـ الموافق ٣١/ من مايوعام ١٨٦٦م. افْتُتِحَت بمعلم واحد وهوالشيخ محمود الديوبندي، وتلميذ واحد وهومحمود الذي عرف فيما بعد بـ«شيخ الهند محمود حسن الديوبندي». فمن عجيب المصادفة أن اسم كل من المعلم والتلميذ كان محمودًا، وكان هذا اليوم يومًا مشهودًا في تاريخ الهند.

كان افتتاح المدرسة في منتهى البساطة وغاية من الخمول، فلا مبنى ولاجموع طلاب، ولا إعلان ولا دعاية ولا وسائل مادية، غيرأنه كان فاتحة عهد جديد في تاريخ التعليم الإسلامي والدعوة الإسلامية في الهند.

كان مما يقضى له العجب قبل قرن ونصف إنشاءُ مدرسة على أساس تبرعات الشعب المسلم، وبعيدة عن نفوذ وتدخل الحكومة، غيرأنه كان إرهاصًا للعهد المقبل الذي تسير فيه المدارس بتبرعات المسلمين. وكانت هذه التجربة – تجربة تسيير المدارس الإسلامية على أساس تبرعات المسلمين- ناجحة جدًا، فالمدارس الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية تسير بتبرعات المسلمين، ولايؤثرعليها تغير الحكومات وتعاقبها.

مؤسسو المدرسة

قام هؤلاء المشايخ بإصدار إعلان عن المدرسة بعد افتتاحها بأربعة أيام (يوم الاثنين: ١٩/ من المحرم الحرام ١٢٨٣هـ) ، فيه توقيعات الشيخ الصالح السيد

---

(١) الهدية السنية، ص: ٢.

محمد عابد الديوبندي المتوفى سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، والإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، والشيخ مهتاب علي الديوبندي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، والشيخ ذوالفقار علي الديوبندي المتوفى سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م، والشيخ فضل الرحمن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧، والشيخ فضل حق الديوبندي، والشيخ نهال الديوبندي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م.

كان هؤلاء المشايخ مؤسسي المدرسة وأعضاء مجلسها الاستشاري، وكان الإمام محمد قاسم النانوتوي رأس هؤلاء المؤسسين وواسطة عقدهم وأكبرهم علمًا وفضلًا، فكان المشرف الأعلى الأول عليها، والشيخ الصالح السيد محمد عابد الديوبندي مديرها الأول. قال الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي:

«ثم قيَّض الله سبحانه لترصيص الأمر المعلوم و إحياء العلوم، الشيخ الأكبر مولانا المولويّ محمد القاسم- كان الله له وأكرم مثواه ومنزله- فرَيَّشَ ذلك الماجدُ، السيد محمَّد عابد، وأخذَ بضَبْعَيْه، ووصل بجَنَاحَيْه، فاخضْرَّت رياضُ العلوم، وأُتْرِعَتْ حياضُها فصَارت المدرسةُ بحيْثُ يُضْربُ إليها أكباد الإبل من كلِّ مرمى سَحِيْق، والطلابُ يحُجُّونها من كل فجٍّ عَمِيق من أطراف الهند وجزائرها، بل من العرب ونظائرها.. »[1].

ولأهل ديوبند فضل كبير ومساهمة فعالة في إنشاء المدرسة وتقدمها، فقد استقبلوا إنشاء المدرسة استقبالا حارًّا، وآوَوا الطلاب الوافدين وبذلوا لهم ما يحتاجون إليه من الطعام و الشراب، وتسابقوا في مساعدتهم. وقد أثنى الإمام محمد قاسم النانوتوي على ما قدمه أهل ديوبند من الإيثار والتضحية قائلا:

«ما قام به أهل ديوبند من المكرمة يبقى مذكورًا للأبد، وسينالون هم أنفسهم من المثوبة مثل ما ينال غيرهم، كما قال رسول الله ﷺ: من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[2].

(١) الهدية السنية، ص: ٢.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة، رقم: ١٠١٧).

المدرسة تتحول حركة

وقد عُرفت المدرسة فيما بعد بـ «دارالعلوم بديوبند»، وقد تقبلها ربُّها منذ يومها الأول بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا، حتى شهدت خلال أعوام قليلة ازدهارًا مثاليًّا لا يعرفه التاريخ لأية مدرسة إسلامية في الهند، وأضفى عليها من مسحة القبول والحب والشعبية ما لم تحظَ به أية مؤسسة دينية في شبه القارة الهندية، وأكسبها من الاعتبار ما لم يكتب لأية حركة قامت لإنهاض المسلمين ثقافيًّا واجتماعيًّا وفكريًّا ودينيًّا في هذه الديار، حتى صارت اليوم علامة بارزة لشخصية المسلمين الدينية وهويتهم الإسلامية، وعادت حركة واسعة النطاق، فمنها تفجَّرت ينابيع الثقافة والإصلاح والدعوة التي عمَّت الهند والبلاد المجاورة، ثم البلاد الدانية والقاصية، ومنها انتشرت شبكة المدارس والكتاتيب والجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية، وفي قارات العالم الأخرى، وباسمها تسمَّت، فجُلُّ المدارس أسمت نفسها بـ دارالعلوم، وإليها تنتسب وبها تفتخر. وهكذا صارت هذه المدرسة بحق أم المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية الأهلية التي تسير على غرارها في الهند وفي مختلف بلاد العالم [1].

* * *

(١) تاريخ دارالعلوم بديوبند للسيد محبوب الرضوي ١/ ١٤٨- ١١٥٠، وترجمة الإمام محمد قاسم النانوتوي للشيخ مناظر أحسن الكيلاني ٢/ ٢٣٠- ٢٣٨، و نظرة خاطفة على الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند للشيخ نورعالم خليل الأميني، ص: ٨.

دستور الجامعة وأهدافها

إن الأهداف التي أُسست الجامعة لتحقيقها جاءت مفصلةً في دستورها، وهي كما يلي:

١- تزويدُ الأجيال المسلمة بالعلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والعقيدة الإسلامية وما إليها.

٢- تدريس علوم العربية التي تساعد على تعلم اللغة العربية، أو على تحقيق الأهداف الدينية، بالإضافة إلى تعليم اللغتين: الأردية والفارسية حسب ما يحتاجون إليه.

٣- الحفاظ على الإسلام ونشره عن طريق الكتابة والخطابة، ونشر الدعوة الإسلامية في المسلمين وتربيتهم على ما كان عليه السلف الصالح من الأخلاق الإسلامية و الأعمال الصالحة والعواطف النبيلة.

٤- تعليم المهن والفنون الأخرى قدرمايحتاجون إليه، ولايُخل بالهدف الأصيل أو ما يساعده في تحقيقه.

٥- إنشاء المدارس العربية في مختلف المدن لنشر العلوم الإسلامية، وجعلها تابعة لها.

إنَّ الأعمال التي تبَنَّتْها الجامعة كأهداف لها ظلَّ يُعنَى بها عبر التاريخ الإسلامي، إلا أنَّ الأوضاع في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري كانت مدعاةً إلى إحيائها و تجديدها؛ لأنَّ الحكومة المغولية الإسلامية كان قد قُضِيَ عليها، وأنَّ كيان المسلمين وثقافتهم كان في خطر شديد، فكان لابد من تبنِّي أعمال تضمن الحفاظ على العلوم الإسلامية، والثقافة الإسلامية في هذه البلاد؛ فأهداف

الجامعة هي إحياء وتجديد هذه الأعمال.

وقال الشيخ محمد طيب القاسمي- رحمه الله- رئيس الجامعة سابقًا موضحًا أهداف الجامعة:

«**أولًا: التمسك بالدين:** وهذا يعني أن دارالعلوم مركز إشعاع ديني؛ فهي تصدر في جميع شؤونه عن الإسلام ومبادئه، فلذا كل متخرجٍ منها يُمَثِّل الإسلام.

ثانيًا: الحرية: وهي تعني أنَّ دارالعلوم تتمتع بكامل الحرية من السيطرة الخارجية، فهي حرَّة في منهج دراستها، حرة في نظام ماليتها، حرة في أسلوب إدارتها. فهي أول جامعة من نوعها في العالم، فكم قدَّمت إليها الحكومات من مساعدات مالية تقدَّربمئات آلاف، لكنها رفضت أن تقبلها.

ثالثًا: البساطة في العيش وتحمل المشقات: ومعنى ذلك أنَّ مشايخها ومتخرِّجيها يتعوَّدون تحمل كل نوع من أنواع المشقات في معترك الحياة.

رابعًا: السلوك النبيل: وهذا يعني أنَّ متخرِّجيها نماذج كاملة للسلوك النبيل، الذي أخذوه عن أساتذتهم ومشايخهم، وهو سلوك ديني بكامله لاغيرُ.

خامسًا: العكوف على العلم والتعليم: تلك ميزة من مزايا دارالعلوم، يلمسها فيها كل من يلقي أُولى نظراته عليها، وكل خصيصة من خصائصها يمكن رؤيتها في مرآة حياتها، فهي - دارالعلوم - مقصد الطلاب من شتى أقطار الأرض، وأساتذتها من خيرة الأساتذة والمعلمين، وموظفوها ورجال الإدارة فيها صور حية للإيثار والتضحية، وهم موضع ثقة لدى المسلمين؛ ولذا تصلها معونات مادِّية من أرجاء العالم.

قد قام بتأسيس دارالعلوم علماء ربانيون أولو الإخلاص والتقوى، مشغولو البال بمستقبل الأمة الإسلامية، نذروا أنفسهم لتعليم العلوم الإسلامية ونشرها، فبارك الله فيها- دارالعلوم- وأضفى عليها القبول والشعبية، فقامت بخدمات جليلة في المجالات الدينية والعلمية والإصلاحية لاتنساها ذاكرة التاريخ، حيث تخرج فيها آلاف مؤلفة من العلماء والمربين، وجموع غفيرة من المحدثين والفقهاء، والدعاة

والمؤلفين، وطائفة كبيرة من رجال التزكية والإحسان والإصلاح، وعدد كبير من الأبطال والمجاهدين الذين خاضوا معارك لتحرير البلاد من الاستعمار البريطاني، والذين بذلوا تضحيات كبيرة في إرشاد الناس وإصلاحهم».

المبادئ الثمانية للإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله

أحب أن أسوق في هذا السياق المبادئ الثمانية التي خطها الإمام محمد قاسم النانوتوي بيمينه لمسؤولي الجامعة ومدرسيها، فهي ليست لهم فحسب، وإنما هي مبادئ توجيهية لمسؤولي ومدرسي جميع المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية. وقد نشرت «المبادئ الثمانية» مجلةُ «القاسم» الأردية في عددها الخاص بدارالعلوم الصادر عام١٣٤٧هـ. والجامعة – ولله الحمد- تتقيد بهذه المبادئ حتى اليوم، وترى سر نجاحها - بعد الله عزوجل - في التقيد بها.

وهي كمايلي:

١- ليواصل السعيَ رجالُ العمل والإدارة قدر المستطاع لتوفير العطايا والتبرعات، وليستخدمواغيرهم لهذا العمل المثمر.

٢- ليبذل الناصحون للمدرسة المساعي الحثيثة لتزويد الطلاب بالطعام وتكثيرعددهم.

٣- على أعضاء المجلس الاستشاري أن يراعوا دائمًا الأمورالصالحة للمدرسة، ولايصرُّوا على آرائهم الخاصة، وإن بلغ الأمر في يوم من الإيام - لاسمح الله - أن يكرهوا مخالفة آرائهم ويستاؤوامنها، تزلزل كيان المدرسة وتزعزع أساسها، فعليهم أن يشيروا في شؤونها على مباشرة الأمور بكمال الإخلاص و محض النُصْح، مراعين لصلاحها في سياق إدلاء آرائهم وسباقه، ويقبلوا بسعة الصدر رأي غيرهم من المستشارين، وإن كان رأيهم خلاف مايرون.

وعلى المدير أن يستشير أصحاب الرأي وأولي النظر في الأمور الهامة، سواء كانوا من أعضاء المجلس الاستشاري أوغيرهم من الزُّوار

الكرام الناصحين للمدارس الإسلامية ذوي البصيرة والرأي في الأمور. وهذا مما لا بدَّ منه؛ فإذا لم يتمكَّن المدير أن يستشير عضوًا من أعضاء المجلس لسبب مّا، وقد استشار عددًا معتدًّا به من أعضاء المجلس وأصحاب البصيرة والرأي، فلاينبغي لذلك العضو أن يسخط عليه ويغضب على أنه لم يَسْتشِره، وإن لم يستشر -المدير- أحدًا (وعمل برأيه فقط) فلأهل الشورى حق الانتقاد والاعتراض.

٤- على الأساتذة أن يعتصموا بحبل الاتفاق والوئام ولايتفرقوا فيما بينهم فكرًا ومذهبًا، ولايهتكوا حرمة الآخرين ولايؤذوهم كعلماء السوء، فإن فعلوا ذلك فلا خير في المدرسة.

٥- ولابد للأساتذة من إتمام المقررات الدراسية، حسب النظام الذي قرّروه سابقًا - أوحسبما يبدو لهم فيما بعد- وإلا لم تُعْمَرهذه المدرسة بالطلاب، ولوعمرت لكانت غيرنافعة لهم.

٦- مادامت المدرسة لاتحظى بمصدر ماديٍّ ثابت، تسير بشرط الإنابة إلى الله كالمعتاد. وإذا حصل لها مصدر دخل ثابت مؤكَّد مثل إقطاع أو متجر أو وعد وعهد من ملك صادق الوعد، يبدو لي أنه تذهب نعمة الإنابة إلى الله والرجوع إليه، ويتوقف عونه، ويحدث النزاع والجدال بين الموظفين والإدارة، فعليهم أن يراعوا ويهتموا في دخل المدرسة ومبانيها أن تكون الحال في نوع من فقدان عُدَّة وعَتاد.

٧- يبدو لي أن مساهمة الحكومة والأثرياء في شؤون المدرسة يُلحق بها أشدَّ الضرر.

٨- يبدو لي أنَّ تبرعات الذين لايتبرعون للمدرسة رغبةً في السمعة تعود بالبركة عليها؛ كما يبدو أنَّ إخلاص نية المتبرِّعين سبب لرقيها».

خلاصة المبادئ الثمانية

«نظرًا إلى هذه المبادئ نستطيع أن نقول: إنَّ أهداف دارالعلوم بديوبند

والمدارس الإسلامية التي تجري على منوالها تتلخص فيما يلي:

(ألف) الصدع بكلمة الحق دونها خوف ولا وجل، لايحول دونه طمعُ مُمَوِّهٍ، أو ضغطُ مربٍّ، أومساعداتُ مشرفٍ.

(ب) أن تكون علاقتها بعامة المسلمين أوثق وآكد، لتجعلهم هذه العلاقة نفسها منخرطين في نظام، وتساعدهم على بقائهم على ما يتطلبه الإسلام، فتكون معتقدات الإسلام وحضارته مصونةً محفوظةً للأبد، أو إلى مدى تمسك المدرسة بمبادئها الصحيحة. كما تجعل الإنابة إلى الله والحاجة إلى عامة المسلمين رجالَ الإدارة باقين على ما يقتضيه الإسلام، ولايكونون متكبرين ومستبدين، أو أثرياء، بل يكون بين عامة المسلمين ورجال الإدارة علاقة متبادلة تجعل كلًّا منهم محتاجًا إلى الآخر. وهذا يكون مبعث إصلاح لهم جميعًا.

(ج) يجب أن يكون رجال الإدارة وأعضاء التدريس فيها والمستفيدون منها مأمونين ومصونين من كل نوع من التأثيرات، ويتبعوا منهج الإمام ولي الله الدهلوي، المنهج الذي أجمع العالم الإسلامي على أنه منهج قويم، المنهج الذي كان قد انتهجه السلف الصالح، لاشطط فيه ولاوكس، وهو الصراط المستقيم.

(د) وليحذروا الإعجاب بالنفس، والاستبداد بالرأي (الذي هو السبب الوحيد لما تعرضت الأمة الإسلامية من ويلات ومصائب) ويقدموا إلى المسلمين نموذجًا عمليًا للتشاور، بشكل جماعي وشعبي.

(هـ) وليفضلوا مساعدات فقراء المسلمين الذين لا يطمعون بمساعداتهم في السمعة؛ لأنها أجلب للبركة والخير، وليحذروا مساعدات الحكومة والأثرياء الذين يراؤون في مساعداتهم ونفقاتهم؛ لأنها تفتح باب الفتنة »[1].

❊ ❊ ❊

(١) الدستور الأساسي لدارالعلوم بديوبند، و تاريخ دارالعلوم بديوبند ١/ ١٣٦-١٤٥. ومجلة «القاسم» الأردية في عددها الخاص بدارالعلوم الصادر المحرم عام ١٣٤٧هـ، ص: ٥، ٦، ٣٣.

خصائص الجامعة ومزاياها

ابتـدأت الجامعـة مدرسـةً متواضـعةً، ثـم توسـعت وتطـورت، وتميـزت وانفردت، وحققت من أهدافها وأغراضها فوق ما يُرجى ويُتصّور، مما شكل لها شخـصية، وكـوَّ ن لهـا مزايـا وخـصائص تُمَيِّزُهـا عـن غيرهـا مـن آلاف المـدارس والجامعات المنتشرة في العالم، وأذكر بعض مزاياها فيما يلي:

١- أنها ليست مدرسة تعليمية فحسب، وإنما هي مدرسة فكرية تفسر كتاب الله وسنة رسوله تفسيرًا صحيحًا، وتعرض الإسلام وعلومه وثقافته في صورته الأصيلة. فهي ترى أن الدين ليس عبارة عن مجرد حروف ونقوش، ولا عن مجرد كتب دينية. ولذلك أنزل الله عزَّجلَّ رسولا مع كتابه، ليفسره بعمله. وهناك أمثلة كثيرة أن الله عزجل بعث رسولا ولم ينزل عليه كتابًا، وأما إنزال كتاب دون بعث رسول فلا.لقد جرت سنة الله أنَّه لايكفي كتاب لفهم دينه وتفهيمه ونشره وتبليغه، وإنما يُحتاج إلى أشخاص يكونون تفاسيرَحيةً لكتابه، ف «كتاب الله» و«رجال الله» أمران متلازمان لفهم الدين، ولا يستغني أحدهما عن الآخر. ففهم مراد كتاب الله فهمًا صحيحًا يمكن بتفسير رسوله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة معاني سنة رسوله معرفة صحيحة يمكن بتفاسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أعلام الأمة الإسلامية. وكل محاولة لفهم الدين ومعرفته دون هذا تؤدي إلى الضلال.

إن المنازل متفاوتة: فمنزلة النبي دون منزلة الله، ومنزلة الصحابي دون منزلة النبي، ومنزلة الولي - مهما كان كبيرًا - دون منزلة الصحابي. فإعطاء كل من هؤلاء منزلته اللائقة به هو المذهب الخاص لدارالعلوم، والذي يمتاز به عن غيرها من المدارس الفكرية، وهو مذهب معتدل متزن لتفاسيركتاب الله وسنة رسوله،

لاشطط فيه ولاوكس.

٢- فلما تقرَّر أن المذهب الخاص لدارالعلوم هو أن الدين عبارة عن كل من «كتاب الله» و«رجال الله» فمن هنا عرفنا ميزتها الثانية، وهي أن دارالعلوم ليست مدرسة تعليمية تدرس الطلاب حروفًا ونقوشًا من الكتب جوفاء، وإنما هي مدرسة تربوية تربيهم - بجانب تحليتهم بالعلم- على صالح الأعمال ونبيل الأخلاق. فمتخرجوها ليسوا متحلين بظاهرالعلوم، وإنما هم نماذج حية للأخلاق الإسلامية من الصدق والأمانة والوفاء، يمثلون الإسلام بحركاتهم وسكناتهم.

لذلك كان كل فرد من أفراد أسرتها العاملة في دارالعلوم ذا علاقة خاصة مع الله، فإن كانت أرجاؤها تُدوِّي بالعلوم والفنون آناء النهار، فهي تدوِّي بذكر الله وتلاوة القرآن آناء الليل. فالشخصيات التي تخرجت في ذلك العهد كان لهم مواقف مشرقة في العبادة والسلوك والأخلاق والاجتماع والسياسة قلما يوجد لها نظير. وكان كل منهم أمة نفع الله بها الخلق.

٣- أنَّ المحيط الجامعي كان قد يسوده جوٌّ من التواضع والبساطة و قلة التكلف. إن العلم الخالي عن روح العمل يُورِث صاحبه الاستكبار والإعجاب بالنفس؛ فالعلم الذي تُعنى دارالعلوم بتدريسه مزيجٌ من حب الله ورسوله و العمل الصالح والخلق النبيل. لذلك فقد كان كل فرد فيها صورة حية لعبودية الله والتواضع وإنكار الذات، وإن كان أفرادها يتمتعون برزانة العلم، وغنى النفس، ومعرفة الذات في جانب، فقد كانوامنتشين بعواطف التواضع وإنكار الذات والإيثار والزهادة في جانب آخر. وحيوات مشايخها براهين على ذلك ساطعة.

٤- أن دارالعلوم اتبعت الأسلوب النبوي في الدعوة إلى مذهبها المعتدل المتزن، وانتقاد الآخرين، حيث ركّزت عنايتها على النصح الديني لخصومها، لاعلى قهرهم والتغلب عليهم. إنها صدعت بالحق دونما مجاملة ولا محاباة، غيرأنها تحرت في الصدع بالحق الحكمة والليونة.

ولما كان الغرض الأصيل من وراء تأسيس دارالعلوم هو الحفاظ على

الدين، ولم يكن يمكن تحقيق هذا الغرض إلا أن يتفرغ له طائفة؛ لذلك فقد اشتغلوا بخدمة الدين زاهدين في المناصب الرسمية، طاوين أحشاءهم على الجوع. فإن كانت هناك خطة أو حركة تنفع المسلمين ماديًّا، دعموها وأيدوها جهد طاقتهم. وأما إذا كان الحصول على الرقي المادي يضربدينهم، فقد نأوا بجانبهم عنه، و قاموا بالحفاظ على الدين بكل ما أوتوا من قوة.

فالإسلام مصون في صورته الأصيلة في شبه القارة الهندية رغم الاضطرابات والثورات. ومن ثمار جهود دارالعلوم أن علماء الدين ودعاته والباذلين له نفسهم ونفيسهم يوجدون في شبه القارة الهندية، وأن جمهور المسلمين بنجوة من سيل التغريب الجارف لحد كبير، وأنهم يعتزون بدينهم. فما يتمتع به الإسلام والمسلمون في هذه البلاد من مزايا وخصائص يرجع فيه الفضل إلى محاولات دارالعلوم وجهود مشايخها المضنية الدؤوبة.

٥- أنها أول جامعة إسلامية أهلية في تأريخ المسلمين في الهند، قامت بتبرعات شعبية وسارت ولا تزال وستظل تسير بتبرعات الشعب المسلم وحده.

٦- الاعتدال و التوازن في اتباع المذهب واحترام جميع المذاهب الفقهية المعروفة لدى أهل السنة والجماعة ومدارس الفكر الإسلامية المختلفة، وعدم الإثارة للخلافات الفرعية إلا إذا مست الحاجة إلى ذلك بشكل ملحٍّ لإيضاح حقيقة من الحقائق.

٧- مكافحة البدع والخرافات حتى سُمِّي علماء ديوبند بـ «الوهابيين» من قبل أولي الأهواء وعباد الأضرحة والمعتقدين في الأولياء والصلحاء والأنبياء اعتقادًا محرمًا في الشرع الإسلامي المطهَّر.

٨- نشر العقيدة الصحيحة المتوارثة عن النبي ﷺ عن طريق الرعيل الإسلامي الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من بعد.

٩- التوكل على الله، والبساطة في العيش، والجهاد للحق، والتقيد بآداب الشرع الإسلامي، والتقاليد الإسلامية، والتزيِّي بزيّ العلماء، والاتسام بسمة الصلحاء.

١٠- المحافظة الكاملة الدقيقة على الشرائع الإسلامية، ولا سيما الصلاة بالجماعة في مواقيتها، فالجامعة تُقَيِّدُ طلابَها والعاملين فيها بذلك أولًا وقبل كل شيء؛ لأنه كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: إن أهم أموركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع [١].

١١- أنها لا تهتم بالشكل والمظهر اهتمامَها بالحقيقة والمخبر، وتحترز عن الدعاية، وتؤثر العمل في صمت، وتعمل كثيرًا و تتكلم – إذا مست الحاجة إلى ذلك – قليلًا، وتمتنع امتناعًا كليًّا عن إطلاق الدعاوي العريضة والأقاويل الفارغة، ولا تحب أن تُحْمَدَ بما لم تفعل، على عكس عادة معظم المعاهد والحركات الإسلامية المعاصرة.

١٢- أن روح الإخلاص والاحتساب هي التي تسري في جميع أعمالها؛ لأنها تعلم أنه ما كان لله دام و اتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل. وهذا شيء يلمسه في جميع جنبات الجامعة كل زائر مهما كان رجلًا عاديًا.

١٣- تدريس الحديث الشريف على المستوى الشامل رواية ودراية، وذلك لكونه تفسيرًا لكتاب الله، ولكون صاحبه ﷺ مُبَيِّنًا له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل، الآية ٤٤] [٢].

***

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٥٢٣.

(٢) مجلة الرشيد الأردية الباكستانية العدد: ٢،٣، فبراير- مارس١٩٧٦م، وعلماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ص: ٧٨، ودارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية لعبيد الله الأسعدي، ص: ٩٥.

الباب الثاني

مسيرة وأحداث

مسيرة الجامعة الممتدة على أكثر من مئة وخمسين عامًا

- العصر الأول (١٢٨٣-١٣١٣هـ =١٨٦٦-١٨٩٥م) (٣٠سنة)
- العصر الثاني (١٣١٣- ١٣٤٨هـ =١٨٩٥- ١٩٣٠م) (٣٥ سنة)
- العصر الثالث (١٣٤٨-١٤٠١هـ=١٩٣٠- ١٩٨١م) (٥٢ سنة)
- الجامعة تحتفل بمهرجانها المئوي
- العصر الرابع (١٤٠١هـ -١٤٤٢هـ=١٩٨١-٢٠٢١م) (٤٢ سنة)
- أهم الإنجازات التعليمية والبنائية في العصر الرابع
- الجامعة فنًّا وعمارةً

مسيرة الجامعة الممتدة على أكثر من مئة وخمسين عامًا

مسيرة الجامعة الممتدة على أكثر من مئة وخمسين عامًا يمكن أن نقسمها على أربعة عصور، بحسب ما تولى رؤساؤها إدارتها، فالعصر الأول عبارة عن فترة ٣٠ سنة بدءًا من ١٢٨٣ﻫ وانتهاءً إلى ١٣١٣ﻫ (١٨٦٦-١٨٩٥م)، تولى فيها الإدارة السيدُ محمد عابد الديوبندي ١٠ سنوات، والشيخ رفيع الدين الديوبندي ١٩ سنة، و الشيخ فضل حق الديوبندي سنة، والشيخ منير النانوتوي سنة ونصفًا.

وأما العصر الثاني فهو يعني ٣٥ سنة بدءًا من ١٣١٣ﻫ وانتهاءً إلى ١٣٤٨ﻫ (١٨٩٥- ١٩٣٠م)، اضطلع بأعباء الإدارة في هذه الفترة الشيخُ الحافظ محمد أحمد النانوتوي نحو ٣٤ سنة، والشيخ حبيب الرحمن العثماني ١٥ شهرًا.

وأما العصر الثالث فهو عبارة عن ٥٢ سنة بدءًا من ١٣٤٨ﻫ وانتهاءً إلى ١٤٠١ﻫ (١٩٣٠- ١٩٨١م) تولى إدارتها في هذه الفترة الطويلة الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي وحده.

و في نهاية هذا العصر أي سنة ١٤٠٠ﻫ= ١٩٨٠م احتفلت الجامعة بمهرجانها المئوي الذي لايوجد له نظير في تاريخ المدارس والجامعات في شبه القارة الهندية، والذي شارك فيه نحو ثماني مئة وفد للحكومات الإسلامية من مختلف دول العالم، بالإضافة إلى عدد كبير من علماء وعامة المسلمين من شبه القارة الهندية. وقد قُدِّر عددُ من حضر المهرجان بمليونين ونصف.

وأما العصر الرابع فهو يعني نحو ٤٢ سنة بدءًا من ١٤٠١ﻫ وانتهاءً إلى ١٤٤٢ (١٩٨١م- ٢٠٢١م) قام بأعباء الإدارة في هذه الفترة الشيخ مرغوب الرحمن ٣٠ سنة، والشيخ غلام محمد الوستانوي٧ أشهر، والشيخ أبوالقاسم النعماني قام ولا يزال يقوم بها حتى كتابة هذه السطور: ١٤٤٢ﻫ الموافق ٢٠٢١م.

وقد كثرت في هذا العصر الإنجازات في المجالات التعليمية والإدارية والبنائية كثرة حتى تضاعفت مساحة الجامعة البنائية من ذي قبل؛ فأفردنا إنجازت هذا العصر بالذكر في فصل.

وفي الصفحات الآتية نذكر بشكل وجيز الخطَّ الزمنيَّ لأهم الأحداث والإنجازات التي شهدتها العصور الأربعة.



العصر الأول

(١٢٨٣-١٣١٣هـ = ١٨٦٦-١٨٩٥م)

(٣٠ سنة)

افتتحت المدرسة (دارالعلوم بديوبند) في ١٥/ المحرم الحرام الموافق ٣١/ مايو ١٨٦٦م في شكل ساذج ومتواضع، وكانت تُدْعى في فاتحة عهدها « المدرسة العربية بديوبند» وقام الإمام محمد قاسم النانوتوي بتعيين أول مدرس لها، وهو الشيخ محمود الديوبندي الذي كان مقيمًا في «ميروت» أيامئذ، فقام بعمل تدريسه تحت شجرة الرمان في مسجد « تشته» وكان أول تلميذ في هذه المدرسة هو محمود حسن الديوبندي الذي عرف فيما بعد بـ«شيخ الهند» وأصبح رئيس هيئة التدريس فيها، وأستاذًا لكبار العلماء المعروفين.

تلك هي اللبنة الأولى للصرح العلمي الشامخ، والنبتة الصغيرة التي عادت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

بعد افتتاح المدرسة بأربعة أيام أصدر المسؤولون إعلانا عن المدرسة يطلبون فيه من جماهيرا لمسلمين التبرعات، وتم تشكيل مجلس الشورى الذي كان أعضاؤه الإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ الصالح السيد محمد عابد الديوبندي، والشيخ مهتاب علي الديوبندي، والشيخ ذوالفقارعلي الديوبندي، والشيخ فضل الرحمن الديوبندي، والشيخ فضل حق الديوبندي، والشيخ نهال الديوبندي. وأسند المجلس مسؤولية حسابات الدخل والخرج والإشراف على شؤون التعليم إلى السيد محمد عابد، وعينه أول عميد للمدرسة.

وقد تولى الإشراف على المدرسة الإمام محمد قاسم النانوتوي نحو خمسة عشر عامًا، وبذل مساعي مشكورة في تطويرها، وقد أكسبها إشرافه عليها اعتبارًا

كبيرًا، ثم خلفه في الإشراف المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي الذي قام بدور عظيم في توجيه المدرسة الوجهة المذهبية والفكرية.

وخلال هذه الفترة: ٣٠ عامًا تولى رئاسة دارالعلوم أربعة رؤساء، وهم الشيخ السيد محمد عابد الديوبندي، والشيخ فضل حق الديوبندي، والشيخ منيرالنانوتوي، والشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي، كما تولى رئاسة هيئة التدريس ثلاثةُ رؤساء، وهم الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، والشيخ السيد أحمد الدهلوي، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي الذي ظل رئيسًا لهيئة التدريس إلى عام ١٣٣٣هـ الموافق١٩١٥م. وتخرج خلال هذه الفترة ٢٧٧عالمًا الذين كانوا العلماء الأعلام والمشايخ الكبار، والذين نالت دارالعلوم بفضل جهودهم ومساعيهم سمعة طيبة وقبولًا كبيرًا. وبلغ عدد الطلاب من ٢١إلى نحو٣٠٠ طالب، وعدد المدرسين إلى ١٣ مدرسًا، والميزانية السنوية من ٣٩٣ إلى ٦٠٠٠ روبية.، وتم بناء أول مبنى لدارالعلوم وهو مبنى «نودره» وما جاوره من الحجرات، كما تم إنشاء قسم هام لدارالعلوم وهو دارالإفتاء، وعُيِّن المفتي عزيز الرحمن مفتيًا، وأنشئ قسم الطب وقسم تحفيظ القرآن، وقسم اللغة الفارسية والرياضيات.

وفيما يلي نذكر أهم الأحداث والإنجازات التي شهدها هذا العصر

أهم الأحداث والإنجازات في العصر الأول

السنة ١: ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م

- ❖ كان عدد الطلاب في بداية السنة ٢١طالبًا، وبلغ عددهم في نهايتها ٧٨ طالبًا، كان من بينهم ٥٨ طالبًا من خارج البلاد.
- ❖ توافد الطلاب إلى المدرسة من أقاصي البلاد وأدانيها: من بنارس، وبنجاب، وكابول (أفغانستان).
- ❖ وفَّرت المدرسة السكن للطلاب المتوافدين، وزادت عددَ المدرسين.
- ❖ تم تعيين الشيخ محمد يعقوب النانوتوي أول رئيس لهيئة التدريس، كما تم

تعيين أربعة مدرسين، وهم الشيخ محمد فاضل الفلتي، والشيخ مير باز خان، والشيخ فتح محمد، والشيخ الحافظ أحمد حسن.

- ❖ في شهر شعبان امتحن الطلاب كل من الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ مهتاب علي الديوبندي، والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي، واطمأنوا على نتائجهم، وأكرموهم بالجوائز.
- ❖ الميزانية السنوية: نحو ٣٩٤ روبية، وقد بقيت منها ٢٥٥روبية.

السنة ٢: ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م

- ❖ الميزانية السنوية سبع مئة روبية.
- ❖ توقف التعليم شهرين لكون ديوبند موبوءة بالمرض المعدي.
- ❖ أصيب معظم المدرسين والطلاب بالمرض المعدي.
- ❖ بالرغم من قسوة المرض المعدي وشدته زاد عدد الطلاب حتى بلغ ١٢٠ طالبًا من خارج البلاد، بينما لم يكن للمدرسة سكن طلابي ولا مطبخ.
- ❖ تضاعفت التبرعات حتى بلغت ١٢٧٥ روبية.
- ❖ قام الشيخ السيد محمد عابد الديوبندي برحلة الحج، وأُسْنِدت عمادة المدرسة إلى الشيخ رفيع الدين الديوبندي.
- ❖ تَمَّ توسيع نطاق أقسام المدرسة، فأنشئ قسم تعليم القرآن وتحفيظه، وقسم تعليم اللغة الفارسية والرياضيات، وزيد عدد المدرسين.
- ❖ نظرًا إلى رقي المدرسة المتزايد يومًا فيومًا عُيِّن كاتب للحسابات.

السنة ٣: ١٢٨٥هـ =٦٩-١٨٦٨م

- ❖ تخرجت مجموعة من الطلاب.
- ❖ زار المدرسة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وامتحن الطلاب، وكتب انطباعاته عن المدرسة.
- ❖ عُقدت حفلة تقسيم الجوائز بعد الامتحان، وقام الشيخ محمد قاسم بتقسيم

الجوائز على الطلاب الفائزين.

السنة ٤: ١٢٨٦هـ=٧٠- ١٨٦٩م

- ❖ ظلَّ التعليم مضطربًا للمرض المعدي والمجاعة خمسة أشهر.
- ❖ قام الشيخ رفيع الدين الديوبندي برحلته للحج، وتولى الشيخ السيد محمد عابد الديوبندي منصب العمادة.
- ❖ تم تعيين الشيخ السيد أحمد الدهلوي مدرسًا في المرتبة الثانية، ثم أصبح ثاني رئيس هيئة للتدريس في المدرسة.

السنة ٥: ١٢٨٧هـ=٧١-١٨٧٠م

- ❖ نظرًا إلى ما تمخضت الأمراض المعدية في السنة الماضية عنه من آثار سيئة توقَّف قبول الطلاب الجدد، وتم التركيز على تدريس ما تبقى من كتب السنة الماضية.

السنة ٦: ١٢٨٨هـ=٧٢- ١٨٧١م

- ❖ ضاق مسجد «تشته» بالطلاب الذين بلغ عددهم ١٠٦ طلاب، فنقلت المدرسة إلى مسجد «قاضي».
- ❖ اشتغل الشيخ السيد محمد عابد بالإشراف على بناء المسجد الجامع بديوبند، فتم تخفيف مسؤوليته، ونقل منصب عمادة المدرسة إلى الشيخ رفيع الدين مرة أخرى.

السنة ٧: ١٢٨٩هـ=٧٣- ١٨٧٢م

- ❖ قامت أول حفلة لتوزيع الشهادات بين المتخرجين.
- ❖ كان عدد المتخرجين في الفترة ما بين ١٢٨٥- ١٢٨٩هـ ٢٥ طالبًا، إلا أنه لم يحضر الحفلة إلا ٩ منهم. وكان من بينهم: أحمد حسن الأمروهوي، وخليل أحمد السهارنفوري، وفخر الحسن الكنكوهي، وعبد الله الأنصاري الأنبيتوي، وفتح محمد التهانوي الذين يعتبرون من كبار علماء الهند.
- ❖ ضاع صيت المدرسة في تدريس علم الحديث، فحضرها العديد من علماء

جونفور ودهلي لأخذ الحديث وعلومه.

❖ أهدى إلى المدرسة أصحاب المطابع حتى بعض الهندوس منهم كمية كبيرة من الكتب الدراسية، فاستغنى الطلاب عن استعارة الكتب.

السنة ٨ : ١٢٩٠هـ=٧٤-١٨٧٣م

❖ نظرًا إلى تزايد عدد الطلاب وضيق مسجد «قاضي» نقلت المدرسة إلى المسجد الجامع الذي كان قد تمَّ بناؤه.

❖ تخرج ٥ طلاب.

❖ كان من بين المتخرجين محمود حسن الديوبندي المعروف بـ«شيخ الهند». وحضر الحفلة السنوية للمدرسة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ مظهر النانوتوي، والشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي ألقى كلمة هامة في الحفلة.

❖ تم تعيين أربعة مدرسين، وهم: الشيخ صديق أحمد الأنبيتوي، والشيخ عبد الله الكوالياري، والشيخ عبد الحق البريلوي، والشيخ محمد مراد الباك فتني.

السنة ٩ : ١٢٩١هـ =٧٥- ١٨٧٤م

❖ تم تعيين أول تلميذ في المدرسة وهومحمود حسن الديوبندي المعروف بـ« شيخ الهند» مدرسَ شرفٍ بلا راتب، ثم أصبح في السنة الآتية مدرسا بالمرتبة الرابعة.

❖ أنشئت مدارس على غرار المدرسة، مثل مظاهرعلوم بسهارنفور، ومدارس دهلي، وميروت، وخورجه، وبلند شهر، وعليجراه، ومرادآباد وما إليها.

❖ ألحقت بالمدرسة مدرسة «تهانه بهون» بشكل منتظم.

❖ أخذت صحيفة «الجوائب» الصادرة من إستانبول ترسل أعدادها إلى المدرسة بشكل مجاني؛ مما يُعْرَف أنَّ سمعتها قد وصلت إلى أقطار العالم.

❖ قرَّر مجلس الشورى بإيعاز من الإمام محمد قاسم النانوتوي أن يكون للمدرسة مبنى واسع، فجُمِعت التبرعات، واشتُرِيَت قطعة من الأرض في الشمال الغربي من المدينة بالقرب من مسجد « تشته».

❖ زار المدرسة إنجليزي وهو «جان بامر» أحد رجال المخابرات الإنجليزية زيارة سرية، ونشر تقريرًا عنها فيها بعد، وهو خير مثال لـ« الفضل ماشهدت به الأعداء».

السنة ١٠: ١٢٩٢هـ = ١٨٧٥م

❖ قامت حفلة فخمة بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تأسيس المدرسة.
❖ وضع الحجر الأول لأول مبنى للمدرسة، وهو مبنى «نودره ودائرة مولسري».
❖ حضر مناسبة وضع حجر تأسيسه المحدث الشيخ أحمد علي السهارنفوري، والإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ مظهر النانوتوي.
❖ استمر البناء طيلة ٨ سنوات، وكلف ٢٣٠٠٠ روبية.

السنة ١١: ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م

❖ بعد ما قُضِيَ على الحكومة المغولية والمحاكم الإسلامية بالزوال عُرِفت المدرسة (دارالعلوم) مركزًا إسلاميًا يفزع إليه عامة المسلمين في شؤونهم الدينية.
❖ يقول تقرير هذه السنة: إنه قد كثرت الاستفتاءات، فقامت المدرسة بالإفتاء والإرشاد فيها، واعتبرت ذلك خدمة دينية هامة.
❖ ألحقت بالمدرسة مدارس «أنبيته» بمديرية «سهارنفور»، و«مظفرنغر»، و«كلاوتهي» بمديرية «بلند شهر».

السنة ١٢: ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م

❖ تبرع الطلاب بمبلغ كتب الجوائز للأيتام والجرحى من الجنود الأتراك الذين شهدوا حرب «بليونا» القائمة بين روسيا وتركيا، وبعثوا به إلى إستانبول.
❖ قام برحلة الحج قافلة مكونة من نحو مئة عالم، منهم الإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، والشيخ رفيع الدين الديوبندي، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، ومن إليهم.

السنة ١٣ : ١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م

❖ قام متخرجو المدرسة بتشكيل جمعية تسمى «ثمرة التربية» للتنسيق والتعاون للمدرسة.

السنة ١٤ : ١٢٩٦هـ = ١٨٧٩م

❖ نظرًا إلى توسع نطاق المدرسة وتطورها المدهش وإلحاق العديد من المدارس بها سَمَّى الشيخ محمد يعقوب النانوتوي المدرسةَ دارالعلوم.

❖ ابتدأ تعليم فن الطب في دارالعلوم.

❖ تمت الموافقة على مشروع تعليم الطلاب منهج العيادة الطبية، وفن الجراحة، والصيدلة.

السنة ١٥ : ١٢٩٧هـ = ١٨٨٠م

❖ توفي الإمام محمد قاسم النانوتوي ٤/ جمادى الآخرة.

❖ قام مجلس الشورى بتعيين الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مشرفًا على دارالعلوم.

السنة ١٦ : ١٢٩٨هـ =٨١-١٨٨٠م

❖ بعد فترة امتدت نحوثلاث سنوات عقدت دارالعلوم حفلة إناطة العمائم على نطاق واسع، وقد حضرها عدد كبير من العلماء والأثرياء وعامة المسلمين. وكان عدد الطلاب في هذه السنة ٢٥٠ طالبًا

السنة ١٧ : ١٢٩٩هـ =٨٢-١٨٨١م

❖ وعدد الأساتذة ١٠، و الطلاب ١٨٧، و المتخرجين ١٢، والميزانية السنوية ٣٠٧٦.

السنة ١٨ : ١٣٠٠هـ = ٨٣-١٨٨٢م

❖ بلغ عدد المتخرجين ٥٦ متخرجًا، وعدد الحفظة ٥٠ حافظًا، وذلك منذ تأسيس دارالعلوم حتى الآن، ماعدا من استفادوا من أقسامها المختلفة.

السنة ١٩: ١٣٠١هـ = ٨٣- ١٨٨٤م

❖ قامت حفلة إناطة العمائم، وتم استعراض جهود دارالعلوم عبر١٨عامًا.

❖ كان قد ابتدأ تعليم الطب في دارالعلوم مُسبَّقًا، ثم أنشئ قسم الطب في هذا العام، بالإضافة إلى توفيرالتسهيلات الطبية فيه.

السنة ٢٠: ١٣٠٢هـ = ٨٥- ١٨٨٤م

❖ توفي الشيخ محمد يعقوب النانوتوي أول رئيس لهيئة التدريس في دارالعلوم، وظل شيخ الحديث ١٨سنة، وتخرج عليه ٧٧طالبًا، منهم شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، وفضيلة المفتي عزيزالرحمن العثماني، والشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي، والشيخ حبيب الرحمن العثماني، ومن إليهم من كبار العلماء.

❖ تولى الشيخ السيد أحمد الدهلوي منصب رئيس هيئة التدريس.

السنة ٢١: ١٣٠٣هـ = ٨٦- ١٨٨٥م

❖ تخرج ١٤١طالبًا أوكادوا أن يتخرَّجوا، ماعدا من لم يستكملوا السنة الدراسية.

❖ التحق بدارالعلوم عدد كبير من طلاب قندهار، وكابول، وبخارا، بالإضافة إلى طلاب مدن الهند القريبة والبعيدة.

❖ تخرج ٦٤ حافظًا.

السنة ٢٢: ١٣٠٤هـ =٨٧-١٨٨٦م

❖ قامت جمعية «معين الإسلام» في حيدرآباد، التي ظلت توفِّر لدارالعلوم المساعدات المالية مدة طويلة.

السنة ٢٣: ١٣٠٥هـ =١٨٨٨- ١٨٨٧م

❖ قام الرئيس الأعظم للدولة الآصفية لولاية حيدرآباد الدكن بالموافقة على دعم مالي مستمر من دولته، وهو يتمثل في ١٠٠روبية شهريًا.

السنة ٢٤: ١٣٠٦هـ=٨٩-١٨٨٨م

❖ قام الشيخ رفيع الدين برحلة الحج، فتولى الشيخ محمد عابد منصب العمادة مرة ثالثة.

السنة ٢٥: ١٣٠٧هـ ٩٠-١٨٨٩م

❖ عُيِّن الشيخ غلام رسول الهزاروي مدرسًا، وبلغ عدد المدرسين ١٠ مدرسين، وعدد الطلاب ١٧٨ طالبًا، وإجمالي التبرعات ٥٩٥٩ روبية.

السنة ٢٦: ٨-١٣٠٧هـ = ٩١-١٨٩٠م

❖ عُيِّنَ شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رئيسًا لهيئة التدريس، بعد ما استقال الشيخ السيد أحمد الدهلوي من منصبه.

❖ تمَّ تعيين الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (الذي أصبح شيخ الحديث في جامعة مظاهرعلوم فيما بعد) مدرّسًا.

السنة٢٧: ١٣٠٩هـ=٩٢-١٨٩١م

❖ بلغ عدد الطلاب ٢٦٤ طالبًا وتخرج ١٣٤ عالمًا و٨١ حافظا للقرآن خلال ٢٧عامًا.

السنة٢٨: ١٣١٠هـ=١٨٩٣-١٨٩٢م

❖ قام مجلس الشورى بتعيين الشيخ فضل حق رئيسًا لدارالعلوم نظرًا للشواغل الكثيرة للشيخ السيد محمد عابد.

❖ تم إنشاء دارالإفتاء لكثرة الاستفتاءات والأسئلة، واختيرفضلية المفتي عزيزالرحمن نائب رئيس الجامعة مسؤولا عنها.

السنة٢٩: ١٣١١هـ=٩٤-١٨٩٣م

❖ أخذت خيرات دارالعلوم تعمُّ بلاد الهند وخارجها.

❖ يقول التقرير السنوي: قام خريجو دارالعلوم بمهنة التدريس في معظم

المدارس الإسلامية.

❖ استقال الشيخ فضل حق من منصب الرئاسة في ذي القعدة، وتولاه الشيخ منير النانوتوي في ذي الحجة.

السنة ٣٠: ١٣١٢هـ =١٨٩٥-١٨٩٤م

❖ استقال الشيخ منير النانوتوي من منصب الرئاسة بعد موت أخيه الشيخ أحسن النانوتوي، وأراد أن يقيم في وطنه: نانوته، غير أنه ظلَّ يقوم بأعمال منصبه حتى يتولاه رجل آخر.

السنة ٣١: ١٣١٣هـ =١٨٩٦-١٨٩٥م

❖ اختير الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي رئيسًا على إيعاز من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وكان هذا الاختيارمباركًا ونافعًا جدًا لدارالعلوم.

❖ نالت دارالعلوم تقدمًا كبيرًا على عهد رئاسة الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي [١].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند للسيد محبوب الرضوي١/ ١٥٧-٢٠٣، والتقارير السنوية لدارالعلوم المحفوظة بالمكتبة و إدارة المحفوظات، و دارالعلوم ديوبند عبرمئة عام للمقرئ محمد طيب/ رحمه الله.

العصر الثاني

(١٣١٣-١٣٤٨هـ = ١٨٩٥- ١٩٣٠م)

(٣٥ سنة)

هـذا العـصر يُعتَبر عـصر فتـوة دارالعلـوم وشـبابها، وهويبتـدئ مـن رئاسـة الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي، ويمتد على ٣٥ سنة. فقد استقرت دارالعلوم في هـذا العـصر تعليميًّـا وإداريًّـا وتطـوَّرت ماليًّـا وبنائيًّـا، وذلـك بـشكل مـدهش، وتحوَّلت المدرسة إلى دارالعلوم.

ولّى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي منصب رئاسة دارا لعلوم الشيخَ الحافظ محمـد أحمـد النـانوتوي لكفاءتـه الإداريـة، فـشغل هـذا المنـصب ٣٤ سـنة اعتبـارًا مـن ١٣١٣هـ إلى ١٣٤٤هـ، وعُـيِّنَ عـلى طلـب منـه الـشيخُ حبيـب الـرحمن العـثماني نائـب رئيس لهـا، وكـان الـشيخ العـثماني إداريًّـا مـاهرًا صـبَّ عنايتـه عـلى دارالعلـوم وأدارهـا بـشكل غـير مـسبوق. وفي ١٣٣٤هـ اختـير الـشيخ الحـافظ محمـد أحمـد رئيـسًا أكـبر لدارالعلوم، والشيخ حبيب الرحمن العثماني رئيسًا لها، وبعد وفاة الشيخ الحافظ محمد أحمد ولي الشيخ العثماني رئاسة دارالعلوم كذلك، وشغل منصب الرئاسة نحو ١٥ شهرًا ليوم وفاته.

لقيت دارالعلوم تطورًا عظيمًا على عهد الشيخ الحافظ محمد أحمد والشيخ حبيـب الـرحمن العـثماني، فأصـبحت المدرسـة العربيـة دارالعلـوم في أصـح معنـى الكلمة، وتقدمت من حيث التعليم والإدارة والأقسام وعدد الطلاب والمباني وما إليهـا، وتخـرج في هـذه الفـترة ١٧٠٠ عـالم مـن داخـل الـبلاد وخارجهـا، وزاد عـدد الطلاب حتى بلغ من ٣٠٠ إلى ٩٠٠ طالـب، وعدد المدرسين إلى ٣٠ مدرسًا. كما بلغـت الميزانيـة الـسنوية مـن ٦٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠ روبيـة. وقـد تـولى رئاسـةَ هيئـة

التدريس خلال هذه الفترة شيخُ الهند محمود حسن الديوبندي ٢٠ سنة، فالعلامة محمد أنورشاه الكشميري ١١ سنة، فشيخ الإسلام حسين أحمد المدني.

كما اكتمل في هذه الفترة بناء العديد من المباني: كالسكن الطلابي، والبوابة، ومكتب الرئيس، والمضيفة، ودارالحديث، ومسجد دارالعلوم المعروف بـ «المسجد القديم»، والمكتبة، ومسجد المحطة، وتوسيع السكن الطلابي المعروف بالدار الجديدة. كما تمَّ إنشاء مختلف الأقسام: كالمطبخ، وقسم الدعوة والإرشاد، وإصدارُ مجلة «القاسم» و مجلة «الرشيد».

وفيما يلي أسجِّل أهم الأحداث والإنجازات التي شهدها هذا العصر حسب التسلسل الزمني.

أهم الأحداث والإنجازات في العصر الثاني

السنة ٣٢ : ١٣١٣هـ/ ٩٦-١٨٩٥م

- مقدم السري محمود علي خان أمير إمارة جتهاري (عليجراه) والعديد من العلماء والمشايخ الربانيين ديوبند بمناسبة زيارة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي دارالعلوم.
- أضيف إلى مجلس الشورى ٦ أعضاء، وهم الشيخ أحمد حسن الأمروهوي، والقاضي محي الدين المراد آبادي، والشيخ عبد الحق البرقاضوي، ومن إليهم.
- منح مجلس الشورى كلًا من رئيس الجامعة ورئيس هيئة التدريس عضوية المجلس، والسماحَ لهما بحضوره نظرًا إلى مكانة منصبيهما.

السنة ٣٣ : ١٣١٥هـ/ ٩٨-١٨٩٧م

- كانت السنة الدراسية تبتدئ من المحرم وتنتهي بذي الحجة، و تقرر أن الامتحان السنوي يجري في شعبان، وتبتدئ الإجازة السنوية من ٢٥/ شعبان إلى ٣/ شوال. أما قسم تحفيظ القرآن وفصل اللغة الفارسية فتستمر الدراسة فيهما.
- بلغ عدد الطلاب ٣٣٩ طالبًا.

السنة ٣٤ : ١٣١٦هـ/ ٩٩-١٨٩٨م

- تبرع أهالي حيدرآباد الدكن بسبعة آلاف روبية لبناء السكن الطلابي.
- قامت السرية السيدة «شاه جهان بيغم» أميرة «بهوفال» بدعم مالي كبير.
- ابتدأ بناء السكن الطلابي ١٣١٦هـ واكتمل ١٣١٨هـ.
- تم تكوين ثمانية صفوف عربية لدراسة علوم الشريعة، وبلغ عدد الطلاب ٢٦٢ طالبًا.

السنة ٣٥ : ١٣١٧هـ/ ٩٠٠-١٨٩٩م

- إجمالي عدد الطلاب ٢٤٤، وعدد الطلاب في الصفوف العربية ١٤٠ طالبًا.

السنة ٣٦ : ١٣١٨هـ/ ٠١-١٩٠٠م

- تم بناء البوابة، والمكتب، والمضيفة بالإضافة إلى السكن الطلابي.
- كلَّف هذا البناء ١٢ ألف روبية.
- عين الشيخ مرتضى حسن الجاندفوري مدرِّسًا.

السنة ٣٧ : ١٣١٩هـ/ ٠٢-١٩٠١م

- قد كانت أُنشِئَت مكتبة دارالعلوم سنة ١٢٨٣هـ، ثم أُضِيفَتْ إليها المقرراتُ الدراسيةُ وشروحها وكتب مختلف العلوم والفنون بين حين لآخر، وحتى سنة ١٣١٩هـ كانت المكتبة قد امتلأت بكتب لابأس بها في مختلف العلوم والفنون. قام الشيخ عابد حسين حاكم شرف لمديرية «جونفور» بإهداء مكتبته الخاصة التي كانت تحتوي على نوادرالكتب إلى دارالعلوم.
- قامت السرية «شاه جهان بيغم» أميرة بهوفال بدعم مالي يتمثل في ٣٠٠ روبية سنويًّا.

السنة ٣٨ : ١٣٢٠هـ/ ٠٣-١٩٠٢م

- تمَّ تعيين حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ عبد الرحيم الرائ فوري عضوَينِ لمجلس الشورى، ومُشْرِفَيْن على دارالعلوم.

السنة ٣٩ : ١٣٢١هـ/ ٠٤-١٩٠٣م

- ❖ وقف القاضي عليم الدين أمير «شاملي» أراضيه على دارالعلوم.
- ❖ أُنشئ قسم التجويد والقراءات، وعُيِّنَ له المقرئ عبد الوحيد خان الإله آبادي (أحد تلاميذ المقرئ عبد الرحمن المكي) مدرِّسًا.
- ❖ قام مجلس الشورى بالموافقة على إعطاء منحة دراسية لمن يرغبون في التعليم العصري بعد استكمال التعليم الديني، وكذلك بالعكس.

السنة ٤٠ : ١٣٢٢هـ/ ٠٥-١٩٠٤م

- ❖ قام السيد «جيمس دكس لبتوس» حاكم ولاية أترابراديش، والسيد أحمد بخاري إمام وخطيب المسجد الجامع بدهلي بزيارة دارالعلوم بعد ما سمعا سمعتها الطيبة.
- ❖ توفي الشيخ ذو الفقارعلي الديوبندي عضو المجلس التأسيسي لدارالعلوم وأمين الصندوق لها.

السنة ٤١ : ١٣٢٣هـ/ ٠٦-١٩٠٥م

- ❖ توفي المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المشرف الأعلى لدارالعلوم.
- ❖ زار دارالعلوم عددٌ من السراة والسلطات الحكومية.
- ❖ بلغ عدد الطلاب في دارالعلوم ٣٢٥ طالبًا.

السنة ٤٢ : ١٣٢٤هـ/ ٠٧-١٩٠٦م

- ❖ عُقِدت حفلة رائعة لتوزيع الجوائز، كان الحضور فيها من عليجراه، ومرادآباد وشاهجهانفور، وبريلي، وبهوفال، ولاهور، بالإضافة إلى المناطق المجاورة.
- ❖ قام مجلس الشورى بتعيين الشيخ حبيب الرحمن العثماني نائب رئيس لدارالعلوم.
- ❖ مارس الشيخ حبيب الرحمن أعمال دارالعلوم بشكل لم يُسْبَق له نظير.

❖ تبرَّع السري يوسف علي خان أمير «مينـدهو» بـ ٧٠٠٠ روبية لبناء مكتبة دارالعلوم، فوُضِعَ حجرُها الأول بالقرب من مسجد «تشته».

السنة ٤٣: ١٣٢٥هـ/ ٠٨-١٩٠٧م

❖ توفي الشيخ فضل الرحمن العثماني عضو المجلس التأسيسي لدارالعلوم.

❖ تمَّ شراء قطعة من الأرض لبناء مسجد لدارالعلوم بدعم مالي من قبل الشيخ فصيح الدين الميروتي.

السنة ٤٤: ١٣٢٦هـ/ ٠٩-١٩٠٨م

❖ زادت الدولة الآصفية بحيدر آباد الدكن تبرعها السنوي لدارالعلوم، حتى بلغ ٢٥٠ روبية.

❖ ضاعفت إمارة «بهوفال» تبرعاتها لدارالعلوم حتى بلغت ٣٠٠٠ روبية.

السنة ٤٥: ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م

❖ تبرع الحاج غلام محمد أعظم أحد تجار مدينة «راند ير» بغوجرات بـ ١٩٠٠٠ روبية لبناء المسجد، فوضع حجره الأول، حتى اكتمل بناؤه ١٣٢٨هـ. ويُعرف هذا المسجد الآن بالمسجد القديم.

❖ اختير العلامة محمد أنورشاه الكشميري وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني مدرِّسَينِ دونما مرتب.

❖ تمَّ إنشاء جمعية الأنصار لتوسيع نطاق حركة الشيخ عبيد الله السندي وتوفير الدعم المالي لها.

❖ تجاوز عدد المتخرجين ألف خريج.

السنة ٤٦: ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م

❖ قامت حفلة رائعة لإناطة العمائم بعد فترة دامت ٢٦ سنة.

❖ بلغ عدد متخرجي دارالعلوم أكثر من ١٠٠٠ متخرج.

❖ تمَّ إنشاء مطبخ في دارالعلوم بشكل منتظم، وقبل إنشائه كان أهالي المدينة

يكفلون لطالب أو طالبين بالطعام، أو تمنح دارالعلوم عددًا من الطلاب منحًا دراسية تغطي حاجاتهم اللازمة.

❖ أُنْشِئ قسم الدعوة والإرشاد لمقاومة منظمة «آريه سماج» الهندوسية ونشاطاتها المعادية للمسلمين.

السنة ٤٧: ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م

❖ عقدت جمعية الأنصار حفلة عظيمة باسم مؤتمر الأنصار في مدينة مراد آباد، وفتحت فروعها باسم «قاسم المعارف» في العديد من مدن البلاد.

السنة ٤٨: ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م

❖ وضع الحجر الأول لدارالحديث.

❖ كان بهذه المناسبة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ عبد الرحيم الرائفوري، ووضعوا بأيديهم المباركة حجرها الأول.

❖ زار دارالعلوم عالم مصر المعروف: العلامة رشيد رضا المصري صاحب مجلة «المنار»، وأعرب عن أعمق انطباعاته عنها.

❖ جمعت دارالعلوم التبرعات التي بلغت ٦٥٠٠٠ روبية، وبعثت بها لجمعية الهلال الأحمر والخلافة العثمانية التي كانت تخوض الحرب في منطقة بلقان.

❖ تمَّ تعيين شيخ الأدب إعزازعلي الأمروهوي، والشيخ السيد أصغر حسين الديوبندي مدرِّسَين.

السنة ٤٩: ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

❖ اضطلعت دارالعلوم بنفقة مجلة «القاسم» التي بدأ إصدارها الشيخُ حبيب الرحمن العثماني على نفقته سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

❖ ضاعفت الدولة الآصفية مبلغ تبرعها السنوي.

❖ عُيِّن العلامة الشيخ إبراهيم البلياوي مدرِّسًا.

السنة ٥٠: ١٣٣٢هـ/ ١٤-١٩١٣م

❖ تمَّ توسيع نطاق المطبخ.

❖ تمَّ إصدار مجلة «الرشيد» بذكرى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.

❖ ما بعثت به دارالعلوم من التبرعات للخلافة العثمانية أيام حرب بلقان قد أثَّرعلى الخليفة العثماني محمد الخامس تأثيرًا عظيمًا، فأهدى إلى دارالعلوم أعظم هدية للخلافة، وهي الثوب الذي كانت تُغَلَّفُ به جبة نبينا ﷺ. وقد قدَّم سفيرالخلافة خالد خليل بك هذه الهدية المباركة إلى دارالعلوم بديوبند في ١٦/ ربيع الأول.

❖ تبرَّع السري سليم الله خان أميردكة بـ ١٣٠٠٠ روبية لبناء دارالحديث.

السنة ٥١: ١٣٣٣هـ/ ١٥-١٩١٤م

❖ قام السيد جيمس مسطن حاكم ولاية أترابراديش الهندية بزيارة دارالعلوم وأعرب عن مشاعره وانطباعاته.

❖ تمَّ بناء مسجد قربَ محطة القطار بديوبند.

❖ ارتحل شيخ الهند محمود حسن الديوبندي إلى الحجاز لحركة الرسائل الحريرية. واختير الشيخ عبد الرحيم الرائفوري مشرفًا على دارالعلوم.

السنة ٥٢: ١٣٣٤هـ/ ١٦-١٩١٥م

❖ بلغت التبرعات السنوية لدولة حيدرآباد ٨٠٠ روبية والتي أصبحت سنة ١٣٣٨هـ ١٠٠٠ روبية.

❖ أصبح عدد الطلاب الملتحقين بدارالعلوم أكثر من ٤٠٠ طالب.

❖ نظرًا إلى عدد الطلاب زِيْدَ عدد المدرسين والموظفين وتوسع نطاق المباني والمكتبة وما إليها.

السنة ٥٣ : ١٣٣٥هـ/ ١٧-١٩١٦م

❖ التحق بسنة الفضيلة (دورة الحديث) ٩٠ طالبًا.

❖ بلغ عدد الطلاب ٥٧٧ طالبًا.

❖ قامت الحكومة البريطانية عن طريق الشريف حسين أميرمكة المكرمة بإلقاء القبض على شيخ الهند محمود حسن والزجِّ به في سجن جزيرة مالطا، حيث مكث ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وذلك عقابًا على مساهمته الفعَّالة في كفاح تحرير الهند.

السنة ٥٤ : ١٣٣٦هـ/ ١٨-١٩١٧م

❖ عدد الطلاب ٦٠١، وعدد المدرسين ٢٣، وعدد المتخرجين ٧٣، والدخل السنوي ٦٣٠٢١ روبية، والخرج السنوي ٦٤٢٤٧ روبية.

السنة ٥٥ : ١٣٣٧هـ/ ١٩-١٩١٨م

❖ توفي الشيخ عبد الرحيم الرائفوري المشرف على دارالعلوم، كما توفي الشيخ غلام رسول الهزاروي أستاذ بالجامعة.

السنة ٥٦ : ١٣٣٨هـ/ ٢٠-١٩١٩م

❖ أطلق سراح شيخ الهند محمود حسن وزملائه في ٢٢/ جمادى الآخرة.

❖ أصبح عدد الطلاب أكثر من ٦٠٠ طالب، وتمَّ بناء السكن الطلابي الواسع المعروف بالدار الجديدة شمالي دارالحديث وجنوبيها وغربيها.

السنة ٥٧ : ١٣٣٩هـ/ ٢١-١٩٢٠م

❖ توفي شيخ الهند محمود حسن ١٨/ ربيع الأول.

❖ قام مسلمو فرنسا و رنكون و إفريقيا الجنوبية بإرسال تبرعات ضخمة لدارالعلوم.

السنة ٥٨ : ١٣٤٠هـ/ ٢٢-١٩٢١م

❖ اختِيْر الشيخ الحافظ محمد أحمد مفتيًا في المحكمة العالية بالدولة الآصفية بحيدرآباد الدكن، وذلك لمدة ٣ سنوات.

❖ خلال هذه الفترة ظل الشيخ الحافظ محمد أحمد رئيسًا أكبر لدار العلوم، كما عمل الشيخ حبيب الرحمن العثماني رئيسًا لها.

السنة ٥٩ : ١٣٤١هـ/ ٢٣-١٩٢٢م

❖ ركَّزت دارالعلوم عنايتها على مقاومة ما قامت به جمعية «آريه» الهندوسية من دعوة المسلمين الهنود إلى الردَّة عن الإسلام والعودة إلى الديانة الهندوسية؛ فقام مشايخها ومدرسوها بنشاطات ميدانية مكثفة لإخماد نار هذه الفتنة العمياء.

❖ عُيِّن الشيخ المقرئ محمد طيب نائبَ رئيس لدارالعلوم، غير أنه لم يتولَّ منصبه لعكوفه على الأعمال العلمية.

السنة ٦٠ : ١٣٤٢هـ/ ٢٤-١٩٢٣م

❖ لاستئصال شأفة فتنة الردة فتحت دارالعلوم بالتعاون مع جمعية علماء الهند مكتبًا في المناطق المتضررة بالردة.

❖ توفي الشيخ عبد الحق البرقاضوي.

❖ وصلت تبرعات سخية إلى دارالعلوم من رنكون.

❖ بلغ عدد الكتب في المكتبة خمسين ألف كتاب.

❖ بلغ إجمالي عدد الطلاب ٧٩٥ طالبًا، وطلاب الصفوف العربية ٥٤٢ طالبًا، والميزانية السنوية ٩٤٤٥٩.

السنة ٦١ : ١٣٤٣هـ/ ٢٥-١٩٢٤م

❖ قلَّ الدخل، غير أن دارالحديث والسكن الطلابي ظلَّ بناؤهما مستمرًّا.

❖ تمَّ الإعلان عن افتتاح قسم التكميل الذي يُعَدُّ فيه المتخرجون للدفاع عن الإسلام بتدريسهم العلوم القديمة والحديثة من الكلام والهيئة وما إليهما.

السنة ٦٢ : ١٣٤٤هـ/ ٢٦-١٩٢٥م

❖ عاد الشيخ الحافظ محمد أحمد من حيدرآباد، واختير الشيخ حبيب الرحمن العثماني مفتيًا – مكانه– في المحكمة العالية بالدولة الآصفية، ونظرًا إلى حاجات دارالعلوم استعاده مجلس الشورى.

❖ يقول تقرير هـذه الـسنة: إن الـشيخ الحـافظ محمـد أحمـد اختـير رئيـسًا أكـبر لدارالعلوم، والشيخ حبيب الرحمن العثماني رئيسًا لها.
❖ تمَّ اختيار حكيم الأمة أشرف علي التهانوي مشـرفًا على دارالعلوم.
❖ تولى الشيخ المقرئ محمد طيب منصبه نزولا عند إصرار مشايخ دارالعلوم.

السنة ٦٣ : ١٣٤٥هـ/ ٢٧-١٩٢٦م

❖ تمّ إدخال تعديلات في الدستور الأساسي لتوسيع امتيازات وسلطات الرئاسة.
❖ قام مجلس الشورى بتشكيل مجلس إداري فرعي له - وهو المجلس التنفيذي- ليستعين به في ممارسة شؤونه.
❖ ذهب العلامة محمد أنورشاه الكشميري إلى موطنه كشمير على إجازة.

السنة ٦٤ : ١٣٤٦هـ/ ٢٨-١٩٢٧م

❖ استقال العلامة محمد أنورشاه الكشميري من دارالعلوم، وذهب هو ومجموعة من العلماء إلى «دابيل» بولاية غوجرات.
❖ قام الطلاب بالإضراب عن التعليم في دارالعلوم، وصعب التغلب عليه.
❖ انتدب شيخ الإسلام حسين أحمد المدني الـذي كـان يعمـل شـيخَ حـديثٍ في «سلهت» بولاية آسام (هي مدينة في بنغلاديش اليوم) رئيسًا لهيئة التـدريس في دارالعلوم وشيخَ حديث بها.

السنة ٦٥ : ١٣٤٧هـ/ ٢٩-١٩٢٨م

❖ توفي الشيخ الحافظ محمد أحمد خلال رحلته إلى حيدرآباد، وذلك في ٣/ جمادى الأولى، ودفن في المقبرة المعروفة بـ «خطهء صالحين» بحيدرآباد.
❖ توفي الشيخ حبيب الرحمن العثماني رئيس دارالعلوم في ٣/ رجب [(١)].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند للسيد محبوب الرضوي ١/ ٢٠٣-٢٧٨، و التقارير السنوية لدارالعلوم المحفوظة بالمكتبة و في إدارة المحفوظات، ودارالعلوم ديوبند عبرمئة عام للمقرئ محمد طيب/ رحمه الله.

العصر الثالث

(١٣٤٨ -١٤٠١هـ = ١٩٣٠-١٩٨١م)

(٥٢ سنة)

العصر الثالث عبارة عن عصر رئاسة حكيم الإسلام الشيخ المقرئ محمد طيب، ومساحته الزمنية أكثر من نصف قرن، وهو امتداد للعصر الثاني. نالت دارالعلوم في هذا العصر - بالإضافة إلى استقرارها وتوسعها تعليميًا وإداريًا- سمعة عالمية. وبفضل جهود علماء ديوبند العلمية والدعوية والإصلاحية المتنوعة أضحت دارالعلوم مدرسة فكرية هامة، وعُرِفت مركزًا إسلاميًا كبيرًا في شبه القارة الهندية خاصة وفي العالم الإسلامي عامة.

كما أنها تطورت تطورًا عظيمًا في هذا العصر، وأصبحت مؤسسة عالمية في أصح معنى الكلمة. يحتوي هذا العصر على فترة رئاسة هيئة التدريس لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني التي تخرج خلالها ٤٤٨٣ طالبًا.

فلما تولى الشيخ المقرئ محمد طيب رئاسة الجامعة سنة ١٣٤٨هـ كان عدد الأقسام الإدراية ٨ أقسام، ثم ازداد عددها خلال رئاسته حتى بلغ ٢٣ قسمًا سنة ١٤٠٠هـ، وارتفعت ميزانيتها السنوية من ٥٠٠٠٠ روبية إلى ٢٦٠٠٠٠٠ روبية. وارتفع عدد موظفيها من ٤٥ موظفًا إلى ٢٠٠ موظف، وعدد المدرسين من ١٨ مدرسًا إلى ٦٠ مدرسًا، وعدد الطلاب من ٨٤٠ طالبًا إلى ٢٠٠٠ طالب.

كذلك تطورت وتوسَّعت مبانيها وعماراتها في هذا العصر؛ فقد تمَّ بناء دارالتفسير، ودارالإفتاء، ودارالقرآن، ودارالحديث الفوقانية، وباب الظاهر، وكلية الطب، والمضيفة، والمكتبة، والسكن الطلابي المعروف بـ«الرواق الإفريقي».

هذا في جانب، وفي جانب آخر قام رئيس الجامعة الشيخ المقرئ محمد

طيب برحلات وزيارات إلى كثيرمن بلاد آسيا وأوربا وإفريقيا بالإضافة إلى مدن وقرى شبه القارة الهندية بشكل لم يسبق لغيره من علماء الهند المعروفين، وعرَّف خلال رحلاته وزياراته ولقاءاته بمكانة دارالعلوم وخدماتها لملايين من البشر في أنحاء العالم.

واحتفلت دارالعلوم بمهرجانها المئوي الذي شارك فيه نحو مليونين ونصف من المسلمين بالإضافة إلى ثماني مئة وفد عالي المستوى من مختلف دول العالم.

وفيما يلي نسجل أهم الأحداث والإنجازات التي تمت خلال هذا العصر.

أهم الأحداث والإنجازات في العصر الثالث

السنة ٦٦ : ١٣٤٨هـ/ ٣٠-٢٩م

❖ عيَّن مجلس الشورى الشيخ المقرئ محمد طيب نائب رئيس الجامعة بعد ما توفي الشيخ حبيب الرحمن العثماني، ثم عيَّنه رئيسًا لها.

السنة: ٦٧ : ١٣٤٩هـ/ ٣١-١٩٣٠م

❖ تمَّ إدخال التوسيعات على مسجد دارالعلوم.

❖ اكتمل في هذه السنة بناء دارالحديث الذي كان يجري منذ مدة.

السنة: ٦٨ : ١٣٥٠هـ/ ٣٢-١٩٣١م

❖ فُتِح قسم للتفسير لمن يرغبون في التوسع في علوم القرآن وتفسيره بعد الفراغ من السنة النهائية (دورة الحديث).

❖ تمت الموافقة على جعل تجويد القرآن مادة لازمة للطلاب بعد ما كان مادة اختيارية، وأن المتخرج غير مؤهل لشهادة الفضيلة إلا بعد حفظ الجزء الأخيرمن القرآن عن ظهر القلب.

السنة ٦٩ : ١٣٥١هـ/ ٣٣-١٩٣٢م

❖ توفي الطبيب مسعود أحمد الكنكوهي عضو مجلس الشورى.

❖ زيدت الحجرات في السكن الطلابي وتم بناء الدور الثاني لمسجد دارالعلوم.
❖ إجمالي عدد الطلبة ١٠٩٠، وطلاب الصفوف العربية ٨٤٨.

السنة ٧٠: ١٣٥٢هـ/ ٣٤-١٩٣٣م

❖ تمَّ بناء قاعة لتدريس الحديث في الدور الثاني، وهي تدعى اليوم دارالحديث الفوقانية، درّس فيها شيخ الإسلام حسين أحمد المدني الحديث.
❖ أُدخِلت إصلاحات وتسهيلات في مبادئ القبول.
❖ تمَّ صرف تذاكرلتوزيع وجبات الغداء والعشاء على الطلاب.
❖ توفي العلامة محمد أنور شاه الكشميري

السنة ٧١: ١٣٥٣هـ/ ٣٥-١٩٣٤م

❖ بعث الشيخ نياز أحمد (تلميذ الشيخ إمداد الله التهانوي المكي) من مكة المكرمة بمبلغ يُقدَّر بـ ٦٠٠٠ روبية.
❖ قام مجلس الشورى بالموافقة على مشروع راتب التقاعد للمتقاعدين.

السنة ٧٢: ١٣٥٤هـ/ ٣٦-١٩٣٥م

❖ اختير العلامة شبير أحمد العثماني الذي كان يعمل مدرسًا في مدرسة تعليم الدين بـ «دابيل» بولاية «غوجرات» رئيسًا أكبرللجامعة نظرًا إلى مكانته العلمية. وظل يعمل رئيسًا أكبر إلى ١٣٦٢هـ.
❖ استقال حكيم الأمة أشرف علي التهانوي من الإشراف على دارالعلوم نتيجةً لما اختلف أعضاء مجلس الشورى في شرح امتيازات المشرف وصلاحياته.

السنة ٧٣: ١٣٥٥هـ/ ٣٧-١٩٣٦م

❖ تمَّ فتح ثلاثة أقسام جديدة: وهي قسم التنسيق والرقي لإدخال الترتيبات في جهاز الدخل والخرج. وإدارة المحفوظات لحفظ السجلات والملفات والتقارير السنوية. وقسم الرياضة البدنية الذي يُعنى بصحة الطلاب، وقد ظل هذا القسم يمارس وظيفته إلى ١٣٦٧هـ.

❖ زارت بعثة تعليمية للجامع الأزهر دارالعلوم، وأكدت على دعم العلاقات الثقافية فيما بينهما.

السنة ٧٤ : ١٣٥٦هـ/ ٣٨-١٩٣٧م

❖ اكتمل بناء ما تبقَّى من حجرات السكن الطلابي المعروف بـ «الدار الجديدة» بالإضافة إلى المباني المختلفة كفصل اللغة الفارسية، ومبنى ذي دورين لإدارة المحفوظات.

السنة ٧٥ : ١٣٥٧هـ/ ٣٩-١٩٣٨م

❖ قام بزيارة دارالعلوم الحافظ محمد إبراهيم وزير الأوقاف والري بولاية أودهـ وآكره.

❖ إجمالي عدد الطلاب ١٤٩٣، والطلاب في الصفوف العربية ١١٩٨.

السنة ٧٦ : ١٣٥٨هـ/ ٤٠-١٩٣٩م

❖ عاد الشيخُ عبيد الله السندي إلى ديوبند، وكان قد ذهب إلى أفغانستان في شأن حركة الرسائل الحريرية سنة ١٣٣٣هـ وعاش منفيًّا في مختلف بلاد العالم ٢٥ سنة.

❖ قامت حكومة الملك بن سعود (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) بإهداء جميع ما نشرته من الكتب إلى دارالعلوم اعترافًا بخدماتها العلمية العظيمة.

❖ زار المقرئ محمد طيب أفغانستان، وتبرع الملك ظاهرعاهل أفغانستان لدارالعلوم بمبلغ ٥٠٠٠٠ روبية.

❖ بُنِيَ فوق دارالحديث فصلٌ باسم «دارالتفسير» وبُنِيت عليه قبَّة كبيرة تُعتبرُ اليوم رمزًا لدارالعلوم.

السنة ٧٧ : ١٣٥٩هـ/ ٤١-١٩٤٠م

❖ بُني بتبرعات أفغانستان باب أمام دارالحديث، وسُمِّي باسم عاهلها «باب الظاهر» تخليدًا لذكرى العلاقات الودية بين دارالعلوم وأفغانستان. وقد زاد

هذا الباب مباني دارالعلوم روعة وبهاءً.

- ❖ قام رئيس الجامعة بزيارة جامعة عليجراه الإسلامية وألقى فيها محاضرات.

السنة ٧٨: ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م

- ❖ بالرغم من استمرار الحرب العالمية وتدهور الأوضاع الاقتصادية اكتمل بناء السكن الطلابي.
- ❖ ابتدأت مجلة «القاسم» سنة ١٣٢٨هـ واستمرت ١١ سنة، ثم توقفت. واستؤنفت في هذه السنة بعد ٢٠ سنة باسم مجلة «دارالعلوم».

السنة ٧٩: ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م

- ❖ أُلقي القبض على شيخ الإسلام حسين أحمد المدني لأجل كلمة ألقاها في مدينة مراد آباد والتي اعتبرها الإنجليز ضد حكومتهم، وحُوكم في محكمة مراد آباد وقضي عليه بسجن ١٨ شهرًا.
- ❖ أُرجِئ الامتحانُ السنويُّ وأُعْلِنَ عن الإجازة العامة بسبب القبض على شيخ الإسلام حسين أحمد المدني والأوضاع السياسية في البلاد.
- ❖ زار الجامعة السيد «عثمان كيوو» ممثل جبهة الحل الإسلامي الوطني بالصين، وأعرب عن مشاعره الطيبة تجاه الجامعة.

السنة ٨٠: ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م

- ❖ قد أثَّرت الأوضاع السياسية السيئة في البلاد عام ١٩٤٢م على دارالعلوم؛ فقلَّ عدد الطلاب، واستقال الرئيس الأكبر للجامعة: العلامة شبيرأحمد العثماني وعدد من المدرسين من دارالعلوم بسبب النزاعات السياسية. ثم عاد بعضهم إلى دارالعلوم.
- ❖ توفي حكيم الأمة أشرف علي التهانوي.

السنة ٨١: ١٣٦٣م/ ١٩٤٤م

❖ أطلق سراح شيخ الإسلام حسين أحمد المدني.

السنة ٨٢: ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م

❖ أُنشئ قسم تعليم الخط وتحسينه.

السنة ٨٣: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م

❖ تمَّ إنشاء «دارالصنائع» للتعليم المهني.

السنة ٨٤: ١٣٦٦هـ/ ٤٧-١٩٤٦م

❖ قامت دارالعلوم بإرسال الوفود والمعونات المالية للمسلمين المصابين في الاضطرابات الطائفية في ولاية «بيهار» و«كره مكتيشور» بولاية أترابراديش.
❖ أُنشئ الصندوق الاحتياطي لموظفي دارالعلوم.
❖ نالت بلاد الهند استقلالها في رمضان (١٥/ أغسطس).

السنة ٨٥: ١٣٦٧هـ/ ٤٨-١٩٤٧م

❖ تمَّ بناء دارالإفتاء على المبنى الواقع شرقي مسجد دارالعلوم، وافتُتح في ١٩/ ربيع الأول.
❖ تمَّ استيصال شأفة فتنة الردة القائمة في المناطق المجاورة لـ«دهره دون»، وذلك بسبب الجهود الدعوية المبذولة من قبل دارالعلوم.

السنة ٨٦: ١٣٦٨هـ ٤٩-١٩٤٨م

❖ اختير رئيس الجامعة وغيره من علمائها أعضاء لمحكمة جامعة عليجراه الإسلامية.
❖ قامت الحكومة الهندية بحملة تفتيشية في دارالعلوم وصادرت الرسائل والكتيّبات المطبوعة مما آلم المسلمين أشدَّ الألم وزعزع ثقتهم بالحكومة.

السنة ٨٧: ١٣٦٩هـ/ ٥٠-١٩٤٩م

❖ تمَّت إزالة العراقيل التي تحول دون قبول الطلاب الباكستانيين بسبب قسمة البلاد. تمكَّن الطلاب الباكستانيون من الحصول على إذن حكومي لسنة واحدة، غير أنَّ هذا الأمر لم يستمر طويلًا.

❖ قامت وزارة الخارجية الهندية وإذاعة عموم الهند بالتعريف بدارالعلوم خارج البلاد خاصة في الشرق الأوسط.

❖ زار سردار نجيب الله خان سفير أفغانستان لدى الهند دارالعلوم وأقيمت حفلة ترحيبًا به.

❖ توفي العلامة شبير أحمد العثماني بباكستان.

السنة ٨٨: ١٣٧٠هـ/ ٥١-١٩٥٠م

❖ قام الزعيم السياسي أبوالكلام آزاد وزيرالمعارف للحكومة الهندية بزيارة دارالعلوم، وعُقدت حفلة ترحيب به.

السنة ٨٩: ١٣٧١هـ/ ٥٢-١٩٥١م

❖ قام «أتشاريه وَنُوبَا بَهاوِى» مؤسس حركة «بهومي دان» بزيارة دارالعلوم، وأبدى انطباعاته عنها.

❖ قلَّ عدد الطلاب والتبرعات من جرَّاء الحرب العالمية الثانية وقسمة البلاد إلى قطرين: الهند وباكستان.

❖ تبرَّع بالقمح - ولايزال يتبرع - الفلاحون المسلمون من المناطق المجاورة لديوبند لدارالعلوم.

السنة ٩٠: ١٣٧٢هـ/ ٥٣-١٩٥٢م

❖ تمَّ توسيع قسم الطب، وأُنشِئَ مستشفى باسم دارالشفاء، وهو يضم طاقمًا مكوَّنًا من سبعة أطباء وستة موظفين.

❖ تمَّ إنشاء البئر الأرتوازية لتزويد السكن الطلابي الواسع والجنائن بالماء.

السنة ٩١: ١٣٧٣هـ/ ٥٤-١٩٥٣م

- ❖ قام جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية بزيارة الهند، وتبرع لدارالعلوم بـ ٢٥٠٠٠ روبية.
- ❖ زار دارالعلوم أنورالسادات أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي والذي صار بعدُ رئيس جمهورية مصر العربية.

السنة ٩٢: ١٣٧٤هـ/ ٥٥-١٩٥٤م

- ❖ توفي الطبيب محمد إسحاق، والشيخ عبد الحق المدني، والشيخ ضياء الحق، والشيخ بشير أحمد الكِتَهوري.
- ❖ توفي شيخ الأدب محمد إعزاز علي الأمروهوي.
- ❖ زار دارالعلوم كل من السيد عبد اللطيف وزير الصحة بدولة برما، والعقيد أنور السادات وزير الدولة المصرية والأمين العام للمؤتمر الإسلامي.
- ❖ زار وفود من روسيا وآسيا الوسطى.

السنة ٩٣: ١٣٧٥هـ/ ٥٦-١٩٥٥م

- ❖ قامت علاقات ثقافية بين دارالعلوم وبين الجامع الأزهر ومنظمة المؤتمرالإسلامي، فجاء إلى دارالعلوم الشيخ عبد المنعم النمر والشيخ عبد العال العقباوي مبعوثا الأزهر لتعليم اللغة العربية وآدابها.
- ❖ أُدخل التوسيع على مسجد دارالعلوم.
- ❖ وُلِّيَ فضيلة الشيخ المفتي ظفير الدين المفتاحي مسؤولية جمع وترتيب فتاوى دارالعلوم.

السنة ٩٤: ١٣٧٦هـ/ ٥٧-١٩٥٦م

- ❖ قام رئيس الجمهورية الهندية الدكتور راجندر برشاد بزيارة دارالعلوم، وأبدى عنها انطباعاته وأحاسيسه، وذلك ١٤/ من ذي الحجة.
- ❖ قام رئيس الجامعة بزيارة بورما وتوسع نطاق نفوذ وشعبية دارالعلوم.

السنة ٩٥: ١٣٧٧هـ/ ٥٨-١٩٥٧م

❖ توفي شيخ الإسلام حسين أحمد المدني في ١٢/ جمادى الأولى.

❖ قام الملك «ظاهر شاه» عاهل أفغانستان بزيارة دارالعلوم، فرحبت به أحرَّ ترحيب. وذلك ٥/ شعبان الموافق ٢٥/ فبراير١٩٥٨م.

السنة ٩٦: ١٣٧٨هـ/ ٥٩-١٩٥٨م

❖ أُنْشِئَت «منظمة خريجي دارالعلوم» لتنسيق العلاقات بينهم وإقامة حفلة عظيمة لإناطة العمائم لهم.

السنة ٩٧: ١٣٧٩هـ/ ٦٠-١٩٥٩م

❖ زار المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة ري يونين (مستعمرات فرنسا) وإفريقيا الشمالية ومصر. وقد زادت هذه الزيارة دارالعلوم سمعة طيبة وقبولًا عظيمًا، كما عادت عليها بالنفع المادي.

❖ بعثت دارالعلوم ممثلها في المهرجان السنوي لدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

❖ قام جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر العربية بزيارة الهند، فقدمت دارالعلوم إليه هدايا علمية في دهلي بدلا من دعوته إلى ديوبند لكون الأيام أيام إجازة في دا رالعلوم.

السنة ٩٨: ١٣٨٠هـ/ ٦١-١٩٦٠م

❖ أنشئت كلية الطب، ووضع لها منهج دراسي معترف به رسميًّا. والدراسة فيها تستغرق أربع سنوات. والمتخرجون منها يُمْنَحُون شهادة الطب.

❖ قام الدكتور «بي هاردي» المحاضر بقسم الدراسات الإسلامية في جامعة لندن بزيارة دارالعلوم.

السنة ٩٩: ١٣٨١هـ/ ٦٢-١٩٦١م

❖ قام الأستاذ همايون كبير وزيرالثقافة والعلوم لحكومة الهند المركزية بزيارة دارالعلوم.

❖ أهدت حكومة مصر العربية المصحف المسجَّل إلى دارالعلوم.

السنة ١٠٠: ١٣٨٢هـ/ ٦٣-١٩٦٢م

❖ استكملت دارالعلوم رحلتها المئوية، وتحولت من مدرسة صغيرة إلى دارالعلوم فجامعة كبيرة. كان عدد الطلاب في ١٢٨٣هـ ٧٨ طالبًا، وعدد المدرسين ٦ مدرسين، والميزانية السنوية ٦٤٩ روبية، بينما أصبح عدد الطلاب في هذه السنة ١٤٨٥ طالبًا، وعدد المدرسين ٤٩ مدرسًا، والميزانية السنوية نحو ٧٠٠٠٠٠ روبية، وعدد الموظفين ٢٠٠ موظف. والمكتبة تحتوي على أكثر من ١٠٠٠٠٠ كتاب، وتمَّ عمل فهرستها وترتيبها ترتيبًا جديدًا.

❖ قام العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبوغدة أستاذ بجامعة حلب بسورية بزيارة دارالعلوم واجتمع بمشايخها وأساتذتها وأعرب عن حبه وتقديره لهم.

السنة ١٠١: ١٣٨٣هـ/ ٦٤-١٩٦٣م

❖ قام رئيس الجامعة بزيارة إفريقيا الجنوبية، وعرَّف بدارالعلوم على مستوى واسع.

❖ حضر رئيس الجامعة ممثلًا المؤتمر العالمي الذي عقدته منظمة المؤتمر الإسلامي بالقاهرة. وكان جميع الممثلين الهنود والباكستانيين من متخرجي دارالعلوم. ثم قام بأداء شعيرة الحج، وزار الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فألقى كلمة أمام الأساتذة والطلاب في حفلة أقيمت ترحيبًا به.

❖ تمَّ عرض المخطوطات المختارة لمكتبة دارالعلوم في المؤتمر العالمي السادس والعشرين الذي عقده المستشرقون في دهلي عام ١٩٦٤م.

السنة ١٠٢: ١٣٨٤هـ/ ٦٥-١٩٦٤م

❖ أُنشِئت مجلة فصلية باسم «دعوة الحق» كلسان حال الجامعة.

❖ قامت الحكومة الإقليمية لولاية أترابراديش بمساعدة دارالعلوم في توفير القمح.

❖ زار «وشوناث داس» حاكم ولاية أترابراديش دارالعلوم في ٢٣/ مارس ١٩٦٥م.

السنة ١٠٣: ١٣٨٥هـ/ ٦٦-١٩٦٥م

❖ قامت حكومة الهند المركزية بنشر كتيِّب باسم «المؤسسات التعليمية لمسلمي الهند» وعرَّفت فيه بدارالعلوم خيرَ تعريف.

السنة ١٠٤: ١٣٨٦هـ/ ٦٧-١٩٦٦م

❖ تمَّ إدخال التوسيع على مبنى المكتبة، وإنشاء قاعة للكتب العربية، بجانب تخصيص صالة لمؤلفات مشايخ دارالعلوم وأبنائها.

السنة ١٠٥: ١٣٨٧هـ/ ٦٨-١٩٦٧م

❖ عندما قامت إسرائيل باحتلال القدس أهابت دارالعلوم بمسلمي البلاد لإغاثة المنكوبين العرب في فلسطين ومصر والأردن، فجمعت تبرعات ضخمة، وبعثت بها لهم.

❖ كما قامت بمناسبة كارثة الحريق في المسجد الأقصى بالموافقة على قرار ندَّدت فيه بدور إسرائيل، وبعثت بالقرار إلى الحكومة الأردنية التي شكرتها عليه.

❖ توفي العلامة إبراهيم البلياوي، وأسند رئاسة هيئة التدريس إلى الشيخ فخر الدين المراد آبادي. كما توفي الشيخ حميد الدين الفيض آبادي عضو مجلس الشورى.

السنة ١٠٦: ١٣٨٨هـ/ ٦٩-١٩٦٨م

❖ توفي عدد من مشايخ دارالعلوم ومدرسيها، مثل: الشيخ السيد مبارك علي نائب رئيس الجامعة، والشيخ المقرئ حفظ الرحمن رئيس القراء.

السنة ١٠٧: ١٣٨٩هـ/ ٧٠-١٩٦٩م

❖ قام الطلاب بالإضراب عن التعليم في دارالعلوم، وهو أكبر إضراب وأعنفه في تاريخ دارالعلوم؛ فتمَّ فصل الطلاب المضربين.

❖ استفاد عدد من الباحثين من الدول الغربية من مكتبة دارالعلوم؛ فقد قامت

السيدة «باربرامتكاف» من كيلي فورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية بزيارة دارالعلوم في هذا الشأن، وألفت كتابًا قيمًا في تاريخ دارالعلوم، وهو «ديوبند: النهضة الإسلامية في الهند البريطانية» (Deoband: Islamic revival in British India).

❖ كما زار دارالعلوم عدد من الضيوف العرب من المغرب والجزائر والأردن، وأعجِبُوا بها إعجابًا كبيرًا.

❖ تمَّ إدخال التوسيع على مسجد «تشته».

السنة ١٠٨: ١٣٩٠هـ/ ٧١-١٩٧٠م

❖ تمَّ إدخال تعديلات على المنهج الدراسي لدارالعلوم، كما تقرر تقسيم الطلاب إلى الصفوف.

السنة ١٠٩: ١٣٩١هـ ٧٢-١٩٧١م

❖ كمل ما نقص من مباني كلية الطب، وتمَّ إنشاء المبنى الأفريقي الجديد.

❖ قام رئيس الجامعة بزيارة بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وألقى فيها كلمات ومحاضرات.

السنة ١١٠: ١٣٩٢هـ/ ٧٣-١٩٧٢م

❖ بفضل جهود مكثفة قام ببذلها كل من الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة والشيخ منة الله الرحماني عضو مجلس الشورى تمَّ إنشاء «هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين» حفاظًا على الهوية الدينية للمسلمين الهنود.

❖ توفي الشيخ فخرالدين المراد آبادي شيخ الحديث بالجامعة ورئيس هيئة التدريس بها.

❖ اختير الشيخ السيد فخرالحسن المرادآبادي رئيسًا لهيئة التدريس بالجامعة، والشيخ شريف الحسن الديوبندي شيخ الحديث بها.

❖ قام وفد ثقافي من مصر، وعدد من أساتذة جامعة طوكيو بزيارة دارالعلوم.

السنة ١١١: ١٣٩٣هـ/ ٧٤-١٩٧٣م

❖ قام وفد من رابطة العالم الإسلامي، ومسؤولو وزارة المعارف وممثلو إدارة المباحث العلمية بالمملكة العربية السعودية بزيارة دارالعلوم، كما قام السيد أكبرعلي خان حاكم ولاية أترابراديش بزيارتها.

السنة ١١٣: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م

❖ زار رئيس الجامعة (ري يو نيون) إفريقيا الشمالية، وحضر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، كما زار فرنسا وإنجلترا.

❖ قام بزيارة دارالعلوم شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، ووكيل الأزهر الشيخ عبد الرحمن البيطار، ومفتي مصر الشيخ محمد الخاطر، والشيخ محمد الفحام شيخ الأزهر سابقًا.

❖ كما زارها وفد مكوَّن من كل من يوسف السيد هاشم الرفاعي وزير بالحكومة الكويتية، والأستاذ عبد الرحمن رئيس تحرير مجلة البلاغ الكويتية، والشيخ عبد المعز عبد الستارمن قطر، والشيخ شرف الدين محدوف من طشقند.

❖ توفي الشيخ السيد محمد ميان الديوبندي عضو مجلس الشورى ٧/ من شوال.

❖ زار دارالعلوم «تان سري» الحاج عبد الحامد المفوض ذو المستوى العالي للحكومة الماليزية لدى الهند.

السنة ١١٤: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

❖ قام السيد فخرالدين علي أحمد رئيس الجمهورية الهندية، والشيخ فتحي عبد الحميد رئيس «منظمة تحرير فلسطين» مكتب اليابان بزيارة دارالعلوم.

السنة ١١٥: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

❖ توفي الشيخ شريف الحسن شيخ الحديث بدارالعلوم، وخلفه الشيخ نصير أحمد خان في شياخة الحديث.

السنة ١١٦: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

❖ زار دارالعلوم وفد تعليمي من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما زارها وفد مكون من مشايخ وطلاب منتمين إلى المملكة العربية السعودية، والسودان، والإمارات العربية المتحدة.

❖ توثقت العلاقات بين دارالعلوم وبين رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

❖ قام بزيارة دارالعلوم الشيخ عبد المحسن بن عباد وكيل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ صالح بن عبد الله عميد كلية الدعوة بها.

السنة ١١٧: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

❖ قررت دارالعلوم عقد مهرجانها المئوي، وبدأت ترتيباتها.وتم إدخال التحسينات على العديد من مبانيها.

السنة ١١٨: ١٤٠٠هـ/ ٨٠-١٩٧٩م

❖ احتفلت دارالعلوم بمهرجانها المئوي التاريخي العظيم في ٢١، ٢٢، ٢٣/ مارس ١٩٨٠م (جمادى الأولى ١٤٠٠هـ) يتراوح من حضره نحومليون ونصف من المسلمين. كما حضره أكثرمن ٨٠٠٠ من ممثلين ومندوبين حكوميين لمختلف دول العالم من الهند وباكستان وبنغلاديش بالإضافة إلى آسيا وإفريقيا وأمريكا وأوربا. كان المهرجان عظيمًا في معنى الكلمة، و كان له صدى في العالم كله. وقد جمع هذا المهرجان العظيم كلمة المسلمين وفتح آفاقًا جديدة للدعوة الإسلامية[١].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند ١/ ٢٧٨- ٤٢٣، والتقارير السنوية المحفوظة بالمكتبة وفي إدارة المحفوظات، و دارالعلوم عبرمئة عام للمقرئ محمد طيب/ رحمه الله.

الجامعة تحتفل بمهرجانها المئوي

لقد احتفلت الجامعة بمهرجانها المئوي -بمناسبة مرور مئة سنة على إنشائها- احتفالًا عظيمًا، لم يسبق نظيره في تاريخ المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية بل ربما في العالم كله. وقد استمرَّ الاحتفال ثلاثة أيام والذي حضره نخبة من كبار العلماء، وجِلَّة المشايخ، ورجال الفقه والإفتاء، والدعاة والمفكرين، والزعماء السياسيين، وأصحابُ وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ووفودُ مختلف الدول وبعثاتُها وممثلوها ووزراؤها وسفراؤها، وجموع حاشدة من عامة المسلمين، من شبه القارة الهندية والبلاد العربية والإسلامية، ومن أفريقيا وأوروبا وأمريكا.

موعد الاحتفال ومقامه

وقد عُقِدَ هذ الاحتفال بديوبند في الفترة ما بين ٣-٥ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ =٢١-٢٣ مارس ١٩٨٠م، ولاتخاذ الاستعدادات والترتيبات وإنجاح الاحتفال تم تشكيل ٢١ لجنة مكونة من الخبراء والإداريين وأساتذة دارالعلوم ومحبيها.

لقد شغل الاحتفال مليون متر مربع من ظاهر ديوبند- قرب قرية قاسم فوره-، فقد كانت مساحة ٦٠٠٠٠٠ قدم مربعة مسقوفة بالسرادقات، و مثلها كان سماويًّا (غير مسقوف). وكان مكان الاحتفال يحده السكة الحديدية غربًا، و نحو ميلين ونصف منها إلى البساتين شرقًا، والشارع العام شمالًا، ومصلى العيد جنوبًا.

وفي شرقي مكان الاحتفال أقيمت مخيمات للضيوف عليها لوحات مكتوبة فيها أسماءُ المناطق والولايات والبلاد. وتم تركيب ٣٠٠ مضخة ماء يدوية في أماكن مختلفة، وأما جنوبي مكان الاحتفال فقد أقيمت فيه مطاعم ومقاهٍ. وأما في الجانب الغربي فقد كان الجزء المسقوف للسرادقات يسع ٣٠٠٠٠٠ شخص،

ومثله كان غير مسقوف. ومخيمات الضيوف كانت خلف الجزء المسقوف.

وفي صدر الجانب الغربي من السرادقات بُنِيَتْ منصة ارتفاعها ١٠ أقدام، ومساحتها ١٥٠×٥٠، صُفِّفت عليها ٤٠٠ كرسي مجنح و مريح. وكانت في السرادقات خمس طرق تصل إلى المنصة للذهاب والإياب.

هذا وقد ظلَّت دارالعلوم تعقد حفلة إناطة العمائم منذ فجرها المبكر، ففي سنة ١٢٨٠هـ عقدت أول حفلة لإناطة العمائم حضرها الإمام محمد قاسم النانوتوي وأناط العمائم برأس شيخ الهند محمود حسن الديوبندي وزملائه. كما عقدت الحفلة في كل من سنتي ١٢٩٨و ١٣٠١هـ، التي تَوَّجَ فيها الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رؤوس المتخرجين.

كذلك عقدت سنة ١٣٢٨هـ =١٩١٠م على عهد الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي حفلة تاريخية أكرم فيها نحو ١٠٠٠ متخرج بالعمائم، وحضرها نحو مئة ألف شخص.

وعقد الاحتفال المئوي بعد ٧٠ سنة على عهد رئاسة الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الأسبق، وقد توفي عدد كبيرمن المتخرجين خلال هذه الفترة الطويلة، وسعد بحضور الاحتفال أكثر من ١٠٠٠٠ متخرج.

الحضور والمشاركون فيه

لقد حضر الاحتفال ثمانية آلاف ممثل لمختلف دول قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا علاوة على من شاركوا فيه من شبه القارة الهندية (الهند وباكستان وبنغلاديش).وكانوا شخصيات ممتازة، ورجالات مشهورة من المحدثين، وعلماء الدين، والدعاة والمصلحين، وأقطاب الفكر الإسلامي، والزعماء السياسيين، وخبراء التعليم والتربية، وأصحاب التزكية والإحسان، والإعلاميين، بالإضافة إلى آلاف مؤلفة من متخرجي دارالعلوم ومنسوبيها وعامة المسلمين من أرجاء الهند خاصة ومن العالم كله عامة.

فقد شارك في الاحتفال وفد خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك خالد بن

عبد العزيز آل سعود/ رحمه الله برئاسة فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (آنذاك) وأربعة وفود سعودية أخرى تمثل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، والمؤسسات والمنظمات الأخرى برئاسة رؤسائها. كذلك اشترك فيه وفد من دولة الكويت مكوَّن من كل من معالي الوزير الدكتور يوسف الرفاعي، ومدير الشؤون الدينية الشيخ عبد الله العقيل وغيرهما، وذلك برئاسة معالي وزير الأوقاف الشيخ يوسف جاسم الحجي.

كما حضره من كبار الشخصيات معالي الوزير الشيخ عبد المنعم النمر من مصر العربية، والشيخ أحمد بن محمد أمين كفتارو مفتي سوريا، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ أبو صالح الحاروني، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى من المملكة العربية السعودية، والشيخ أحمد عبد العريز آل مبارك رئيس محكمة القضاء الشرعي من أبو ظبي، و الشيخ عبد الله علي المحمود من الشارجة، والدكتور يوسف القرضاوي، والمقرئ عبد الباسط عبد الصمد المصري، والمفتي أحمد بن محمد خليلي مفتي عمان، والدكتور عبد الله الزاهد وكيل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ ناصرا العبودي، والسيد احتشام كاظمي من الولايات المتحدة الأمريكية، والشيخ عبد الحق عمر جي من جنوب إفريقيا، والشيخ عبيد الحق من داكا ببنغلاديش.

كما شارك فيه ثماني مئة شخص من باكستان بقطار خاص نظَّمته الحكومة الباكستانية والذي أوصلهم إلى الحدود الهندية الباكستانية، ثم حملهم منها قطار هندي خاص إلى ديوبند، وقد رأسهم كبار الشخصيات الباكستانية أمثال الشيخ المفتي محمود كبير وزراء ولاية سرحد، والشيخ غلام الله، والشيخ عبد الحق الأكاروي، والمفتي محمد تقي العثماني ومن إليهم من العلماء والمشايخ المعروفين، بجانب ممثل الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق القاضي أفضل جيمه، ومستشاره الخاص الطبيب محمد سعيد الدهلوي.

كذلك حضره ممثلو المملكة الأردنية الهاشمية، و العراق، و قطر، وعمان،

وفلسطين، ووفود الإمارات العربية المتحدة، وليبيا، وإيران، وبنجلاديش، وألمانيا الغربية، وإنجلترا، وأمريكا، وروسيا، وسري لنكا، والنيبال، وبورما، وإفريقيا الجنوبية والشمالية، وري يونين، وكينيا، وماليزيا، وموريشيوش.

ووَجَّه رئيس الجمهورية الهندية السيد «نيلام سنجيفا ريدي» رسالة تهنئة حارة، كما حضرت السيدة أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند الاحتفال، وألقت فيه كلمتها الضافية في الجلسة الافتتاحية.

وقد قامت بتغطية مداولات الاحتفال بالإضافة إلى كبرى الصحف الهندية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة المحلية والعالمية، مجلةُ «البلاغ» الكويتية، وجريدة «أخبارالعالم الإسلامي» بمكة المكرمة، و«عرب تائمز» الكويتية، ومجلة «صوت الشرق» القاهرية، ومجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، ومجلة «منبرالإسلام» المصرية، ومجلة «الشريعة» الأردنية، وجريدة «المدينة» السعودية.

فعّاليّاته ومداولاته

كانت للاحتفال خمس جلسات. بدأت الجلسة الأولى الافتتاحية بعد صلاة الجمعة ٣/ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ =٢١/ مارس ١٩٨٠م، ورأس الجلسة الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي، واستهلها المقرئ عبد الباسط عبد الصمد المصري بتلاوته العذبة الساحرة، وألقى فيها فضيلة الشيخ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف بدولة الكويت كلمته الافتتاحية التي أشاد فيها بجهود دارالعلوم آملا أنّ الاحتفال يجمع كلمة الأمة الإسلامية وينشر رسالة الإسلام وتعاليمه السمحة في العالم كله. كما ألقى حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب/ رئيس الجامعة كلمة التحية والترحيب التي أوجز فيها جهود دارالعلوم وإنجازاتها الممتدة على مئة وسبعة عشر عامًا، وشكر أجزل الشكر من حضر الاحتفال وشارك فيه من الممثلين ومتخرجي دارالعلوم وعامة المسلمين.

ثم ألقى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس الجلسة كلمته الرئاسية التي بلَّغ فيها المشاركين والمستمعين تحيات خادم الحرمين الشريفين

جلالـة الملـك خالـد بـن عبـد العزيـز/ آل سـعود، وتـلا علـيهم رسـالة ولي عهـده صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز/ آل سعود، وقال: «إن المسلمين يعترفون بما قامت به دارالعلوم من خدمات جليلة للإسلام وعلومه. وإن جهود مشايخ دارالعلوم تستحق كل تحبيذ وتقدير».

ثـم نوَّهـت الـسيدة أنـديرا غانـدي رئيـسة وزراء الهنـد في كلمتهـا الـضافية بجهـود دارالعلـوم الدينيـة والثقافيـة والقوميـة، مـضيفة: «أن مـشاركة علـماء ودعـاة العالم الإسلامي ومتخرجي دارالعلوم في الاحتفال تدُلُّ على ما تتمتع به دارالعلوم من مكانة سامية في العالم الإسلامي.كما أضافت قائلة: إن مشايخ دارالعلوم بدؤوا بحركة استقلال البلاد، ولكنها فشلت لسوء الحظ آنئذ، إلا أنها أثارت في قلوب أهل الهند مشاعر الحرية، فبذلوا جهودهم حتى نالت الهند استقلالها».

وفي جلسات الاحتفال الخمس ألقى كبار العلماء من الهند – بالإضافة إلى العلـماء و المـشايخ مـن خارجهـا- كلماتهـم، وهـم العلامـة أبـو الحسن عـلي الحسني النـدوي، والـشيخ محمـد منظـور الـنعماني، والـشيخ منة الله الرحمـاني، والـشيخ سـعيد أحمد الأكبر آبادي، والشيخ حامد الأنصاري غازي، والمفتي عتيق الرحمن العثماني، والقاضي زين العابدين الميروتي، والشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي، والشيخ مسيح الله الـشرواني، والمقـرئ صـديق أحمـد البانـدوي، والـشيخ أبـرار الحـق الهردوئـي، والشيخ أسعد المدني ومن إليهم.

ولمـا كـان المـشاركون في الاحتفـال مـن متخـرجي دارالعلـوم وغـيرهم فـاقوا كل حسبان لم يتيسر إناطةُ العمائم كالسابق، فتم اختيار علماء ذوي مكانة مرموقة من شبه القارة الهندية (الهند وباكستان وبنغلاديش) ، فقاموا بإناطة العمائم – ما أمكنهم- بالمتخرجين، وأما من تبقى من المتخرجين فوزَّعوا عليهم العمائم.

التجمع الإنساني العظيم

تـدفقت تجمعـات المـشاركين حتـى اغـتص بهـم مكـان الاحتفـال مـسقوفه وسماويُّه و طرقه جميعًا، وماج بها حواليه بهم موجًا، فلا ترى منتهى البصر إلا سيلا

عارمًا من الناس. وكان على الشارع العام خيط من الحافلات لا ينقطع، وكانت القطر الخاصة تصل إلى محطة ديوبند ساعة فساعة، حتى فاق عدد المشاركين والمستمعين كل حسبان. وقد قُدِّر عددهم بمليونين ونصف مليون شخص.

لقد شاهد علماء العالم الإسلامي ومشايخه وقادته وزعماؤه هذا التجمع الإنساني العظيم الذي لم يشهده مكان ما في العالم سوى عرفات الله في أيام الحج، مما جعلهم يستشعرون بالعاطفة الديينة، والحماسة الإسلامية، و يعترفون لمؤسسي دارالعلوم ومشايخها بفراستهم الإيمانية وبصيرتهم الدينية، وخدماتهم الجليلة، ويعبرون لهم عن حبهم وولائهم من أعماق قلوبهم وقرارة نفوسهم.

وقد كتب الأستاذ إبراهيم محمد سرسيق ممثل جريدة المدينة بعددها الصادر يوم السبت ١٩/ ٥/ ١٤٠٠هـ في تقريره الطويل النفَس عن الاحتفال وانطباعاته عنه وعن الجامعة:

«... إن ما رأيته من احتفاء الناس بهذه الجامعة، قد أثلج صدري حقًا، فمن الصعب أن يُوجد هذا التعاطف بين الناس ومؤسساتهم العلمية بهذه الدرجة من الحب والتلاحم والذوبان الروحي والتعلق القلبي.

«التعاطف هو الذي ساعدني أن أرى مشهدًا ما شهدته قط إلا في الحج الأكبر في عرفات الله... »

جملة القول أن الاحتفال كان عظيمًا غيرمسبوق بالنظير، أظهر شوكة المسلمين في الهند، وبُعْدَ نظر علماء ومشايخ دارالعلوم، كما كان مبعث روحانية وإيمان، ومدعاة إلى العمل بتعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومثالا حيًا للأخوة الإسلامية، ودليلا صارخًا على علاقة الأمة الإسلامية بدارالعلوم. وقد استمرت فعالياته ومداولاته ثلاثة أيام، ثم انتهى بتوصيات فتحت للأمة الإسلامية آفاقًا واسعة للتفكير والعمل[1].

---

(١) مختصر روداد اجلاس لأظهر صديقي دفترصد ساله دارالعلوم ديوبند، ونظام الأوقات اجلاس صد ساله دارالعلوم ديوبند، ازدفترصد ساله، وجهان ديده للمفتي محمد تقي عثماني، ٤٩٦-٥١٢، والعالم الهندي الفريد الشيخ المقرئ محمد طيب للشيخ نور عالم خليل الأميني، ص: ٤٩-٥١.

العصر الرابع

(١٤٠١- ١٤٤٢هـ =١٩٨١- ٢٠٢١م)

(٤٢ سنة)

يبتدئ هذا العصر منذ ما بعد المهرجان المئوي للجامعة، ويمتد إلى رئاسة الرئيس الحالي: الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني، وقد تولى قبله رئاسة الجامعة كلٌ من الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري، والشيخ غلام محمد الوستانوي. مرَّت الجامعة بعد مهرجانها المئوي بظروف عصيبة، ووقعت نزاعات شديدة، وبفضل من الله وعونه تمخضت الظروف العصيبة والنزاعات الشديدة عن صحوة للجامعة، مما جعلها تسير بخطى حثيثة على مسارالتقدم والنجاح.

تولى في هذا العصر رئاسةَ هيئة التدريس الشيخُ معراج الحق، فالشيخ نصير أحمد خان، فالشيخ سعيد أحمد البالنبوري، فالشيخ السيد أرشد المدني/ حفظه الله.

شهدت دارالعلوم في هذا العصر تطوُّرًا عظيمًا في المجالات التعليمية والإدارية والبنائية، وتوسَّع نطاقُها حتى تضاعف من ذي قبل، وطبَّق صيتُها في أقطار العالم حتى ردَّدت اسمَها وسائلُ الإعلام العالمي حينًا بعد حين. وفيما يلي نستعرض أهم الإنجازات التي تمَّت في هذا العصر.

أهم الأحداث والإنجازات في العصر الرابع

السنة ١١٩: ١٤٠١هـ/ ٨١- ١٩٨٠م

❖ في دورة مجلس الشورى المنعقدة في رجب ١٤٠١هـ (مايو ١٩٨١م) طلب الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة من مجلس الشورى أن يخفِّفَ من

أعبائه الإدارية لضعفه وطعنه في السن، ويُعَيِّن من ينوبه ويساعده، فاختار مجلس الشورى الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري مساعدًا له، والشيخ محمد عثمان الديوبندي- سبط شيخ الهند محمود حسن الديوبندي- نائبًا له، وقد وافق جميع أعضاء مجلس الشورى على هذا الاختيار.

- ❖ توفي الشيخ فخر الحسن المرادآبادي رئيس هيئة التدريس، والشيخ مصطفى العلوي اللكنوي عضو مجلس الشورى.
- ❖ تمَّ اختيار الشيخ معراج الحق الديوبندي رئيسًا لهيئة التدريس في شوال عام ١٤٠١هـ (أغسطس ١٩٨١م).
- ❖ حدثت اضطرابات وصراعات أدَّت إلى الإعلان عن إجازة الطلاب، وإغلاق الجامعة، وذلك في شهر أكتوبر.
- ❖ قام عدد من الأساتذة والمدرسين بمساعدة أهالي المدينة بإسكان الطلاب في المخيمات بالقرب من دارالعلوم وإقامة الفصول الدراسية لهم فيها.

السنة ١٢٠: ١٤٠٢هـ/ ٨٢-١٩٨١م

- ❖ خلال الاضطرابات في دارالعلوم عُقِدَت دورة مجلس الشورى لشهر ربيع الأول في مسلم مسافرخانه (دارالضيافة للمسلمين) بمدينة لكناؤ، وعيَّن الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري كرئيس للجامعة للقيام بشؤونها الإدارية.
- ❖ فُتِحت دارالعلوم مرة أخرى في ٢٩/ جمادى الأولى (٢٥/ مارس١٩٨٢م) بعد ما استمرَّ إغلاقها خمسة أشهر، وأخذ مجلس الشورى يقوم بالإشراف على شؤونها التعليمية والإدارية، وعاد إليها كثير من الطلاب، كما عاد كثير من الأساتذة والموظفين إلى وظائفهم.
- ❖ عُقِدَ اجتماع طارئ لمجلس الشورى بدار الضيافة للمسلمين بمدينة لكناؤ في٢٤/ شوال (١٥/ أغسطس)، حضره من أعضاء المجلس كلٌ من المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ أبوالحسن

علي الحسني الندوي، والشيخ عبد الحليم الجونفوري، والقاضي زين العابدين الميروتي، والشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي، والسري عبيد الرحمن خان الشيرواني، والشيخ عبد القادر الماليغانوي، والطبيب محمد زمان الحسيني، والحاج علاؤ الدين البمبوي، و الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري، والشيخ معراج الحق الديوبندي، والشيخ محمد عثمان الديوبندي، وعيَّن الشيخ مرغوب الرحمن رئيسًا دائمًا للجامعة [١].

السنة ١٢١: ١٤٠٣هـ/ ٨٣-١٩٨٢م

- ❖ تمَّ تعيين الشيخ عبد الحق الأعظمي، والشيخ أرشد المدني، والشيخ نعمت الله الأعظمي مدرسين.
- ❖ أُنشئت أكاديمية شيخ الهند واختير الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي مديرًا لها.
- ❖ تمَّت الموافقة على مرتبة المدرس المساعد. قام مجلس الشورى بالموافقة على قرار عقد اجتماع إناطة العمائم لمتخرجي الجامعة من بنغلاديش في بلادهم. عُقِد الاجتماع لتوفير القمح في دار العلوم.
- ❖ توفي الشيخ المقرئ محمد طيب في ٦/ شوال ١٤٠٣ الموافق ١٧/ يوليو ١٩٨٣م.

السنة ١٢٢: ١٤٠٤هـ/ ٨٤-١٩٨٣م

- ❖ بلغ عدد الطلاب ٢٣٥٠ طالبًا، وبلغت الميزانيَّة السنوية ٥.٢ مليون روبية. وتمَّت الموافقة على مشروع إنشاء الوحدات السكنية للمدرسين والموظفين.
- ❖ تمَّ إرسال وفود وبعثات المدرسين والأعضاء الموقرين في طول البلاد وعرضها بالإضافة إلى باكستان وماليزيا والدول العربية، وذلك لإيضاح موقف دار العلوم وجمع المساعدات المالية لها.
- ❖ توفي فضيلة المفتي عتيق الرحمن العثماني عضو مجلس الشورى.

---

(١) راجع للاستزادة تقارير عن اجتماعات مجلس الشورى عام ١٤٠٢هـ.

السنة ١٢٣: ١٤٠٥هـ/ ٨٥-١٩٨٤م

❖ تمَّ اختيار الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي مساعد رئيس الجامعة.
❖ جاءت الموافقة على مشروع بناء الوحدات السكنية للمدرسين.
❖ استقال الشيخ حامد الأنصاري الغازي من مجلس الشورى، كما استقال الشيخ المقرئ صديق أحمد الباندوي من مجلس الشورى لشواغله الكثيرة.
❖ اخْتِيْرفضيلة المفتي محمود حسن الكنكوهي رئيس هيئة الإفتاء.
❖ توفي الشيخ محمد عثمان الديوبندي نائب رئيس الجامعة.
❖ اخْتِيْر الشيخ أسعد المدني عضوًا لمجلس الشورى.
❖ وافق مجلس الشورى على مشروع إنشاء دارالتربية والمسجد الكبير.
❖ تمَّ إصدار جريدة نصف شهرية باسم «بيام دارالعلوم».
❖ زار دارالعلوم عمرو موسى سفيرجمهورية مصر العربية لدى الهند.

السنة ١٢٤: ١٤٠٦هـ/ ٨٦-١٩٨٥م

❖ تمَّ عزل الشيخ أبوسعود عن عضوية مجلس الشورى.
❖ تمّ تسجيل «بيام دارالعلوم» باسم «آئينه دارالعلوم».
❖ توفي الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي عضو مجلس الشورى في ٣/ رمضان.
❖ قامت جامعة الأزهر بمصر بإرسال مبعوثها الشيخ عبد الله جمعة رضوان إلى دارالعلوم لتعليم اللغة العربية.
❖ قام الشيخ فؤاد صادق سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند بزيارة دارالعلوم.
❖ قام وفد رفيع المستوى مكوَّن من كبير وزراء ولاية أترابراديش والزعماء السياسيين بزيارة دارالعلوم.
❖ زار دارالعلوم وفد يضمُّ أكثرمن ٣٠٠ من العلماء الباكستانيين الذين كانوا قد جاؤوا للحضور في ندوة شيخ الهند المنعقدة في دهلي.
❖ زار دارالعلوم الدكتورفتحي عثمان مندوب الجمعية العربية الإسلامية.

- ❖ تمَّ إغلاق كلية الطب التابعة لدارالعلوم لمشاكل وقضايا متنوعة.
- ❖ تمَّ تنظيم المدرسة الثانوية إدخالا للتحسينات على منهجها التعليمي.
- ❖ وُضِع الحجر الأول للمسجد الجديد المعروف بـ«جامع رشيد».
- ❖ تمَّ إنشاء مكتب قسم التنسيق والتطور فرع مومبائي.

السنة ١٢٥ : ١٤٠٧هـ/ ٨٧-١٩٨٦م

- ❖ بلغت الميزانية ٩.٢ مليون.
- ❖ قامت دارالعلوم بعقد اجتماع لمكافحة القاديانية ونشاطاتها المتزايدة حضره عدد كبير من العلماء والمفكرين من البلاد وخارجها.
- ❖ تمَّ تشكيل «مجلس صيانة ختم النبوة».
- ❖ تمَّ إنشاء السكن الطلابي المعروف بـ «أعظمي منزل».

السنة ١٢٦ : ١٤٠٨هـ/ ٨٨-١٩٨٧م

- ❖ بلغت الميزانية السنوية ١٣.٤ مليون روبية.
- ❖ توفي الحاج علاء الدين البمبوي عضو مجلس الشورى.
- ❖ قام بزيارة دارالعلوم إمامُ الحرم المكي الشريف محمد بن عبد الله السبيل، فأقيمت حفلة كريمة ترحيبًا به.
- ❖ زار دارالعلوم الشيخ فيصل عبد العزيز الزربلي المدير التنفيذي للبنك الإسلامي بجدة.

السنة ١٢٧ : ١٤٠٩هـ/ ٨٩-١٩٨٨م

- ❖ بلغ عدد الطلاب ٢٥٧٥ طالبًا، وعدد المدرسين ٣٤ مدرسًا، وعدد الموظفين ٣٠٠ موظف.
- ❖ اخْتِيْرَ الشيخ غلام رسول خاموش عضوًا لمجلس الشورى.
- ❖ توفي الداعية المعروف الشيخ إرشاد أحمد أحد الدعاة والمناظرين في قسم الدعوة والإرشاد والمناظرة.

❖ قام مجلس صيانة ختم النبوة بعقد مخيَّم تربوي في الـرد عـلى القاديانيـة جـرت فعَّالياته عشـرة أيام.

❖ عُقِدَ اجتماع لجمع القمح من الفلاحين في المنطقة.

❖ شارك وفد من طلاب دارالعلوم في المخـيَّم التربـوي العـالمي الـذي انعقـد في ماليزيا.

السنة ١٢٨: ١٤١٠هـ/ ٩٠-١٩٨٩م

❖ تمَّت الموافقة على مشروع إنشاء قسم للرد على الهندوسـية والمـسيحية والفـرق الضالة.

❖ تمَّ عزل الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي عن دارالعلوم.

❖ توفي الطبيب الشيخ عبد الجليل الدهلوي عضو مجلس الشورى.

❖ عُقدَ اجتماع في دارالعلوم لمتخرجيها لاستعراض خدماتها خلال ثمانية الأعوام الماضية.

❖ زار دارالعلوم الشيخ محمد محروس الأعظمي العراقي.

السنة ١٢٩: ١٤١١هـ/ ٩١-١٩٩٠م

❖ قرر مجلس الشورى فتح قسم التخصص في الحديث.

❖ توفي الشيخ سعيد بزرك رئيس الجامعة الإسـلامية بـدابيل غـوجرات، والقـاضي زين العابدين الميروتي، والشيخ منة الله الرحماني أعضاء مجلس الشورى.

❖ اخْتِيْرَ الشيخ إسماعيل موتا من «غوجرات» والشيخ نـاظر حـسين مـن «هـافور» (أترابراديش) عضوين لمجلس الشورى.

السنة ١٣٠: ١٤١٢هـ/ ٩٢-١٩٩١م

❖ توفي الشيخ معراج الحق الديوبندي رئيس هيئة التدريس، واختير الشيخ نصير أحمد خان رئيسًا لهيئة التدريس.

❖ توفي الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والسـري عبيـد الـرحمن الـشيرواني عـضوا

مجلس الشورى.

السنة ١٣١ : ١٤١٣هـ/ ٩٣-١٩٩٢م

❖ توفي الشيخ عبد القادر الماليغانوي من ولاية مهاراسترا عضو مجلس الشورى.
❖ توفي الشيخ حامد الأنصاري الغازي عضو مجلس الشورى.
❖ اخْتِيْرَ الشيخ أبوالقاسم النعماني، والشيخ أزهرالرانجوي، والشيخ إسماعيل الكتكي، والشيخ بدر الدين أجمل الآسامي، أعضاء لمجلس الشورى.
❖ قام الشيخ مرغوب الرحمن رئيس الجامعة بزيارة إفريقيا الجنوبية وموريشش وريونيون (Re union) والمملكة العربية السعودية.

السنة ١٣٢ : ١٤١٤هـ/ ٩٤-١٩٩٣م

❖ بلغت الميزانية السنوية ٢٥ مليون روبية.
❖ تمَّ تنظيم إلقاء المحاضرات في الفرق والديانات.
❖ قرَّر مجلس الشورى بناء «رواق شيخ الإسلام» المعروف بـ« آسامي منزل».
❖ تمَّ تجديد مبنى المضيفة.
❖ عُقِدَ اجتماع لجمع القمح.

السنة ١٣٣ : ١٤١٥هـ/ ٩٥-١٩٩٤م

❖ توفي الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي.
❖ عُقِد اجتماع حضره مندوبو المدارس الإسلامية لبحث التحديات والمشكلات التي تواجهها المدارس الإسلامية في البلاد، وأنشئ مكتب رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند في دارالعلوم.
❖ تبَنَّت مئات من المدارس الإسلامية في البلاد عضوية الرابطة.
❖ تمَّ تطبيق المنهج الدراسي الذي قامت الرابطة بإدخال التعديلات والتحسينات فيه.

السنة ١٣٤ : ١٤١٦هـ/ ٩٦-١٩٩٥م

❖ بلغت الميزانية السنوية ٣١.٨ مليون روبية.

❖ ابتدأت أكاديمية شيخ الهند بتدريب الطلاب على الصحافة.

السنة ١٣٥: ١٤١٧هـ/ ٩٧-١٩٩٦م

❖ توفي المفتي الأكبر الشيخ محمود حسن الكنكوهي.
❖ أنشئ قسم الحاسوب لتزويد الطلاب بالتعليم المهني.
❖ توفي الشيخ محمد منظور النعماني عضو مجلس الشورى.

السنة ١٣٦: ١٤١٨هـ ٩٨-١٩٩٧م

❖ قام بزيارة دارالعلوم إمام المسجد الأقصى فضيلة الدكتور الشيخ محمود الصيام، وأقيمت حفلة كريمة في جامع رشيد ترحيبًا به.
❖ زار دارالعلوم وفد رفيع المستوى مكوَّن من السيدة «شيلا دكشت» قاضية محكمة «إله آباد» العالية ورجال القانون.
❖ زار دارالعلوم وفد من إنجلترا يرأسه الدكتور محتشم.
❖ تمَّ إنشاء قسم شراء البضائع.

السنة ١٣٧: ١٤١٩هـ/ ٩٩-١٩٩٨م

❖ عقدت رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند في مقرها الرئيسي: دارالعلوم بديوبند اجتماعًا عامًا.

السنة ١٣٨: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠-١٩٩٩م

❖ توفي الشيخ عبد الحليم الجونفوري عضو مجلس الشورى.
❖ تمَّ تشكيل لجنة للرد على المسيحية لمكافحة ما تقوم به الجمعيات التبشيرية من نشاطات في البلاد.
❖ تمَّ تنظيمُ الشبكة العنكبوتية في الحاسوب وفتحُ موقع دارالعلوم فيها تحقيقًا للحاجيات والمقتضيات المعاصرة.
❖ أنشئ مكتب الحاسوب لكتابة مجلة «الداعي» العربية، ومجلة «دارالعلوم» الأردية.

❖ توفي الشيخ المفتي نظام الدين الأعظمي أحد أعضاء هيئة الإفتاء.
❖ توفي الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي عضو مجلس الشورى.

السنة ١٣٩: ١٤٢١هـ/ ٠١- ٢٠٠٠م

❖ توفي الطبيب محمد زمان الحسيني عضو مجلس الشورى.
❖ تمَّ إنشاء قسم التخصص في الحديث.
❖ كمُل بناء مبنى تحفيظ القرآن المعروف بـ مبنى «حكيم الأمة».

السنة ١٤٠: ١٤٢٢هـ/ ٠٢- ٢٠٠١م

❖ خلال الهجوم الأمريكي على أفغانستان ردَّدت وسائل الإعلام العالمي بشكل مستمر اسم دارالعلوم بديوبند مدعية اتصال جذور «طالبان» الفكرية بها. فقام كثير من مراسلي وسائل الإعلام العالمي وسفراء الدول بزيارتها.

السنة ١٤١: ١٤٢٣هـ/ ٠٣- ٢٠٠٢م

❖ تمَّ إنشاء قسم اللغة الإنجليزية وآدابها تحقيقًا للأغراض الدعوية وتعريفًا بدارالعلوم تعريفًا عالميًّا.
❖ زار دارالعلوم سفيرُ فرنسا.

السنة ١٤٢: ١٤٢٤هـ/ ٠٤- ٢٠٠٣م

❖ قامت دارالعلوم ورابطة المدارس الإسلامية بشن حملة لإنشاء الكتاتيب الإسلامية في طول البلاد وعرضها.
❖ تمَّت الموافقة على مشروع مكتب الإعلام لتقديم وعرض الصورة الصحيحة لدارالعلوم.
❖ اخْتِيْرَ الشيخ غلام رسول خاموش عضو مجلس الشورى رئيسًا تنفيذيًّا للجامعة.

السنة ١٤٣: ١٤٢٥هـ/ ٠٥- ٢٠٠٤م

❖ وافق مجلس الشورى على مشروع هدم المبنى المتداعي للدار الجديدة وإعادة بنائها.

❖ كما وافق مجلس الشورى على بناء مكتبة كبيرة مزوَّدة بالتسهيلات الحديثة تسمى «مكتبة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي».
❖ تمَّ إنشاء قسم الشبكة العنكبوتية بشكل مستقل لنشر رسالة دارالعلوم ولتوجيه المسلمين وإرشادهم عبرتكنولوجيا المعلومات.

السنة ١٤٤ : ١٤٢٦هـ/ ٠٦- ٢٠٠٥م

❖ توفي الشيخ إسماعيل الكتكي عضو مجلس الشورى.
❖ تمَّت الموافقة على مشروع إنشاء قسم اللغة الهندوسية.
❖ زار دارالعلوم وفد مكوَّن من الزعماء السياسيين يرأسه الشيخ فضل الرحمن رئيس جمعية علماء الإسلام وقائد «متحده مجلس عمل» بباكستان.
❖ قام بزيارة دارالعلوم السيد «رابرت بليك» رئيس البعثة الأمريكية.
❖ تمَّ إنشاء قسم جمع وترتيب فتاوى دارالعلوم.

السنة ١٤٥ : ١٤٢٧هـ/ ٠٧- ٢٠٠٦م

❖ توفي الشيخ السيد أسعد المدني، والشيخ إسماعيل موتا عضوا مجلس الشورى.
❖ أنشئ قسم صيانة السنة لمكافحة النشاطات المتزايدة للّامذهبيين.
❖ سافر الشيخ مرغوب الرحمن رئيس الجامعة إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
❖ زار دارالعلوم وفد من أعضاء البرلمان الباكستاني من «متحدة مجلس عمل» برئاسة الشيخ فضل الرحمن.
❖ قام بزيارة دارالعلوم وفد أندونيسي يضم ٧ أعضاء.

السنة ١٤٦ : ١٤٢٨هـ/ ٠٨- ٢٠٠٧م

❖ تمَّ افتتاح موقع باللغتين العربية والأردية لنشر فتاوى دارالإفتاء فيه.
❖ عُقِد اجتماع لجمع الحبوب من الفلاحين.
❖ عقدت رابطة المدارس الإسلامية اجتماعها العام في دارالعلوم الذي ندَّد بما طرحته الحكومة الهندية من مشروع الهيئة المركزية للمدارس الإسلامية، مما

جعل الحكومة تسحب مشروعها.

❖ قام بزيارة دارالعلوم وفد يضم ٣ أعضاء من السفارة الأمريكية لدى الهند.

السنة ١٤٧ : ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

❖ تمَّ نصب ماكينة الصـرَّاف الآلي وفتحُ مكتب صرف تذاكرالقطار بالقرب مـن الرواق الأعظمي (رواق شيخ الهند).

❖ ابتدأ نشر نتائج الامتحان على موقع دارالعلوم.

❖ استقال الشيخ نصير أحمد خان من دارالعلوم لـضعفه وانحـراف صـحته، وعُـيِّن مكانه الشيخ سعيد أحمد البالنبوري شيخ الحديث ورئيس هيئة التدريس.

❖ عقدت دارالعلوم «مؤتمرمكافحة الإرهاب لعموم الهند» وأوضـحت موقفهـا من الإرهاب وأنواعه. ولقي موقفها من الإرهاب تأييدًا من وسـائل الإعـلام العالمي.

❖ ظهرت الخلافات في جمعية علماء الهند، مما جعـل الـشيخ الـسيد أرشـد المـدني يستقيل من منصبه: عميد القبول والتـسجيل، والـشيخ المقـرئ محمـد عـثمان المنصورفوري يستقيل من منصبه: نائب رئيس الجامعة.

❖ اخْتِيْرَ الشيخ عبد الخالق السنبهلي نائب رئـيس للجامعـة، والـشيخ مجيـب الله الغوندوي عميدًا للقبول والتسجيل.

السنة ١٤٨ : ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

❖ وافق مجلس الشورى على الميزانية الـسنوية التـي تُقَـدَّر بــ ١٣٠ مليـونَ روبيـة للمشاريع التعليمية والإدارية والبنائية.

❖ تمَّ إلغاء ما يتمتع به رئيس الجامعة من امتيازات خاصة في قبول الطلاب.

❖ زار دارالعلوم السيد «ملائم سنغ يادو» كبير وزراء ولاية أترابراديش سابقًا.

❖ ابتدأ جمع وترتيب فتاوى دارالعلوم، فظهر إلى النور المجلدُ الثالث عشر من «فتـاوى دارالعلوم» الذي يحتوي على فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني.

❖ احتجبت جريدة «آئينه دارالعلوم» الأردية لأسباب عديدة.

السنة ١٤٩: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

❖ توفي كل من الشيخ نصير أحمد خان، والشيخ غلام رسول خاموش الرئيس التنفيذي للجامعة.

❖ زار دارالعلوم فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيزعبد الله العمار وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف للمملكة العربية السعودية والوفد المرافق له.

❖ قام بزيارة دارالعلوم وفد ماليزي يضم ٨ أعضاء وهم محمد عماد عبد الله وزير المعارف بولاية كلنتان، داتون داود قاضي القضاة، والشيخ شكري محمد المفتي الأكبر بماليزيا، ومن إليهم.

❖ زار دارالعلوم فقيه قطر وعالمها المعروف الشيخ محي الدين القره داغي والوفد المرافق له. كما قام بزيارتها فضيلة المفتي محمد تقي العثماني.

السنة ١٥٠: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

❖ توفي الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري غرة شهر المحرم الحرام.

❖ اخْتِيْرَ فضيلة المفتي الشيخ أبو القاسم النعماني رئيسًا تنفيذيًا للجامعة.

❖ قام مجلس الشورى باختيار الشيخ غلام محمد الوستانوي رئيسًا للجامعة في دورته المنعقدة في شهر صفر.

❖ عقب اختيارالشيخ غلام محمد الوستانوي رئيسًا للجامعة ساءت الأوضاع في دارالعلوم، فعقد مجلس الشورى اجتماعه الطارئ في ١٩/ ربيع الأول واختار الشيخَ أبو القاسم النعماني رئيسًا تنفيذيًا للجامعة مرة أخرى. ثم اختاره رئيسًا دائمًا لها في دورته المنعقدة في شعبان.

❖ بلغت الميزانية السنوية ١٧٠ مليونَ روبية.

❖ زار دارالعلوم عدد من كبار علماء المملكة العربية السعودية: فقد زارها الداعية المعروف فضيلة الشيخ الدكتورعبد الله بن عائض القرني صاحب كتاب«لاتحزن» والوفد المرافق له، وذلك في ٧/ ربيع الأول، وألقى خطابًا هامًّا

في جامع رشيد بالجامعة، كما زارها الفقيه المحدث محمد بن محمد عوامة وألقى كلمته القيمة في جامع رشيد يعرب فيها عن مشاعره وانطباعاته نحو الجامعة ومشايخها وأساتذتها وطلابها، وذلك في ١٤/ ربيع الأول.

❖ قام بزيارة دارالعلوم إمام الحرم المكي الشريف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس يوم الجمعة: ٢٠/ ربيع الآخر، وألقى كلمة هامة في جامع رشيد، ثم خطب خطبتي الجمعة وصلاها، وسعد بالصلاة خلفه مئات آلاف من المسلمين.

❖ زار دارلعلوم المصلح الداعية الشيخ ذوالفقار النقشبندي الباكستاني، وأقام فيها ثلاثة أيام، وذلك في ٧/ جمادى الآخرة.

❖ قامت دارالعلوم بإرسال مذكرة إلى خادم الحرمين الشريفين تطلب فيها الحظر على دخول القاديانيين الحرمين الشريفين بشكل فاعل.

السنة ١٥١ : ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

❖ قام بزيارة دارالعلوم إمام الحرم المكي الشريف فضيلة الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم، وذلك يوم الأحد: ١٠/ ربيع الأول الموافق ٤/ مارس، فأقيمت حفلة ترحيب به في جامع رشيد. وفي نهايتها ألقى فضيلته كلمة هامة يعرب فيها عن مشاعره نحو الجامعة وجهود مشايخها، ثم صلى بالحضور الظهر. وقُدِّر من صلوا خلفه بمئات آلاف من الناس.

❖ اختارت دورة مجلس الشورى المنعقدة في صفر كلًا من المفتي أحمد الخان فوري شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية تعليم الدين بدابيل، و الطبيب كليم الله العليجراهي، والمفتي رحمة الله الكشميري، والشيخ أنوار الرحمن البجنوري أعضاء للمجلس.

❖ عقدت رابطة المدارس الإسلامية اجتماعها العام في ٢١/ ربيع الآخر = ١٥/ مارس ٢٠١٢م وعارضت فيه سياسات الحكومة المضادة للمدارس

الإسلامية، واعتبرت الهيئة المركزية للمدارس التي قام تشكيلها الحكومة لإخضاع المدارس الإسلامية الأهلية لها تدخلًا في حرية المدارس الإسلامية وانتهاكًا للبند الـ ٣٠ من الدستور الهندي.

- ❖ لقي وفد مكون من خمسة أعضاء برئاسة فضلية المفتي أبو القاسم النعماني رئيس الرابطة والشيخ شوكت علي القاسمي الأمين العام لها رئيس الوزراء الهندي: منموهن سنغ في ٢٥/ مايو، وقدم إليه مذكرة تشتمل على قرارات وافق عليها اجتماع الرابطة المنعقد في ١٥/ مارس. وقد كانت المذكرة تطالب بإلغاء مشروع الهيئة المركزية للمدارس، واستثناء المساجد والمدارس والمؤسسات الدينية من القانون الجديد، وإطلاق سراح المسلمين الأبرياء المسجونين، ومكافحة إلصاق تهمة الإرهاب بالأقلية المسلمة، وأداء دور فعَّال في تأييد القضية الفلسطينية. وشكر الوفد الحكومة على استثناء المدارس ومؤسسات الأقلية من قانون التعليم الإجباري مطالبًا بتنفيذ القانون الذي تم فيه التعديل.
- ❖ اختارت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة فضيلة الشيخ السيد أرشد المدني رئيس هيئة التدريس بالجامعة ورئيس جمعية علماء الهند عضوًا في المجلس التأسيسي للرابطة، فحضر دورتها الحادية والأربعين المنعقدة في الفترة ٢٧- ٢٨/ رجب سنة ١٤٣٣هـ، ولايزال يحضر دوراتها.

السنة ١٥٢: ١٤٣٤هـ/ ١٣- ٢٠١٢م

- ❖ على مرور ١٥١ سنة على تأسيس دارالعلوم صدر كتاب: تاريخ دارالعلوم بديوبند باللغة الهندوسية يحتوي على نحو ٤٠٠ صفحة.
- ❖ وافق المجلس الاستشاري على ميزانية ١. ٢٢٧ مليون روبية للمشاريع المختلفة.
- ❖ عقدت دارالعلوم يوم الأربعاء: ٢/ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ = ١٣/ فبراير ٢٠١٣م اجتماعًا موسعًا لدراسة وبحث سبل صيانة السنة النبويّة في جامع

رشيد الكبير، حضره مئات من خيرة العلماء ومسؤولي المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في أرجاء الهند.

أكد فضيلة المفتي أبوالقاسم النعماني رئيس الجامعة في خطابه الرئاسيّ على وحدة الكلمة، وتوحيد الصفّ الإسلاميّ، ورأب الصدع، واجتناب ما يفرِّق كلمة المسلمين ويشتِّت شملهم، واتباع ما في الكتاب و السنة، والتزام منهاج السلف من الصحابة – رضي الله عنهم – والأئمة – رحمهم الله – في فهم الكتاب والسنة والعمل بهما، وتخطئة من يخالفون هذا المنهاجَ المُتَوَارَث، ويشقون طريقًا مُبْتَدَعًا، ويثيرون في الأمة بلبلة واضطرابًا؛ لأن إبانة خطئهم وانحرافهم عن الطريق السوي هي فريضة علماء الدين، في ضوء الحديث النبوي – على صاحبه الصلاة والسلام – فعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – «يحمل هذا العلمَ من كلّ خلف عدولُه ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويل الجاهلين» (مشكاة المصابيح).

ففي ضوء هذا الحديث يتعيّن على علماء الدين أن يقوموا بتوعية الأمة تجاهَ أولئك الذين يثيرون في الأمة أفكارًا مُبْتَدَعَة وخرافات مُسْتَحْدَثَةً، ويشذّون بها عن الصراط المستقيم: صراط السلف الكرام وأئمة الهدى والدين، ويُضَلِّلون؛ بل يُكَفِّرون من يُقَلِّدُون المذاهب الفقهيّة، ويتبعون أئمة الاجتهاد – رحمهم الله تعالى – على حين أنّ العلماء السلف الكبار قد أكّدوا أنه لايجوز التشدّد في المسائل الخلافيّة، ولاسيّما التي يجوز فيها اتباعُ موقف دون موقف، فلا يجوز فيها الجزم بإبطال موقف دون موقف، أو القول بأن ذلك هو الحقّ دون غيره.

أمّا تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذاهب، وتريد أن تحمل الناسَ على خطّ اجتهادي جديد لها، وتطعن في المذاهب الفقهية القائمة وفي

أئمتها أو بعضهم، ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها، ما يوجب عليهم أن يكفّوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه، ويُضَلِّلُون به الناسَ، ويشقّون صفوفَهم، ويُفَرِّقُون كلمتَهم، في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطرة من أعداء الإسلام، عن هذه الدعوة المفرقة التي لاحاجة إليها.

هذا وقد تحدّث إلى الاجتماع من أساتذة الجامعة فضيلة الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث بالجامعة، وفضيلة الشيخ رئاست علي البجنوري، وفضيلة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وفضيلة الشيخ نعمة الله الأعظمي وفضيلة الشيخ السيد أرشد المدني. وتناولوا الموضوع من شتى جوانبه، كما تحدث في الحفل كثير من العلماء الكبار أمثال الشيخ خليل الرحمن سجّاد نعماني، والشيخ أشهد رشيدي، والشيخ طاهرحسين الكياوي ومن إليهم[١].

❖ وقد وافق الاجتماع على قرارات هامة، منها أن تقوم دارالعلوم بإرسال وفد مكوَّن من العلماء إلى المملكة العربية السعودية يُطلع المملكة ومشايخها وعلماءها على ما يشعربه الاجتماع من قلق واضطراب بالغين من نشاطات وتحركات هذه الفئة، وأنها تضلل المسلمين باسم مشايخ المملكة وعلمائها، وتسيئ استخدام الوسائل المادية التي تجلبها من المملكة، وتبعد المملكة وعلماءها عن علماء الهند بالدعاية الكاذبة ضدَّهم، وتسيئ استخدام قسم الجاليات للدعوة والإرشاد، وتشوِّه سمعة المملكة، وتشق عصا الأمة الإسلامية؛ فعلى الحكومة السعودية أن لا تناصر وتؤيد هذه الفئة المنحرفة عن جادة السلف الصالح، بل تفرض الحظر عليها.

❖ عملا بالقرار الذي وافق عليه الاجتماع زار وفد دارالعلوم الموقر المملكة

(١) مجلة الداعي، العدد: ٥، السنة: ٣٧جمادى الأولى ١٤٣٤هـ/ مارس- أبريل ٢٠١٣م.

العربية السعودية برئاسة فضيلة رئيس الجامعة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني/ حفظه الله، وكانت الزيارة تاريخية بكل ما في الكلمة من معنى. وقد استغرقت عشرة أيام بدءًا من يوم الجمعة: ٢٥/ شعبان ١٤٣٤هـ = ٥/ يوليو ٢٠١٣م، وانتهاءً إلى يوم السبت: ٣/ رمضان = ١٣/ يوليو.

وكان الوفد مُكَوَّنًا من كل من فضيلة رئيس الجامعة (رئيس الوفد) وفضيلة الشيخ السيد أرشد المدني أستاذ الحديث الشريف بالجامعة والعضو التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ورئيس جمعية علماء الهند، والشيخ نور عالم خليل الأميني أستاذ بالجامعة، والشيخ المفتي محمد راشد الأعظمي القاسمي أستاذ بالجامعة، والشيخ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوي أستاذ بالجامعة.

كان في استقبال الوفد بمطار الرياض عدد كبير من مسؤولين في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز عبد الله العمار/ حفظه الله وكيل الوزارة للشؤون الإسلامية بالإضافة إلى أربعة سادة آخرين وهم الشيخ علي الزغيبي، والشيخ المدلج، والشيخ عبد العزيز الغانم، والشيخ عبد العزيز المبارك.

اجتمع الوفد بمعالي الوزير الدكتور صالح بن عبد العزيز/ آل الشيخ وزير الشوؤن الدينية والأوقاف بالمملكة وقدم فضيلة رئيس جامعة ديوبند الإسلامية الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني مذكرةً إلى معاليه فيما يتعلق بتوطيد العلاقة بين الجامعة وبين الوزارة وبالتالي بين المملكة، وجرى خلال اللقاء تبادل الأحاديث الودّية حول عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك ولا سيما حول العمل الإسلامي وسبل دعمه وتطويره وأوجه التعاون بين المملكة وبين الجامعة، وخاصة فيما يتصل بمكافحة التطرف لدى بعض الطوائف الإسلاميّة التي تؤمن وتعمل بالتسارع إلى التكفير والتبديع والتفسيق

للمسلمين الذين لا يذهبون مذهبَهم وهم الأغلبية الساحقة في العالم ولاسيّما في شبه القارة الهندية، كما أنها تتناول العلماء والأئمة السلف حتى الصحابة بأشنع الألقاب والشتائم والاتّهامات التي هم عنها براء. وقد قُدِّمَت إلى معاليه/ حفظه الله مقتطفات من بعض مقالات علماء هذه الطوائف، فقال معاليه بعد ما اطّلع عليها: هذا ما لايقول به حتى أي عاقل فضلًا عن أن يكون مسلمًا، إنه لا يقول بذلك إلاّ الشيطان، ولا تكدروني بأمثال هذه الكلمات الشنيعة، إن العلماء السلف، والصحابة الكرام رضي الله عنهم لهم المنة على الأمة، وكل من يعتقد فيهم بغير ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في شأنهم فهو مُتَعَدٍّ الحدودَ الإسلاميّة، ونحن لن نقر ذلك ولن نتحمل.

وقد حضر اللقاءَ الذي جرى بين معاليه وبين فضيلة رئيس الجامعة والوفد المرافق له كل من وكيل الوزارة فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز عبد الله العمار و وكيل الوزارة المساعد فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن غنام الغنام.

وفي الكلمة التي ألقاها معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، قال معاليه: إن علماء المملكة العربية السعودية دائمًا يحرصون على الالتقاء بإخوانهم العلماء في عموم العالم الإسلامي وخاصة العلماء الذين لهم جهد و دور في تعليم الشريعة الإسلامية، وتأسيسها، وإبقائها في الأجيال متعاقبة ممثلين بذلك وراثة النبوة؛ حيث إن العلماء ورثة الأنبياء، وأيضًا إن في ذلك تأكيدًا لدور العلماء في رد أعمال أهل الشر من التكفيريين والإرهابيين الذين أحدثوا في الأمة حدثًا عظيمًا، وسببوا الكثير من الفرقة والفوضى في عدد من بلاد المسلمين، وما كان من اختلاف في النظر، أو في الفقه، أو في المسائل فإنه يُبحث بالعلم والحكمة، ولا يبحث بالتعادي، والتباغض، والتباعد؛ فإن الشيطان يفرح لهذه الأمة بالبغضاء بينهم، والشحناء بينهم، وأهل العلم بخاصة هم القدوة في لم الشمل، ووحدة الصف، ووحدة الكلمة، وهم القدوة في هذا الزمن المتلاطم الذي فيه تحديات

كبيرة تواجه أهل الإسلام، وهم القدوة في أن يكونوا صفًا واحدًا في بقاء أهل السنة والجماعة أقوياء ضد أعدائهم.

وشدد الوزير آل الشيخ على دور العلماء في العالم الإسلامي جميعًا في رد البدع والمحدثات، وما يخالف السنة النبوية، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، ومعرفة حق النبوة، وحق النبي - ﷺ - والرد على من ادعى عدم ختم نبوته – عليه الصلاة والسلام – أو من ادعى أن في الشريعة المحمدية نقصًا لا يناسب تطبيقها هذا الزمان، أو في الرد على أهل البدع والغلو الذين يقدحون في صحابة رسول الله - ﷺ - كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي – رضي الله عنهم – وجميع صحابة رسول الله - ﷺ - فدور العلماء المحافظة على هذه الملة، والمحافظة على أسسها، وقواعدها لتبقى قوية راسخة في الأجيال فيما بعد.

و واصل قائلًا: «قد شاء الله – جل وعلا – بحكمته العظيمة أن يكون في هذه الأمة علماء متنوعون، وأئمة تعددت بلدانهم، وتعددت اجتهاداتهم في العلم، وفي الفقه الإسلامي، وفي الأحكام العلمية، وفي العبادات، والمعاملات، وشؤون الحياة، وهذه الاختلافات العلمية الواجب علينا أن نتعامل معها في إطار الشريعة الإسلامية بما لا يفرق هذه الأمة، ولا يفرق صف العلماء فإن العلماء هم معدن الحكمة.

وأوضح سماحة المفتي العام للمملكة رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ من جانبه أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات عظيمة حول عقيدتها، وفي قيمها، وأخلاقها، وفي وحدتها، وتآلف قلوبها، والعلماء هم ورثة الأنبياء عليهم مسؤولية أن يسعوا في جمع كلمة الناس، وإذابة كل الأشياء التي تسبب الخلاف والشقاق؛ لأن أعداءنا يريدون الشقاق بيننا، ويفرقون بين بعضنا البعض، ويسيئون الظن في بعضنا البعض، ويحاولون أن يحدثوا المشاكل، وأن

يبعدوا بعضنا عن بعض، أو يتهموننا بأمور نحن برآء منها، وينسبونها إلى العلماء عن جهل أو عمد، لهذا كانت اللقاءات والاجتماعات مما يؤلف القلوب، ويزيل الوحشة، ويحقق الهدف بأن نجتمع جميعًا نتعاون على ما فيه خير ديننا ودنيانا؛ لأن هذه التحديات قد تفرق المسلمين، وتفرق شملهم، وتفسد كلمتهم؛ لكن باللقاءات، والمباحثات تزول كل الإشكالات، وتحل كل القضايا، وتسعد الأمة، في اجتماع كلمتها وتآلف قلوبها.

وقال سماحته: إن علماء المسلمين اختلفوا في المسائل الفقهية على حسب فهمهم لكتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ - ولهذا المسلم يعذرهم فيما اختلفوا فيه، وبما قد أخطأوا به؛ لأن هدفهم الحق، قد يخطئ الإنسان في تصوره، وفهمه إلا أن غايته محبة هذا الدين، والدفاع عنه؛ ولكن وقوع خطأ من أحدنا هذا أمر غير مستبعد؛ لكن الواجب أن نتدارس المشاكل والأخطاء وأن نسعى في حلها، وأن نواجه إخواننا بكل الأمور حتى تنشرح صدورهم، ويصبحوا على الحقيقة، ويعلموا أن هذا البلد المبارك ملتقى للمسلمين علمائهم، وحكامهم، فالواجب على الجميع تقوى الله والتناصح والتفاهم في سبيل ما يقرب القلوب ويؤلفها، أسأل الله للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله على محمد.

وقد لقي الوفد في هذه الزيارة عددًا وجيهًا من رجال العلم والأدب والثقافة والأساتذة الجامعيين بمن فيهم فضيلة الدكتور عبد العزيز العمار وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، و معالي الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي أمين عام رابطة العالم الإسلامي، والشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة، والشيخ الأستاذ أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري السوري، والشيخ عبد العزيز الركابي، والشيخ سعد البريك، والشيخ تركي العتيبي، والشيخ إبراهيم الزين، والدكتور عبد الرحمن الزنيدي، و الشيخ عبد الوهاب الطريري، وغيرهم.

وقد نشرت الصحف و وسائل الإعلام بالمملكة نبأ لقاء الوفد مع كل من معالي وزير الشؤون الإسلامية ومعالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي وسماحة المفتي العام حفظهم الله[١].

❖ على مرور مئة عام على حركة الرسائل الحريرية قامت دارالعلوم بالتعاون مع مؤسسة «مانك ببليكشنز بدهلي» بإصدار كتاب (Silk Letter Movment) للدكتور محمد الله القاسمي وهو الترجمة الإنجليزية لكتاب «تحريك ريشمي رومال» (لمؤلفه الشيخ محمد ميان الديوبندي) ، وهذا الكتاب مشتمل على الوثائق السرية المودعة «المكتبَ الهنديَ التابع لمكتبة لندن».

❖ قام بزيارة دارالعلوم وفد من علماء ومشايخ معهد المسجد النبوي في ٢٢/ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ=٦/ مارس ٢٠١٣م، وهم فضيلة الدكتور محمد أحمد الخضيري مدير معهد المسجد النبوي، والشيخ عبد الله الخضيري معلم بوزارة الشؤون الدينية والتعليم بالمملكة، وفضيلة الدكتور عبد المجيد سليمان الرويلي أستاذ التفسير بمعهد المسجد النبوي. وقد عقدت حفلة ترحيب على شرفهم بعد صلاة المغرب في جامع رشيد الكبير، فألقى كل من فضيلة الدكتور محمد أحمد الخضيري وفضيلة الدكتور عبد المجيد سليمان الرويلي كلماتهما يعبِّران فيها عما يشعران به من الحب والتقدير لدارالعلوم، وقال الدكتور الرويلي قصيدة رنانة في مدح دارالعلوم بديوبند[٢].

❖ عقدتْ دارالعلوم اجتماعًا لجمع الحبوب حضره آلاف من المتبرعين لها، وذلك في ٧/ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ= ٢٠/ مارس ٢٠١٣م.

❖ على دعوة خاصة من منظمة«حِذمتْ» التركية شارك فضيلة المفتي أبو القاسم النعماني في المؤتمرالعالمي الذي عقدته المنظمة بعنوان «الإجماع والوعي الجمعي فقهًا وروحًا

---

(١) مجلة الداعي، العدد: ١٢، السنة: ٣٧ ذو الحجة ١٤٣٤هـ/ أكتوبر- نوفمبر ٢٠١٣م.

(٢) مجلة الداعي، العدد: ٦-٧، السنة: ٣٧، جمادى الآخرة – رجب ١٤٣٤هـ= أبريل- يونيو ٢٠١٣م.

وثقافـةً وسـلوكًا» بـ«إسـطنبول» في تركيـا في ٢٧-٢٨/ أبريـل ٢٠١٣م = ١٥-١٦/ جمادى الأخرى ١٤٣٤هـ، وقد رافقه في هذه الرحلة أستاذان من أساتذة الجامعـة، وهمـا الشيخ محمد سلمان البجنوري، والشيخ محمـد عـارف جميـل الأعظمـي، وألقـى رئـيس الجامعة في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر خطابه الهام مع من ألقوا كلماتهـم مـن خـيرة علـماء ومفكري العالم الإسلامي[١].

❖ توفي السيد ميان خليل حسين الديوبندي مدير المدرسة الأصغرية بديوبنـد وعـضو المجلـس الاستـشاري لـدارالعلوم، وذلـك يـوم الخمـيس: ١٥/ رمـضان ١٤٣٤هــ (٢٥/ يوليـو ٢٠١٣م).

السنة ١٥٣: ١٤٣٥هـ= ١٤- ٢٠١٣م

❖ قام بزيارة دارالعلوم معالي الشيخ الدكتور صالح بـن عبـد العزيـز آل الـشيخ وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، مع وفد مكون من ١٢ شخصًا من وزارته والسفارة السعودية لدى دهـلي، وذلـك يـوم الأحـد: ١٥/ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ = ١٦/ فبرايـر ٢٠١٤م. اسـتقبلت دارالعلـوم – مسؤولين وأساتذة وطلابًا- معالي الوزير استقبالًا حارًّا، وعقدت عـلى شرفـه حفلة ترحيب في جامع رشيد الكبير، وتلا فضيلة المفتي أبـو القاسـم الـنعماني رئيس الجامعـة كلمـة التحيـة والترحيـب يُعـرِّف فيهـا بخـدمات دارالعلـوم وجهودها في مجال التعليم والتربية والدعوة الإسلامية، ويُـسلِّط الـضوء عـلى العلاقات الودية بين دارالعلوم والمملكة العربية السعودية.

وقد ألقى معالي الوزير كلمته الهامة في الحفلة ينوه فيها بجهود دارالعلوم المتنوعة في المجالات المختلفة، وسجل انطباعاته القيمة في دفتر الانطباعات[٢].

❖ زار فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن محمد بن غـانم آل ثـاني/ حفظـه الله عـلى

---

(١) مجلة الداعي، العدد: ٩-١٠، السنة: ٣٧، رمضان- شوال ١٤٣٤هـ= يوليو- سبتمبر ٢٠١٣م.

(٢) مجلة الداعي، العددان: ٦-٧، السنة: ٣٨، جمادى الآخرة-رجب ١٤٣٥هـ= أبريل –مايو ٢٠١٤م.

رأس وفد مرافق له دارالعلوم في ١٣/ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ = ١٥/ مارس ٢٠١٤م، ولقي رئيسها فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني/ حفظه الله بالإضافة إلى أساتذتها الأجلاء، و قام بالجولة في جنبات دارالعلوم لاسيما المكتبة الجامعية وجامع رشيد الكبير وأبدى غاية سروره بهذه الزيارة.

❖ عقد المجلس التنفيذي لرابطة المدارس الإسلامية اجتماعه برئاسة رئيس الجامعة في مضيفتها يوم ٢٣/ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ = ٢٥/ مارس ٢٠١٤م، وقد حضره أعضاء المجلس ورؤساء فروع الرابطة في البلاد، وناقشوا في الاجتماع الموضوعات ذات الصلة بالمدارس، وتمخض الاجتماع عن قرارات هامة، وهي:

١- أن تقوم فروع الرابطة بإرسال وفود إلى المدارس لاستطلاع ما فيها من مستوى التعليم و التربية والنظافة، وترسل التقارير عنها إلى المكتب الرئيس للرابطة.

٢- ولتحسين مستوى التعليم وأسلوب التدريس يتم تدريب المدرسين في مختلف أرجاء البلاد.

٣- أن تلتزم المدارس المنهج التعليمي والتربوي والأخلاقيات التي وافقت الرابطة عليها في اجتماعاتها، وتمارس الشؤون التعليمية والإدارية في ضوئها.

٤- وأن تفتح الكتاتيب في مناطقها.

❖ في ٩/ رمضان المبارك ١٤٣٥هـ = ٨/ يوليو ٢٠١٤م رفضت المحكمة العليا أن تنظر في عريضة رُفِعَت إليها ضدَّ المحاكم الشرعية في البلاد، وقد كانت المحاكم الشرعية ودور الإفتاء مهددة بهذه العريضة، فأشادت دارالعلوم بخطوة المحكمة هذه موضحةً أن المحاكم الشرعية ودور الإفتاء تصدر قراراتها وفتاواها في ضوء الحرية الدينية المتاحة في الدستور الهندي، وهي

ليست ضد المحاكم الرسمية في البلاد.

السنة ١٥٤: ١٤٣٦هـ= ١٥- ٢٠١٤م

❖ شنّت الحكومة الهندية «حملة الهند النظيفة»، فأرسلت رسالة إلى دارالعلوم تطالب فيها بالتعاون في الحملة، فردَّت دارالعلوم على رسالة الحكومة مرحِّبةً بالحملة، وشاركت فيها، فاعتبرت الحكومة دارالعلوم سفيرًا نموذجيًّا للنظافة.

❖ عُقِدَ اجتماع هام لرابطة المدارس الإسلامية فرع ولاية كيرلا الهندية في دارالعلوم يوم الثلاثاء ١٠/ ١/ ١٤٣٦هـ الموافق٥/ ١١/ ٢٠١٤م حضره وفدٌ رفيع المستوى يضم خمسين عالمًا من «كيراله» يقوده الشيخ عبد الشكور القاسمي – أحد كبار علماء «كيراله»، ورئيس فرع «كيراله» لرابطة المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية التابعة لدارالعلوم/ ديوبند. رَأَسَ الاجتماع رئيس الجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني – حفظه الله ورعاه- وحضره مسؤولو الجامعة وكبار أساتذتها. وأدار الاجتماع الشيخ شوكت علي البستوي – الأستاذ بالجامعة والأمين العام لرابطة المدارس الإسلامية الهندية التابعة للجامعة.

عرّفَ فضيلة الشيخ عبد الشكور –رئيس الوفد- بأعضاء الوفد، وشرح أهداف زيارته، وأعرب عن شكره وتقديره لمسؤولي الجامعة وأساتذتها على أنهم أتاحوا للوفد هذه الفرصة الطيبة لمناقشة قضايا تهمهم كثيرًا في «كيراله» وقال: إن علاقة «كيراله» بالجامعة عريقة متأصلة، وإن أهل «كيراله» يعتزون بالانتماء إلى الجامعة، ولها في قلوبهم مكانة سامية، وتنزل الجامعة من قلوبهم منزل الحبيب المكَرم. وأبدى رغبته في توطيد علاقة فرع الرابطة بالجامعة وتفعيل نشاطاتها، وتنظيم زيارات علماء الجامعة لها، لتحقيق الانسجام والتوافق الكامل مع أهداف وبرامج الرابطة. ونوَّه فضيلته بالخدمات التي تقوم بها الجامعة على مختلف المستويات.

ثـم تنـاول الكلمـة رئيس الجامعـة فـضيلة الـشيخ المفتـي أبـو القاسـم النعماني – حفظه الله- فحمد الله وأثنى عليه، ورحَّبَ بالوفد، وقال: إن من أهـداف تأسـيس رابطـة المـدارس الإسـلامية في الهنـد الأساسـية تحسينُ نظـام التعليم والتربية فيها بصورة أفعل والتوصل إلى حلول المشاكل والصعوبات الداخليـة والخارجيـة بالتـشاور فيما بـين مـسؤولي المـدارس والجامعـات. ومـن الواجب العناية بنشر شبكة الكتاتيب الدينية في كل صقع من أصقاع البلاد، ومتابعـة المخططـات الراميـة إلى الإضرار بالإسـلام والمـسلمين والمـدارس الدينيـة الإسـلامية في الـبلاد. ونحمـد الله - تعـالى - عـلى أن وَفَّقَ هـذه الرابطـة لتحقيق أهداف تأسيسها تحقيقًا ملموسًا، فانتشرت فروعها في مختلف أنحاء الـبلاد، وفعـلًا أقـيم فـرعٌ لهـا في ولايـة «كيرالـه» قريبًـا، فاحرصـوا عـلى تفعيـل نشاطاته والرقي به إلى المستوى المطلوب في ضوء اللوائح الموضوعة لرابطة المدارس الإسلامية[1].

❖ وافق مجلس الشورى على الميزانية السنوية لعام ١٤٢٦هـ التـي تُقـدَّر بـــ ٢٧٠ مليون روبية.

❖ سافر رئيس الجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني إلى المملكة العربيـة السعودية وسعد بأداء مناسك العمـرة، ثـم شـارك في فعاليـات مـؤتمرٍ حـول الإمـام أبي حنيفـة -رحمـه الله-، عُقِـدَ في «جـدة» في ٢٤/ ربيـع الأول عـام ١٤٣٦هـ الموافق١٨/ ديسمبر عام٢٠١٤م، بإشراف إدارة الدعوة والإرشـاد بالمملكة. وكان فضيلته ضيفَ الشرف في المـؤتمر. كـما حـضره علـماءُ بـارزون كثيرون من باكستان وغيرها من البلاد.

وقال فضيلة رئيس الجامعة في حديثه الضافي إلى صحيفة «أردو نيوز» – الـصادرة في جـدة-: «إن عقـد مثـل هـذه المـؤتمرات خطـوةٌ تـستحق التثمـين

(١) مجلة الداعي، العددان: ٤، السنة: ٣٩، ربيع الآخر ١٤٣٦هـ= يناير – فبراير ٢٠١٥م.

والإشادة، وستنعكس إيجابًا على الأمة الإسلامية. وليس هذا المؤتمر - الهادف إلى توحيد صفوف المذاهب الإسلامية - أول خطوة خَطَتْهَا المملكةُ العربية السعودية؛ فقد شهدت المملكة مساعيَ جبارة - على مستوى الحكومة- لتنظيم الحوارات، لابين أتباع المذاهب الإسلامية التي تجمتع على العقيدة والمبادئ الكبرى وتشترك في القيم المشتركة فحسب؛ بل بين أتباع الديانات والثقافات والحضارات المختلفة في العالم كذلك. وذلك للقضاء على الخلافات التي تعيشها الأمة، ولتكريس فكر التفاهم والتقدير المشترك بين أتباع المذاهب الإسلامية وأتباع الديانات والثقافات، الأمر الذي سيدفع المجتمع الدولي نحو المزيد من التناغم[1].

❖ بعد ما تولى مقاليد الحكم في البلاد «بي جي في» ذلك الحزب المعروف بسياساته المتطرفة ضدَّ الأقليات لاسيما المسلمين، وسادهم جوٌّ من التشاؤم والقنوط عقدت «رابطة المدارس الإسلامية الهندية» التابعة لدارالعلوم بديوبند دورتها الثالثة عشرة برئاسة رئيس الجامعة في جامع رشيد التابع للجامعة، حضرها أكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة من خيرة العلماء وممثلي المدارس الإسلامية الأهلية المنتشرة في الولايات الهندية المختلفة أمثال: «أترابراديش»، و«آسام» و«دهلي» و«بنجاب» و«هماجل براديش» و«جمون وكشمير» و«بنغال الغربية» و«أريسه» و«راجستهان» و«غوجرات» و«مهاراشترا» و«آندهرابراديش» و«تامل نادو».

أدار جلستي الدورة فضيلة الشيخ شوكت علي القاسمي البستوي- الأمين العام لرابطة المدارس الإسلامية- فقال في كلمته الافتتاحية القيمة التي ألقاها على الحضور: حذار أن تَدَعَ المدارسُ الإسلامية القنوط واليأس يتسربان إلى قلوبها من جراء الأوضاع العالمية والمحلية، وعليها أن توطد

(١) مجلة الداعي، العدد: ٥، السنة: ٣٩، جمادى الأولى ١٤٣٦هـ= فبراير - مارس ٢٠١٥م.

صلاتها الاجتماعية مع سكان البلاد المنتمين إلى الأديان الأخرى انطلاقًا من مبادئ التسامح والانسجام، كما يجب عليها أن توفر الفرصَ لغير المسلمين للاطلاع على نشاطات المدارس الإسلامية والخدمات التي تقدمها لصالح المجتمع الهندي وفق ما يمليه عليها مبادئ التسامح والتعايش السلمي.

وأكد فضيلته على أن اجتماع المدارس على رصيف واحد، وتوحيد كلمتها ومتابعة أوضاع المدارس الداخلية والخارجية من أهم متطلبات العصر وحاجة المدارس الإسلامية. وأضاف: «إن الهدف الأساسي من وراء إنشاء المدارس الإسلامية الحفاظُ على التراث الشرعي الديني العلمي على ما هو عليه كاملًا غير منقوص. فليس للمدارس أن تنحرف عن هذا الهدف النبيل قيد أنملةٍ. كما يجب مراجعة كافة الأنظمة والأساليب المتبعة في المدارس الإسلامية واتخاذ الخطوات والتصرفات التي تنسجم وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة». كما أشار فضيلته إلى ضرورة تنفيذ نظام الشورى في المدارس الإسلامية وتفعيله بجدية وأمانة بجانب تنقية النظام المالي في المدارس من أي شائبة، والعناية الكافية بتدقيق حساباتها كلها. كما يجب مراجعة أسباب التخلف والانحراف في الشباب المسلم ومعرفة الداء والدواء، والعناية اللازمة بمتابعة الطلبة وتربيتهم، ويجب أن نأخذ هذه القضية الحساسة بجدية تامة.

وتحدث كذلك الشيخ المفتي سعيد أحمد البالبنوري رحمه الله – رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث بالجامعة سابقًا– إلى الحضور فقال فضيلته في كلمته: «إن من مقتضيات العصر الراهن العنايةُ الكافية بنظام التعليم والتربية بشكل خاصٍ». وأكد على ضرورة اتباع ما كان عليه السلف الصالح للرقي بمستوى التعليم والتربية.

كما تحدث إلى الجلسة فضيلة الشيخ قمر الدين حفظه الله – أستاذ الحديث بالجامعة – وأكد في كلمته على ضرورة رفع مستوى نظام التربية

وتحسينه بجانب نظام التعليم في المدارس الإسلامية، وعلى الأساتذة والمدرسين أن يُعنوا عنايةً خاصةً بتربية الطلبة تربية مستقاة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

وقال فضيلة الشيخ رياست علي البجنوري رحمه الله – أستاذ الحديث بالجامعة سابقًا – في كلمته القيمة: «مما يضر المدارس الإسلامية تلقي المساعدات من الحكومة، والمدارس التي تتلقى المساعدات من الحكومة يتدهور مستوى أعمالها ونشاطاتها إلى درجة الصفر». وشدد فضيلته على ضرورة تحسين نظام المدارس تحسينًا يتماشى مع الدستور الأساسي وتنقية النظام المالي من الشوائب بالإضافة إلى رفع مستوى رواتب الأساتذة وتوفير تسهيلات أكثر للطلبة.

ونَبَّه فضيلة الشيخ أسرار الحق القاسمي رحمه الله–عضو البرلمان الهندي، ورئيس المؤسسة التعليمية الدينية لعموم الهند– على أن من واجب المدارس تزويد طلاب المدارس العصرية بالعلوم الدينية. وقال– وهو يعلق على الأوضاع التي تعيشها البلاد -: «إن المدارس الإسلامية قاومت – بنجاحٍ – أوضاعًا أشد خطورةً في عهد الاستعباد والاستعمار فيجب اتخاذ إستراتيجيةٍ أحسن والتخطيط الصائب في مثل هذه الأوضاع بدلًا من أن ندع اليأس يتخذ سبيله إلى القلوب».

وقال فضيلة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله– أستاذ الحديث الشريف بالجامعة سابقًا– في كلمته: «من واجبنا أن نتوجه بكليتنا إلى النشاطات التعليمية والتربوية و الإصلاحية ولاندَع اليأس يتسرب إلى قلوبنا مهما أظلم الجو واكفهرت الأوضاع وعبست، واستنفدت الصبر».

ثم تحدث إلى الحضور فضيلة الشيخ أرشد المدني حفظه الله – أستاذ الحديث الشريف بالجامعة – وقال: «إن الأوضاع الخطيرة التي تمر بها البلاد تملي على القائمين على المدارس الإسلامية ضرورة القيام بواجبهم الديني،

ونشر الأخوة والمحبة والتناغم والانسجام بين مختلف شرائح البلاد المنتمية إلى شتى الأديان. كما أشار فضيلته إلى أن البلاد على مفترق طرق خطير من تاريخها يهدد علمانيتها ودستورها، وأن دستور البلاد وتقاليدها العلمانية تخول لكافة سكانها وللأقليات على وجه خاص - البقاء والحرية في البلاد. فالحاجة ماسة إلى ضرورة خروج القائمين على المدارس من جدرانها ليقوموا بتجسير هوة الخلاف والنفور بين سكانها.

ونبّه رئيس الجامعة في تصريح موجز القائمين على المدارس الإسلامية على ما تقوم به بعض الجهات الإسلامية من الجرأة على استهداف الإسلام وعلمائه، كما تقوم بعض المؤسسات المنتمية إلى الإسلام بنشر أفكار ورؤى غير إسلامية فيجب الحيلولة دون هذه الظاهرة بشكل إيجابي فاعل.

وقد تمخضت الدورة عن القرارات والتوصيات التالية:

١- أعربت الدورة عن قلقها على التصريحات غير المسؤولة التي تطلقها العناصر الطائفية المتطرفة المنتشرة في أنحاء البلاد، والتي تهدد الانسجام الطائفي فيها، مشيرة إلى أن إدخال الكتب الدينية الهندوسية في مقررات بعض المدارس في البلاد، وإلزامها ببعض التقاليد الدينية مما يعارض روح البلاد العلمانية، وينال منها نيلًا عظيمًا، كما أن وتيرة الأوضاع الراهنة الطائفية المتصاعدة في البلاد تُشوِّه سمعتها بشكل لافت، ويُنظر إلى دورها العلماني نظرة ملؤها الشك والريب. ومن أبرز مَن وافق على هذا القرار كل من الشيخ محمد إبراهيم - عضو المجلس الاستشاري لدارالعلوم-، والمفتي فاروق أحمد، والشيخ صديق الله، وغيرهم.

٢- ولفت القرار الثاني انتباهَ مسؤولي المدارس الإسلامية إلى ضرورة استشعار المدارس الإسلامية مسؤولياتها الجسيمة، وألاتدع القنوط يتسرب إلى قلوبها في الأوضاع الحالية التي تثير القلق والاستفزاز.

٣- كما أكد القرار الثالث على ضرورة رفع مستوى التعليم والتربية، وتحسين النظام الداخلي في المدارس الإسلامية، وضرورة إخضاع النظام المالي للمبادئ الشرعية والقانونية.

٤- شدد القرار الرابع على ضرورة قيام المدارس والعلماء المسلمين – قومةَ رجل واحد–بإصلاح المجتمع وتنقيته من التقاليد والرسوم الباطلة والقضاء عليها نهائيًا.

٥- حثَّ القرار الخامس على ضروة متابعة نشاطات الأديان والفرق الباطلة التي عادت توسع نشاطاتها وأعمالها في مختلف أنحاء البلاد ومقاومتها بالطرق الكفيلة بالقضاء عليها.

٦- ودعا القرار السادس إلى ضرورة وضع نظام فاعل للقضاء على ظاهرة الارتداد المتنامية في مختلف أنحاء البلاد والحيلولة دونها بصورة أو أخرى.

ومن أبرز مَن حضروا جلسات اللجنة التنفيذية وناقشوا القضايا المطروحة على بساطها: رئيس الجامعة ورئيس رابطة المدارس الإسلامية الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني، والشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري رحمه الله – رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث بالجامعة سابقًا- والشيخ بدرالدين أجمل القاسمي- عضو المجلس الاستشاري بالجامعة وعضو البرلمان الهندي- والشيخ رحمت الله القاسمي- عضو المجلس الاستشاري بالجامعة- والشيخ قمر الدين الغوركفوري -أستاذ الحديث بالجامعة-، والشيخ عبد الحق الأعظمي رحمه الله - أستاذ الحديث بالجامعة سابقًا-، والشيخ نعمت الله الأعظمي -أستاذ الحديث بالجامعة-، والشيخ السيد أرشد المدني -رئيس هيئة التدريس بالجامعة-، والشيخ رئاست علي البجنوري رحمه الله – أستاذ الحديث بالجامعة سابقًا-، والمقرئ محمد عثمان المنصورفوري – أستاذ الحديث بالجامعة سابقًا-، ونائبا رئيس الجامعة: الشيخ عبد الخالق المدراسي،

والشيخ عبد الخالق السنبهلي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي- أستاذ الحديث بالجامعة سابقًا- والشيخ نور عالم خليل الأميني رحمه الله- رئيس تحرير مجلة «الداعي»، وأستاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة سابقًا- والشيخ أشهد رشيدي، والشيخ صديق الله، والشيخ شوكت علي، والشيخ محمد قاسم، والشيخ عبد الشكور -حفظهم الله- وكثيرون غيرهم.

هذا وقد تشكلت عدة لجان تحضيريّة لهذه الدورة وأشرف عليها أساتذة الجامعة وتولى الإشراف العام عليها رئيس الجامعة ونائباه، ولعبوا دورًا فاعلا في تصريف أمور الدورة لضمان نجاحها[1].

- ❖ عَقَدت رابطة المدارس الإسلامية فرع ولاية يوفي الغربية (منطقة ٢) اجتماعًا في الجامعة القاسمية شاهي مراد آباد، وذلك في ١٣/ رجب ١٤٣٦هـ= ٣/ مايو ٢٠١٥م.
- ❖ عقدت رابطة المدارس الإسلامية اجتماعًا عامًّا في دارالعلوم رحيمية باندي فوره في كشمير، وذلك يومي الجمعة والسبت ١٩-٢٠ من ذي القعدة ١٤٣٦هـ= ٤-٥/ سبتمبر ٢٠١٥م.

السنة ١٥٥: ١٤٣٧هـ= ١٦-٢٠١٥م

- ❖ توفي المفتي نظام الدين الفتنوي عضو مجلس الشورى لدارالعلوم، والأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين، وذلك في ٤/ المحرم ١٤٣٧هـ = ١٨/ أكتوبر ٢٠١٥م.
- ❖ في ١٥/ محرم ١٤٣٧هـ = ٢٩/ أكتوبر ٢٠١٥م عقدت رابطة المدارس الإسلامية فرع بنغال الغربية دورتها العامة السابعة عشرة في كالكوتا برئاسة فضيلة المفتي أبو القاسم النعماني، التي حضرها نحو ألف عالم من ممثلي المدارس الإسلامية التابعة للرابطة.

---

(١) مجلة الداعي، العدد: ٨، السنة: ٣٩، شعبان ١٤٣٦هـ= مايو – يونيو ٢٠١٥م.

❖ عَقَدت رابطة المدارس الإسلامية فرع ولاية يوفي الغربية (منطقة ١) اجتماعًا في مدرسة إعزاز العلوم بـ «ويت»، بمديرية «هافور»، وذلك في ٢٠/ صفر ١٤٣٧هـ= ١٩/ نوفمبر ٢٠١٥م.

❖ عَقَدت رابطة المدارس الإسلامية فرع ولاية راجستان اجتماعًا في دارالعلوم بـ «بوكرن» بولاية راجستان برئاسة المقرئ محمد أمين رئيس رابطة الإسلامية فرع راجستان، حضره ممثلو المدارس الإسلامية الأعضاء بالولاية، وذلك يوم الخميس ٢٧/ صفر ١٤٣٧هـ= ١٠/ ديسمبر ٢٠١٥م.

❖ في ٢٥/ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ= ٦/ مارس ٢٠١٦م عقدت رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند اجتماعها العام في دارالعلوم برئاسة فضيلة المفتي أبو القاسم النعماني، وقدحضره أساتذة دارالعلوم بالإضافة إلى ممثلى المدارس الإسلامية في مختلف الولايات وأعضاء المجلس التنفيذي، وقال فضيلة رئيس الجامعة في خطابه الرئاسي: إن المدارس الإسلامية الأهلية عماد الأمة الهندية الإسلامية، فشبكة المدارس الإسلامية المنتشرة في طول البلاد وعرضها أحوج ما يكون اليوم أكثر من ذي قبل في ضوء ماضيها المجيد أن تقوم بدور فاعل وإيجابي في الدفاع عن الإسلام، وإصلاح المجتمع، وبناء الوطن والأمة.

وأضاف قائلًا: يجب على العلماء ومسؤولي المدارس الإسلامية أن يسعوا جاهدين في إرشاد المسلمين إرشادًا دينيًّا، وبسط التسامح، واستتباب الأمن والسلام في البلاد، ودعم أنظمة المدارس الإسلامية.

❖ زار فضيلة الشيخ صالح بن محمد بن إبراهيم آل طالب – إمام وخطيب الحرم المكي الشريف – مع وفد مكون من كل من فضيلة الشيخ عبد المحسن آل طالب والشيخ أحمد على الرومي الملحق الديني بسفارة المملكة بدهلي الجديدة، زار فضيلته الجامعة يوم الاثنين ٢٦/ ٦/ ١٤٣٧هـ الموافق ٥/ ٤/ ٢٠١٦م. حيث انطلق فضيلته والوفد المرافق له من دهلي – عاصمة البلاد – في الساعة العاشرة صباحًا بمروحية وصلت بهم إلى ديوبند في الساعة الحادية عشرة

والربع، ورافقهم في هذه الرحلة فضيلة شيخنا السيد أرشد المدني حفظه الله، وهبطت المروحية في ساحة بالقرب من الكلية الطبية المشرفة على شارع ديوبند – سهارن فور، وكان في استقباله لدى نزوله من المروحية فضيلة الشيخ عبد الخالق السنبهلي – وكيل الجامعة – وكل من الشيوخ القاسميين: سلمان البجنوري وشوكت علي البستوي ومنير الدين العثماني، ومحمد ساجد ومحمد عارف جميل أساتذة بالجامعة بجانب جمع عظيم من أهل المدينة وشرطتها والسلطات المدنية.

❖ وانطلق الضيف منها توًّا إلى الجامعة وسط هتافات تصك الآذان: دارالعلوم تدوم، وأمثالها، ودخل المدينة الجامعية والطلاب على جانبي الطريق، بجانب تواجد مكثف من الشرطة، وتوجه إلى جامع رشيد العملاق، حيث عقدت حفلة الترحيب بالضيف المبجل والوفد المرافق له، وكان في استقباله كبار أساتذة الجامعة ومشايخها.

وقدم كلمة التحية والترحيب فضيلة الشيخ سلمان البجنوري نيابة عن فضيلة الشيخ عبد الخالق المدراسي القائم بأعمال رئيس الجامعة. وتطرقت كلمة التحية والترحيب إلى نشأة الجامعة ورؤيتها ورسالتها وخصائصها وميزاتها التعليمية والتربوية، مما زاد الضيوف المبجلين معرفة على معرفة بالجامعة ومشايخها، ونشاطاتها وخدماتها.

ثم أعطيت الكلمة لضيف الشرف فضيلة الشيخ صالح بن محمد بن إبراهيم آل طالب حفظه الله، وقام بترجمة خطبته إلى اللغة الأردية فضيلة الشيخ شوكت علي القاسمي – الأستاذ بالجامعة –.

ومما قال فضيلة الضيف المبجل في كلمته أمام الحشد الهائل من أساتذة الجامعة وطلابها، وأهل المدينة:

«هذه الجامعة التي هي منارة من منارات العلم والهدى ومشكاة نور ومصباح شع نورها ليس في القارة الهندية فقط، بل في العالم كله». واستطرد

قائلا: «لقد أخرجت هذه الجامعة من العلماء والمدرسين ومن الكتب ما دخل في كل مدرسة في العالم، ووغل نوره إلى كل مكان. وشرف هذه الجامعة أنها حرصت على كتاب الله – عز وجل – والعلوم المتعلقة به، كما حرصت على سنة النبي ﷺ والعلوم المتعلقة بها، وهذا هو سر نجاحها، والبركة التي جعلها فيها»[1].

❖ تمَّ اتخاذ قرار قبول الطلاب كلَّ سنة في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بينما كانوا يُقبلون بعد كل سنتين.

السنة ١٥٦: ١٤٣٨هـ= ١٧- ٢٠١٦م

قام بزيارة دارالعلوم «راهل غاندي» نائب رئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي في٥/ أكتوبر ٢٠١٦م.

❖ بينما كان الحزب الحاكم «بي جي في» يحاول فرض الحظر على التطليقات الثلاث وتعدد الأزواج قالت دارالعلوم بديوبند صراحة: إن بلادنا دستورها علماني، يمنح المواطنين بالحرية الدينية، ولا يُسمَح للحكومة والمحكمة أن تتدخلا في الأحوال الشخصية للمسلمين وتُعَدِّلاها تحت ستار الإصلاح الاجتماعي. التطليقات الثلاث وتعدد الأزواج جزء مهم للقوانين الإسلامية، ولاينبغي للحكومة والمحكمة العليا بشكل أو آخر أن تتخذا إجراءً يورث قلقًا في طائفة من طوائف البلاد، وتعتبره تدخلًا في قوانينها الشخصية والدينية؛ لأنَّ كلّ دستور البلاد يسمح لجميع فرق وطوائف البلاد أن تعيش حسبما ترشدهم دياناتهم. على هذا فتدخل الحكومة والمحكمة العليا في الأحوال الشخصية مرفوض.

❖ وافق مجلس شورى دارالعلوم على ميزانية نحو ٢٩٠.٧٠ مليون روبية هندية.

❖ بناءً على ما وصل إلى دارالعلوم من رسائل وأسئلة كثيرة من الهند وخارجها

---

(١) مجلة الداعي، العدد: ١١، السنة: ٤٠، ذوالقعدة ١٤٣٧هـ= أغسطس – سبتمبر ٢٠١٦م.

في شأن الأفكار والآراء المنحرفة التي أبداها الشيخ محمد سعد الكاندهلوي أمير جماعة الدعوة والتبليغ، بناء على ذلك وافق مشايخ دارالعلوم وأساتذتها ومفتيها على قرارٍ تجاه أفكاره وآرائه، وأرسلوا إليه هذا القرار المجمع عليه، ورأى مشايخ دارالعلوم وعلماؤها من اللازم اتخاذ هذا القرار إنقاذًا لجماعة الدعوة والتبليغ من الأفكار والنظريات الشاذة، وإيضاحًا لمنهجها الصحيح الذي نهج لها سلفها الراحل، وإعادة إلى علماء الحق ثقتَهم بنفعها وصلاحها.

- ❖ في دورة مجلس الشورى المنعقدة في صفر ١٤٣٩هـ = ٦/ نوفمبر تم اختيار الشيخ أسرار الحق القاسمي عضو البرلمان الهندي، والشيخ عبد الصمد من ولاية بنغال، والشيخ محمد حسن من ولاية راجستان، والشيخ ميان أنظر حسين من مدينة ديوبند، والشيخ نظام الدين خاموش من مومباي أعضاء لمجلس الشورى.
- ❖ توفي فضيلة الشيخ عبد الحق الأعظمي أستاذ الحديث بالجامعة بديوبند في ٣٠/ ربيع الأول ١٤٣٨هـ = ٣٠/ ديسمبر ٢٠١٦م، ودفن بالمقبرة القاسمية.
- ❖ زار دارالعلوم وفد من المدينة المنورة مكون من كل من الشيخ الدكتور حامد أكرم البخاري، والشيخ عامر بن محمد فدا بهجت أستاذي الفقه والحديث بالمسجد النبوي، وعقدت حفلة ترحيب بهما في جامع رشيد الكبير، وذلك في ٤/ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ = ١/ فبراير ٢٠١٧م.
- ❖ في ٨/ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ= ٧/ مارس ٢٠١٧م عقدت رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند اجتماعها العام في دارالعلوم برئاسة فضيلة المفتي أبو القاسم النعماني، وقدحضره ممثلو المدارس الإسلامية في مختلف الولايات وأعضاء المجلس التنفيذي، وناقشوا القضايا الهامة المتصلة بالمدارس من الحفاظ على الشريعة الإسلامية، والحفاظ على المدارس الإسلامية، وتحسين المناهج التعليمية والتربوية، وتطوير المدارس الإسلامية الأعضاء وما إليها، ووافقوا على القرارات والتوصيات المهمة.

❖ توفي فضيلة الشيخ أزهر عضو مجلس شورى دارالعلوم ومدير المدرسة الحسينية برانجي بولاية جاركند، وذلك في ١٦/ شعبان ١٤٣٨هـ = ١٣/ مايو ٢٠١٧م.

❖ توفي فضيلة الشيخ رئاست علي ظفر البجنوري أستاذ الحديث بالجامعة وعميد القبول والتسجيل الأسبق بها بديوبند في ٢٣/ شعبان ١٤٣٨هـ = ٢٠/ مايو ٢٠١٧م، ودفن بالمقبرة القاسمية.

السنة ١٥٧: ١٤٣٩هـ= ١٨- ٢٠١٧م

قد اكتمل بناء مكتبة شيخ الهند الجامعية أو كاد، وهي مبنى مستدير يقع غربي باب الظاهر، ويشتمل على سبعة أدوار، مساحته ٢٦٢٠٠٠ قدم مربعة، أما الدور الأرضي فهو قبو مساحته ٢٤٠٠٠ قدم مربعة، يُستخدم للامتحانات والمؤتمرات، وأما الدور الثاني والثالث فهما خاصان بتدريس الحديث النبوي الشريف، ومساحته ٧٣٠٠٠ قدم مربعة، وأما ما تبقى من الأدوار فهي للمكتبة، وستكون المكتبة مزوَّدة بالتسهيلات الحديثة، و موزَّعة على الأجنحة للكتب في مختلف اللغات من العربية والأردية والفارسية والهندوسية والإنجليزية، والأجنحة لكتب مختلف الديانات والموضوعات. لذلك فقد أهابت دارالعلوم بالمؤلفين وأصحاب محلات الكتب التجارية وأولي الفضل والسعة أن يقفوا الكتب على المكتبة.

❖ في ٢٢- ٢٣/ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ= ١٢-١٣/ مارس ٢٠١٨م عقدت رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند اجتماعها العام في دارالعلوم برئاسة فضيلة المفتي أبو القاسم النعماني، وقد حضره ممثلو المدارس الإسلامية في الهند والنيبال، وأعضاء المجلس التنفيذي والمجلس العام، وأعضاء مجلس الشورى. لفت الاجتماع انتباه أصحاب المدارس الإسلامية إلى إحكام المداس قانونيًا، وتصحيح وثائق أراضيها ومستنداتها اللازمة، وعدم التقصير والإهمال في تسجيلها الرسمي، وعدم إتاحة المؤسسات الحكومية فرصة التدخل فيها. كما

دعا هم الاجتماع إلى تحسين نظامها الداخلي والشوريِّ، و تحقيق الحسابات، وتجنب المساعدات المالية للحكومة.

- ❖ توفي الشيخ محمد سالم القاسمي رئيس دارالعلوم وقف بديوبند في ٢٦/ رجب ١٤٣٩هـ = ٤/ أبريل ٢٠١٨م.

السنة ١٥٨: ١٤٤٠هـ= ١٩- ٢٠١٨م

- ❖ أصدرت الحكومة المركزية مرسومًا خاصًا لفرض الحظر على الطلقات الثلاث في مجلس واحد. فندَّد فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني رئيس الجامعة بهذا المرسوم واعتبره تدخلًا صارخا في القوانين الشخصية للمسلمين قائلًا: إن خطوة الحكومة هذه مناوئة لروح دستور البلاد الذي يخول الحرية الدينية لجميع طوائف البلاد.
- ❖ زار قاضي محكمة سهارنفور القاضي/ راجيف شرما دارالعلوم في ٣/ يناير عام ٢٠١٩م، واجتمع برئيس الجامعة فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني و نائبه فضيلة الشيخ عبد الخالق المدارسي. اطلع القاضي على تاريخ الجامعة ونشاطاتها ففرح بزيارته لها أشد الفرح، وعبر عن انطباعاته القيمة تجاه الجامعة.
- ❖ زار دارالعلوم/ ديوبند في ١٠/ ١٢/ ٢٠١٨م وفد من قساوسة النصارى مكون من أحد عشر نفرًا من الكنيسة الكاثوليكية بالهند.
- ❖ زار دارالعلوم وفد مكون من كل من الدكتور ياسر إمام محمد أستاذ بجامعة الأزهر بمصر، والكاتب الإسلامي البحريني الشيخ خالد بن محمد الأنصاري في ٢٦/ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ = ٣/ يناير ٢٠١٩م، واجتمع برئيس الجامعة المفتي أبو القاسم النعماني، وأخذ الجولة في مباني الجامعة ولاسيما مكتبتها الزاخرة بالكتب القيمة ونوادر المخطوطات، بالإضافة إلى مكتبة شيخ الهند الجامعية الحديثة العهد بالبناء.

قال الدكتور محمد وهو يتحدث إلى رئيس الجامعة: «نعترف بأن دارالعلوم ديوبند سار بذكرها الركبان في العالم، وهي مؤسسة تعليمية عالمية

عزيزة المثال. ولقد سررتُ جِدًّا بزيارتها والاجتماع بمسؤوليها وأساتذتها. ولابدَّ من أمثال هذه المؤسسات لرفع المستوى التعليمي ومحو الأمية»(١).

وقد سُرَّ كل من الضيفين بما لقيا من حفاوة وكرم في الجامعة سرورًا جمًّا(٢).

السنة ١٥٩: ١٤٤١هـ= ٢٠- ٢٠١٩م

لمزيد الاهتمام باللغة العربية، وغرس حبها في قلوب طلاب المدارس والجامعات الإسلامية، وتعميق صلتهم بها اتخذت الجامعة خطوة جديدة جديرة بالإشادة والثناء، وهي إصدار مجلة عربية فصلية تنشر على صفحاتها بحوث ومقالات الكتاب والأدباء أولي الأسلوب السهل، وتتيح للكتاب المبتدئين وأصحاب الأقلام الواعدين فرص النشر، وتأخذ بأيديهم في مجال الإنشاء والكتابة، وتُعنى بنشر المواد التي تعلِّم الأدب واللغة.

وقد لفت الشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري- أستاذ الحديث بالجامعة- انتباه مسؤوليها إلى إنشاء مثل هذه المجلة، وتقدم أعضاء النادي بالطلب موقعًا بتوقيعات أساتذة الأدب العربي إلى المجلس الاستشاري؛ فوافق أصحابُ الفضيلة الأعضاء للمجلس على إنشاء مجلة عربية فصلية باسم «النهضة الأدبية»، وذلك في دورته المنعقدة ٢٢-٢٤/ صفر١٤٤١هـ الموافق ٢٢- ٢٤/ أبريل ٢٠١٩م. وأسند رئيس الجامعة رئاسة تحريرها إلى كاتب هذه السطور، وهي تصدر باستمرار، وقد صدرت ٧ أعداد منها إلى كتابة هذه السطور (١٤/ شوال ١٤٤٢هـ).

❖ بسبب انتشار جائحة كورونا في الهند أغلقت الحكومة الهندية المدارس والجامعات، وألغت الامتحانات. فاتباعًا للتوجيهات الحكومية فيما يتعلق بجائحة كورونا امتحنت الجامعة طلاب السنوات الثلاث للمرحلة الثانوية

(١) مجلة الداعي، العدد: ٨، السنة: ٤٣، شعبان ١٤٤٠هـ = أبريل- مايو ٢٠١٩م.

(٢) تقارير دورات مجلس الشورى والمجلس التنفيذي، و أعداد مجلة الداعي العربية، وأعداد مجلة دارالعلوم الأردية، و أعداد جريدة آئينه دارالعلوم الأردية.

امتحانًا شفويًا بشكل عاجل، وألغت امتحانات المراحل الأخرى، وأعلنت عن الإجازة العامة للطلاب، وأوفدتهم إلى مدنهم.

❖ توفي فضيلة المفتي سعيد أحمد البالنفوري في ٢٥/ رمضان المبارك بمومباي، ودفن بها.

السنة ١٦٠: ١٤٤٢هـ= ٢١-٢٠٢٠م

❖ وافق المجلس الاستشاري في دورته المنعقدة في ٢٤-٢٦ / صفر ١٤٤٢هـ على اختيار فضيلة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني رئيس الجامعة شيخ الحديث بها، كما أسند منصب رئاسة هيئة التدريس بالجامعة إلى فضيلة الشيخ أرشد المدني حفظه الله، ومنصب مساعد رئيس الجامعة إلى الشيخ المقرئ السيد محمد عثمان المنصورفوري. وكذلك اختار المجلس الشيخ محمد عاقل الشاملوي مدير جامعة بدرالعلوم بـ «كرهي دولت» بمديرية «شاملي» عضوًا له.

❖ لقد توقف التعليم بعد انتشار جائحة كورونا في الجامعة شأن المؤسسات التعليمية الأخرى خوفا من تفاقم الجائحة، وعملا بالتدابير الوقائية من التباعد الاجتماعي، وعدم الخروج من البيوت، واستخدام الكمامات، وغسل الأيدي وما إليه.

سافر طلاب الجامعة إلى أوطانهم إلا عددًا قليلا منهم، وبقي أعضاء هيئة التدريس شهورًا لا عمل لهم ولا شغل، وذلك خلال اشتداد وطأة الجائحة. فلما خفت وطأتها ولم تسمح الحكومة بفتح الكليات والجامعات رغم المحاولة رأت إدارة الجامعة أن تغتنم أوقات المدرسين، كما رأت أن تحاول لمكافحة ما انتشر في المجتمع من منكرات ومعاصي؛ فكونت لجنتين:

إحداهما لجنة التأليف والتحقيق والترجمة ومديرها المفتي عمران الله القاسمي، وثانيتهما لجنة إصلاح المجتمع ومديرها المفتي محمد مزمل البدايوني، ويشرف على كلتا اللجنتين فضيلة الشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري مساعد رئيس الجامعة.

أما لجنة التأليف والتحقيق والترجمة فقد قامت بتفويض الموضوعات المختلفة إلى أساتذة الجامعة ومدرسيها ليقوموا بإعداد المقالات والكتيبات على تلك الموضوعات، كما أسندت إلى بعضهم عمل تحقيق الكتب القديمة، وإلى بعضهم الآخر ترجمة بعض الكتب.

وفعلا بدأ المدرسون يكتبون في عشرات الموضوعات، و يحققون الكتب القديمة ويعلقون عليها، وهكذا بدأت حركة التأليف والتحقيق والترجمة في الجامعة على نطاق جماعي وواسع، فالمدرسون يبذلون أوقاتهم في الأعمال العلمية، والمرجو أن اللجنة ستنال عما قريب عشرات المقالات والكتيبات والكتب المحققة بإذن الله.

أما لجنة إصلاح المجتمع فقد قامت أول الأمر بجمع المعلومات المتصلة بمساجد مدينة ديوبند والمساجد الواقعة في القرى التابعة للمديريات القريبة، مثل: سهارنفور، ومظفر نجر، وشاملي، وبعض القرى لولاية أترا كند، ثم أعددت برنامجًا واسعًا لبعث الدعاة من قسم الدعوة بالجامعة، و لبعث المدرسين إلى مساجد المدينة ومساجد القرى في المناطق المجاورة لإلقاء المحاضرات الدينية.

فاللجنة تبعث المدرسين إلى المساجد، حيث يلقون المحاضرات الدينية، ويقومون بتوجيه عامة المسلمين، وينكرون على ما انتشر في المجتمع من المعاصي كشرب الخمر، والقمار، واليانصيب، والارتشاء، وما يمارس من التقاليد الجاهلية بمناسبات الأفراح والأحزان، ويُعَرِّفُون عامة المسلمين واجباتهم الديينة، ويقومون بتوعية الشباب المسلم بالوعي الإسلامي، وتجنيبهم الانحراف والشذوذ.

ومما يجدر بالذكر أن اللجنة طلبت من كبار مشايخ الجامعة وأساتذتها أن يقوموا بإعداد كتيبات تتعلق بما عم المجتمع من منكرات وانحرافات، فقاموا بإعدادها، وقد بلغ عددها ثمانية عشر كتيبًا، فطبعت وتم توزيعها على

عامة المسلمين ليقرؤوها ويستفيدوا منها.

❖ توفي الشيخ السيد ولي الرحماني الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في ٢٠/ شعبان ١٤٤٢هـ= ٣/ أبريل ٢٠٢١م.

❖ توفي الشيخ نور عالم خليل الأميني أستاذ الأدب العربي ورئيس تحرير مجلة الداعي العربية في ٢٠/ رمضان١٤٤٢هـ= ٣/ مايو ٢٠٢١م، والشيخ محمد قاسم الميروتي أستاذ بقسم اللغة الفارسية بالجامعة في ٢١/ رمضان ١٤٤٢هـ= ٤/ مايو ٢٠٢١م، والشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي أستاذ الحديث بها في ٣٠/ رمضان ١٤٤٢هـ= ١٣/ مايو٢٠٢١م، والشيخ المقرئ السيد محمد عثمان المنصورفوري أستاذ الحديث ومساعد رئيس الجامعة في ٨/ شوال ١٤٤٢هـ= ٢١/ مايو ٢٠٢١م.

❖ توفي فضيلة الشيخ عبد الخالق السنبهلي أستاذ الحديث والأدب العربي ونائب رئيس الجامعة يوم الجمعة ١٩/ من ذي الحجة ١٤٤٢هـ=٣٠/ يوليو ٢٠٢١م.

❊ ❊ ❊

أهم الإنجازات التعليمية والبنائية التي شهدها العصر الرابع

يبتدئ هذا العصر منذ ما بعد المهرجان المئوي ويمتدّ إلى رئاسة الرئيس الحالي المفتي أبو القاسم النعماني. وقد شهد هذا العصر رئاسة هيئة التدريس لكل من الشيخ معراج الحق الديوبندي، والشيخ نصير أحمد خان، والشيخ سعيد أحمد البالنبوري، والشيخ أرشد المدني، ورئاسة هيئة الإفتاء للمفتي الأكبر محمود حسن الكنكوهي والمفتي نظام الدين الأعظمي. كما شهد عضوية مجلس الشورى لكبار الشخصيات أمثال: الشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ عبد الحليم الجونفوري، وأمير الهند أسعد المدني رئيس جمعية علماء الهند ومن إليهم.

وتخرج في هذا العصر أكثر من ٢٠٠٠٠ متخرج، وزاد عدد الطلاب من ٢٠٠٠ طالب إلى أكثر من ٤٠٠٠ طالب، وكانت الميزانية ٦.٢ مليون روبية، وتجاوزت اليوم ٢٦٠ مليون روبية. وتطورت الأقسام في هذا العصر كبيرًا، بينما فتحت أقسام وشعب جديدة مهمة.

إصلاحات في البرنامج التعليمي

كما شهد هذا العصر إصلاحات وتعديلات كبيرة في النظام التعليمي، فقد تمَّ تنظيم التعليم الابتدائي لاسيما الثانوي بشكل مستقل في المدرسة الثانوية، لأنَّ تعليم السنوات الابتدائية والثانوية له دور عظيم في بناء كفاءات وقدرات الطلاب، فإفراد المدرسة الثانوية بالتعليم الثانوي أدّى إلى تغييرات جذرية في التعليم الثانوي، مما جعله نموذجيًا للطلاب والمدارس الإسلامية، فزاد إقبال الطلاب عليه أكثر من ذي قبل.

وعُنِيَ بإنهاء المقررات الدراسية تدريسًا، وأخذ المدرسون بإنهائها حسب المنهج المقرر، وتم اختيار المدرسين أولي الكفاءات، وتمَّ توزيع الموادّ الدراسية

حسب كفاءاتهم واختصاصهم، وتوزيع الصفوف ذات الكمية الكبيرة للطلاب إلى فروع، وكانت الصفوف مثل هذه منقسمة إلى فرعين من قبل، وأما الآن فهي منقسمة إلى ثلاثة أو أربعة فروع، مما أدى إلى ثمرات نافعة.

كانت التخصصات (الدراسات العليا) من قبل أربعة: هي قسم التخصص في الفقه و الإفتاء، وقسم التخصص العالي في اللغة العربية وآدابها، وقسم التخصص في العلوم الدينية.

قد أنشئ في هذا العصر قسم التخصص في الحديث، الذي يُقْبَل فيه خمسة طلاب متفوقين، والذي يستغرق الدراسة فيه سنتين. ويدرِّس في هذا القسم ويشرف عليه أساتذةٌ مختصون في المادة. وصدوربحوث طلاب القسم ولاسيما فيما يتعلق بمصطلحات سنن الترمذي من الحسن و الغريب والضعيف زادَ القسم أهمية وحصد الإعجاب والثناء من الأوساط العلمية.

كما فُتِحَ قسم التخصص العالي في الفقه والإفتاء، والدارسة فيه تستغرق سنتين، ويُقْبل فيه الطلاب المتفوقون المتخرجون من قسم التخصص في الافتاء، ويتلقون التدرب على كتابة الفتوى. وكفى هذا القسمَ نجاحًا أن الطلاب المتخرجين منه يُعَيَّنُونَ فيه لكتابة الفتاوى.

كما أدخلت تعديلات في المنهج الدراسي لقسم التخصص العالي في اللغة العربية وزيد عدد الطلاب فيه.

ولتزويد المدارس الإسلامية بالمدرسين تم فتح قسم تدريب المدرسين، ويقبل الطلاب المتخرجون المتفوقون لهذا القسم بعد الاختبار، ويتلقون التدريب فيه سنتين.

أما قسم التجويد والقراءات فقد تخرج منه القراء والمجودون أولو الكفاءات، مما زاد القسم وقارًا واعتبارًا، كما ازداد إقبال الطلاب عليه.

أما تحفيظ القرآن الكريم فقد أدخلت فيه إصلاحات، فأُلْزِم المدرسون

المبادئ والتوجيهات، وأفرد له مبنى به سكن للطلاب ومكتب وله ناظر، بجانب ذلك أفرد قسم تعليم القرآن نظرًا.

كانت دراسة قسم اللغة الفارسية ست سنوات، ودراسة قسم التعليم الابتدائي يستغرق أربع سنوات، فالقسمان يستغرقان عشر سنوات، فضُمّ قسم اللغة الفارسية إلى قسم التعليم الابتدائي، ونظمت الدراسة فيه خمس سنوات وأدخلت فيها مادة اللغة الفارسية في السنتين الأخيرتين.

كانت السنة الدراسية يجري فيها ثلاثة امتحانات، الأول لفترة ثلاثة أشهر، والثاني لفترة ستة أشهر، والثالث في نهاية السنة الدراسية. ولاشك أن الاستعداد للامتحانات وتنظيمها يستغرق وقتًا كثيرًا، مما يؤثر على الكمية المقرر تدريسها من الكتاب المقرر؛ لذلك فألغي الامتحان الأول، وبقي امتحانان فحسب، الأول في وسط السنة، وهو الامتحان النصف السنوي، و الثاني: الامتحان النهائي في نهاية السنة.

كما أدخلت إصلاحات في منهج قبول الطلاب، فقد كان الطلاب من قبل يُمتحنون امتحانًا شفويًا، وكان ذلك يستغرق وقتًا كثيرًا لكثرة الطلاب. والآن يُمتحنون تحريريًّا، وذلك بأنها تُرَقَّم ورقاتُ الإجابة في الامتحان برقم سري، وقد أدى ذلك إلى تحسن في منهج الامتحان، واختيار الطلاب أولي الكفاءات، وازداد إقبال الطلاب إقبالا كبيرًا، فقد بلغ عدد المرشَّحين لامتحان القبول ١٠٠٠٠ طالب. ويختارمنهم المتفوقون حسب سعة الأقسام.

ومن أهم الإصلاحات في منهج القبول أنه ألغيت الرجاوات والشفاعات في شأن القبول، وجعلت كفاءات الطلاب مناط القبول.كما أدخلت إصلاحات في منهج قبول الطلاب في التخصصات، فقد يشترط للقبول بجانب الدرجات الممتازة الاختبارُ تحريريًّا وشفويًّا.

إنشاء الأقسام الدعوية

ومن أهم الأقسام التي أنشئت في هذا العصر مجلسُ صيانة ختم النبوة،

وذلك لما استقلت الهند وقامت دولة باكستان هاجر صناديد القاديانية ودعاتها إليها، وضعفت نشاطاتهم في الهند. ثم لما قام البرلمان الباكستاني بالموافقة على قرارٍ يعتبر القاديانيين أقلية غير مسلمة وتقلَّص نطاقُ نشاطاتهم في باكستان، اتخذوا الهند مركزًا لنشاطاتهم، فنظرًا إلى نشاطاتهم المتصاعدة وأخطارهم المتزايدة عقدت دارالعلوم مؤتمرًا عالميًّا بعنوان صيانة ختم النبوة في ٢٩-٣٠/ أكتوبر عام ١٩٨٦م. هنالك أنشئ في دارالعلوم مجلس ختم النبوة لمكافحة القاديانية ونشاطاتها، وهو يعمل منذ ذلك الوقت دؤوبًا لإعداد الدعاة الذين يلاحقون القاديانيين ويكشفون عن مكائدهم.

ومنها قسم المحاضرات العلمية، وهو يُعِدُّ الطلاب لمكافحة الفرق الضالة والاتجاهات المنحرفة والدفاع عن الإسلام، وهذه المحاضرات في مواضيع مختلفة من اليهودية والمسيحية والهندوسية والقاديانية والشيعية وما إليها، وهي تُلقى على طلاب التخصصات.

ومنها قسم دراسة المسيحية الذي أنشئ لرصد نشاطات المنظمات التبشيرية في البلاد ومكافحتها وملاحقتها.

ومنها قسم صيانة السنة الذي فُتِحَ لمكافحة نشاطات اللامذهبيين الذين يطعنون على الأئمة الفقهاء ويثيرون اختلافات بين المسلمين ويفرقون كلمتهم باسم العمل بالحديث.

إنشاء الأقسام التي يتطلبها العصر

و كذلك لتجديد الخطاب الديني والدعوي في العصر الحديث تمَّ إنشاء أكاديمية شيخ الهند للتحقيق والتأليف والصحافة، وقسم الحاسوب، وقسم الحاسوب لكتابة المجلات، ومكتب الإعلام، وقسم اللغة الإنجليزية وآدابها، وقسم الشبكة العنكبوتية (الإنترنيت). ولجمع المدارس الإسلامية على رصيف واحد تمَّ إنشاء رابطة المدارس الإسلامية لعموم الهند، بالإضافة إلى قسم شراء البضائع، وقسم السلع المخزونة.

الإنجازات البنائية

لقد تم خلال هذا العصر العديدُ من الإنجازات البنائية الهامة، فقد كمل بناء جامع رشيد العملاق، ودارالتربية، و المدرسة الثانوية، والوحدات السكنية للمدرسين، ورواق خالد، ورواق شيخ الهند المعروف بـ «أعظمي منزل» ورواق شيخ الإسلام المعروف بـ «آسامي منزل»، و مبنى حكيم الأمة المعروف بـ «دارالقرآن».

كما ابتدأ في هذا العصر بناء السكن الطلابي ذي الأدوار الثلاثة بعد هدم «الدار الجديدة» من جديد، و«مكتبة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي».

ازدادت دارالعلوم في هذا العصر شعبيةً وسمعةً عالمية، وظلت – وتظل– متمسكة بمبادئها الأساسية وقيمها السامية تمثل المذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة [1].



(١) دارالعلوم شاندار ماضي وتابناك حال روشن مستقبل قسم النشر والإعلام لدارالعلوم بديوبند، ودارالعلوم خدمات، حالات، منصو بے، لمؤلفه الشيخ سلمان البجنوري، و دارالعلوم ديوبند، تعارف، خدمات، منصو بے لمؤلفه الشيخ شوكت علي البستوي.

الجامعة فنًّا وعمارة

افتتحتِ المدرسة في مسجد «تشته» في ١٥/ المحرم ١٢٨٣هـ =٣١/ مايو ١٨٦٦م، فتوافد إليها طلبة العلم من مختلف أقطار الهند، بالإضافة إلى الذين يغدون ويروحون من ديوبند، حتى بلغ عددهم في السنة السادسة من افتتاحها ١٠٦ طلاب، وضاق مسجد «تشته» بهم، فنقلت المدرسة بطلابها إلى مسجد القاضي القريب من مسجد تشته، فلما تزايد عددهم نُقلت إلى جامع ديوبند.

وفي السنة التاسعة وافق المجلس الاستشاري على إنشاء مبنى واسع مستقل للمدرسة، فتم توفير التبرعات لهذا المشروع، و شراء قطعة أرض في الشمال الغربي من مسجد«تشته».

فعُقدَت حفلة على مرور عشر سنوات على إنشائها في ٢/ ذو الحجة سنة ١٢٩٢هـ =٣١/ ديسمبر١٨٧٥م، ووضع بهذه المناسبة حجر الأساس لمبنى نودره، وهو أول مبنى للمدرسة.

مبنى «نودره» (المبنى ذو الأبواب التسعة)

أول مبنى لدارالعلوم هو مبنى «نودره»، وهو يعني مبنى ذا أبواب تسعة، وقد وضع لبنته الأولى المحدث أحمد علي السهارنفوري بيده المباركة، ثم تلاه في وضع اللبِنات كل من الإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمد مظهر النانوتوي، و السيد محمد عابد الديوبندي، والشيخ ميان جي منے شاه الديوبندي، وتضرعوا إلى الله داعين للمدرسة بالخير والبركة.

وقد تم تشييد هذا المبنى على عهد الشيخ رفيع الدين الديوبندي عميد المدرسة، وذلك سنة ١٢٩٣هـ. وروي أن الشيخ رفيع الدين رأى النبي ﷺ في

المنام يقول له: «إن مساحة هذا المبنى قليلة جدًا، و خط بعصاه المباركة خطوطا على الأرض، وقال له: ابنِ على هذه الخطوط، فرُفِعَت قواعدُ المبنى عليها».

ولهذا المبنى دوران: الأرضي والعلوي، وكل دور يحتوي على تسعة أبواب، وطوله ٢٦ ياردة، وعرضه ١٢ ياردة، والدور الأرضي يحتوي على ثلاث قاعات، وكل قاعة مساحتها ٣٦×٢٥ قدمًا مربعة. وهذا المبنى يجمع بين البساطة والروعة، وبين الهندسة الهندية والإنجليزية.

وللمبنى فناء واسع يحيط به حجرات من ثلاثة جوانب الشمالي والجنوبي والشرقي، وتتوسطه شجرتان لـ «مولسري» (Mimusops elengi) ، وفيه بئر ذات ماء عذب، حُفِرَت لما شِيْد مبنى «نودره». وقد روي أن الشيخ رفيع الدين رأى في المنام أنَّ البئر مملوءة لبنًا، وأنَّ رسول الله ﷺ يوزعه على الناس، فمنهم من يأخذ منه في إناء كبير، ومنهم من يأخذ منه في إناء صغير، فأوّل أن اللبن علم، والأواني حظوظهم منه.

ولمبنى «نودره »باب كبير في الجانب الشرقي، يسمى بباب القاسم نسبة إلى الإمام محمد قاسم النانوتوي، فوقه مكتب الإدارة، ويقابل هذا الباب في الشرق باب آخر، وهو باب رئيس، يُسمى باب الإمداد (نسبة إلى الشيخ إمداد الله الفاروقي التهانوي المكي) الذي يعرف الآن بـ «باب قاسم ».

وقد استغرق تشييد مبنى «نودره» ٨ سنوات، وكلّفَ ٢٣٠٠٠ روبية هندية.

مكتب الإدارة (مكتب رئيس الجامعة)

أما مكتب الإدارة فقد شُيِّد على عهد الشيخ الحافظ محمد أحمد رئيس الجامعة سنة ١٣١٥هـ =١٨٩٧م، وكان يقع شمالي باب القاسم فوق البئر، وأما الآن فهو فوق الباب نفسه، و له غرفتان كبيرتان تستعملان للمكتب.

أول سكن طلابي

أول سكن طلابي شُيِّد لدارالعلوم سنة ١٣١٦هـ =١٨٩٨م، وقد استغرق

بناؤه سنتين، وتبرع له مسلمو حيدرآباد بسبعة آلاف روبية، كما تبرعت له السيدة نواب شاه جهان بيغم ملكة بوفال بمساعدة غالية. كان السكن يجاور فناء مولسري شمالًا، وهو يُعْرَفُ بـ «إحاطه باغ»، وكان يحتوي على ١٩ حجرة، ويسع ٥٦ طالبًا. ومساحة كل حجرة ١١×٩ قدمًا مربعة. ثم زيدت حجرات في السكن سنة ١٣٥١هـ =١٩٣٢م. أما الآن فقد بقي في هذا السكن حجرات وهُدِمَ معظمُه، وضُمَّ إلى الدار الجديدة.

مكتب المالية

بجانب السكن الطلابي بني مكتب المالية فوق الباب الرئيس سنة ١٣١٧هـ= ١٨٩٩م، كما بنيت –إلى ذلك- حجرات للضيوف. وقد كلَّف بناء السكن وهذا المبنى ١٢٠٠٠ روبية هندية.

المكتبة

قد كانت المكتبة في بداية الأمر حجرات جنوبيَّ مبنى نودره، فلما ضاقت الحجرات بالكتب، تمَّ تشييد مكتبة بين مبنى نودره ومسجد «تشته» في ٢/ صفر ١٣٢٤هـ = ٢٨/ مارس ١٩٠٦م، وقد تبرع لها السري يوسف علي خان أمير ولاية «ميندهو» بعلي جراه بسبعة آلاف روبية، فكانت المكتبة تسمى المكتبة اليوسفية. ثم ساهم أهالي ميروت في بناء المكتبة بمساعداتهم.

وهذا المبنى له دوران، والمكتبة في الدور الثاني. وقد أدخلت توسيعات عليها، فبنيت قاعات للكتب العربية، كما خصصت حجرة لمؤلفات مشايخ دارالعلوم وأبنائها البارزين.

أما مساحات حجرات المكتبة فهي:

الحجرة الأولى (٤٩× ٢٣قدما مربعة)

الحجرة الثانية (٢٠× ١٩قدما مربعة)

الحجرة الثالثة (٢٥× ١٣قدما مربعة)

الحجرة الرابعة (٢٤× ٢٠قدما مربعة)

الحجرة الخامسة (٣٧× ١٣قدما مربعة)

الحجرة السادسة (٢٢× ٢٠قدما مربعة)

ونظرًا إلى تزايد عدد الكتب ضمّت حجرات إلى المكتبة، مما زاد المكتبة مساحة.

مسجد دارالعلوم (المسجد القديم)

لم يكن للدار مسجد في بداية أمرها، فكان الطلاب يذهبون للصلاة إلى المساجد القريبة من الدار، وكانت الحاجة ماسة أن يبنى مسجد في فناء دارالعلوم. فتحقيقًا لهذه الحاجة تم شراء قطعة من الأرض شمالي الباب الرئيس للدار، وذلك بمساعدة مالية من الحاج فصيح الدين الميروتي سنة ١٣٢٥هـ =١٩٠٧م.

وفي سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م تبرع رجل الأعمال غلام محمد أعظم الرانديري بـ ١٩٠٠٠روبية هندية لبناء المسجد، فوُضِعَ حجر أساسه في ٤/ ربيع الأول ١٣٢٧هـ =٢٢/ مارس ١٩٠٩م، وقد جاء في تقرير عن حفلة وضع حجرِأساسه:

في مشهد من الطلاب وضع علماء الدين حجر أساسه، ثم تلاهم الطلاب فوضعوا اللبنات لبِنَةً لبِنَةً، بل رفعوا القواعد على أسس عميقة، وكان الطلاب والمدرسون متحمسين فكانوا يحملون الأطواب والطين على رؤسهم، وممن اشتركوا في البناء الشيخ مسعود أحمد ابن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ عبد الرحيم الرائفوري، والشيخ محمود حسن الديوبندي رئيس هيئة التدريس، والشيخ محمد أحمد النانوتوي رئيس الجامعة، وكانوا يتبعون سنة الخليل إبراهيم عليه السلام في بناء بيت الله، ويدعون الله بما دعا به خليل الله، ويرتجزون بالأراجيز، مما كان يشكل منظرًا جميلًا.وقد وضع حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري بأيديهما المباركة حجر أساس المسجد في جداره الشرقي.

ويعرف هذا المسجد بالمسجد القديم، وله دوران، وجداره الشرقي من

الحجر، ذو نقوش جميلة، وعليه لوحة مكتوب فيها الأبيات بالفارسية التي قالها الشيخ محمود حسن رئيس هيئة التدريس:

در مدرسه مسجدے بناء شد
این مژده زدوستان شنیدم
بر لوح جبینش اسم اعظم
خواندم چو بصحن رسیدم
در سجدۂ شکر چوں فتادم
در گوش رسید ایں نشیدم
مقرون شد عبادت وعلم
در مدرسه خانقاه دیدم

١٣٢٨هـ

وله منارتان ذواتا نقوش جميلة، وانتهى بناؤه سنة ١٣٢٨هـ =١٩١٠م. ثم أدخل التوسيع عليه سنة ١٣٤٩هـ =١٩٣٠م، ووسع فناؤه في الجانب الشرقي، والحوض الذي كان في منتهى الفناء، أصبح بعد التوسيع في وسطه تقريبًا. كذلك تم بناؤ الدور الثاني من المسجد. وفي ١٣٧٥هـ =١٩٥٥م بُني الحوض من الحجر في منتهى الفناء تحت مبنى دارالإفتاء.

ولما أدخلت توسيعات وترميمات على الكثير من المباني بمناسبة الاحتفال المئوي للدار، تم تشييد الدور الثاني من المسجد، وبني له سقف ومنارتان ذواتا نقوش جميلة مثل الدور الأرضي.

أما مساحة المسجد من الداخل فهي ٤٢×٣٣ قدما مربعة، وأما مساحته من الخارج فهي ١١٨×٥٠ قدما مربعة.

دار الحديث التحتانية

لا شك أنَّ دارالعلوم لها فضل تقدم في بناء مبنى لتدريس الحديث النبوي

الشريف، حيث شَيَّدتْ أول مبنى مستقل باسم دارالحديث في هذه البلاد، ولم يعرف قبلها مبنى بهذا الاسم.

وقد تبرع لهذا المشروع السري سليم الله خان أمير دكة (عاصمة بنغلاديش حاليًّا) بـ ١٣٠٠٠ روبية هندية. وعقد احتفال تأسيسها في ٢٠/ ربيع الأول ١٣٣٠هـ =٨/ أبريل١٩١٢م الذي حضره شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ عبد الرحيم الرائفوري، والشيخ أشرف علي التهانوي، و غيرهم من كبار العلماء وعامة المسلمين من أنحاء البلاد.وقال الشيخ أشرف علي التهانوي للحشد الحاضر: «ليضع كل واحد منكم لبنة أو لبنتين، عسى أن يقع عند الله موقع القبول».

وقد ساهم الطلاب في حفر الأرض ورفع القواعد فيها بقلوب ملؤها الشوق والرغبة والإخلاص لله، ودعوا الله بالخير والبركة، وارتجزوا بأراجيز مختلفة، وبذلوا من الجهود في حفر الأرض ورفع القواعد فيها أكثر مما بذل العمال.

وقد رأى بعض السادة في المنام أن المشايخ حاضرون لدى بناء دارالحديث ويساهمون فيه بأيديهم.

وقد اكتمل تشييد دار الحديث سنة ١٣٤٩هـ =١٩٣٠م وهي تقع خلف مبنى نودره مباشرة في الجانب الغربي، كما تم تشييد ١٣ حجرة على جانبيه الشمالي والجنوبي، وقد قُدرت تكاليف هذا كله بـ ١٥٠٠٠٠ روبية هندية.

وهذا المبنى يحتوي على قاعة كبيرة تشبه قاعة المحاضرات، وقد تم تدريس الحديث فيها مدة من الزمن، و تسمى دارالحديث التحتانية.

مسجد المحطة

أصبحت ديوبند- بعد ما أقيمت فيها دارالعلوم- مأوى للعلماء وكثر اختلافهم إليها، وذلك بالقطار وحده؛ لأن الشوارع لم تكن مرصوفة، والمراكب الأخرى لم تكن متوفرة، فمست الحاجة إلى إنشاء مسجد قرب محطة القطار تسهيلًا على المسافرين، وقد تبرع أحد أصحاب الخير والمساعدة من مدينة دهلي لهذا

المشروع البنائي المبارك.

وتم تشييد مسجد المحطة سنة ١٣٣٣هـ = ١٩١٥م، وبني بجانبه حجرتان للإمام والمؤذن، كما بنيت بجواره دكاكين، ليُنْفَق دخلُها على حاجات المسجد.وللمسجد فناء واسع محاط بالسور، وقد كلف مشروع بناء المسجد وما إليه ٥٠٠٠ روبية هندية.

السكن الطلابي (الدار الجديدة)

تجاوز عدد الطلاب ٦٠٠ طالب سنة ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م، وضاقت بهم حجرات السكن، فأقام بعضهم في السكن، واضطر بعضهم إلى الإقامة في مساجد المدينة والمنازل المستأجرة، مما أخلَّ بانقطاعهم إلى الدراسة في جانب، وبالإشراف على تربيتهم في جانب آخر.

بناءً على ذلك فقد جاءت الموافقة على مشروع إقامة سكن طلابي جديد متمثل في ٥٢ حجرة على قطعة أرض واسعة غربيَّ دارالحديث في الجوانب الثلاثة الشمالي والجنوبي والغربي، وقد قدَّم عدد من أثرياء مدينة «أمرتسر» مساعداتهم المالية لهذا المشروع.

فبدأ العمل للمشروع، فتمَّ بناء خمس حجرات منه على عهد رئاسة الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي، واكتمل المشروع سنة١٣٦٠هـ =١٩٤١م على عهد المقرئ محمد طيب القاسمي. والسكن الجديد له دوران، أما الدور الثاني فقد جاء بناؤه في عصور مختلفة. وقد أضيف إلى الدور الثاني حجرات بمناسبة الاحتفال المئوي سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، حتى بلغ عدد حجرات السكن الجديد ١٠٠ حجرة. وهو أكبرسكن طلابي لدارالعلوم مساحته ٥٠٠×٣٦١ قدم مربعة، وكل حجرة فيه لها مساحة ١٩×١٨ قدمًا مربعة، وهي تسع ٨ طلاب.

وعلى عهد رئاسة المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الأسبق تم تشييد باب يعقوب –نسبة إلى الشيخ محمد يعقوب النانوتوي – شمالي دار الحديث، وقد عُرِف فيمابعد بـ «باب مدني» لما كان الشيخ حسين أحمد المدني يدخل منه

لتدريس صحيح البخاري. كما بُني باب رفيع- نسبة إلى الشيخ رفيع الدين الديوبندي- جنوبي دار الحديث، وهو الذي قد عرف فيما بعد بـ «باب معراجٍ» لما كان الشيخ معراج الحق الديوبندي -رئيس هيئة التدريس بالجامعة سابقا- يقيم في الغرفة المبنية فوقه.

وفي سنة ١٣٥٩هـ =١٩٤٠م بني باب - غربي دارالحديث وقبالتها - يسمى «باب الظاهر» نسبة إلى جلالة الملك ظاهر شاه ملك أفغانستان.

دار الحديث الفوقانية

وفي ١٣٥٢هـ =١٩٣٣م بُني فوق مبنى نودره قاعة كبيرة، مساحتها ٦٨× ٣٥ قدمًا مربعة، مما زاد مبنى «نودره» حسنًا وبهاءً.وهي تعرف الآن بدارالحديث الفوقانية، وقد كان شيخ الإسلام حسين أحمد المدني يدرِّس فيها الحديث النبوي الشريف.أما الآن فيدرس فيها أحد فروع الصف السابع.

فصل اللغة الفارسية

وتم بناء فصل اللغة الفارسية سنة ١٣٥٦هـ =١٩٣٧م، وكانت تُدرّس فيه اللغة الفارسية بجانب العلوم العصرية.ومساحة هذا الفصل٤٦× ٤٣ قدمًا مربعة.

إدارة المحفوظات (مكتب الأراشيف)

وفي السنة نفسها ١٣٥٦هـ =١٩٣٧م تم بناء إدارة المحفوظات (مكتب الأراشيف) للحفاظ على السجلات والتقارير، وهو مبنى ذو دورين، يقع جنوب مكتب الإدارة.

دار التفسير

فَتَحَتْ دارالعلوم قسم التخصص في التفسير سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م، ولم يكن له مبنى مستقل، وكانت الحاجة ماسة إلى ذلك، ففي سنة ١٣٥٨هـ =١٩٣٩م تم تشييد قاعة فوق دارالحديث التحتانية، مساحتها ٣٠×٣٠ قدمًا مربعة، وللقاعة قبة كبيرة كأنها تاج على رأس دارالعلوم يترآى للناظرين من

بعيـد. ومبنـى دارالحـديث والقاعـة ذات القبـة الكبـيرة يـستعمل اليـوم كرمـز لدارالعلوم بديوبند.

باب الظاهر

هـو بـاب - غـربي دار الحـديث وقبالتهـا-، بنـي سـنة ١٣٥٩هـ =١٩٤٠م، ويسمى باب الظاهر نسبة إلى جلالة الملك ظاهر شاه ملك أفغانستان.وقد تبرعت لبنائه حكومة أفغانستان. وقد حضر حفلة تأسيسه صدر يارجنك السري حبيب الـرحمن الـشرواني عـضو المجلـس الاستـشاري لـدارالعلوم، و جمـع مـن العلـماء وطلاب العلم، فكان يومًا مشهودًا.

وهـذا البـاب ذو ثلاثـة أدوار يحتـوي عـلى حجـرات وفـصول دراسـية، ومساحته ٤٢×٥٤ قدمًا مربعة.

المطبخ

تـم إنشاء مطبخ في دارالعلوم سنة ١٣٢٨هـ =١٩١٠م، وكان الطلاب من قبلُ إما يأخذون الجراية من بيوت أهـل المدينة، وإما ينالون منحًا دراسية مـن دارالعلوم يغطون بها حاجاتهم من الغداء والعشاء والفطور. ثم أدخل توسيع على المطبخ سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٣م.

ثـم أقـيم مبنـى للمطـبخ سـنة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م غـربي مبنـى «نـودره» وخلـف مـسجد تـشته، ومـساحته ٧٠×٥٥ قـدمًا مربعـة، وهـذا عـلاوة عـلى مبنـى لتوزيع الطعام ومدَّخر للحطب.

دارالإفتاء

بدأ إصدار الفتاوى وتبيين المسائل وتأسيسَ دارالعلوم، وأنشئت دارالإفتاء بشكل منتظم سنة ١٣١٠هـ=١٨٩٢م، و مبنى دارالإفتاء القديم كان صغيرًا وضيقًا على المـوظفين، فبني مبنى كبير لدارالإفتاء على الدور الثاني من المبنى القائم شرقي

المسجد القديم. ولدارالإفتاء ثلاث قاعات، ومساحتها فيما يلي:

القاعة الأولى: ١٧× ١٤ قدمًا مربعة.

القاعة الثانية: ١٨× ١٤ قدمًا مربعة.

القاعة الثالثة: ١٤× ١٢ قدمًا مربعة.

وقد أدخل توسيعات على دارالإفتاء مؤخرًا، فأضيفت إليها حجرات وأبهاء.

دارالقرآن

أقيم مبنى دارالقرآن سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م لتعليم القرآن نظرًا وتحفيظًا وللصفوف الابتدائية، وهويقع غربي المطبخ، ويحتوي على خمسة فصول، ومساحة كل فصل: ٢٥× ٢١ قدمًا مربعة. وتم تشييده على نفقة الشيخ فيروز الدين الكالكوتوي.

دارالضيافة

أقيمت حجرات للضيوف على الباب الرئيس بجانب مكتب المالية سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م، ثم بنيت دارالضيافة أمام المسجد القديم سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م، ومساحتها: ١١٥× ٨٠ قدمًا مربعة. ثم أُدخِلَتْ تعديلات وتوسيعات عليها سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

دارالشفاء

بدأ تدريس مادة الطب في دارالعلوم سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) ، وقد عُيِّن لتدريسه الطبيب محمد حسن الديوبندي شقيق شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، فكان بجانب تدريس الفقه والحديث يدرس الطب ويداوي المرضى. وفتح قسم الطب بشكل مضبوط سنة ١٣٢٩هـ =١٩١١م، ولم يكن مبنى مستقل للقسم.

ثم في سنة ١٣٧٢هـ =١٩٥٢م تمَّ توسيع هذا القسم، وأقيم مستشفى باسم دارالشفاء شمالي دارالعلوم، وكان يشتمل على الأدوية اللازمة وسرر وممرضين، وطاقم مكون من ستة أشخاص. وكان يتلقى فيه العلاجَ الطلابُ

وأهالي المدينة من المسلمين والهندوس.

قدم مجلس الوقف بكرنال بولاية «هريانه» لدار الشفاء مساعدة مالية ذات بال واشترط أن تسمى دار الشفاء بمستشفى عظمت (نسبة إلى السري عظمت علي خان). والمستشفى معروف بهذا الاسم إلى اليوم.

الجامعة الطبية

هذا إلى أن مجموعة من الأطباء المعروفين في البلاد طالبت الحكومة بالاعتراف بقسم الطب -الذي تحول إلى الجامعة الطبية -ككليات الطب الأخرى في البلاد، ومنح المتخرجين منه شهادة الدبلوم في الطب، فوافقت الحكومة على طلبهم.

فأقيم مبنى كبير للجامعة الطبية شمالي دارالعلوم سنة ١٣٨٠هـ =١٩٦٠م، يشتمل على فصول دراسية ومستشفى ذي أسرة. والتعليم فيها كان يستغرق ٤ سنوات.

واكتمل بناء الجامعة الطبية سنة ١٣٩١هـ =١٩٧١م، وكانت تحتوي على قاعتين كبيرتين وأربع حجرات وأبهاء.

فلما اشترطت الحكومة على الجامعة الطبية شروطًا صارمة لاتستطيع دارالعلوم وفاءها ألغت الحكومة الموافقة، فتعطلت الجامعة الطبية وتوقف تدريس الطب فيها. وكان مبنى الجامعة الطبية أمام رواق أعظمي، فلما ألغيت الموافقة وتوقف تدريس الطب هُدمَ وجعل المكان قاعًا صفصفًا لعقد الاجتماعات العامة.

توسيعات في مسجد تشته

أدخلت توسيعات على مسجد تشته سنة ١٣٨٩هـ =١٩٦٩م، وكان في الجانب الجنوبي للمسجد حجرتا الشيخ السيد محمد عابد الديوبندي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي. وأما في الجانب الشمالي فكان حجرة الإمام محمد قاسم النانوتوي، وكانت هذه الحجرات متداعية؛ فتم هدمها وأعيد بناؤها.

وفي السنوات الأخيرة تم توسيع المسجد كذلك؛ فجعل صحن المسجد

مسقوفًا.

المبنى الأفريقي القديم

وفي سنة ١٣٨٨هـ =١٩٦٨م تم تشييد المبنى الأفريقي القديم على نفقات أهل الثروة من إفريقيا. وكان المبنى سكنًا للطلاب، ثم تمَّ تحويله إلى سكن للمدرسين.

المبنى الأفريقي الجديد

وفي سنة ١٣٩١هـ =١٩٧١م تم بناء المبنى الأفريقي الجديد كسكن للطلاب، وهو يحتوي على ١١حجرة. وفي ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م تم بناء الدور الثاني منه الذي يحتوي على ١٣ حجرة.

رواق خالد

هو سكن طلابي ذو دورين يقع خلف الجانب الجنوبي الغربي للدار الجديدة، وقد تبرع له جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود/ رحمه الله شخصيًا بمئة ألف ريال، وحضر معالي الشيخ صالح عبد الله الصقير سفير المملكة العربية السعودية مناسبة وضع حجر أساسه. وابتدأ بناؤه في ذي الحجة ١٣٩٩هـ = نوفمبر ١٩٧٩م، وانتهى سنة ١٤٠٣هـ =١٩٨٢م. و فوق مدخله لدى السُلَّم لوحة منصوبة في الجدار مكتوب فيها:

«قام بوضع حجر أساسه صاحب السعادة الشيخ صالح عبد الله الصقير سفير المملكة العربية السعودية في الهند بتاريخ ٢٦/ ذي الحجة ١٣٩٩هـ الموافق ١٧/ نوفمبر ١٩٧٩م بدعوة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد طيب رئيس الجامعة توطيدًا وتخليدًا للرابطة الإسلامية والثقافية بين المملكة والجامعة حرسهما الله وشملهما بالتوفيق الدائم».

وفي السنوات الأخيرة قد أقيم مبنيان لثلاثة أدوار على جانبي رواق خالد الشمالي والجنوبي، وهذه المباني الثلاثة تتضمن ١١٦ حجرة.

السكن للمدرسين

قامت دارالعلوم بتوفير سكن للمدرسين، فقامت ببنائه الشمال الغربي للمبنى الأفريقي الجديد سنة ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م، وهذا السكن ذو دورين يحتوي على ٨ شقق.

كما أن المبنى الإفريقي القديم قد تم تحويله إلى سكن للمدرسين، وأضيف إليه ثلاث شقق كذلك، مما بلغ عدد الشقق فيه ثماني شقق.

هذا إلى أنه تم تشييد خمس شقق للمدرسين فوق دارالقرآن القديمة عام ١٩٩٥م.

دارالتربية

تم بناؤها للأطفال سنة ١٤٠٧هـ =١٩٨٦م، وذلك تحت إشراف فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي. وكان موقعها شمالي المبنى الأفريقي الجديد. فلما بُني مبنى شيخ الإسلام هدمت وبُنِي مكانها.

جامع رشيد

بلغ عدد الطلاب في دارالعلوم ٣٠٠٠ طالبٍ سنة ١٤٠٦هـ =١٩٨٥م، ولم يكن فيها إلا مسجدان: مسجد تشته، ومسجد دارالعلوم (المسجد القديم) ، وكان الجزء المسقوف منهما لا يسع إلا ألف طالب، وأما الطلاب الآخرون فكانوا يصلون في صحن غير مسقوف من المسجدين صيفًا وشتاء وفي فصل الأمطار، مما كان يؤدي إلى متاعب ومصاعب. فنظرًا إلى ذلك قررت إدارة دارالعلوم بناء مسجد واسع كبير.

ففي ٢٣/ رجب ١٤٠٦هـ =٤/ أبريل ١٩٨٦م بعد صلاة الجمعة في الساعة الثالثة وضع حجر الأساس للمسجد المزمع بناؤه مجموعةٌ من كبار المشايخ والعلماء أمثال الطبيب الشيخ عبد الرشيد محمود (حفيد المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي) والمفتي الأكبر محمود حسن الكنكوهي، والشيخ السيد أسعد المدني، والداعية الشيخ محمد عمر البالنفوري، والقاضي زين العابدين الميروتي، والشيخ

محمد طلحة الكاندهلوي، والحاج علاء الدين المومباوي، والشيخ مرغوب الرحمن البجنوري رئيس الجامعة وغيرهم من أساتذة دارالعلوم وطلابها وجمع من أهالي المدينة، ودعوا الله ضارعين خاشعين لبناء هذا المسجد وإكماله. وسُمِّي بمسجد أوجامع رشيد نسبة إلى المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي.

وأما موقعه فهو الشمال الغربي من الباب المدني، وشمال باب الظاهر. وقد استغرق بناؤه ١٢ سنة، وكلف مئة مليون روبية هندية، تبرع بها المسلمون في الهند، مما يدل على حبهم للدين، ورغبتهم في أعمال الخير، وعلاقتهم الوثيقة بدارالعلوم. وقد أشرف عليه طوال مدة تشييده فضيلة الشيخ عبد الخالق المدراسي/ حفظه الله، وبذل له مجهوداته المكثفة، حتى اكتمل بناؤه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

والمسجد فخم رائع مبني بالمرمر الأبيض، تتجلى فيه الهندسة الإسلامية، ويستوقف الناظرين بروعته وبهائه ويشد انتباههم، وله خمسة أبواب داخلية، أحدها في الجانب الشرقي، والبابان منها في الجانب الشمالي، والبابان الآخران منها في الجانب الجنوبي، أما الباب الشرقي فهوأفخمها وأروعها وأعلاها، يبدو كأنه بناء مستقل.

وللمسجد صحن واسع غير مسقوف، وعلى جانبيه بهوان طويلان مسقوفان، وأما المسقوف من المسجد فهو يسع ٨٠٠٠ مصلٍّ، بينما يسع المسجد كله ١٨٠٠٠ مصلٍّ ، ومساحة المسقوف منه شرقًا وغربًا ١٢٠ قدمًا مربعة، وشمالا وجنوبًا ١٤٠ قدمًا مربعة. وللمسجد ثلاثة أدوار، وكل دور يسع ٢٥٠٠ مصلٍّ. وله قبو (سرداب) يعتكف فيه المعتكفون في شهر رمضان، وكان يجري فيه الامتحانان النصف السنوي والسنوي، ويدرَّسُ فيه الحديث لطلاب السنة النهائية.

وله منارتان عاليتان تتوسطهما قبّة كبيرة تزيد المسجد حسنًا وجمالًا. والمسجد كله محاط بسور مرتفع، بداخله حدائق ذات بهجة شرقًا وغربًا وشمالًا. وأمام المسجد في الشرق الجنوبي حوض كبير مبني بالمرمر الأبيض.

والمسجد جميل واسع يمثل الفن الإسلامي الرائع، يزوره الزائرون، ويصلون فيه ركعتي المسجد.

رواق شيخ الهند محمود حسن الديوبندي (رواق أعظمي)

هو رواق تبرع لبنائه عدد من تجار مدينة «أعظم جراه» المقيمين بمومباي، فتم تشييد هذا المبنى أمام الجامعة الطبية، وبني بادئ ذي بدء ٢٦ حجرة عام ١٩٨٦م، ثم بني له دوران، حتى بلغ عدد الحجرات في الرواق في أدواره الثلاثة أكثر من ٦٠ حجرة.

عرف هذا الرواق برواق أعظمي، ثمَّ سُمِّي برواق شيخ الهند محمود حسن الديوبندي.

مبنى حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوي (المدرسة الثانوية)

هو مبنى ذو دورين يُعرف بالمدرسة الثانوية، وقد جاء تشييده للتعليم الثانوي، وهو يشتمل على مكتب وفصول وقاعات، يُدَرَّس فيها الصفوف العربية من الأول إلى الرابع.

رواق شيخ الإسلام حسين أحمد المدني (رواق آسام)

نظرًا إلى تزايد عدد الطلاب تم بناء رواق واسع شمالي الرواق الأفريقي الجديد، وهو يحتوي على ١٢٠ حجرة كبيرة، وسُمِّي برواق شيخ الإسلام حسين أحمد المدني.

مبنى حكيم الأمة أشرف علي التهانوي (دارالقرآن الجديدة)

قامت دارالعلوم بتشييد مبنى يسمى دارالقرآن الجديدة ليتم فيه تعليم أطفال المسلمين القرآن نظرًا وتحفيظًا، وذلك شمالي المدرسة الثانوية قرب الشارع العام. وقد تم الفراغ من بناء دارالقرآن سنة ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م.

ثم سُمّيت دارالقرآن بمبنى حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وله ثلاثة أدوار، يشتمل على ٢٥ فصلا لتعليم القرآن تحفيظًا ونظرًا، وسكن للأساتذة

والطلاب، ومصلى، ومكتب يشرف على جميع الفصول الدراسية.

الدار الجديدة (إعادة البناء)

كان السكن الطلابي المعروف بالدار الجديدة قد جاء بناؤه قبل ٧٥ سنة تقريبًا، وقد دب إليه البلى، وبدا فيه الفتوق، وتداعى أبهاؤه المبنية أمام الحجرات، فقررت دارالعلوم مشروع هدمه وإعادة بنائه، و كان المشروع يتمثل في أن يكون السكن الجديد ذا ثلاثة أدوار مشتملا على ١٢٥ حجرة، وفي كل حجرة ١٠ أو١٤ سريرًا، وبعدد الأسرة دواليب.

وبدأ المشروع سنة ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م وتمَّ تنفيذه مرحليًا، ففي المرحلة الأولى قد تم إعادة بنائه من باب الظاهر إلى باب المعراج، وهو يشتمل على ٣٠ حجرة، وفي المرحلة الثانية أعيد بناؤه من باب الظاهر إلى الباب المدني، وهو كذلك يشتمل على ٣٠ حجرة. وفي كل حجرة ١٠ أسرة، وبعدد الأسرة دواليب.

وفي المرحلة الثالثة أعيد بناؤه من الباب المدني إلى المبنى المعروف بإحاطة باغ، وهويحتوي على ١٩ حجرة، و في كل حجرة ١٦سريرًا ودولابًا، وتحت هذا الجزء من السكن قبو (سرداب) يستعمله الطلاب كمكتباتهم الخاصة.

وكل حجرة مع بهوها مساحتها: ٣٠× ٢٣، ولكل مجموعة من الحجرات مرافق.

مكتبة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي الجامعية

كانت دارالعلوم في أمس حاجة إلى مكتبة حديثة مزوَّدة بالتسهيلات المعاصرة –رغم احتضانها مكتبة قديمة مشتملة على نوادر الكتب والمخطوطات– فقرر مجلسها الاستشاري سنة ١٤٢٥هـ (٢٠٠٥م) تشييد مكتبة جامعية تسمى مكتبة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي الجامعية مزوَّدة بالتسهيلات المعاصرة.

تم تشييد هذه المكتبة غربي باب الظاهر، ولها سبعة أدوار، ومساحتها ٢٦٢٠٠٠ قدمًا مربعة، فالدور الأرضي الذي هو عبارة عن قاعة كبيرة مساحته

٤٢٠٠٠ قدمًا مربعة، يستعمل للامتحانات والاجتماعات. وأما الدور الثاني والثالث اللذان مساحتهما ٧٣٠٠٠ قدم مربعة فهما يُشكِّلان دار الحديث، وأما الأدوار الأربعة الباقية فهي للمكتبة الجامعية. وللصعود إلى الأدوار ستكون المكتبة مزوَّدة بأربعة مصاعد كهربائية. وجدار مبنى المكتبة من الخارج مثبت فيه حجر لوزي اللون، وهي أكبر مبنى في دار العلوم بديوبند، أشرف على بنائها فضيلة الشيخ عبد الخالق المدراسي/ حفظه الله.

الأدوار الثلاثة السفلى تستعمل للامتحانات والاجتماعات وتدريس الحديث النبوي الشريف، وأما الأدوار الأربعة المخصصة للمكتبة فهي قيد التأثيث.

مبنى الفصول الدراسية الجديدة

بجانب بناء مكتبة شيخ الهند الجامعية تم تشييد ٤٠ فصلًا دراسيًّا للصفوف العربية، وذلك ما بين مكتبة شيخ الهند وباب الظاهر، والفصول كلها فسيحة ذات تهوئة.

المطبخ الجديد

تضعضع بنيان المطبخ القديم لتقادم العهد، ومست الحاجة إلى مطبخ أكبر وأوسع منه بالإضافة إلى كونه مزوّدًا بالآلات والوسائل الحديثة، فقامت دار العلوم ببناء مطبخ جديد ذي دورين خلف مبنى شيخ الإسلام حسين أحمد المدني. أما الدور الأول فهو يشتمل على ما يحتاج إليه من الآلات الحديثة لإعداد الطعام بالإضافة إلى ١٢ حجرة، وأما الدور الثاني ففيه ٣ قاعات كبيرة تستعمل كمدخرات للمواد الغذائية.

السكن الجديد للمدرسين

تمَّ إنشاء سكن جديد للمدرسين مؤخرًا في مستوطنة «صغير» قرب حديقة «أنديرا». كانت دار العلوم قد اشترت قطعة أرض واسعة في المستوطنة، وبنت فيها بمساعدة بعض أصحاب الخير مبنىً ذا ثلاثة أدوار يشتمل على ١٨ شقة

يسكنها أسر المدرسين.

المشاريع التوسيعية والبنائية

لقد تقدمت دارالعلوم بعد مهرجانها المئوي تقدمًا مدهشًا في المجالات التعليمية والإدارية والبنائية، حتى تضاعفت مساحتها الأرضية. وأكملت العديد من مشاريعها البنائية والتوسيعية، أما مشاريعها البنائية:

فهي بناء عدد من الأروقة الطلابية، وجامع رشيد، و مكتبة شيخ الهند الجامعية، وعدة خزانات للمياه، والمبنى الواسع لعمادة القبول والتسجيل، والمكتبة التجارية لدارالعلوم، ومستشفى عظمت، ومكتب التذاكر، و مبنى فرع بنك بالإضافة إلى ماكينة الصراف الآلي.

أما المشاريع التوسيعية فقد أدخلت التوسيعات والتحسينات على المباني الآتية:

دار الضيافة، ومكتب الإدارة، ودارالإفتاء، والمسجد القديم، ومسجد تشته، ودارالحديث التحتانية، والمطبخ، ومبنى لمولِّدات الكهرباء.

***

الباب الثالث

أقسام وإدارات

- المنهج الإداري للجامعة
- إدارة الجامعة
- الأقسام الإدارية
- الأقسام التعليمية
- الأقسام الدعوية و الثقافية

المنهج الإداري للجامعة

للجامعة دستور تُمَارَسُ في ضوئه جميع الشؤون التعليمية والإدارية، ويُشْرِف عليها مجلس كامل السلطات، وهو مجلس الشورى، ومجلسه الفرعي المجلس التنفيذي.

مجلس الشورى

تسير الجامعة من أول يومها على مبدأ الشورى، عملا بما قال الله تعالى: وَأَمْرُهُمْ شُوْرَىٰ بَيْنَهُم [الشورى: ٣٨] وتتم جميع شؤونها التعليمية والإدارية في ضوئه؛ لذلك فقد تمَّ تأسيس مجلس أعلى كامل السلطات منذ فجرها، وهو «مجلس الشورى» الذي يُشرف على جميع شؤونها وأعمالها ويعطي توجيهات وإرشادات فيها.

كان من الغريب إرساء دعائم إدارة الجامعة على مبدأ الشورى في العصر الذي تمَّ تأسيسها فيه؛ لأنَّ الناس لم يألفوا في ذلك العصر المنهج الاستشاري في إدارة المدارس وتسييرا المعاهد والمؤسسات. فقامت الجامعة بتشكيل مجلس الشورى وفقًا للمبادئ الإسلامية وأدارته بشكل ناجح، فقدمت نموذجًا رائعًا للشورى أمام الأمة الإسلامية. وكان من نتيجة هذا المنهج الفكري أن تبنَّت الجامعة منهج الاستشارة وتبادل الآراء في جميع شؤونها الإدارية على نطاق واسع.

وقد قال الشيخ محمد قاسم النانوتوي في وصاياه التي أوصى بها القائمين على الجامعة:

«على أعضاء المجلس الاستشاري أن يراعوا دائمًا الأمور التي تخدم مصالح المدرسة، ولايصرُّوا على آرائهم الخاصة، وإذا جاء الوقت - لاسمح الله- لأن يكرهوا مخالفة آرائهم ويستاؤوا منها، يتزلزل كيانُ المدرسة ويتزعزع أساسها،

فعليهم أن يشيروا في شؤونها على مباشرة الأمور بكمال الخلوص والنصح، مراعين لصلاحها في سياق إظهار آرائهم وسباقه، ويقبلوا بسعة الصدر رأي غيرهم من المستشارين، وإن كان رأيهم خلاف مايرون».

ولاشك أنَّ الإخلاص وحرية التعبير مبدءان أساسيان للمنهج الاستشاري مما يفتح بابًا واسعًا للنقد البنَّاء أمام المشيرين المخلصين.

فمجلس الشورى للجامعة أوسع مجالسها سلطةً وامتيازًا، فهو يتحكم في شؤون التعليم والإدارة ويصدر قراراته عنها، فيجب على المسؤولين والمدرسين والموظفين تنفيذها، كما أنه يمثل المتبرعين في إنفاق تبرعاتهم في مصارفها، ويصدر قراراته بأغلبية آراء الأعضاء في إيرادات الجامعة وميزانيتها وأهم شؤونها الإدارية، وذلك في ضوء الدستور الأساسي للجامعة، ويسن القوانين والمبادئ، ويشرف على وقفيات الجامعة وأراضيها، ويحافظ على المنهج الفكري للجامعة، ويتولى تعيين المدرسين والموظفين وفصلهم.

وأعضاء مجلس الشورى ٢١عضوًا، ويجب أن يكون منهم ١١عالمًا على الأقل، وأما باقي الأعضاء فهم يمكن أن يكونوا من الأسلاك الأخرى للمسلمين، وينبغي أن يكون عضوان من أهالي مدينة ديوبند. وأما رئيس الجامعة ورئيس هيئة التدريس فهما - لأجل منصبهما- عضوان لمجلس الشورى. والمجلس يعقد دورتين خلال السنة، إحداهما في المحرم الحرام، وثانيتهما في رجب. والنصاب القانوني لعقد اجتماعه حضور ثُلُث عدد أعضائه.

المجلس التنفيذي

تمَّ تشكيل مجلس خاضع لمجلس الشورى عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٧م، وهو المجلس التنفيذي، ومن وظيفة هذا المجلس مساعدة مجلس الشورى في أعماله، وممارسة الشؤون الإدارية حسب ما خوَّله مجلس الشورى من السلطات والامتيازات، ومتابعة المسؤولين في تنفيذ القرارات التي وافق عليها مجلس الشورى، وتفتيش مكتب المالية والإشراف على الشؤون التعليمية والإدارية.

وعدد أعضاء المجلس التنفيذي ٩ أعضاء. فرئيس الجامعة ورئيس هيئة التدريس عضوان دائمان له لمنصبهما، وأما باقي الأعضاء السبعة فهم يُختارون من أعضاء مجلس الشورى. ويتم اختيار الأعضاء لهذا المجلس كل سنة. والمجلس يعقد أربع دورات له طوال السنة: الأولى في ربيع الأول، والثانية في جمادى الأولى، والثالثة في شعبان، والرابعة في ذي القعدة. والنصاب القانوني للمجلس ٥ أعضاء.

* * *

إدارة الجامعة

رئيس الجامعة

رئيس الجامعة هو القائم بإدارة الجامعة، ومُمَثِّل مجلس الشورى، والمشرف على جميع الأقسام ماعدا عمادة القبول والتسجيل، وبصفة منصبه عضولمجلس الشورى ومديره، والمسؤول عن جميع شؤون الجامعة. ورئيس الجامعة مسؤول أمام مجلس الشورى والمجلس التنفيذي. يكون له- حسبما تمسُّ الحاجة- نائب أو نائبان يعملان في نطاق ما خوَّلَهُما من سلطات وامتيازات. و لدى غيبوبة الرئيس يكون نائبه وكيلًا له ذا امتيازات محددة.

ويتمّ لمنصب رئيس الجامعة اختياررجال يجمعون بين العلم والفضل والإخلاص والتقوى، وبين المواهب الإدارية والمكانة المرموقة والكلمة المسموعة في البلاد. وقد حظيت الجامعة – ولله الحمد- منذ يومها الأول برؤساء يجمعون بين المواهب الإدارية وبين التقوى والإخلاص والنزاهة، قلَّما يوجد لهم نظيرفي عصرهم.

والجدير بالذكر أن فضيلة الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني ظل رئيسًا أكبر للجامعة من ١٣٥٤هـ =١٩٣٥م إلى ١٣٦٢هـ= ١٩٤٣م. وقد اختاره مجلس الشورى لهذا المنصب الجليل لعلمه وعبقريته وعظيم شخصيته. وكان الشيخ آنذاك مقيمًا في الجامعة الإسلامية بـ «دابيل» بولاية غوجرات. وبقي هذا المنصب ثماني سنوات فحسب.

كما أنّ فضيلة الشيخ غلام رسول خاموش (١٩٤٠م-٢٠١٠م) اختير رئيسًا تنفيذيًا للجامعة لكون فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري رئيس الجامعة مصابًا بالمرض وطاعنًا في السن، وذلك عام ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م، وظلَّ شاغلًا هذا المنصب إلى أن توفّاه الله.

وكذلك اختير فضيلة الشيخ غلام محمد الوستانوي رئيسًا للجامعة في ٥/ صفر ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، فساءت الأوضاع في الجامعة، فعقد مجلس الشورى اجتماعه الطارئ في ١٩/ ربيع الأول ١٤٣٢هـ = ٢٣/ فبرائر ٢٠١١م واختار فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني رئيسًا تنفيذيًا كامل الامتيازات، ثم اختاره رئيسًا دائمًا في دورته المنعقدة في ٢١/ شعبان ١٤٣٢هـ = ٢٤/ يوليو ٢٠١١م.

نائب رئيس الجامعة

في ضوء الدستور الأساسي يكون لرئيس الجامعة نائب- لدى حضوره بالجامعة وغيبوبته عنها- يساعده في أعماله ووظيفته. فنُوَّاب رئيس الجامعة لهم كبيرُ اتصالٍ بإدارة الجامعة، كما أنهم يشرفون على الأقسام العلمية والإدارية.

وللجامعة منصب آخر بجانب نائب رئيس الجامعة وهو منصب مساعد رئيس الجامعة وقد تولّاه أكفاء من الإداريين بين الفينة والفينة حسبما اختارهم مجلس الشورى، فقد شغل هذا المنصب فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري لمساعدة فضيلة الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة سابقًا في أعماله ومسؤولياته الإدارية، وذلك عام١٤٠١م. كما اختار مجلس الشورى لهذا المنصب فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي عام ١٤٠٥م، والشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري عام ١٤٤٢هـ.

رئيس هيئة التدريس والمجلس التعليمي

للإشراف على الشؤون التعليمية منصب آخر في الجامعة، وهو منصب رئيس هيئة التدريس، فهو مسؤول عن عمادة القبول والتسجيل، وعضو مجلس الشورى. ومن وظيفته الإشراف على الشؤون التعليمية، و على تربية الطلاب تربية دينية وخلقية، وتنفيذ قرارات المجلس التعليمي، وتقديم تقريرا لمجلس التعليمي إلى مجلس الشورى.

ولتنظيم الشؤون التعليمية في قسم العلوم الشرعية وقسم التجويد

والقراءات وقسم التعليم الابتدائي لجنة وهي المجلس التعليمي. ووظيفة هذا المجلس تنظيم امتحان قبول الطلاب، وإدخال التعديلات على المقررات الدراسية إذا مست الحاجة، وتوزيع المواد الدراسية والحصص على المدرسين، وتنظيم الامتحانات، والإشراف على النشاطات العلمية والعملية للطلاب. وأعضاء المجلس هم رئيس الجامعة ورئيس هيئة التدريس ونائبا رئيس الجامعة ومدرسان من الطبقة العليا للمدرسين. وللمجلس أمين عام- وهو عميد القبول والتسجيل- يقوم بتعيينه مجلس الشورى، ورئيس هيئة التدريس هو رئيس المجلس التعليمي كذلك.

عميد القبول والتسجيل

للإشراف على الشؤون التعليمية في الجامعة منصب آخر- بجانب رئيس الجامعة- وهومنصب عميد القبول والتسجيل. ووظيفته القيامُ بالشؤون التعليمية مع رئيس هيئة التدريس، وتولي عمادة القبول والتسجيل.

أقسام الجامعة

في الجامعة أقسام ومكاتب وإدارات مختلفة للقيام بالشؤون التعليمية والإدارية والدعوية والمهنية، وهي تبلغ ٣٦ قسمًا ومكتبًا وإدارةً، ولكل منها نطاق عمل، وبعض الأقسام- لسعة نطاق عملها- كمؤسسة بعينها. ولكل قسم ومكتب وإدارة ناظر يشرف على ما فيه من نشاطات، ويعمل -حسبما خوَّلته إدارة الجامعة من امتيازات وسلطات-، وإدارة الجامعة تشرف رأسًا على الأقسام كلها.

ويمكننا أن نقسم أقسام الجامعة كلها إلى ثلاثة، وهي:

(١) الأقسام الإدارية

(٢) الأقسام التعليمية

(٣) الأقسام الدعوية والثقافية

وسيأتي التعريف بالأقسام و وظائفها ونطاق عملها و نشاطاتها.

***

الأقسام الإدارية

للجامعة أقسام ومكاتب إدارية تقوم بممارسة شؤونها الإدارية كلها، وهي فيما يلي:

١ – مكتب إدارة الجامعة. ٢ – قسم المالية.٣–إدارة المحفوظات. ٤ – عمادة المكتبة الجامعية. ٥ – مكتبة شيخ الهند الجديدة ٦ – قسم التنظيم والتطوير. ٧– إدارة الإسكان الطلابي. ٨– المطبخ. ٩– قسم البناء والتعمير. ١٠ – قسم الأوقاف. ١١ – مكتبة دارالعلوم للطباعة والنشر والتوزيع. ١٢ – قسم توفير الكهرباء. ١٣ – مستشفى عظمت. ١٤ – مكتب مجلة «الداعي» العربية. ١٥ – مكتب مجلة «دارالعلوم» الأردية. ١٦ – قسم التنظيف والإشراف على الحدائق الجامعية. ١٧ – قسم شراء البضائع. ١٨ – قسم السلع المخزونة. ١٩ – قسم الحاسوب للكتابة.

(١) مكتب الإدارة (مكتب رئيس الجامعة)

مكتب الإدارة هو القطب الأعظم تدور حوله رحى نشاطات الجامعة الداخلية والخارجية، فهو يقوم بتنظيم أقسام الجامعة كلها والإشراف عليها وتفتيش حساباتها؛ وينفذ قرارات مجلس الشورى والمجلس التنفيذي؛ ويُصدرمراسيم ترقية المدرسين والموظفين ونقلهم؛ كما يُوطد العلاقات مع المسلمين في البلاد خاصة وفي العالم عامة.

فالمكتب له أهمية كبرى في الجامعة، و رئيس الجامعة هو المسؤول عن جميع شؤونها أمام مجلس الشورى، على هذا فيختار لهذا المنصب من يجمع بين العلم والفضل، والأمانة والتقوى، وبين المواهب الإدارية والمكانة المرموقة في البلاد.

ومبنى هذا المكتب فوق بوابة مبنى «نودره»، تمَّ بناؤه على عهد رئاسة فضيلة الشيخ الحافظ محمد أحمد، وذلك في ١٣١٥هـ، بينما أضيف إليه قاعة فيما بعد.

(٢) قسم المالية

قسم المالية ينفرد عن أقسام الجامعة خطورة وأهمية، فقد تمَّ إنشاؤه بعد تأسيس الجامعة بسنة. وهو مفزع جميع الأقسام في التصرفات المالية، وهويقوم بتنظيم حسابات الإيرادات والمصروفات، ولايجمع شيئا من التبرعات إلا بالإيصال، كما أنه لاينفق شيئا منها إلا بالمستند. فمالية الجامعة -عن طريق هذا القسم – تحت رعاية رئيسها. يكتب القسم جميع الإيرادات والمصروفات بشكل واضح وفقًا للعادة المتبعة في الحساب، ويأذن لمن يريد بتفتيش حسابه. هذا إلى أن المحاسب القانوني يفتش الحسابات سنويًّا. كذلك يوزع القسم على الطلاب منحًا دراسيةً، ويفتش ما أنفقته الأقسام الأخرى.

فقسم المالية- في حسن تنظيمه و أمانته- لايوجد له نظير، وقد اعترف بتنظيمه وأمانته المهرةُ من المحاسبين.

(٣) إدارة المحفوظات

هذا القسم هو مستودع التراث التاريخي للجامعة، ومحفظ الوثائق والملفات المتصلة بالأقسام والسجلات الخاصة بكل فرد من المدرسين والموظفين، ومؤتمن قرارات مجلس الشورى والمجلس التنفيذي، ومجمع صورالأوامر والمراسيم التي تصدر من مكتب رئيس الجامعة. كما أن هذا القسم يقوم بطباعة الإيصالات والشهادات، ويوفرما يحتاج إليه الأقسام من القرطاسية. وهو يقع في غرفة ذات دورين بجانب مبنى مكتب الرئيس.

(٤) عمادة المكتبة الجامعية

إن المكتبة من الجامعة أو المدرسة كالعمود الفقري من جسم الإنسان؛ لذلك فقد عُنِي مشايخ الجامعة بإنشاء المكتبة فيها. ولما وضعوا نصب أعينهم أن

يكون مستوى التعليم في الجامعة راقيًا ويتربّى الطلاب على البحث والدراسة والتحقيق، وكان لايمكن نيل هذا الهدف السامي إلا بالمكتبة، بدأ مشايخ الجامعة يبذلون مجهودات مكثفة لإنشائها وتأسيسَ الجامعة.

تضم المكتبة الجامعية كتبًا ذات كمية كبيرة أهداها إليها رؤساء الدول وأمراء الولايات، مثل: السلطان رشاد خان من تركيا، والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن عاهل المملكة العربية السعودية، وجمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصرالعربية سابقًا، وملك الحكومة الأفغانية، وأمير ولاية الدكن بحيدر آباد، كما أهدى إليها كثيرمن الأسر العلمية ماكان لديها من الكتب القيمة. فهذه الكتب كلها تزدان بها مكتبة الجامعة.

والمكتبة تحتوي على أكثر من ٢٠٠٠٠٠ كتاب مابين مقرر دراسي وغيره، ومعظمها غير المقررات الدراسية. فالمكتبة الجامعية -لاحتوائها على كمية كبيرة من الكتب النادرة- تحتل مكانة مرموقة بين المكتبات المعروفة في البلاد. ينهل من منهلها العلماء والمؤلفون من الهند وخارجها. وقد تمَّ إعدادُ فهارس الكتب -موضوعيًا ولغويًا- ليسهل على الطلاب والباحثين الاستفادة منها، كما أنها مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا تبعًا لنظام البطاقات في البحث عن كتاب.

وكتب المكتبة في أكثرمن ٢٥ لغة، ومعظمها في اللغة العربية، فالأردية، فالفارسية وما إليها. وهي تتوزع على أكثرمن ١٠٠ موضوع. وأما المقررات الدراسية فهي مفهرسة فهرسةً مفصلةً.

وقد تمَّ إنشاء مبنى المكتبة عام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م، ثم أدْخِلَتْ التوسيعات عليه عام١٣٣٤هـ= ١٩١٦م، فالمكتبة تضم ٣ قاعات واسعة و١٢ غرفة ما بين صغيرة وكبيرة، فقاعة لمطالعة الكتب العربية، وقاعة لمطالعة الكتب الأردية، وقاعة للمخطوطات والكتب النادرة. وتمَّ تخصيص غرفة من غرفها لمؤلفات مشايخ الجامعة وأبنائها المؤلفين المعروفين مما يتمتع به زوّار الجامعة ولاسيما الباحثون منهم.

للمخطوطات أهمية كبيرة في عالم المكتبات، فمكتبة الجامعة كذلك تحوي كتبًا مخطوطةً غاليةً، فعدد كبيرمنها يندروجوده في المكتبات، وبعضها آية في جودة الخط ومتعة للزوّار والباحثين، وبعضها قيمة لقدامتها، وبعضها نماذج رائعة لفن الرسم والتصوير.

لمخطوطات المكتبة فهرس مطبوع في جزءين مع التعريف الموجز بكل مخطوط، مما جعل الاستفادة سهلة على الباحثين المعنيّين بالمخطوطات. فالجزء الأوّل يضمّ التعريف بمخطوطات التفسير والحديث والفقه والعقيدة والكلام، كما يضمّ الجزء الثاني التعريف بمخطوطات التصوف والتاريخ والمعاني والأدب العربي والقواميس والمعاجم والفلسفة والمنطق والهيئة والصرف والنحو والمناظرة والرياضيات والطب والأدب الفارسي والأردي وما إليها.

فالمكتبة – لمزاياها وخصائصها– معروفة في الأوساط العلمية، وتمتاز عن غيرها من مكتبات البلاد بأنها تحتضنها أكبر وأعرق جامعة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية: الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند، فالزوّار والسائحون لاتكتمل زيارتهم للجامعة إلا بعد أن يأخذوا جولة في قاعات المكتبة وغرفها الحافلة بالكتب. والمولعون بالبحث والدراسة ينالون فيها بغيتهم؛ لذلك فترى خيطًا غيرمنقطع من الباحثين يقصدونها ليستفيدوا من كتبها. والجامعة توفرلهم ما أمكنها من التسهيلات.

(٥) مكتبة شيخ الهند الجديدة

كانت الجامعة تشعر بحاجة مُلِحَّة إلى مكتبة جديدة مزوَّدة بالتسهيلات الحديثة، فقامت – بعون الله ومنِّه– ببناء مجَمَّع كبير ذي أدوار سبعة، يضُمَّ قاعة للمؤتمرات والامتحانات، ودار الحديث، ومكتبة شيخ الهند. والمساحة البنائية للمجمع ٢٦٧٠٠٠قدم مربعة.

(٦) قسم التنظيم والتطوير

قسم التنظيم والتطوير من الأقسام الهامة في الجامعة، قد تمَّ إنشاؤه

١٣٥٥هـ. من وظيفته توفير التبرّعات الماليّة والموادّ الغذائيّة، ولجمع التبرعات والمعونات المالية من المسلمين موظّفون موزَّعةٌ عليهم مناطقُ البلاد.

وعدد موظّفي القسم ٧ موظفين بالإضافة إلى ٤٠ موظفًا جامعًا للتبرّعات. فهم يجولون في مشارق البلاد ومغاربها ويجمعون المعونات المالية للجامعة، ويقومون بدعم العلاقات بين الجامعة والمسلمين.

وللقسم فرع في عاصمة الهند التجارية «مومبائي» قد تمَّ إنشاؤه عام ١٤٠٦م. ومن أهدافه توطيد العلاقات مع المسلمين، وتوفيرالمعونات المالية للجامعة وما إليهما.

(٧) إدارة الإسكان الطلابي

هذه الإدارة فاعلة نشيطة كغيرها من أقسام الجامعة، دائمة العمل، لها نظامها المكتبي. ومن وظيفتها ترتيب الغرف السكنية، وتزويد الطلاب بالسكن، وإعداد البطاقات وصرفها لهم، وإعداد استمارة التخفيضات بمناسبة الإجازات، وتربية الطلاب تربية خلقية، وحسم النزاعات التي تنشب بين الطلاب بين حين لآخر، وتعيين الحراس على أبواب الجا معة، وتنظيم الدوريات من الحراس على مدار الساعة للحفاظ على النظام داخل الجامعة.

وإدارة الإسكان تضمّ ١٣ رواقًا مثل: رواق خالد، والدار الجديدة، ورواق شيخ الهند، ورواق شيخ الإسلام، ورواق حكيم الأمة، وما إليها. والأروقة كلها تحتوي على ٦٢٥ حجرة، وهي تسع أكثرمن ٣٢٥٠ طالبًا ومدرسًا. والأروقة منقسمة إلى دوائر، ولكل دائرة مراقب من المدرسين. ولإدارة الإسكان ناظر يعمل تحت إشرافه المراقبون الذين بلغ عددهم إلى ١٣ مراقبًا.

وإدارة الإسكان تعقد اجتماعات توجيهية وإصلاحية بين حين لآخريلقي فيها كبارالأساتذة كلماتهم على الطلاب، ويوصونهم بالوصايا النافعة، وبالمحافظة على نظام الجامعة، وتوقيرالأساتذة، والنصح والتراحم والتسامح مع إخوانهم الطلاب.

(٨) المطبخ

تـمّ إنـشاء المطبخ في الجامعـة سـنة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م. وقبل إنشائه كـان أهالي مدينة ديوبند يتكفلون لبعض الطلاب بوجبات غدائهم وعشائهم، وكانت الجامعة تعطي بعضهم الآخرين منحًا دراسية ينفقونها في إعداد وجباتهم. وقد مضى على ذلك نحو ٤٠ سنة، ثم أنشئ المطبخ سنة ١٣٢٨هـ الذي كان يُعدّ الطعام للطلاب بدل إعطائهم المنح الدراسية. قام المطبخ بإعداد الطعام لـ٢٥-٣٠ طالبًا في السنة الأولى. ثمَّ توسع نظامه رويدًا رويدًا.

طاقم المطبخ يشتمل على ٥٠ شخصًا. ومن وظيفته إعداد وجبتي الغداء والعشاء للطلاب الذين بلغ عددهم أكثر من ٣٠٠٠ طالب، وتوزيعها عليهم، والاحتفاظ بسجلاتهم، وإكمال حسابهم، وتوفير المواد التموينية.

فالمطبخ يُعدّ الوجبات طوال السنة حتى في إجازة عيدي الفطر والأضحى وفي الإجازة الطويلة للطلاب الذين يقيمون في الجامعة.

والجامعة توفّر للطلاب- بجانب التعليم والسكن- الطعام بشكل مجاني. وأما الطلاب الأغنياء فهم يدفعون ثمن الطعام.

كذلك المطبخ يقوم بإعداد ألوان من الطعام بالمناسبات الخاصة لمدرسي الجامعة وموظفيها. ومبنى المطبخ يقع بالجانب الجنوبي للحرم الجامعي بالقرب من مسجد «تشته»، وهو موزَّع على أجزاء.

(٩) قسم البناء والتعمير

لقد جرت العادة في الجامعة أنها كلما مسّت بها حاجة إلى مبانٍ وجَّه الأثرياء من المسلمين عنايتهم إليها، وتبرعوا لإنشائها وهكذا. وليس من دأبها أن تستكمل المباني وفقًا للتصميم، ثم تقوم بافتتاحها شأن الجامعات والمعاهد الأخرى. بل كلما استجدَّت في الجامعة حاجة إلى مبنى قَيَّض الله عباده المخلصين تحقيقًا لها. فيتمّ إنشاء المباني بشكل تدريجي؛ ولذا فيستمر البناء في الجامعة على مدار السنة.

قسم البناء غاية في النشاط، ومن وظيفة هذا القسم الإشراف على جميع الشؤون البنائية في الجامعة، وإنشاء المباني الجديدة، وإصلاح المباني القديمة وإدخال الترميمات عليها حسب الحاجة، والقيام بتبيض المباني وطلي أبوابها وما إليها. وأما عمل هذا القسم ليس خاصًا بوقت دون وقت، وإنما هويعمل دائمًا حتى في الإجازات.

وقد توسّع نطاق عمل القسم في العقدين الأخيرين الماضيين، فقد تمَّ خلالهما بناء العديد من المباني الفخمة، حتى تضاعفت المساحة البنائية للجامعة. فجامع رشيد، والمدرسة الثانوية، والسكن للمدرسين، ورواق خالد، ورواق شيخ الهند، ورواق شيخ الإسلام، ورواق حكيم الأمة، وما إليها قد تمَّ بناؤها في هذه الفترة.

ومما يجدر بالذكرأن جامع رشيد الكبيرالذي يعتبرآية في الهندسة المعمارية، وأن هدم الدار الجديدة المتداعية الجدران وإعادة بنائها من جديد سكنًا طلابيًّا ذا أدوار ثلاثة، ومكتبة شيخ الهند ذات الأدوار السبعة، كل أولئك من إنجازات هذا القسم.

(١٠) قسم الأوقاف

قد تمَّ إنشاء هذا القسم منذ أن ابتدأ إنشاء المباني في الجامعة. وقف المسلمون من أولي الخير والنصح أراضيهم على الجامعة، غير أنها لم تحظَ بوقف يفي إيراده بمعظم نفقاتها. وأوقاف الجامعة متفرقة في البلاد كلها.

ومن وظيفة هذا القسم الحفاظ على أوقاف الجامعة، وأخذ الكراء من مكتريها، ورفع القضايا إلى المحكمة ضد من استولوا على أوقافها بشكل غير شرعيٍّ.

(١١) مكتبة دارالعلوم للطباعة والنشر والتوزيع

وهي مكتبة قديمة في الجامعة، تمَّ إنشاؤها للطباعة والنشر والتوزيع. ومن وظيفتها نشركتب العقيدة الإسلامية، والإنتاج العلمي والفكري لمشايخ الجامعة ومذهبهم. وقد قامت المكتبة بطباعة أكثر من ٦٠ كتابًا قيمًا، وهي كلها نالت قبولًا في الأوساط العلمية والدينية، ومنها فتاوى دارالعلوم في ١٨ مجلدًا.

والمكتبة تبيع من الكتب ما تصدره أكاديمية شيخ الهند ومجلس صيانة ختم

النبوة وقسم الرد على المسيحية.

وأما توفير الكتب المقدرة بآلاف مؤلفة من الروبيات للطلاب الفائزين في الامتحان السنوي فهو يتمّ عن طريق المكتبة. كما أنها تقوم بعرض منشورات الجامعة في الاجتماعات والمؤتمرات.

(١٢) إدارة توفير الكهرباء

إن نظام النور الكهربائي في الجامعة على نطاق واسع، فقد أنشئ لذلك إدارة خاصة، فهي تقوم بتوفير النور في الفصول الدراسية، والمكاتب الإدارية، والمساجد، والشوارع والطرقات. كما أنها تقوم بالإشراف على المراوح الكهربائية، وتثبيت البرَّادات للماء البارد، وتشغيل مولِّد الكهرباء عند انقطاع التيار الكهربائي، وتزويد المياه، والإشراف على خزانات المياه.

كما أنها تُشرف على سيارات الجامعة وتصليحها، وتعامل السواقين لاكتراء السيارات عند الحاجة، وتُنَظِّم مكبّرات الصوت في الفصول الدراسية والمؤتمرات والاجتماعات وتسجل الأصوات فيها.

(١٣) مستشفى «عظمت»

مستشفى «عظمت» مستشفى جامعي يُوفِّر للطلاب تسهيلات العلاج والدواء بشكل شبه مجاني، ولغيرهم بمقابل زهيد، فللطلاب دواء يوم بروبية، ولغيرهم بخمس روبيات. وهومزوَّد بطريقي العلاج: الطب اليوناني والطب الإنجليزي، وبالأطباء المهرة فيهما. كما أنه يقوم بتشخيص الأمراض وإعداد الأدوية. وهو مفزع الفقراء والمساكين من المسلمين وغيرهم، حيث يتلقون العلاج والدواء بشكل شبه مجاني. وقد بلغ عدد من تلقى الدواء من المستشفى خلال سنة واحدة أكثر من ١٠٠٠٠٠ شخص.

(١٤) مجلة «دارالعلوم» الأردية

تبليغًا للتعاليم الإسلامية إلى المسلمين ونشرًا للإنتاجات العلمية و

الفكرية لمشايخ الجامعة وأبنائها ومذهبها الفكري قام الشيخ حبيب الرحمن العثماني وزملاؤه بإنشاء مجلة «القاسم» الشهرية تيمنًا باسم مؤسس الجامعة الإمام محمد قاسم النانوتوي. ولما كانت المجلة تنشر المقالات العلمية والدعوية وتُعرِّف الناس بما ترمي إليه الجامعة من الأهداف، وبالجهود العلمية والدعوية التي تبذلها الجامعة، كان ينبغي أن يكون إنشاؤها على نفقة الجامعة، غير أن الشيخ حبيب الرحمن العثماني أنشأها - أولَّ الأمر- بنفقته بدوره. ثم تولت الجامعة إصدارها على نفقتها سنة ١٣٣١هـ.

ثم بعد ذلك بسنةٍ (١٣٣٢هـ=١٩١٤م) تمَّ إنشاء مجلة «الرشيد» الأردية، ولا شك أنَّ هاتين المجلتين كانتا مثالًا للصحافة الهادفة البنَّاءة، وحافلتين بالمقالات القيمة والمعلومات الإسلامية التي تركت آثارًا كبيرة على مسلمي البلاد. توقفت المجلتان بعد نحو ١١ سنة لأسباب يطول ذكرها. ثم لم تطاوع الظروف لإصدار مجلة حتى مضت مدة نحو ٢٠ سنة.

تلبيةً لنداء منسوبي الجامعة وإلحاحهم قامت الجامعة بإنشاء مجلة في اللغة الأردية باسم مجلة «دارالعلوم» الأردية، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٣٦٠هـ =١٩٤١م. وهي مستمرة الصدور حتى اليوم. والمجلة تكتب بالحاسوب منذ سنوات، وتطبع طباعة أنيقة. كما أنها تُعنى بنشرالمقالات في الموضوعات العلمية والدعوية والسياسية، وتمتاز بكلمة عددها القيمة عن المجلات الأخرى. وهي تنشرعبرموقع الجامعة منذ سنوات.

(١٥) مجلة «الداعي» العربية

لما كانت اللغة العربية هي لغة دينية ورسمية للإسلام، وكان لايمكن معرفة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلا بها، عُنِيت الجامعة -لكونها جامعة إسلامية عربية- باللغة العربية عنايةً كبيرةً، فوضعت بها مقرراتها الدراسية، وأنشأت لنشرها النادي الأدبي، وأصدرت مجلات لنشرالعقيدة الصحيحة، وتبليغ الفكرالإسلامي المتوارث عن سلف الأمة، والمذهب الصحيح الذي تتبناه الجامعة

المسلمين في العالم عامة وفي العالم العربي خاصة.

فأصدرت أول الأمر «دعوة الحق» الفصلية، تحت رئاسة فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي وذلك سنة ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م. وبعد سنوات تعطلت «دعوة الحق»، فحلت محلها جريدة «الداعي» النصف الشهرية، وذلك في ١١ جمادى الأخرى عام ١٣٩٦هـ الموافق ١٠/ يونيو ١٩٧٦م. ورأس تحريرها الشيخ بدرالحسن القاسمي، ومازالت الجريدة تصدر بشكل مستمر، حتى تولّى مهام الجريدة فضيلة الشيخ نورعالم خليل الأميني عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ثم قام مجلس الشورى بتحويل الجريدة نصف الشهرية إلى مجلة شهرية، وذلك عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م، وهي تصدر حتى الآن باستمرار.

وللمجلة مكتب يقوم بكتابتها على الحاسوب وطباعتها في المطبعة، وتعبئة أعدادها وإرسالها إلى القراء عبرالبريد، كما يحتفظ بالسجلات التي يتعلق بالقراء والأعداد القديمة. تنشر المجلة منذ سنوات عبرموقع الجامعة.

(١٦) إدارة التنظيف والإشراف على الحدائق الجامعية

إن النظافة مطلب مهم في الإسلام؛ لذلك فقد عنيت الجامعة بالنظافة منذ أول يومها، فأنشأت إدارة التنظيف والإشراف على الحدائق الجامعية، فهي تقوم بكنس وتنظيف طرق الجامعة وشوارعها وأفنيتها ومبانيها ودورات مياهها كل يوم. وإذا كانت مناسبة خاصة لاجتماع أو مؤتمرفي الجامعة قامت بتنظيف وغسل جميع أبوابها وسقوفها.

كما أنها تشرف على الحدائق التي تقع في محيط الجامعة، وتسقي أشجارها وتُشذِّبها وتُهذِّبها.

(١٧) قسم شراء البضائع

نظرًا إلى كثرة أقسام الجامعة وسعتها وحاجتها إلى السلع بشكل مستمرتمَّ إنشاء قسم شراء البضائع، وهو يقوم بشراء جميع ما تحتاج إليه الأقسام من البضائع

والمعدّات. فطاقم القسم يشتري البضائع من السوق، وإذا كانت حاجة إلى شراء كمية كبيرة من البضائع أو سلعة ذات ثمن غال يتصل الطاقم بالشركات المعنية أو التجار، ويشتريها، ويدفع الثمن عن طريق الشيكات.علاوة على شراء السلع يقوم القسم ببيع ما فضل عن الحاجة من السلع والمعدّات القديمة.

(١٨) قسم السلع المخزونة

يحتفظ القسم بملفات سلع الجامعة ومعداتها كلها، ويوفرها للأقسام عند الحاجة بعد إذن من مكتب رئيس الجامعة، كما يسجل جميع السلع التي تمس إليها الحاجة يوميًّا والتي يشتريها قسم شراء السلع، ثم تُوَفَّر للأقسام المعنيّة حسب الحاجة أو على طلب منها. كما يحفتظ القسم بالسلع القديمة والمعدّات الصالحة للاستعمال لدى مكاتب الجامعة وأقسامها.

(١٩) قسم الحاسوب للكتابة

استفادة من المخترعات الحديثة في العصرالراهن كانت مجلة الداعي العربية، ومجلة دارالعلوم الأردية تكتبان بالحاسوب منذ أن بدأ العمل بالحاسوب في أوساطنا، فكانتا تكتبان في محلات الحاسوب في ديوبند ودهلي. ثم لما فتح قسم الحاسوب لتعليم الطلاب بدأت كتابتهما به. ثم إنه لما أنشئ قسم الحاسوب للكتابة تولي القسم كتابتهما.

فهذا القسم يقوم بكتابة المجلتين: العربية والأردية وصفِّهما، بالإضافة إلى كتابة الأوراق المكتبية والكتيبات والمطويَّات والإعلانات وتقارير اللجان والمجالس.

❊ ❊ ❊

الأقسام التعليمية

لمّا كان الغرض الأسمى والغاية الكبرى من وراء تأسيس الجامعة هو تدريس العلوم الإسلامية، كان من الطبيعي أن تنشأ إدارة القبول والتسجيل فيها منذ فجر تأسيسها، ثم تتوسّع وتتفرّع مع مرّ الأيام. فعمادة القبول أكثر شأنًا وأكبر أهمية من أقسام الجامعة بعد مكتب الرئيس. فالأقسام التعليمية كلها خاضعة لها.

ومن وظيفة عمادة القبول والتسجيل الإشرافُ على الأقسام التعليمية، وتوزيع المـوادِّ الدراسية على المدرسين، وتنظيم الامتحانات، وترقية الطلاب وحطهم، وتنسيق إجراءات القبول، وتسجيل حضور الطلاب، والاحتفاظ بما يتعلّق بهم من السجلات، وإعطاء الشهادات، وتنفيذ قرارات وتوصيات المجلس التعليمي، وما إلى ذلك.

أمّا الأقسام الخاضعة للعمادة فهي كما يلي:

١- قسم العلوم الشرعية والتخصصات فيها
٢- قسم التجويد والقراءات
٣- قسم تعليم القرآن الكريم وتحفيظه
٤- قسم التعليم الابتدائي
٥- قسم تحسين الخط
٦- قسم تعليم الخياطة
٧- قسم الحاسوب للتعليم المهني
٨- قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

١- قسم العلوم الشرعية والتخصصات فيها

يقوم القسم بتنظيم تعليم العلوم الشرعية الذي يستغرق منهجه الدراسي

ثماني سنوات، بالإضافة إلي تعليم التخصصات فيها. فقسم التخصص في التفسير، وقسم التخصص في الحديث، وقسم التخصص في العلوم الشرعية، وقسم التخصص في الفقه والإفتاء وقسم التخصص العالي في الفقه والإفتاء، وقسم التخصص في اللغة العربية وآدابها، وقسم التخصص العالي في اللغة العربية وآدابها، كلها خاضعة لهذا القسم.

أ- قسم العلوم الشرعية

يتمّ فيه التعليم من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية، والمقررات الدراسية كلها باللغة العربية، ولغة التدريس هي الأردية. والتعليم في القسم يستغرق ثماني سنوات، وهو يتمّ في مرحلتين، الأولى: المرحلة الثانوية (الصف الأول- الصف الرابع) فهي تتم في المدرسة الثانوية، ويُعني فيها بتدريس النحو، والصرف، ومبادئ البلاغة، والإنشاء العربي، بالإضافة إلى ترجمة معاني القرآن، ومبادئ الفقه وأصوله، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والجغرافيا، والاجتماع.

والثانية: المرحلة الجامعية (الصف الأول- الصف الرابع) فهي تتمّ داخل الحرم الجامعي القديم، ويُعنى فيها بتدريس التفسير وأصوله، والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، والأدب العربي، والعقيدة، والبلاغة، والمنطق والفلسفة. وأما الصف الرابع من المرحلة الجامعية فهو يسمى دورة الحديث (دراسة الحديث النبوي الشريف) ، يدرس في هذا الصف الصحيح للبخاري، والسنن للترمذي بكاملهما، والأبواب المختارة من كل من الصحيح لمسلم، والسنن لأبي داود، والسنن لابن ماجه، والسنن للنسائي، وموطإ الإمام مالك، وموطإ الإمام محمد، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والشمائل للترمذي بكامله. ولا يمنح الطالب شهادة الفضيلة إلابعد أن يدرس هذه الكتب كلها.

ب- قسم التخصص في التفسير

يقبل في هذا القسم المتخرجون الذين يرغبون في التخصص في تفسير

القرآن وعلومه. والدراسة في القسم تستغرق سنة واحدة. والمقررات الدراسية هي تفسير ابن كثير، وتفسير البيضاوي، ومناهل العرفان للزرقاني، وسبيل الرشاد للشيخ عبيد الله السندي، ومقدمة ابن الصلاح.

ج- قسم التخصص في الحديث

أنشئ قسم التخصص في الحديث بموجب القرار الذي وافق عليه المجلس التنفيذي في اجتماعه المنعقد في شوال ١٤٢٠هـ، والذي أقره المجلس الاستشاري في دورته المنعقدة في صفر ١٤٢١هـ. ويدخل في هذا القسم الطلاب الذين فازوا في امتحان الفضيلة بعلامات ممتازة، ويدرسون فيه الموادّ التي تتعلق بالحديث من علومه وأصوله وتخريجه وأسماء الرجال. وقد قام طلاب القسم تحت إشراف أساتذتهم بإعداد بحوث علمية في موضوع الحديث، استحسنتها الأوساط العلمية.

د- قسم التخصص في الفقه والإفتاء

يقبل في هذا القسم نحو ٤٠ طالبًا من الطلاب أولي الكفاءة، ويدرسون الموادّ الدراسية فيما يتعلق بالفقه وقواعده، وأدب المفتي، وكتابة الفتاوى، ويتلقون التدريب على كتابة الفتوى. هذا القسم من أهمّ الأقسام التعليمية في الجامعة. فالمتخرجون في هذا القسم ينالون شهادة التخصص في الإفتاء، ويحظون بمكانة مرموقة في الأوساط المدرسية والدينية.

هـ- قسم التخصص العالي في الفقه و الإفتاء

يلتحق بهذا القسم من تخرَّج في قسم التخصص في الإفتاء من الطلاب الذين يفوزون بعلامات ممتازة، ويتوسعون في دراسة كتب الفقه والفتاوى ويتدربون على كتابة الإفتاء بشكل مُرَكَّز، والدراسة في القسم تستغرق سنتين. تحصل للدارسين في هذا القسم مهارة واختصاص في الموضوع. والمتخرجون في القسم يعملون قضاة ومفتين في المدارس والجامعات والمراكز الإسلامية في البلاد.

و- قسم التخصص في العلوم الشرعية

قد أنشئ هذا القسم للطلاب المتخرّجين الذين يريدون التوسع في دراسة العلوم الإسلامية. والمقررات الدراسية في القسم هي حجة الله البالغة، ومقدمة

ابن الصلاح، والأشباه والنظائر، والمختار من تفسير البيضاوي، والمسامرة، وسبيل الرشاد، وما إليها. والدراسة في القسم تستغرق سنة واحدة.

ز- قسم التخصص في اللغة العربية وآدابها

تُعنى الجامعة بتدريس اللغة العربية من المرحلة الأولى، وتجعلها مادّة لازمة في منهجها الدراسي. وقد اتخذت منذ عقود من الزمان عدة خطوات لتنمية مهارات الطلاب الكتابية والخطابية فيها. فنظّمت صفوفًا لتعليم اللغة العربية خارج الدوام، كما أنشأت قسم الأدب العربي يدرس فيه المتخرجون تاريخ الأدب العربي، ودواوين الشعر، وقواعد البلاغة، والنصوص المختارة من الصحف العربية، ويتمرنون على اللغة العربية كتابة وخطابة، والترجمة من العربية إلى الأردية، وبالعكس.

ح- قسم التخصص العالي في اللغة العربية وآدابها

يقبل في هذا القسم الطلاب الذين فازوا في امتحان قسم الأدب العربي بعلامات ممتازة، فيدرسون نصوصًا مختارة من النثر والشعر، ويتمرنون على الإنشاء والترجمة وكتابة البحث العلمي، ويُعدّون مقالة في موضوع علمي أو أدبي تحتوي على ١٠٠ صفحة على الأقل.

٢- قسم التجويد والقراءات

يُنَظِّم هذا القسم تعليم تجويد القرآن برواية حفص وقواعده باللغتين: العربية والأردية، والقراءات السبع والعشر. فالطلاب الذين يحبّون دراسة علم التجويد فهم يقبلون فيه، ويدرسون كتب قواعد التجويد، ويتدربون على قراءة القرآن بالتجويد، ويمنحون شهادة التجويد والقراءات.

والجدير بالذكرأن حفظ الجزء الثلاثين من القرآن بالتجويد مادّة لازمة لجميع الطلاب، فلايمنحون شهادة الفضيلة دون دراسة هذه المادّة والامتحان فيها؛ لذلك فالطلاب الذين لم يدرسوا هذه المادّة ضمن المقررات الدراسية في المرحلة التعليمية الأولى، وانتقلوا إلى المرحلة التعليمية الثانية فهم يدرسون هذه المادّة في قسم التجويد خارج الدوام.

يحظى القسم بقرَّاء ومجوِّدِين، مما زاده أهمية وسمعة في البلاد، وخرَّج رجالًا أكفاء في فن التجويد. وقد قامت الجامعة بتشجيع المجوِّدين والقُرَّاء في القسم باعتبارهم أساتذة في الطبقة الوسطى.

٣- قسم تعليم القرآن بالنظر وتحفيظه

يقوم هذا القسم بتعليم أطفال المسلمين القرآن الكريم بالنظر وتحفيظهم، وقد أنشئ مبنى خاص لهذا القسم وهو «دارالقرآن المعروفة بـ مبنى حكيم الأمة أشرف علي التهانوي». يقبل في هذا القسم أطفال مسلمي مدينة ديوبند، أو من يسكن وليه فيها. وللقسم ١٢ حلقة لتحفيظ القرآن الكريم، و٥ حلقات لتعليم القرآن بالنظر. والقسم مزوَّد بالقرَّاء والحفظة أولي الكفاءة، مما أكسب القسم ثقة كبيرة واعتبارًا عظيمًا في الناس.

٤- قسم التعليم الابتدائي واللغة الفارسية

كان قسم التعليم الابتدائي وقسم اللغة الفارسية قسمين يختلف أحدهما عن الآخر.وكانت الدراسة في قسم التعليم الابتدائي أربع سنوات، على حين أن الدراسة في قسم اللغة الفارسية ستَّ سنوات. هكذا كان المنهج الدراسي في القسمين يستغرق عشر سنوات، يدرس الطالب خلالها من مبادئ اللغة الفارسية إلى كتاب المثنوي للشيخ جلال الدين الرومي، بالإضافة إلى التاريخ والحساب والجغرافيا واللغة الهندوسية.

قامت الجامعة بإدخال تعديلات في المنهج الدراسي للقسمين، حيث وضعت منهجًا دراسيًّا ذا خمس سنوات، يعادل المنهج الدراسي للتعليم الابتدائي المتّبع في المدارس الحكومية. يدرس الطالب خلال السنوات الخمس القاعدة البغدادية، والقرآن الكريم بالنظر والعقيدة الإسلامة، والمقررات الدراسية في اللغات: الأردية، و الهندوسية، والإنجليزية، والتاريخ والجغرافيا والحساب، وفي السنتين: الرابعة والخامسة اللغة الفارسية خاصة. فالطالب في هذا القسم يكون له معرفة بمبادئ العلوم المعاصرة، مما يؤهّله أن يلتحق بالمدارس الحكومية.

٥- قسم تحسين الخط

يقوم القسم بتعليم الطلاب أنواعًا من الخط كالنسخ والرقعة والثلث والكوفي والفارسي، كما يُمرِّن الطلاب على تحسين الخط وتجويده. والطلاب الملتحقون بالقسم يتعلمون أنواعًا من الخط، ويمنحون منحة شهريًّا، وينالون شهادة بعد ما يستكملون مدة الدراسة. كما أن طلاب قسم العلوم الشرعية وقسم التجويد والقراءات يتعلمون الخط في هذا القسم كمادّةٍ اختياريةٍ.

٦- قسم الخياطة والتجليد

لفتت الجامعة عنايتها إلى التعليم المهني، فأنشأت قسم الخياطة والتجليد عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٥م، ليتعلم فيه الطلاب الخياطة والتجليد، ويستعينوا بهما على الحياة إذا مست الحاجة.

يتعلم الطلاب في هذا القسم تجليد الكتب، وتفصيل وخياطة القميص والإزاروالصدرية والشيرواني وما إليها. يقبل عدد من الطلاب في القسم، بينما طلاب الأقسام الأخرى لاسيما قسم التجويد يتعلمون في هذا القسم خارج الدوام.

٧- قسم الحاسوب للتعليم المهني

بما أنَّ الحاسوب قد أصبح جزءًا لا يتجزَّأ من حياة الإنسان المعاصر، وأن تدريب الطلاب عليه عاد من أهم مقتضيات العصر؛ لأنه خير معوانٍ له على الممارسة السريعة للنشاطات التعليمية والكتابية والدعوية، كما أنه خير وسيلة للاكتفاء الذاتي في الحياة الاقتصادية، أنشأت الجامعة قسم الحاسوب لتدريب الطلاب على استخدامه، وذلك في ١٥/ ربيع الأول سنة ١٤١٧هـ = يوليو عام ١٩٩٦م.

يتمّ قبول عدد محدد من متخرجي الجامعة لتدريبهم على استخدام الحاسوب وبرامجه المتنوعة. ويمنحون شهادة الدبلوم في التدريب على الحاسوب بعد ما يجتازون الامتحان النهائي. كما أن القسم يقوم بتعليمهم اللغة الإنجليزية بقدرما يحتاجون إليه في استخدام الحاسوب.

وعام ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م بدأ برعاية هذا القسم ترتيب وكتابة سجلات

الفتاوى المحفوظة بدارالإفتاء، ففتاوى المفتين المودعة السجلات تراث علمي كبير. فنظرًا إلى الاحتفاظ بها ونشرها يقوم القسم بعنونة الفتاوى وتبويبها ثم كتابتها بالحاسوب. وقد كتبت بالحاسوب وطبعت فتاوى المفتي الأكبر عزيز الرحمن العثماني الديوبندي مبوّبة ومُعَنْونة في ١٨ مجلدًا باسم «فتاوى دارالعلوم ديوبند».

٨- قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

إن اللغة الإنجليزية هي إحدى اللغات العالمية، ولها أهمية كبرى من الناحية الدعوية، وقد زادت أهميتها الدعوية في هذا العصر الذي يعتبر عصرًا الشبكة العنكبوتية والإعلام العالمي، و الذي يواجه فيه المسلمون مشكلات متنوعة ومؤامرات شتى في المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. فكانت الظروف مدعاة إلى أن تقوم الجامعات والمدارس الإسلامية بإعداد رجال أكفاء يجمعون بين العلوم الإسلامية واللغة الإنجليزية ومهاراتها المتنوعة من النطق والكتابة والخطابة، ويقدمون التعاليم الإسلامية إلى غيرالمسلمين كتابيًّا وشفويًا، ويردّون على ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات ضده.

فتلبيةً لنداء الوقت وحاجة الزمان قامت الجامعة بإنشاء قسم اللغة الإنجليزية، وذلك عام ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م. يقبل في القسم ٢٠ من متخرجي الجامعة، وهم يدرسون المنهج الدراسي الذي تستغرق دراسته سنتين، والذي يحتوي على كتاب النصوص الإنجليزية، وقواعد اللغة الإنجليزية، والترجمة من الإنجليزية إلى الأردية وبالعكس، ومن الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، بالإضافة إلى التركيز على النطق باللغة الإنجليزية والكتابة بها. دراسة الطلاب في هذا القسم سنتين تعطيهم مؤَهِّلا يعادل مُؤَهِّل البكالوريوس في الإنجليزية، ومقدرة فائقة على النطق باللغة الإنجليزية والكتابة بها. وخلال الدراسة يُعنى القسم بالزيِّ الإسلامي للطلاب وتوعيتهم وتوجيهم وإرشادهم كلَّ العناية.

❊ ❊ ❊

الأقسام الدعوية والثقافية

١ – دار الإفتاء	٢ – قسم الشبكة العنكبوتية
٣ – قسم الدعوة والإرشاد	٤ – أكاديمية شيخ الهند
٥ – مجلس صيانة ختم النبوة	٦ – قسم الرد على المسيحية
٧ – مكتب المحاضرات العلمية	٨ – رابطة المدارس الإسلامية
٩ – قسم ترتيب الفتاوى	١٠ – قسم صيانة السنة

١- دار الإفتاء

لقد تأسست الجامعة في عصرٍ أوحشت فيه مراكز العلم، وعُطِّلت معاهد التعليم، ونـدَرَ وجودُ العلماء الربَّانيين، حتى قلّما يوجد من يُرشد المسلمين في شؤونهم الدينية؛ لذلك فما إن أُسّست الجامعة حتى استقطبت انتباههم، وبدأت الاستفتاءات ترد إليها من قاصي البلاد ودانيها. ففي بداية عهد الجامعة كان من وظيفة المدرسين أن يكتبوا الإجابات عن الاستفتاءآت، فقد كان الشيخ محمد يعقوب النانوتوي رئيس هيئة التدريس الأول يكتب الإجابات عنها، فلما كثر عدد الاستفتاءات أنْشِئَت دار الإفتاء عام ١٣١٠هـ = ١٨٩٢م، ووُلِّيَ رئاستَها فضيلةُ المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي، وكان عالمًا فريدًا وفقيهًا بارعًا وزاهدًا تقيًا. وقد تولّى منذ ذلك الحين منصبَ رئاستها والعمل فيها رجالُ الفقه والإفتاء.

دار الإفتاء من أكثر أقسام الجامعة أهمية، وأعظمها اعتبارًا منذ فجر تأسيس الجامعة، يسترشد منها في المسائل الدينية عامة المسلمين في البلاد وخارجها. ومعظم الاستفتاءات التي ترد إلى دار الإفتاء تكون عن الحياة اليومية، والقضايا ذات الحلول المستعصية، وأحكام لجنة التحكيم، والدعاوي المرفوعة إلى المحاكم.

فدارالإفتاء تُفتي في الاستفتاءات بالحكم الشرعي من الكتاب والسنة. والمحاكم الرسمية تُعير أهمية كبيرة لفتاوى دارالإفتاء، وعامة المسلمين يُحكِّمونها في شؤونهم الدينية، حتى العلماء يفزعون إليها. فلها اعتبار كبير ومكانة مرموقة فيما بين المسلمين في الهند وخارجها.

وقد بلغ عدد الفتاوى التي صدرت عنها خلال قرن وربع ٨٠٠٠٠٠ فتوى. وأما اليوم فعدد الفتاوى التي تصدر عنها سنويًا يُقدَّر بنحو ١٠٠٠٠ فتوى. كما أنها لا تأخذ على الإفتاء أيَّ رسم أوتعويض.

ومبنى دارالإفتاء يقع شرقيّ المسجد القديم فوق الميضأة، وقد تمَّ إنشاؤه عام١٣٢٨هـ/ ١٩٤٩م، ثم أضيف إليه فيما بعدُ قاعة كبرى.

ومن ثمرات دارالإفتاء موسوعة «فتاوى دارالعلوم»، فقد بدأ فضيلة المفتي ظفير الدين المفتاحي بجمع وترتيب الفتاوى الصادرة من دارالإفتاء، فجمع فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي إلى كتاب اللقطة في ١٢ مجلدًا، وذلك باسم «فتاوى دارالعلوم»، ثم توقف العمل مدة، والآن تمَّ استئناف جمع فتاواه وترتيبها مرة أخرى، حتى جاءت في ١٨ مجلدًا. كما أن فتاوى غيره من المفتين المودعة بطونَ السجلات تُكتب بالحاسوب.

٢- قسم الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

لئن كانت الشبكة العنكبوتية والحاسوب وتكنولوجيا الاطلاع ووسائل الإعلام مجلبة لمشكلات جديدة في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية في جانب، فقد جاءت هذه الوسائل كلها خيرأداة لنشرالدعوة الإسلامية في أقطار العالم في جانب آخر.فقامت الجامعة بإنشاء قسم الحاسوب عام ١٤١٥هـ =١٩٩٦م تحقيقًا لمقتضيات العصر. وما إن جاءت في البلاد مصلحة الشبكة العنكبوتية حتى بادرت الجامعة، وأنشأت قسم الشبكة العنكبوتية. فقسم الشبكة العنكبوتية له أهمية كبيرة يقوم بخدمات جليلة. وأما موقع دارالعلوم فقد يزوره الناس في كل بلد من بلاد قارة آسيا، وأوربا، وإفريقيا، وأمريكا وأستراليا، ويتصل بالجامعة عن طريق

البريد الإلكتروني أكثرمن ١٥٠٠ شخص من أكثرمن ٥٠ دولة.

موقع دارالعلوم (www.darululoom-deoband.com): موقع دارالعلوم في أربع لغات: الأردية، والعربية، والإنجليزية، والهندوسية. أما جزء اللغة الأردية من الموقع فهو مزوَّد بتاريخ دارالعلوم الذي يحتوي على ٣٠٠ صفحة، وسبعة كتب، والبحوث والمقالات. وأما جزء اللغة الإنجليزية منه ففيه نحو ٢٥٠ صفحة من تاريخ دارالعلوم بالإنجليزية، وثمانية كتب. وأما جزء اللغة العربية منه ففيه تعريف موجز بالجامعة ومشايخها، وكتاب «علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي» للمقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة سابقًا. وأما جزء اللغة الهندوسية ففيه تعريف موجز بالجامعة كذلك.

يُعنى هذا القسم بنشر مجلة «الداعي» العربية ومجلة «دارالعلوم» الأردية – هما لسان حال الجامعة– عبر موقع الجامعة كلَّ شهر. والأعداد السابقة لهما توجد في الموقع دائمًا. كما أنه يهتمّ بنشر نتائج الامتحان السنوي لقسم العلوم الشرعية والتخصصات منذ ١٤٢٩هـ.

والجدير بالذكر أن الموقع يوجد فيه نشيد الجامعة في الجزء الصوتي من الموقع، وأكثر من أربعين صورة للجامعة في المعرض منه، واستمارة رابطة المدارس الإسلامية، والمشاريع المستقبلية، بالإضافة إلي بيان طرق التبرع للجامعة.

إنّ عمل تجديد الموقع وتزيينه مستمر، وسوف يتمّ العمل بإذن الله، ويأتي مزوَّدًا بالتعريف المفصَّل بالجامعة في اللغات الأربع: الأردية والعربية والإنجليزية والهندوسية، وبالتسهيلات الجديدة.

موقع دارالإفتاء (www.darulifta-deoband.org): نظرًا إلى كثرة الاستفتاءات التي ترد إلى الجامعة عبر البريد الإلكتروني قامت الجامعة بفتح موقع جديد باسم «موقع دارالإفتاء» باللغتين: الأردية والإنجليزية، وذلك عام ٢٠٧م. فموقع دارالإفتاء هو أحد المواقع المعدودة على الأصابع المتوفر معلوماته باللغتين: الأردية والإنجليزية. فللذين يستفتون دارالإفتاء عن أيّ مسألة دينية أن يزوروا

هذا الموقع ويكتبوا الاستفتاء بالأردية أو الإنجليزية، ويطلبوا الفتوى في أيّ منهما. وقد تمَّ حتى الآن نشر ٤٠٠٠٠ فتوى بالأردية والإنجليزية عبر الموقع، وهي كلها متوفرة في الموقع دائمًا.

٣- قسم الدعوة والإرشاد

أنشئ هذا القسم لممارسة النشاطات الدعوية والتوجيهية في البلاد عام١٣٤٢هـ/ ١٩٤٣م، عند ما قامت المنظّمات الهندوسية بدعوة المسلمين السُذَّج إلى اعتناق ديانتهم القديمة: الهندوسية وردِّهم إليها. بذل هذا القسم جهودًا مشكورة في العود بعدد لايحصى من المرتدّين إلى حظيرة الإسلام، وتخليص آلاف مؤلفة من المسلمين السُذَّج من براثن الكفروالردَّة.

فالقسم- منذ ذلك الحين- دائب العمل مستمر النشاط، يعمل فيه الدعاة البارعون والخطباء المصاقع الذين يجمعون بين موهبة إلقاء الكلمة وبين المجادلة بالتي هي أحسن. والقسم يُرسِل دعاته وخطباءه للدعوة والإصلاح في مختلف أنحاء البلاد. فللقسم دورمهمّ في تثبيت المسلمين على الإسلام وتعريفهم بشعائره.

٤- أكاديمية شيخ الهند

أكاديمية شيخ الهند هي مؤسسة التأليف والتحقيق والترجمة بالجامعة، جاء إنشاؤها عام١٤٠٣م تحقيقًا للمشاريع العلمية والدعوية. ومن أهداف الأكاديمية:

أ- الحفاظ على التراث العلمي لمشايخ الجامعة.

ب- تأليف الكتب بأسلوب حديث للتعريف بمشايخ الجامعة وجهودهم المتنوعة للمسلمين لاسيما إخواننا العرب.

ج- نشر الكتب في الموضوعات الإسلامية وفي المنهج الفكري للجامعة.

د- تدريب الطلاب على التأليف والترجمة والصحافة.

تعمل الأكاديمية نشيطة دؤوبة لتحقيق الأهداف التي جاء تأسيسها لها برعاية مشرفها، فتنشر كتب مشايخ الجامعة محقَّقة مرقَّمة حسب قواعد الترقيم،

محلّاة الجيد بالهوامش، مصونة من الأخطاء المطبعية. كما تنشر كتبًا في الموضوعات المختلفة للمؤلفين، وتُرحِّب بالكتب الحديثة التي تنسجم وأهدافَها ومستواها. وقد قامت الأكاديمية بنشر نحو ٦٢ كتابًا باللغتين: العربية والأردية حتى الآن.

كما أنه يتمُّ في الأكاديمية قبول عدد من المتخرجين لتدريبهم على التأليف والترجمة والصحافة برعاية الأساتذة، والمنهج الدراسي في الأكاديمية للتدريب يستغرق سنة. والأكاديمية كانت تُصدر جريدة «آئينة دار العلوم» كلسان حال الجامعة، غير أنها توقفت عام ٢٠٠٩م.

٥- مجلس صيانة ختم النبوة لعموم الهند

لقد عاش مشايخ الجامعة وأبناؤها مرابطين على ثغور الإسلام، فما إن نشأت فرقة أو طائفة في بلاد الهند تنال من الإسلام وشعائره وشرائعه بادروا إلى مكافحتها والردِّ عليها، فلما تنبّأ المرزا غلام أحمد القادياني - لعنه الله- وأطلق أباطيله وأكاذيبه، وأخذ ينشر نبوته المزوَّرة بين الناس، تصدّوا للرد على المتنبي اللعين وأتباعه فناظروهم ولاحقوهم وألّفوا كتبًا ورسائل للردِّ عليهم حتى اضمحلت نشاطاتهم في البلاد. ثم لما انقسمت البلاد إلى قطرين: الهند وباكستان، أخذت هذه الفرقة باكستان مسرحًا لدعوتها ونشاطاتها، فقام علماء المسلمين وزعماؤهم بتعبيد الرأي العام ضد ها حتى وافق البرلمان الباكستاني على اعتبار هذه الفرقة أقلية غير مسلمة.

فلما راح المجال للفرقة ضيِّقًا في باكستان انتقلت الفرقة بثقلها إلى الهند، وأخذت تبيض وتفرخ فيها، فلفتت الجامعة عنايتها- كدأبها في مكافحة الفرق ودحض الفتن- إلى ملاحقتها وردِّها، فعقدت المؤتمر العالمي لصيانة عقيدة ختم النبوة في ٢٩-٣١ / أكتوبر ١٩٨٦م، وأنشأت بهذه المناسبة التاريخية «مجلس صيانة ختم النبوة لعموم الهند»، حتى يتمَّ الردُّ على هذه الفرقة وملاحقتها بشكل دائم. فالمجلس منذ إنشائه لايزال يعمل جاهدًا في مجاله.

أ- الدورات التدريبية

بدأ المجلس يعقد بين حين لآخر دورات تدريبية في مناطق البلاد التي تمارس فيها الفرقة نشاطاتها، وذلك لتعريف علماء المسلمين وأئمة المساجد بمكائدها وحيلها وأخطارها وأساليب مكافحتها، وتزويدهم بالمعتقدات الإسلامية عن ختم النبوة ونزول سيدنا عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- فأول دورة تدريبية عقدها المجلس في الجامعة برعاية فضلية الشيخ محمد إسماعيل الكتكي - رحمه الله - عضو مجلس الشورى سابقًا، وذلك عام ١٩٨٨م، وقد استمرت الدورة عشرة أيام، حضرها عدد كبير من العلماء، وتلقوا معلومات موسعة عن فرقة القاديانية. كما عقد المجلس الدورة الثانية في نفس الجامعة برعاية فضيلة الشيخ منظور أحمد التشنيوتي الباكستاني، وذلك عام ١٩٩٠م. والدورة الثالثة ليوم واحد في فيروز آباد بولاية أترابراديش عام ١٩٩١م، والدورة الرابعة لخمسة أيام في «كوهاتي» عاصمة ولاية «آسام» عام ١٩٩٢م، والدورة الخامسة لثلاثة أيام في «مدراس» عاصمة ولاية «تملنادو»، والدورة السادسة في «ألوائي» بولاية «كيرلا»، وهكذا استمرَّ عقدُ الدورة كلَّ سنة منذ ١٩٩٨م في مختلف مدن الهند: كـ «ميل بالم» بولاية «تملنادو» و«باغلفور» بولاية «بيهار» و«بنغالور» بولاية «كرناتكا» و«كالكوتا» و«مرشد آباد» و«نديا» و«تشوبيس برغنه» بولاية «بنغال» و«أجمير» بولاية «راجستان» و«هافور »و«كانفور» بولاية «أترابرديش» وفي «نيبال» عام ١٩٩٦م.

يقبل المجلس أربعة طلاب كلَّ سنة للتدريب المُرَكَّز على مقاومة القاديانية والرد عليها. كما يعقد المجلس دورة تدريبية لأسبوع كامل في شعبان كل سنة لتدريب طلاب المدارس والجامعات الإسلامية ومدرسيها.

ب- المؤتمرات والاجتماعات

عقد المجلس- منذ أن أنشئ- نحو ١٠٠ مؤتمر واجتماع مابين صغير وكبير، في كل من «أترابراديش» و«بيهار» و«بنغال» و«بنجاب» و«آندهرا براديش» و«هريانه» و«هماتشل براديش» و«مهاراسترا» و«كرناتكا » و«تملنادو» و«آسام»

و«ميكاليه» و«راجستان» و«كيرلا» و«جامون وكشمير» و«نيبال». كما عقد المجلس مؤتمرًا في موضوع ختم النبوة في « أردو بارك» بدهلي في ١٤/ يونيو١٩٩٧م. والمؤتمرالثاني فيها في ٢٠/ يونيوعام ١٩٩٨م.

وقد يُبَارِزُ دعاة القاديانية علماء المسلمين ويدعونهم إلى المناظرة ويَتَحَدَّونهم، فالمجلس يبعث دعاته ومناظريه لمناظرتهم. لقد ناظرعلماء المجلس ومناظروه القاديانيين أكثرمن ١٥مرة في مختلف مدن الهند، فنتيجة لهذه المناظرات إما عاد القاديانيون مفحمين، وإما اختفوا بعد التحدّي. وللمجلس جانب مشرق آخروهوأنَّ عددًا كبيرًا من دعاة القاديانية والقاديانيين تابواعن القاديانية بتوفيق من الله عزَّ وجلَّ أولًا، ونتيجةً للجهود المضنية التي يبذلها المجلس ثانيًا.

٦- قسم الرد على المسيحية

لقد جاء تأسيس الجامعة وقد تمَّ استيلاء الإنجليزعلى البلاد، وأرادوا أن يحوِّلُوا الهند دولة مسيحية، فاستهدفوا ديانة المسلمين وعقيدتهم بعدتهم وعتادهم حينًا وبالإغراءات حينًا آخر. فبثوا القساوسة والمبشرين في جميع أرجاء البلاد يدعون المسلمين إلى المسيحية، ويوجِّهون اعتراضات إلى الإسلام جهارًا.

هنالك قام مشايخ الجامعة وعلى رأسهم الإمام محمد قاسم النانوتوي وتلاميذه لمقاومة هذه الفتنة ودحضها، فناظروا القساوسة والمبشرين، وألَّفوا كتبًا في الرد على المسيحية حتى حالوا دون تحويل البلاد إلى دولة مسيحية.

وبعد مضيٍّ نحو قرنٍ من الزمان أخذت المسيحية تبيض وتفرخ في البلاد، وتصل إلى الجامعة أخبار نشاطاتها تترا، فقام مجلس الشورى في دورته المنعقدة في صفر١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م بتكوين لجنة للرد على المسيحية، وهي التي تحوَّلت بعدُ إلى «قسم الرد على المسيحية».

قام القسم بإعداد كتيِّبات ورسائل فيما يتعلق بالرد على المسيحية وبالاعتراضات السخيفة والشبهات الواهية التي يثيرها المسيحيون، وقد تمَّ نقل عدد منها إلى اللغتين: الإنجليزية والهندوسية.

كما أنَّ القسم عقد دورات تدريبية لتوعية المشاركين وتزويدهم

بمعلومات مهمّة، وذلك في مدن مختلفة من البلاد، فقد عقد دورة ليومين في الجامعة سنة ١٤٢٢هـ، حضرها أكثر من ١٥٠ من العلماء والدعاة من كل من «أترابراديش» و«بيهار» و«بنغال» و«بنجاب» و«آندهرا براديش» و«كرناتكا» و«تملنادو» و«آسام» و«راجستان» و«كيرلا» و«جامون وكشمير» وما إليها.

يبعث القسم بين حين لآخر دعاة وعلماء إلى المناطق التي تضرّرت بمبَشرِّي المسيحية لإرشاد أهاليها وإصلاحهم. كذلك يختار القسم ١٠ طلاب ممن تخرجوا في الجامعة، فيدربهم على الرد على المسيحية، ويزوِّدهم بمعلومات مهمّة عنها.

٧- مكتب المحاضرات العلمية

بما أنَّ الجامعة تتمتع بمرجعية دينية في هذه البلاد، ترى من واجبها أن تُعِدَّ رجالًا مؤهَّلين يعملون لإرشاد المسلمين وإصلاحهم والحفاظ على عقيدتهم وحمايتهم من الديانات الباطلة والفرق الضالة والمنحرفة، فبدأت الجامعة سلسلة محاضرات في مختلف الفرق والديانات للمتخرجين الذين يدرسون في الأقسام التخصصية. والمحاضرات في ثمانية موضوعات، وهي:

١- اليهودية
٢- الهندوسية
٣- المسيحية
٤- الشيعية
٥- القاديانية
٦- البريلوية
٧- المودودية
٨- اللامذهبية

يُلقي الأساتذة خمس محاضرات في كل من الموضوعات السالفة الذكر على الطلاب خلال السنة الدراسية، وذلك كلَّ يوم الخميس إثر صلاة الظهر. والطلاب يُسمحون بالمناقشة خلال المحاضرة. فالطلاب يتسلّحون -عن طريق المحاضرات- بالمعلومات الهامة عن هذه الموضوعات، فيتمكَّنون من التفريق بين العقيدة الصحيحة وبين معتقدات الديانات وآراء الفرق الضالة والمنحرفة، ومن إرشاد المسلمين إلى الطريق السوي.

٨- رابطة المدارس الإسلامية العربية لعموم الهند

بعد تأسيس الجامعة قام أبناؤها ومنسوبوها بإنشاء آلاف من المدارس والجامعات الإسلامية على غرارها في الهند وخارجها. وهي كلها تتبعها في المنهج الفكري والتعليمي، وتستقي حياتها من معينها. غير أن هذه المدارس والجامعات الإسلامية لم تكن لها رابطة، تجتمع هي- المدارس والجامعات الإسلامية- تحت مظلتها للحصول على مصالحها والبحث عن حلول قضاياها ومشكلاتها.

هذا وقد نشأت ظروف -لعوامل داخلية وخارجية- مما جعل الناس ينظرون إلى الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية نظرة الشك والارتياب. بينما أثيرت اعتراضات ضدَّ منهجها الدراسي والإداري وطُوْلِبَ بضمّ العلوم المعاصرة إليه.

في هذه الظروف الحرجة قامت الجامعة لأداء مسؤوليتها، فعقدت اجتماعًا ممثّلًا على مستوى البلاد، لتطوير المستوي التعليمي والتربوي للمدارس والجامعات الإسلامية والحفاظ عليها، وذلك في ٢٠، ٢١محرم الحرام ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م. وقد حضرا لاجتماع نحو ألفين من ممثّلي الجامعا ت والمدارس الإسلامية الذين وافقوا على إنشاء المقرّ الرئيس لرابطة المدارس الإسلامية العربية لعموم الهند في الجامعة. ومن أهداف الرابطة:

١- تحسين المنهج التعليمي والتربوي للمدارس والجامعات الإسلامية.
٢- تعزيز العلاقات وبثّ الانسجام المشترك فيما بينها.
٣- اتخاذ خطوات مؤثرة للحفاظ عليها وتطويرها.
٤- إنشاء المدارس والكتاتيب في المناطق التي تمسّ فيها الحاجة إليها.
٥- إدخال تعديلات على المنهج الدراسي إذا دعت الضرورة إليه.
٦- رصد المحاولات والمؤامرات التي تنسج ضدَّ المدارس والجامعات والمؤسّسات الإسلامية.
٧- إصلاح المجتمع المسلم الهندي والحفاظ على شعائر الدين الإسلامي.

إن الرابطة يتمتع بعضويّتها أكثر من ٢٠٠٠مدرسة وجامعة إسلامية، بما فيها أهم مدارس وجامعات ولايات الهند، التي تتبع الجامعة في المنهج الفكري

والتعليمي. وللرابطة فروع في أهم ولايات الهند، ولكل فرع رئيس. والرابطة لها مجلس تنفيذي مكوَّن من٥١ عضوًا، وهم أعضاء مجلس شورى الجامعة وأساتذة الطبقة العليا فيها وكبار علماء الهند. ولها مجلس عام مكوَّن من أعضاء مجلس شورى الجامعة وخمسة عشرأستاذًا من أساتذتها وممّثل من كل مدرسة وجامعة. وقد عقدت الرابطة اجتماعها العام الأول في ١٦/ صفر١٤٢٣هـ/ مايو٢٠٠٢م، وافق فيه الأعضاء على دستور الرابطة.

ولما كان من أهداف الرابطة متابعة المؤامرات التي تُحاك ضدّ المدارس والجامعات الإسلامية، فعند ما استهدفتها العناصر الطائفية مؤخرًا، ووجهوا إليها اتهامات مزوَّرة، حيث وصفوها بعملاء المخابرات الباكستانية (آئي، إيس، آئي) حينًا، وبمحاضن الإرهاب حينًا آخر؛ هذا إلى أن الحكومة الهندية اتخذت خطوات تهددها- المدارس والجامعات الإسلامية- بالخطر، عقدت الرابطة مؤتمرًا لعموم الهند حضره ممثلو المدارس والجامعات الإسلامية لدراسة هذه المؤامرات ووضع خطة لإحباطها. فنجحت الرابطة- بإذن الله- في خطتها، حيث ذهبت مؤامرات العناصر الطائفية هباءً منثورًا، وركعت الحكومة - كذلك- للرأي العام للمسلمين.

عقدت الرابطة نحو عشرة من المؤتمرات والاجتماعات العامة التي تمّت فيها الموافقة على نحو٥٠ قرارًا فيما يتعلق بالمنهج الدراسي، وأسلوب التدريس، والمنهج التربوي، ودعم العلاقات فيما بين المدارس، وصيانة ختم النبوة، والتنديد بالدعايات المزوَّرة ضدَّ المدارس، وإصلاح المجتمع المسلم الهندي، ودورالمدارس الإسلامية في الحفاظ على كيان الإسلام في هذه البلاد، وتدريب المعلّمين والمدرسين، وأهمية إصلاح المجتمع، وسياسة الحكومة تجاه المدارس، والتعليم الديني في المدارس والمعاهد الحكومية، وصيانة السنة ومذهب أهل السنة والجماعة.

ولما وافق المجلس التشريعي للحكومة الإقليمية في أترابراديش على «قانون المباني الدينية» عام١٩٩٨م، وحاولت الحكومة عن طريقه اغتصاب الحرية الدينية للشعب الهندي ولاسيما المسلمين، عقدت الرابطة مؤتمرًا لعموم الهند في١٢/ نوفمبر١٩٩٨م يندِّد فيه بالقانون، مما اضْطَرَّ الحكومة إلى إلغائه.

كما أن الحكومة الإقليمية لما أصدرت مرسومًا عن إنشاد النشيد الوثني بشكل إجباري (أعبدك أيتها الأم: الأرض) في المدارس الحكومية عقد ت الرابطة اجتماعًا تُبدي فيه ردّ فعل شديد، مما أدّى بالحكومة إلى سحب المرسوم. وأهم مؤتمر من بين المؤتمرات عقدته الرابطة هو «مؤتمر السلام العالمي ومكافحة الإرهاب» في فبراير عام ٢٠٠٨م الذي حضره ٢٠٠٠٠ عالم وداعية، بالإضافة إلى ممثلي كل معهد ومدرسة وجامعة إسلامية في البلاد، وقد كان للمؤتمر نداء مسموع في البلاد وخارجه وآثارإيجابية طويلة المدى.

وكذلك لما طرحت الحكومة المركزية مشروع الهيئة المركزية للمدارس الإسلامية عقدت الرابطة اجتماعًا موسعًا للأعضاء يرفضون المشروع مما اضطرَّ الحكومة إلى سحب المشروع.

كما أن الحكومة لما جاءت بالسياسة التعليمية الجديدة، رفعت الرابطة عقيرتها ضدّ هذه السياسة؛ لأنها تجعل المدارس الإسلامية مهدّدة بالخطرأو متعثرة في سيرها.

تعقد الرابطة دورتها بعد كل ثلاث سنوات، يتمّ فيها استعراض ودراسة القضايا والمشكلات التي تواجه المدارس الإسلامية في البلاد.

٩- قسم ترتيب الفتاوى

لما تمَّ تأسيس الجامعة أخذت الاستفتاءات في مسائل الدين ترد إليها، فكان أستاذ من أساتذتها يكتب الفتوى عنها، ثم قامت دارالإفتاء عام ١٣١٠هـ/ ١٩١٢م، وبدأ عمل الاستفتاء وكتابة الفتوى بشكل منهجي، غيرأنه لم يُحتَفظ بنقول الفتاوى إلى٤٧ سنة منذ تأسيس الجامعة. ثم تمَّ الاحتفاظ بنقولها في السجلات منذ ١٣٢٩هـ/ ١٩١٢م. بدأت المرحلة الأولى لترتيب الفتاوى عام ١٣٧٤هـ بأمرمن فضيلة الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة سابقًا، حيث جمع فضيلة المفتي ظفيرالدين المفتاحي فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي رئيس دارالإفتاء الأول وفهرسها فهرسة فقهية بدءًا من كتاب الطهارة إلى كتاب اللقطة في ١٢ مجلدًا، ثم توقَّف عمل الجمع والترتيب والفهرسة.

بدأت المرحلة الثانية على مباركة من فضيلة الشيخ بدرالدين أجمل القاسمي

عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٥م، حيث وافق مجلس الشورى على استئناف جمع وفهرسة فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي، فجاءت في ١٨ مجلدًا.

وقد أنشئ لترتيب الفتاوى قسم خاص، حيث يجري كتابة مئآت من سجلّات فتاوى دارالإفتاء بالحاسوب، وهي سجلات فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي ومن إليه من أصحاب الفضيلة المفتين، وقد بلغ عدد سجلات الفتاوى التي تمّت كتابتها خلال مئة عام ١٢٠٠ سجلًا، وقد بَلَيَتْ واصْفَرَّتْ على مرّ الأيام، فكتابتها بالحاسوب وصيانتها بالتقنية الجديدة مستمرة. وقدتمَّ حتى الآن كتابة سجلات فتاوى فضيلة المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي، وفضيلة المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، وفضيلة الشيخ إعزاز علي الأمروهوي، وهي ٦٥ سجلًّا.

١٠- قسم صيانة السنة

نشأت اللامذهبية في شبه القارة الهندية منذ قرنين، فتصدّاها مشايخ الجامعة وأبناؤها منذ نشأتها، إلا أنها - منذ أن تمَّ اكتشاف آبار البترول في دول الخليج- تقمّصت لباس السلفية المفتعلة، وشوَّهت للعلماء والدعاة العرب صورة مشايخ الجامعة وعلمائها والسادة الأحناف حصولًا على المطامع المادية. فاللامذهبية أكبر فتنة في هذا العصرأصابت الشباب المسلم وجعلته يطعن على السلف الصالحين والأئمة الفقهاء.

فللردّ على هذه الفرقة ومكافحتها قامت الجامعة بتنظيم إلقاء محاضرة عن اللّامذهبية على الطلاب أولًا، ثم أنشأت قسم صيانة السنة عام ١٤٢٧م=٢٠٠٦م. يتمّ فيه اختيارعدد من الطلاب للتدريب على ردّها ومكافحتها.

***

الباب الرابع

التعليم والتربية

- المنهج التعليمي للجامعات والمدارس الإسلامية في الهند
- المنهج التعليمي للجامعة
- الخصائص التعليمية للجامعة
- المنهج الدراسي للعلوم الشرعية في الجامعة
- منهج القبول والتسجيل في الجامعة

المنهج التعليمي للجامعات والمدارس الإسلامية في الهند

إن التعليم له أهمية كبرى، وهو إحدى المهامّ التي ابتعث الله لها نبيه ﷺ حيث قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمرآن: ١٦٤]؛ لذلك دعا الإسلام منذ فجره أتباعه إلى تلقّي التعليم والتحلّي بحليته. فكان المنهج التعليمي في الصدر الأول من الإسلام هو القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ، وما صدرعن لسانه ﷺ من الحديث فيما يتصل بمختلف مجالات الحياة. فكان الصحابة يُعنَون بتلاوة الآيات القرآنية وحفظها، كما أنهم يُذاكرون الأحاديث الشريفة ويتدارسونها، وحتى كان بعضهم يَكتبونها.

فلمّا جاء عهدُ خلافة أبي بكرالصديق رضي الله عنه جُمع القرآن الكريم ودُوِّن في مصحف بعناية فائقة. ثم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما توسّعتْ رقعة الدولة الإسلامية، وخرج الإسلام من الجزيرة العربية إلى بلاد العجم، واستجدّتْ قضايا ومشكلات، عُنِيَ عمر رضي الله عنه بتطويرالشُّعَب الحياتية كلها، لاسيما التعليم وأنشأ فيه تغييرات وتطورات كبيرة.

بدأ تدوينُ الأحاديث الشريفة في القرن الهجري الأول، وفي القرنين اللذين ولياه. وصل الإسلام في العهدين الأموي والعباسي إلى العالم المتحضر، ونشأت قضايا ومشكلات جديدة، فدُوِّنت الفنون والعلوم والصناعات: دُوِّنت علوم النحو والصرف، ونبغ علماء العربية، وحدثت أحداث وقضايا جديدة، فاشتغل العلماء والفقهاء باستنباط أحكامها من القرآن والسنة، وهكذا جاء تدوينُ الفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله، وأسماء الرجال، والتاريخ،

وعلوم العربية.

ظل المنهج التعليمي في المساجد والحلقات العلمية هو القرآن الكريم والحديث ومايتعلق بهما من العلوم. وفي القرن الخامس الهجري أنشأ الإمام أبوحامد الغزالي علم الكلام ردًّا على ما نتج عن الفلسفة اليونانية من أفكار وآراء، فنشأت الفلسفة الإسلامية والمنطق، وقد سادت هذه العلوم الحلقات العلمية كلها في العالم الإسلامي. فكلما تقدَّم الزمان تمركز كلُّ علم في قطرخاص يُعرف به، فعُرفت الأقطار العربية بالتفسير والحديث وأصوله وأسماء الرجال؛ والأندلس الإسلامية بالأدب والشعر والتاريخ؛ وبلاد الفرس بالمنطق والفلسفة؛ وخراسان وماوراء النهربالفقه وأصوله والتصوف.

المنهج التعليمي لدى المسلمين الهنود

قد جاء المسلمون العرب إلى الهند، وفتح محمد بن القاسم الثقفي السند وملتان في القرن الأول الهجري. كما فتح السلطان محمود الغزنوي السند وبنجاب في القرن الخامس الهجري، وتوَّغل في البلاد حتى وصل إلى كجرات. إلا أن الذي أنشأ الحكومة الإسلامية القوية في الهند بشكل منهجي هو قطب الدين أيبك مولى السلطان شهاب الدين الغوري، وذلك في القرن السادس الهجري الموافق١٢٠٦م، الذي اهتمَّ فيه المسلمون في آسيا الوسطى بالصرف والنحو والبلاغة والأدب والكلام والتصوف بالإضافة إلى التفسير والحديث. ولما كانت آسيا الوسطى والبلاد الإسلامية غزاها التتر، ولم تقم فيها حكومة قوية بعد غزوهم، بينما كانت الهند بنجوة من غزواتهم، وكانت تتمتع بحكومة قوية؛ فهاجرعدد كبير من علماء ومشايخ ومسلمي تلك البلاد إلى الهند، وانتقلت إليها معهم علومهم ومعارفهم وأذواقهم كذلك، مما أثَّر على المدارس والحلقات العلمية هنا تأثيرًا كبيرًا.

قسم السيد عبد الحي الحسني المنهج التعليمي في الهند وتطوراته إلى أربعة عصور، وهي فيما يلي:

العصر الأول: يمتد هذا العصر من القرن السابع الهجري إلى قبيل القرن

العاشر، و يحتوي على نحو قرنين من الزمان. يُعنى في هذا العصر بالصرف، والنحو، والأدب، والبلاغة، والفقه وأصوله، والمنطق والكلام والتفسير والحديث، ويدل تراجم علماء هذا العصر أن البراعة في الفقه كان مقياسًا للفضل. وأما الحديث فيدرسون فيه مشارق الأنوار، فمن أراد أن يتوسع في دراسته درَس المصابيح. ومن مزايا المنهج التعليمي في هذا العصر أنه كان يتمتع بميول واتجاهات الغزاة والفاتحين، والغزاة الذين أسسوا الحكومة الإسلامية في الهند كانوا من «غزني» و«غور» حيث يعتبر البراعة في الفقه وأصوله مقياسًا للفضل والكمال.

العصر الثاني: يبتدئ هذا العصر بأواخر القرن التاسع الهجري، عندما قدم الشيخ عبد الله والشيخ عزيزالله من ملتان إلى بلا ط الملك سكندر اللودهي، وقد حاولا رفع مقياس الفضل أيَّما محاولة، حيث أدرجا «المطالع» و«المواقف» للقاضي عضد الدين، ومفتاح العلوم للسكاكي في المنهج التعليمي، كما ضمَّ إليه تلاميذ مير السيد الشريف الجرجاني «شرح المطالع» و «شرح المواقف» وتلاميذ العلامة سعد الدين التفتازاني «المطول» و«مختصرالمعاني» و«التلويح» و«شرح العقائد النسفية». كما أضيف إليه «شرح الوقاية» و«شرح الجامي على الكافية». وفي منتهى هذا العصر سافر الشيخ عبد الحق الدهلوي إلى بلاد الحرمين، وأخذ الحديث عن علمائها، وبعد عودته إلى الهند حاول نشره فيها، ثم خلفه نجله الشيخ نورالحق الدهلوي في تدريس الحديث، غيرأنه لم ينجح في مهمته. تدل تراجم علماء هذه الطبقة على أن دراسة «مفتاح العلوم» للسكاكي و«المطالع» و«المواقف» للقاضي عضد الدين كانت تعتبر مبلغ العلم ومنتهى الكمال.

العصر الثالث: يبتدئ هذا العصر منذ مقدم مير فتح الشيرازي من شيراز إلى الهند، وذلك في أواخر القرن العاشر الهجري، وقد احتفى به الملك المغولي «أكبر» وخلع عليه لقب «عضد الملك». ضمَّ مير فتح الله إلى المنهج التعليمي السائد في الهند كتبًا في العلوم العقلية، لقيت قبولًا في الأوساط العلمية في الهند.

هذا، وقد سافر الإمام ولي الله الدهلوي إلى بلاد الحرمين، حيث مكث

أربعة عشر شهرًا يأخذ الحديث عن علمائها، ثم عاد إلى الهند ودرَّس الحديث، وعمل على نشره وترويجه، ثم خلفه أبناؤه وتلاميذه في مهمته، فضمُّوا الصحاح الستة إلى المنهج التعليمي. لقد وضع الإمام ولي الله منهجًا تعليميًّا جديدًا، غير أنه لم يلقَ رواجًا وقبولًا؛ لأن مركز الثقل كان قد انتقل من دهلي إلى لكناؤ، وأنَّ العلماء المتوافدين من إيران إلى الهند على عهد الملك همايون و الملك أكبر كانوا قد غيَّروا الميول والاتجاهات لما حملوا معهم العلوم العقلية التي سادت الأوساط العلمية.

العصر الرابع: يبتدئ هذا العصر من القرن الثاني عشر. وضع العلامة نظام الدين السُهالوي اللكهنوي المتوفى ١١٦١هـ منهجًا تعليميًا، وهو المعروف بـ «الدرس النظامي» المتبع في الجامعات والمدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية. وقد جعل الشيخ نظام الدين المنهج التعليمي السائد في العصرا الثالث نواةً لمنهجه التعليمي، وضمَّ إليه الكتب المتداولة في ذلك العصر، فكان منهجه يحتوي على ٤٠ كتابًا في ١٣ مادَّة. وكان المنهج يتضمن الجلالين والبيضاوي في التفسير، ومشكاة المصابيح في الحديث، وكتبًا في الرياضيات والفلكيات والهندسة. وقد فتح المنهج صدره للمنطق والفلسفة، بينما ضيَّقه للطب والأدب والتصوف[١].

و في منتصف القرن الثالث عشركانت ثلاث مدارس علمية في الهند، وهي في «دهلي»، و«لكناؤ»، و«خيرآباد». وهي كلها تجتمع من وجه وتختلف من وجه آخر، فمدرسة الإمام ولي الله في «دهلي» كانت تُعنى بتدريس الكتاب والسنة ونشرهما أكبر العناية وأشدَّها بجانب تدريس العلوم الأخرى، فالعناية بالكتاب والسنة كانت ميزة هذه المدرسة. ومدرسة علماء «فرنكي محل» في «لكناؤ» كانت تهتمّ بتدريس الفقه وأصوله، شأن علماء ما وراء النهر في القرن السابع الهجري، بجانب تدريس الجلالين والبيضاوي في التفسير، ومشكاة المصابيح في الحديث. فكانت ميزة هذه المدرسة هي العناية بالفقه وأصوله. ومدرسة علماء «خيرآباد» كانت تُعنى بتدريس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة عناية كبيرة، حتى تضاءل

(١) الثقافة الإسلامية في الهند للسيد عبد الحي الحسني، ص: ١١-١٧.

دونها تدريسُ العلوم الأخرى، فكانت ميزة هذه المدرسة هي العناية الزائدة بالعلوم العقلية.

المنهج التعليمي للجامعة وما ينتهج منهجها من المدارس والجامعات

وبعد ثورة ١٨٥٧م ضد الإنجليز الغاشمين تعطَّلت المدارس الإسلامية في الهند، لاسيما في الهند الشمالية التي كانت مهد الثورة. وبعد الثورة بنحو ١٠ سنوات قامت الجامعة، ووضع مؤسسوها ومشايخها منهجًا تعليميًّا لها، فجعلوا «الدرس النظامي» نواة للمنهج وضمُّوا إليه الكتب الستة في الحديث، واستفادوا من المدارس الثلاث في «دهلي»، و«لكناؤ»، و«خيرآباد»، حتى جاء المنهج مزيجًا صالحًا لمختلف العلوم وجامعًا لمزايا المدارس الثلاث المذكورة. فهذا المنهج تتبعه الجامعة ومعظم المدارس والجامعات الإسلامية في الهند منذ قرن ونصف. والجامعة لم تحافظ على العلوم التي يضمّها المنهج فحسب، وإنما عملت على تطويرها. إن المنهج لايجعل دارسه متخصصًا في علم من العلوم، غيرأنه يُنشئ فيه موهبة وأهلية عامة لدراسة العلوم والتعمق فيها، ويجعله أهلًا للاختصاص في أيّ علم يَشاء. وتلك هي ميزة هذا المنهج.

فطالب الفضيلة (العالمية) في الجامعة ومايتبعها من المدارس والجامعات يدرس هذا المنهج خلال ثماني سنوات، والذي يحتوي على أكثرمن ٥٠ كتابًا في ٣٠ مادَّة، من العقيدة، والتفسير وأصوله، والتجويد، والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، والنحو والصرف، والبلاغة وعلومها، والأدب، والمنطق والفلسفة، والتاريخ والتصوف وما إليها. ومعظم المقررات في المنهج في العربية. وبعد نيل شهادة الفضيلة يمكن له أن يلتحق بأحد الأقسام التخصصية، ويتخصص -حسبما يهوى- في التفسير أو الحديث أو الفقه أو الأدب العربي. كما يمكن له أن يلتحق -إن شاء- بقسم اللغة الإنجليزية أو قسم الحاسوب.

إنَّ المنهج التعليمي المتبع في الجامعة وما يتبعها من المدارس والجامعات يُطلق عليه اسم «الدرس النظامي»، وهو إطلاق صحيح إلى حدٍّ ما. ويظن بعض

الناس أن هذا المنهج الذي تمَّ وضعه في القرن الثاني عشر متبع برُمّته في الجامعة. والحق أن مؤسسي الجامعة ومشايخها تناولوا الدرس النظامي بالحذف والإضافة والتغيير والتعديل، حتى جاء منهجًا جديدًا، وطبقوه في الجامعة، فإن قارن أحد بين هذا المنهج وبين «الدرس النظامي» تردَّد في إطلاق هذا الاسم عليه. ولايزال يُدخل عليه إضافات وتعديلات وتحسينات وِفقًا لمقتضيات العصر وحاجات الزمان.

وهنا يجب أن يوضع في الاعتبار أن الجامعة ومايتبعها من المدارس والجامعات قد جاء تأسيسها للحفاظ على العلوم الإسلامية ونقلها إلى الأجيال القادمة؛ فإدخال تغييرات وتعديلات على منهجها التعليمي تحول دون أهدافها الهامة مرفوض. إنَّ تدريس الكتاب والسنة والفقه الإسلامي هوالغرض الأصيل من وراء تأسيس هذه الجامعات والمدارس، فلايُضَمُّ إلى منهجه موادُّ أوكتبٌ تُخِلُّ بأهدافها أو تحول دون تحقيقها.

❊ ❊ ❊

المنهج التعليمي للجامعة

يبتدئ العام الدراسي للجامعة من شوَّال، ويتمّ فيه قبول الطلاب الجُدد، ثم يبتدئ التعليم في أوائل ذي القعدة، ويستمر إلى نهاية رجب، ويكون الامتحان لفترة ستة أشهر في العشر الأخير من ربيع الأول، بينما يكون الامتحان السنوي في الأسابيع الثلاثة الأولى من شعبان، ثم تبتدئ الإجازة الطويلة من الأسبوع الأخير من شعبان وتستمر حتى الأسبوع الأول من شوال. ثم تبتدئ عمليات القبول والتسجيل في الأسبوع الثاني منه. والإجازة الأسبوعية يوم الجمعة. وإجازة عيد الأضحى عشرة أيام تبتدئ من السادس إلى الخامس عشر من ذي الحجة.

الدوام الدراسي

للدروس في الجامعة دوامان: أحدهما الدوام الصباحي، وهو يحتوي على أربع حصص. وثانيهما الدوام المسائي، وهو يحتوي على حصتين، وكل حصة ستون دقيقة. يبتدئ التعليم في فصل الصيف من السادسة والنصف صباحًا وينتهي إلى العاشرة والنصف ضحىً، ثم يبتدئ من الثالثة والنصف ظهرًا وينتهي إلى الخامسة والنصف عصرًا. وأما في فصل الشتاء فيبتدئ من الثامنة إلا الربع صباحًا وينتهي إلى الثانية عشرة إلا الربع ضحىً، ثم يبتدئ من الثانية ظهرًا إلى الرابعة عصرًا. ويتدرَّج التغيير في الدوامين في فصلي الشتاء والصيف.

الامتحانات

لم تكن تقاليد الامتحانات في المدارس متبعة قبل تأسيس الجامعة، غير أنه جاء في تاريخ بعض المدارس أن الطلاب كانوا يُمتحنون سنويًا فيها، فقد جاء في «بستان السلاطين في تاريخ بيجافور: » «قد تـمَّ الامتحان في سلخ ذي الحجة»، وجاء في موضع آخر منه: «كان الطلاب يُمتحنون سنويًا». وأما قبل تأسيس

الجامعة فلم تكن عادة الامتحانات متبعة في المدارس الإسلامية، ولاشك أن الامتحانات خيرمقياس لسبر غور الطالب ومؤهِّلاته وجهوده، وقد جرت العادة أن الطالب إذا أنهى كتابًا في علم على أستاذه بدأ كتابًا آخر أكثر استيعابًا لمسائل الفن منه، دون أن يمتحنه الأستاذ. فلا يطلع الأستاذ على مدى استيعاب الطالب الكتاب وفهمه.

قامت الجامعة بالقضاء على معايب التعليم هذه، فنظمت الامتحانين: الامتحان لفترة ستة أشهر، والامتحان السنوي. أما قواعد الامتحانات في الجامعة فهي صارمة جدًا، ولاتمتحن الجامعة طالبًا دون أن يدرس مقرراتها الدراسية، فتمنحه الشهادة، فهذه الامتحانات من ميزات الجامعة.

منهج الامتحانات

إن الامتحان خير مقياس لمعرفة قدرات الطلاب وجهود المدرسين، ومناط لتقدمهم في الصفوف. فالجامعة - كما أنها حرة في وضع مقرراتها الدراسية- حرة في إجراء امتحاناتها بعيدة عن أيّ تدخّل حكومي. على هذا فهي تضع مقرراتها الدراسية وتمتحن طلابها فيها، وترفض أي تدخل شخصي أو حكومي في هذين المجالين كذلك.

تقوم الجامعة بتنظيم امتحانين: أحدهما للطلاب الجُدد الذين درسوا في مدرسة أخرى، ويرغبون في الالتحاق بالجامعة، ويكون هذا الامتحان في شوال في رقابة شديدة، وربما يقبل ثلُثُ الطلاب المرشحين للالتحاق، ويفشل الثلثان منهم، فيرجعون إلى مدارس أخرى.

وثانيهما امتحان الطلاب فيما درسوا من المقررات الدراسية، وهو يكون مرتين خلال العام الدراسي. أحدهما: الامتحان لفترة ستة أشهرفي شهرربيع الأول. وثانيهما الامتحان السنوي، وهويكون في شعبان. ويتمّ هذان الامتحانان تحت رقابة شديدة كذلك.

ثم إن الطلاب في السنوات الثلاث الأول يُمتحنون في معظم ما يدرسون

من المقررات الدراسية شفويًا، وأما الطلاب فيما عدا من هذه السنوات فهم يُمتحنون تحريريًّا، وورقات الأسئلة تُعَدُّ في غاية من الحيطة والسرِّية. أما العلامات المحددة فهي ١٠٠، و وعلامات النجاح ٤٠.

والجدير بالذكر أن المدارس الإسلامية - قبل تأسيس الجامعة- كانت معظمها شخصية، ولم تكن الصفوف فيها منتظمة، ولا حضور الطلاب مُسجَّلًا، ولا تقاليد الامتحانات متبعة، ولا المقررات الدراسية مترتبة متدرجة، ولا مدة الدراسة محددة، فكان الطالب حرًّا يدرس ما يشاء من الكتب، وإلى متى يشاء.

أما الجامعة فقد نظَّمت الصفوف، وسجَّلت حضور الطلاب، وأنشأت تقاليد الامتحان، ورتّبت المقررات الدراسية، وحدّدت مدة الدراسة، فلها فضل السبق في هذه المجالات كلها، ومنها أخذت المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية كل هذه الأمور.

المنح الدراسية

إن معظم الطلاب الدارسين في المدارس والجامعات الإسلامية من الطبقة الدنيا، وأولياء أمورهم لايستطيعون أن يتحمّلوا نفقات تعليمهم. ولا شك أن مناط رقي أمة وازدهارها على تعليم أفرادها وثقافتهم، وذلك لايمكن إلا أن يُوفَّرلهم التعليم مجَّانًا. وقد تَوصَّلَ رجال التعليم في القرن العشرين إلى أن يُوفَّر التعليم المجاني للشعب، وإلا لايكون التعليم عامًّا.

وقد عيب على التعليم المعاصرأنه أصبح حكرًا على الذين يستطيعون أن يتحملوا نفقات التعليم، وأما الذين لايستطيعون أن يتحمَّلوا النفقات الباهضة فلا نصيب لهم منه.

أما المنهج التعليمي القديم فالمدارس الإسلامية كانت تتحمل نفقات الطلاب، ولاتأخذ أيَّ رسم على التعليم، وإنما كانت توفِّر لهم الكتب الدراسية، واللباس، والتسهيلات اللازمة، والمنح الدراسية. كذلك الجامعة تتكفل للفقراء من الطلاب بنفقات التعليم، وتوفرلهم السكن ووجبات الغداء والعشاء

وتسهيلات الدواء والمعالجة بشكل مجاني. وأما الطلاب من الطبقة الغنية فهم بدورهم يتكفلون بنفقاتهم، غيرأن التعليم والكتب الدراسية والسكن المزوَّد بالنور الكهربائي والمراوح الكهربائية والماء البارد في فصل الصيف موفَّر مجّانًا لجميع الطلاب فقرائهم وأغنيائهم.

تمنح الجامعة الفقراء من الطلاب منحًا دراسية، ويجب للطلاب المرشحين لنيلها أن يكونوا ناجحين في الموادِّ كلها بمعدَّل محدَّد من العلامات. وهذه المنح تُصرف لسنة واحدة، ثم يتم تجديدها للسنة الآتية. فإن فشل طالب في الامتحان، أولم يحصل على معدل محدد من العلامات تُوقف له المنحة.

ويجب للطالب المرشح للمنحة:

١- أن يكون قد أنهى «نورالإيضاح» و«هداية النحو» في السنة الثانية.

٢- أن يكون معدَّل نجاحه في الامتحان ٥٥٪ في المقررات الدراسية في السنة الثانية.

٣- أن يكون فقيرًا يستحق المنحة.

كما أن الجامعة توفرللفقراء من الطلاب وجبتي الغداء والعشاء، أما وجبة الغداء فهي عبارة عن خبزين مُعدَّين في التنور وزنهما ٢٥٠جرامًا، والعدس. وأما وجبة العشاء فهي عبارة عن خبزين واللحم. ويتخلل الرزمع اللحم (برياني) أسابيع الشهرأربع مرات. وذلك بالإضافة إلى إعطاء المنح الدراسية التي تُقدّربنحو ١٠٠ روبية هندية، ومبالغ خاصة للباس والحذاء مرتين في السنة، واللحاف في فصل الشتاء.

توزيع الجوائز على الطلاب

ترغيبًا للطلاب في النشاطات التعليمية وإثارةً فيهم روح التنافس تُوزِّع الجامعة الجوائز عليهم على نجاحهم في الامتحان السنوي، فمن فاز فيه بعلامات ممتازة استحق جوائز خاصة. والجوائز تتمثل في مبالغ أو الكتب الدراسية أو غير الدراسية.

ومن عادة الجامعة أنها تعقد حفلة توزيع الجوائز كل سنة، تدعو إلى الحضور فيها وجوه المدينة ومنسوبيها ومتبرعيها، حتى يروا بأمّ أعينهم نتائج الامتحان للجيل الناشئ الذي تُنفق عليه تبرعاتُهم.

الشهادات والتوصيات والعمامة

إن الطلاب الذين يجتازون امتحان السنة النهائية (دورة الحديث) يُمنحون شهادةَ الفضيلة (العالمية) التي تكتب فيها أسماء الكتب في هذه السنة، وتقابلها العلامات التي أحرزها الطالب في الامتحان السنوي، وتذكر درجة نجاحه. بالإضافة إلى التصريح بسيرته وسلوكه ومؤهلاته وتاريخ ميلاده. ويوقع عليها رئيس الجامعة وأساتذة السنة النهائية، وتُختم بختم الجامعة.

وأما الطلاب المتفوقون فأساتذة الجامعة يُنِيطون بهم العمائم بالإضافة إلى إعطائهم الشهادة، وذلك في حلفة «إناطة العمائم» شأن المدارس الإسلامية القديمة. وهذه العِمامة تُعرف بـ «عمامة الفضيلة» في عرف المدارس الإسلامية[1].

***

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند للسيد محبوب الرضوي ٢/ ٢٩٢-٣٠١.

الخصائص التعليمية للجامعة

إن التعليم كلمة بسيطة الأداء وجيزة الشكل، عميقة المعنى شاملة التأثير، فهوعبارة عن تربية الفرد تربية فكرية علمية، وتنمية مواهبه ومهاراته، وتهذيب أحاسيسه ومشاعره، وإعداده لغاية سامية وهدف نبيل، حتى يكون عضوًا عاملًا في المجتمع الإنساني.

وبتعبير آخرأنَّ التعليم إن كان عبارة عن معرفة الأمورالمجهولة فهو أمر ميسور، وإن اشترط فيه العمل به كان أصعب وأهمّ. إنَّ الأمم كلها تُعيرللعلم اهتمامًا كبيرًا، غيرأن الأمة الإسلامية تقف منه موقفًا يختلف عن موقف الأمم الأخرى منه. فالأمم ترى أن العلم وسيلة للقوة والعظمة والرقي والتقدم في العالم وسببًا لكسب لقمة العيش. أما الأمة الإسلامية فهي ترى أن العلم ليس وسيلة، وإنما هو غاية وطلبه فريضة ومنجاة في الآخرة، حيث قال رسولﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم [1].

وإنما طلب العلم فريضة للعمل لا لشيء آخر، فريضة على كل مسلم بقدرما تمس إليه حاجته. ومن الحقيقة الثابتة أن أمة لا تعيش مرفوعة الرأس ما لم تُنمِّ مهاراتها العلمية والعملية. فالتعليم خيرأداة للرقي الروحي والخُلُقيّ والاجتماعي والحضاري الذي هو الغرض الأساسي من وراء خلق الإنسان. فتحقيقًا لهذا الرقي يجب أن يُتاح لكل فرد من أفراد الأمة فرصة تنمية مهاراته بشكل أفضل. وذلك عن طريق توفيرالتسهيلات اللازمة للتعليم له؛ لأن العلم يبني الأمة، والأمية تهدمها. ومن فضل الإسلام على الإنسانية أن جعل التعليم عامًّا لجيمع طبقات المجتمع، ولم يجعله حكرًا على طبقة دون طبقة.

---

(١) سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ١/ ٨١.

ولاشك أنَّ التعليم أسُّ رقي الأمم وسرُّ تقدُّمها، وتحلية جميع أفرادها بحلية التعليم لايمكن إلا أن يُوفّرالتعليم لهم مجّانًا؛ لأن التعليم المعاصر نفقاته باهضة جدًّا، لا يستطيع أن يتحملها الناس جميعًا. وإن لم يكن التعليم مجانًا يُحرموا فوائده. وقد توصَّل رجال التعليم في القرن العشرين إلى أن يُوفَّر التعليم للشعب مجَّانًا، وبدون ذلك لايكون التعليم عامًّا.

كانت المدارس الإسلامية تُوَفّر التعليم مجَّانًا لجميع أفراد الشعب، وتتحمَّل بدورها نفقات التعليم، ولا تأخذ أيّ رسمٍ من الطلاب، بل تُوفّر لهم الكتب الدراسية، والسكن بشكل مجاني. وأما الطلابُ الفقراء فكانت تُوفِّرلهم- بجانب ذلك كله- اللباس والطعام مجّانًا بالإضافة إلى إعطائهم المنح الدراسية. وتلك ميزة المدارس الإسلامية لايوجد لها نظيرلدى مدارس الأمم الأخرى.

وقد اتبعت المدارس الإسلامية مبدأ «التعليم للجميع» وفتحت أبوابها على مصاريعها، لمن شاء أن يتلقى التعليم، مهما كان لونه أو جنسه أو طبقته. وقد درج في التاريخ الإسلامي كثير من العلماء وأصحاب النبوغ الذين كانوا ينتمون إلى حِرَف وضيعة، فانتماؤهم إلى الحرف الوضيعة لم تحُلْ دون تلقّي التعليم. إن مبدأ توفيرالتعليم للجميع الذي تتبعه أوروبا اليوم والذي يُعدُّ من مفاخرها يرجع الفضل فيه إلى المدارس الإسلامية.

التعليم المجّاني

لقد أخذت الجامعة مزايا المنهج التعليمي القديم المتبع في المدارس الإسلامية، فلا تأخذ أيَّ رسم من الطلاب، وتُوفّرللفقراء من الطلاب وجبات الغداء والعشاء، واللباس، وتعطيهم المنح الدراسية. وأما السكن، والكتب الدراسية، والتسهيلات اللا زمة فتوفّر للطلاب جميعًا. فالتعليم في الجامعة لايخصّ أبناء الأغنياء، وإنما الفقراء كذلك يمكن لهم أن يحلّو أبناءهم بحلية التعليم. فهي أولُّ جامعة في شبه القارة الهندية تقوم بتوفير التعليم المجاني (Free Education) بشكل ناجح منذ قرن ونصف.

الجامعة لاتنظِّم التعليم عن بعد

رسمت الجامعة منهجًا تعليميًّا يأخذ فيه الطالبُ العلمَ، ويتربّى على نبل الخلق وحسن السلوك، ويرتبط بأساتذته البارعين، ويقتفي آثارهم في خدمة العلم. وأما «التعليم عن بعد»، أو«التعليم عبر الشبكة العنكبوتية»، فلم تنظّمه الجامعة، وإن كانت وسائل الإعلام المعاصرة قد حوَّلت العالم كله قرية صغيرة، وسكَّانَه أسرة واحدة؛ لأن الطالب لايمكن خلق الجو العلمي له في التعليم عن بعد ولا تربيته ولا إشراف أساتذته عليه، ولاصناعة شخصيته.

لم تُنَظِّم الجامعة التعليم عن بعد؛ لأنها لا تتفق وأهدافَها. وأما الإفتاء والإرشاد الديني عبر الشبكة العنكبوتية فقد نظَّمته على نطاق واسع، حتى يستفيد منه المسلمون في العالم. ومما يُقَدَّر مدى نجاحها في أهدافها التعليمية والتربوية أن متخرّجيها - بأخلاقهم الإسلامية وسلوكهم الحسن - يقومون بالدعوة الإسلامية، ويقدّمون مثالًا للنزاهة والرشاد والسداد.

المنهج التعليمي الحرّ

ثم إنها أولُّ جامعة قامت في الهند البريطانية تتمتّع بالمنهج التعليمي الحر في جوِّ العبودية السياسية، مع أنَّ ذلك أمر صعب جدًّا، فكم قدَّمت الحكومة البريطانية مساعداتها الغالية إلى الجامعة، فرفضت أن تأخذها، علمًا منها بأن المساعدات الحكومية تعقبها قيود وضغوط، وأنها تسلُبها حريتها في المناهج الإدارية والتعليمية. وقد أوصى بعض الناس بأن الجامعة كان ينبغي لها أن تأخذ مساعدات الحكومة؛ لأن تبرعات الشعب - مهما كانت سخية- ضئيلة أمام المساعدات الحكومية.

لقد نسي هؤلاء أنه يجب الابتعاد بالمدارس الإسلامية عن سياسة الحكومة وتدخُّلها. والحكومة - مهما كانت مسلمة - لاتكون سياستها نزيهة، ما لم تقم على المنهج الإسلامي الصميم. ولابدَّ للمدارس الإسلامية أن تمارس نشاطاتها في

حرية من سياسة الحكومة وتدخُّلها.

فالجامعة لاتأخذ المساعدات المالية من الحكومة، وإنما تعمتد في ميزانيتها على الله أولًا، ثم على تبرعات الشعب المسلم ثانيًا. وهي لم تزل متمسكة بهذا المبدأ خلال قرن ونصف، ولاتزال وستظل بإذن الله.

ومن سوء الحظ أن التعليم أصبحت غايته في العصر الراهن هي نيل الوظيفة التي تُغلُّ راتبًا ضخمًا، أوكسب لقمة العيش. فقد تغيرت غايته وأضحى التعليم كمهنة من المهن أو حرفة من الحرف. يأبىٰ شرف العلم وعظمته أن يُستخدم لغرض تافه وغاية ضئيلة. وأما العلوم الدنيوية فينبغي أن يكون الغرض من تحصيلها هو الرقي المادي وخدمة الأمة والبلاد. وأما إذا جُعِل غرضها هونيل المصالح الشخصية فهي أثرة ونفعية. وذلك جهل بشرف العلم وعظمته.

إن غرض طلب العلم لدى الطلاب في المدارس الإسلامية هو ابتغاء مرضاة الله وخدمة خلقه. فهم يُجلُّون أساتذتهم إجلال الوالدين ويخدمونهم خدمتهما. وأما الأساتذة فهم يرحمونهم ويعطفون عليهم ويربّونهم تربية أبنائهم. هكذا تقوم بينهم آصرة كأواصر الرحم ووشائج الدم. فينصبغون بصبغتهم ويتلوّنون بلونهم.

جملة القول أن الغرض الأصيل لتحصيل العلم الديني هو ابتغاء مرضاة الله، لا الحصول على المكاسب المادية، والمناصب الهامة، والوظائف الرسمية. وقد روى لنا التاريخ أن نظام الملك لما بنى مدارسه الشهيرة في الأمصار، وجعل للمدرسين فيها تسهيلات لازمة ورواتب شهرية، وبلغ ذلك علماء ماوراء النهر، اجتمعوا لينكروا هذا الصنيع، وليقيموا مأتمًا للعلم ينعون فيه ذهاب العلم وبركته، وقد قالوا: «كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل، فيكون سببًا لمهانته وضعفه»[1].

---

(١) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي، ص: ٢٠٩.

فمن لم يكن له هذا الغرض الأسمى من وراء تحصيل العلم، لا يقصد الجامعة، وإنما يقصد الجامعات الرسمية؛ لأن شهادة الفضيلة للجامعة لا اعتبار لها لدى الحكومة.

مرة زار حاكم إنجليزي وهو «جيمس مستن» الجامعة وسأل طالبًا جاء من منطقة بعيدة: ماجاء بك إلى هذه المدينة البعيدة؟ قال الطالب: «جئت لآخذ العلم، وأبلِّغه من في وطني».

إن المنهج التعليمي للجامعة أكثر تنشيطًا لمواهب الطلاب ومهاراتهم من المناهج الرسمية في الجامعات الحكومية، فلو شاءت الجامعة لاعترفت الحكومة بشهادتها، ونال حائزوها الوظائف الرسمية. غيرأن الجامعة حاولت أن تُنمِّي في أبنائها المهارات والقدرات التي تجلعهم يضطلعون بأعباء الدعوة الإسلامية.

ومن مميزات المنهج التعليمي للجامعة أن دارسيه يتحلّون بالأخلاق الفاضلة، ويتضلّعون من العلوم الإسلامية، حتى يقوموا بتوجيه الأمة الإسلامية. وتؤكّد الجامعة لأبنائها أنه ليس غرض التعليم نيل الشهادات أو الاستعداد للوظائف الرسمية. وإنما غرضه هو تعليم الدين ونشره لاغير.

تتطلب الأوضاع السياسية والجغرافية لهذه البلاد أن تكون فيها طائفة تمارس النشاطات الدعوية دائمًا، فالجامعة- ولله الحمد- تُعدُّ هذه الطائفة المتمثلة في العلماء والدعاة والكتاب والمؤلفين والزعماء السياسيين الذين يعملون جاهدين في مجالاتهم.

الجامعة تُعنى بتدريس العلوم الإسلامية ولاسيما الحديث الشريف

إن الحديث هومصدر مهم من مصادر التشريع الإسلامي؛ فتُولي الجامعة عنايتَها البالغة به - بجانب تدريس مختلف العلوم الإسلامية- حيث تقوم بتدريسه رواية ودراية وتفقهًا، وتفصيل ما يتعلق به من الأبحاث، من جمع الأحاديث النبوية في الباب، والتوفيق بين ما تعارض منها، وترجيح بعضها على بعض، وتأويلها. فأسلوب تدريس الحديث ميزة من مزايا المنهج التعليمي للجامعة.

إن الجامعة معروفة بين المدارس والجامعات الإسلامية الأخرى لسعة منهجها التعليمي وتدريس العلوم الإسلامية، لاسيما تدريس الحديث النبوي الشريف بأسلوب بديع ممتاز، وتلك ميزة تمتاز بها الجامعة عن الجامعات الأخرى. يدرس في دار الحديث بها نحو ألف وخمس مئة طالب من مختلف أقطار العالم، فمنهم من يلتحقون بها- بعدما كانوا قد تخرجوا في مدارس أخرى- لدراسة الحديث؛ لأنها أمّ الجامعات والمدارس الإسلامية، ومنهم من يقصدونها رأسًا لبعد صيتها في التعليم والتربية.

لم تأخذ الجامعة- كما أسلفت- المساعدات المالية من الحكومة الإنجليزية في الهند؛ لأن المنهج التعليمي والتربوي الذي قد أنشأته الحكومة الإنجليزية كان معارضًا كلَّ المعارضة مع العقيدة الإسلامية، فلواتبعه المسلمون لجهِلَ الجيلُ المعاصر الإسلام، بل ثار عليه. أحسَّ مشايخ الجامعة هذه الأخطار، فقاموا بتجديد المنهج التعليمي القديم حفاظًا على الحرية الفكرية في ظّل العبودية السياسية، حتى ينشأ الجيل المسلم وفيًّا للإسلام ورسالته[1].

***

(١) تاريخ دارالعلوم لمحبوب الرضوي ٢/ ٢٨٤-٢٩١.

المنهج الدراسي للعلوم الشرعية في الجامعة

روضة الأطفال (سنة واحدة)

المادة الدراسية	عدد الحصص في الأسبوع	الكتب المقررة
الحروف الهجائية	٦	نوراني قاعده للشيخ نور محمد
حفظ الأدعية	٦	حفظ الأدعية والكلمات الإسلامية
اللغة الأردية	٦	قاعدة أردية في النصف الثاني من العام الدراسي
التمرين على الكتابة	٦	استخدام اللوحة الخشبية للتمرين على الخط
حفظ الأعداد	١٢	معرفة الأعداد من ١ إلى ١٠٠ قراءة وكتابة وحفظًا

قسم التعليم الابتدائي

منهج المرحلة الابتدائية (٥ سنوات)

السنة الأولى من المرحلة الابتدائية

القرآن الكريم	٦	قراءة الجزء الـ٣٠ والجزء الـ ١ من القرآن نظرًا وحفظ سورة الناس إلى سورة الفيل بالترتيب العكسي
مبادئ الدين	٦	تعليم الإسلام (ج ١) للمفتي كفاية الله الدهلوي دیني تعليم كا رساله ج ١ (كتاب التعليم الديني ج١) لمحمد ميان الديوبندي

التربية الإسلامية	٦	حفظ الكلمات الإسلامية، والأدعية المأثورة، والتمرين على الوضوء والصلاة
اللغة الأردية	٦	أردو كى پہلى كتاب (كتاب اللغة الأردية جزء ١) لإسماعيل الميروتي
الخط الأردي	٦	التمرين على الخط الأردي على اللوحات الخشبية
اللغة الهندوسية	٦	بهاشا كرن ج١ (شعاع اللغة الهندوسية ج١)
الخط الهندوسي	٦	التمرين على الخط الهندوسي
الرياضيات	٦	بيسك حساب ج١ (مبادئ الرياضيات ج ١) ، ومعرفة جدول الضرب من ١ إلى ١٠.

السنة الثانية من المرحلة الابتدائية

القرآن الكريم	٦	قراءة الجزء الـ٣- ٨ من القرآن نظرًا، وحفظ سورة الهمزة إلى سورة الشمس بالترتيب العكسي
مبادئ الدين	٣	ديني تعليم كارساله ج ٢، ٣ (كتاب التعليم الديني ج ٢، ٣) للشيخ محمد ميان الديوبندي
التربية الإسلامية	٣	حفظ الكلمات الإسلامية الخمس، والتمرين على الوضوء والصلاة
اللغة الأردية	٣	أردو كى دوسرى كتاب (كتاب اللغة الأردية ج٢) لإسماعيل الميروتي
الخط الأردي والإملاء	٣	التمرين على الخط الأردي والإملاء
اللغة الهندوسية	٣	بهاشا كرن ج٢ (شعاع اللغة الهندوسيةج ٢)
الخط الهندوسي	٣	التمرين على الخط الهندوسي والإملاء
الجغرافية	٣	مصطلحات الجغرافية

علم الرياضيات	٦	بيسك حساب ج٢ (مبادئ الرياضيات ج ٢)، ومعرفة جدول الضرب من ١١ إلى ٣٠

السنة الثالثة من المرحلة الابتدائية

القرآن الكريم	٩	قراءة الجزء الـ ٩- ٢٠ من القرآن نظرًا، وحفظ سورة البلد إلى سورة الانشقاق بالترتيب العكسي
مبادئ الدين	٣	ديني تعليم كا رساله (كتاب التعليم الديني الجزء ٤، ٥)
التربية الإسلامية	٣	حفظ الكلمات الإسلامية الست، وأدعية الوضوء والصلاة، ودعاء صلاة الجنازة
قواعد اللغة الأردية	٣	قواعد اللغة الأردية (ج١) لنثار بيغ
اللغة الأردية		أردو كى تيسرى كتاب (كتاب اللغة الأردية ج ٣) لإسماعيل الميروتي
الخط الأردي والإملاء	٣	التمرين على الخط الأردي والإملاء
اللغة الهندوسية	٣	بهاشا كرن ج٣ (شعاع اللغة الهندوسية ج ٣)
الخط الهندوسي	٣	التمرين على الخط الهندوسي والإملاء
علم الرياضيات	٣	بيسك حساب ج٣ (مبادئ الرياضيات ج٣)
علم الاجتماع	٣	سماجك ادهين ج٢

السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية

القرآن الكريم	٣	قراءة الجزء الـ ٢١-٣٠ من القرآن نظرًا، وحفظ الجزء ٣٠
مبادئ الدين	٣	ديني تعليم كارساله (كتاب التعليم الديني ج ٦، ٧) لمحمد ميان الديوبندي

التاريخ الإسلامي	٣	تاريخ إسلام (ج ١) للسيد محمد ميان الديوبندي
الخط الأردي و الإملاء	٣	التمرين على الخط الأردي والإملاء
اللغة الفارسية	٦	تيسير المبتدئ للشيخ عبد الله الكنكوهي آمد نامه للشيخ مصطفى خان رهبر فارسي (دليل الفارسية) فارسي كى پہلى (الكتاب الأول للفارسية) گلزار دبستان ج ١، ٢ (حديقة الأزهار ج ١، ٢) كريما للشيخ شرف الدين سعدي شيرازي
اللغة الإنجليزية	٣	انگلش پرائمر (مبادئ اللغة الإنجليزية)
اللغة الهندوسية	٣	بهاشا كرن ج ٤ (شعاع اللغة الهندوسية ج ٤)
الخط الهندوسي والإملاء	٣	التمرين على الخط الهندوسي والإملاء
علم الرياضيات	٣	بيسك حساب ج٤ (مبادئ الرياضيات ج٤)
علم الطبيعيات	٣	آو كركے سيكهيں (تعالوا نزاول ونتعلم ج ١)
علم الاجتماع	٣	سماجك ادهين ج ٣

السنة الخامسة من المرحلة الابتدائية

التاريخ الإسلامي	٣	تاريخ إسلام (ج ٢) للسيد محمد ميان الديوبندي
تراجم الرجال	٣	مشاهير دارالعلوم بديوبند للمفتي ظفير الدين المفتاحي

اللغة الأردية	٣	أردو كى پانچويں كتاب (كتاب اللغة الأردية ج ٥) لإسماعيل الميروتي
الأدب الأردي	٣	كتابة الرسائل بالأردية
اللغة الفارسية	٦	فارسي كا معلم للشيخ جميل الرحمن القاسمي گلستاں للشيخ سعدي الشيرازي (ماعدا الباب الخامس) بوستاں للشيخ سعدي الشيرازي (من بداية الكتاب إلى نهاية الباب الأول)
اللغة الإنجليزية	٣	نيو لائٹ (النور الجديد، كتاب القراءة الإنجليزية) انگلش ريڈر (قراءة اللغة الإنجليزية)
اللغة الهندوسية	٣	بهاشا كرن ج٥ (شعاع اللغة الهندوسية ج ٥)
الخط الهندوسي والإملاء	٣	التمرين على الخط الهندوسي والإملاء
علم الرياضيات	٣	بيسك حساب ج٥ (مبادئ الرياضيات ج ٥)
علم الطبيعيات	٣	آو كركے سيكهيں ج٢، (تعالوا نزاول ونتعلم ج٢)

دراسة الفضيلة (العالمية)

قسم التعليم الثانوي

منهج المرحلة الثانوية (٤ سنوات)

السنة الأولى من المرحلة الثانوية

المادة الدراسية	عدد الحصص في الأسبوع	الكتب المقررة
تجويد القرآن الكريم	٦	أصول التجويد للمقرئ جمشيد علي القاسمي وحفظ الجزء الـ ٣٠، وإقراء الرُّبْعِ الأول منه مجوَّدًا
السيرة النبوية	٦	سيرة خاتم الأنبياء للمفتي الأكبر الشيخ محمد شفيع العثماني الديوبندي
الصرف	٦	ميزان الصرف لسراج الدين عثمان الأودهي المنشعب لحمزة البدايوني
النحو	٦	نحومير للسيد شريف الجرجاني شرح مئة عامل للسيد شريف الجرجاني
اللغة العربية	٦	القراءة الواضحة (ج١) للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي مفتاح العربية (ج١-٢) للشيخ نور عالم خليل الأميني
الخط والإملاء	٦	الإملاء والتدريب على تحسين الخط

السنة الثانية من المرحلة الثانوية

المادة	الحصص	الكتب
تجويد القرآن الكريم	٦	جمال القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي إقراء ما تبقّى من الجزء الـ ٣٠ مجوَّدًا
النحو	٦	هداية النحو للشيخ سراج الدين الأودهي
الصرف	٦	١- علم الصيغة للمفتي عنايت أحمد الكاكوروي ٢- الفصول الأكبرية (خاصيات الأبواب) للشيخ أكبر علي الإله آبادي
اللغة العربية	٦	١- القراءة الواضحة (ج٢) للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي ٢- نفحة الأدب للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي
الفقه	٦	١- نور الإيضاح للشرنبلالي ٢- مختصر القدوري لأبي الحسن محمد بن جعفر القدوري إلى نهاية كتاب الحج
المنطق	٦	١- آسان منطق (المنطق الميسر) للشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري ٢- المرقاة للشيخ فضل إمام الخيرآبادي

السنة الثالثة من المرحلة الثانوية

المادة	الحصص	الكتب
ترجمة معاني القرآن وتفسيره	٦	ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره من سورة «ق» إلى نهاية القرآن الكريم

الحديث	٣	مشكاة الآثار للشيخ محمد ميان الديوبندي
الأخلاق	٣	تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي
الفقه	٦	مختصر القدوري لأبي الحسن محمد بن جعفر القدروي (من كتاب البيوع إلى نهاية الكتاب)
النحو	٦	الكافية لابن الحاجب
اللغة العربية	٣	القراءة الواضحة (ج٣) للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي
الأدب العربي	٦	نفحة العرب للشيخ إعزاز علي الأمروهوي (إلى نبذة من ذكاوة العرب)
المنطق	٦	شرح التهذيب لسعد الدين التفتازاني
المطالعة		خلافت راشده للقاضي زين العابدين الميروتي

السنة الرابعة من المرحلة الثانوية

ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره	٦	ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره من سورة «يوسف» إلى سورة «ق»
الحديث	٦	ألفية الحديث للشيخ محمد منظور النعماني
الفقه	٦	شرح الوقاية لصدر الشريعة (ج١، وج ٢ إلى كتاب العتاق)
أصول الفقه	٦	تسهيل الأصول للشيخ رئاست علي والشيخ نعمت الله الأعظمي أصول الشاشي

		لنظام الدين أبي علي أحمد بن محمد الشاشي
البلاغة	٦	دروس البلاغة لحفني ناصف وزملائه
المنطق	٦	القطبي لقطب الدين الرازي
التاريخ الإسلامي	٣	الخلافة الأموية والعباسية والتركية لانتظام الله شهابي
العلوم العصرية	٣	مبادئ علم مدنيت جغرافيه عالم جغرافية جزيرة العرب للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

قسم التعليم الجامعي

المرحلة الجامعية (٤ سنوات)

السنة الأولى من المرحلة الجامعية

المادة الدراسية	عدد الحصص في الأسبوع	الكتب المقررة
ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره	٦	ترجمة معاني القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة هود
العقيدة	٣	العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي
الفقه	٦	الهداية لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (ج ١)
أصول الفقه	٦	نور الأنوار للشيخ أحمد المعروف بملا جيون الأميتوي
البلاغة	٦	مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني
الأدب العربي	٦	مقامات الحريري (١٥ مقامة)
المنطق	٣	سلم العلوم لمحب الله البهاري
المطالعة		سلاطين الهند للقاضي زين العابدين الميروتي، والمفتي انتظام الله شهابي

السنة الثانية من المرحلة الجامعية

تفسير القرآن الكريم	١٢	تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي.
أصول التفسير	٣	الفوز الكبير لولي الله الدهلوي

الفقه	٦	الهداية للمرغيناني (الجزء الثاني إلى نهاية كتاب العتاق)
أصول الفقه	٣	مختصر الحسامي لحسام الدين الأخسيكثي
الأدب العربي	٦	ديوان المتنبي لأبي الطيب المتنبي (القصائد المنتخبة) ديوان الحماسة لأبي تمام (باب الأدب)
الفلسفة	٦	مبادئ الفلسفة للمفتي سعيد أحمد البالنبوري الميبذي للقاضي الإمام حسين الميبذي
السيرة النبوية	المطالعة	أصح السير لعبد الرؤف الدانافوري

السنة الثالثة من المرحلة الجامعية

الحديث الشريف	١٨	مشكاة المصابيح لأبي عبد الله ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي
أصول الحديث	٣	مقدمة الشيخ عبد الحق في أصول الحديث نخبة الفكر للعسقلاني
العقيدة	٣	شرح العقائد النسفية للتفتازاني
الفقه	١٢	الهداية للمرغيناني (ج ٣، ٤)
الفرائض	٣	السراجية في الميراث للسجاوندي (إلى باب ذوي الأرحام)

السنة الرابعة من المرحلة الجامعية

الحديث	١٨	صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ج١ بكامله (من كتاب بدء الوحي إلى كتاب مناقب الأنصار) وج٢ بكامله (من كتاب المغازي إلى نهاية الكتاب)

صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ج١ (من بداية الكتاب إلى نهاية كتاب الإيمان) ج٢ (من كتاب البيوع إلى نهاية كتاب اللقطة)	١٢	الحديث
سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي ج١ بكامله (من كتاب الطهارة إلى كتاب اللباس) وج٢ بكامله (من كتاب الأطعمة إلى نهاية الكتاب)	١٨	الحديث
سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ج١ (كتاب الطهارة بكامله، وكتاب الزكاة بكامله) وج٢ (من باب في الأسير يكره على الكفر إلى نهاية كتاب الجهاد)	٦	الحديث
سنن النسائي للإمام أحمد بن شعيب النسائي (كتاب الصيام بكامله، وكتاب المناسك بكامله)	٣	الحديث
سنن ابن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني (من أبواب الطهارة إلى أبواب الأدب)	١	الحديث
شرح معاني الآثار لإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (من كتاب الصلاة إلى باب الوتر)	٢	الحديث
الشمائل للترمذي بكامله (بعد الفراغ من سنن ابن ماجه)	٢	الحديث
الموطا للإمام مالك برواية يحيى الليثي (من كتاب الأشربة إلى باب ماجاء في الحجامة وأجرة الحجام)	١ يوم الجمعة فقط	الحديث

الحديث	١ يوم الجمعة فقط	الموطأ للإمام مالك برواية محمد بن حسن الشيباني (بعد الفراغ من الموطإ برواية يحيى الليثي) (كتاب النكاح، وكتاب الطلاق، وكتاب الضحايا بكاملها)
تجويد القرآن الكريم	خارج الدوام	إقراء سور من القرآن مجودًا

ملحوظة: تلقى دروس الحديث في هذه السنة بعد صلاتي المغرب والعشاء ويوم الجمعة أيضًا.

مرحلة الدراسات العليا

المنهج الدراسي للأقسام التخصصية

قسم التخصص في تفسير القرآن الكريم (سنة واحدة)

التفسير	٦	تفسير ابن كثير (سورة «الصفت» وسورة «النجم»)
التفسير	٦	تفسيرابن كثير (سورة «اقتربت الساعة» إلى نهاية القرآن)
التفسير	٦	تفسير البيضاوي (سورة «آل عمران- سورة الأعراف»)
التفسير	٦	تفسير البيضاوي (سورة البقرة)
أصول التفسير	٦	مناهل العرفان للزرقاني (مباحث مختارة)
أصول الحديث	٦	مقدمة ابن الصلاح
التراجم	٦	سبيل الرشاد للشيخ عبيد الله السندي

قسم التخصص في الحديث الشريف (سنتان)

السنة الأولى من التخصص في الحديث الشريف

أصول الحديث	٦	مقدمة ابن الصلاح
التخريج	٦	أصول التخريج للدكتور محمود الطحَّان (الباب الأول) تخريج أحاديث جمع الفوائد لمحمد بن محمد المالكي
الجرح والتعديل	٦	الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للعلامة عبد الحي اللكنوي مدارس الرواة: دراسة تراجم ٣٧٥ راويًا دراسة مفصلة في ضوء كتب الجرح والتعديل

أسماء الرجال	٦	تعريف بكتب أسماء الرجال: ١-التاريخ الكبير للبخاري ٢-الجرح والتعديل لابن أبي حاتم. ٣- كتاب الثقات لابن حبان البستي ٤- كتاب المجروحين لابن حبان ٥-تهذيب الكمال للمزي ٦- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٧- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٨- الكامل للضعفاء لابن عدي ٩- ميزان الاعتدال للذهبي
حفظ الأحاديث	٦	حفظ ١٣٥ حديثًا مما يتعلق بالأحكام مع الكلام على الرواة المتكلَّم فيهم

السنة الثانية من التخصص في الحديث الشريف

دراسة الأسانيد	٦	أصول التخريج للدكتور محمود الطحان (الباب الثاني) دراسة الحديث الصحيح والحسن دارسة وتطبيق الأمثلة لأنواع الأحاديث المختلفة للشيخ نعمت الله الأعظمي والشيخ عبد الله المعروفي منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها للدكتور وليد بن حسن العاني
دراسة المتون	٦	الفوائد المهمة في دراسة المتون للشيخ نعمت الأعظمي دراسة شاملة لأبواب مختارة من إعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد التهانوي
تطبيق الأسانيد	٦	تطبيق الأسانيد
حفظ الأحاديث	٦	حفظ ١٦٥ حديثًا مما يتعلق بالأحكام مع الكلام على الرواة المتكلَّم فيهم
إعداد البحث	٦	إعداد بحث يبلغ ١٠٠ صفحة في موضوع من الموضوعات المتصلة بعلم الحديث

قسم التخصص في الفقه و الإفتاء (سنة واحدة)

المادة	الساعات	الكتاب
الفرائض	٦	السراجية في الميراث للسجاوندي مع التمرين
أصول الإفتاء	٦	شرح عقود رسم المفتي لابن عابدين
القواعد الفقهية	٦	الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري (الباب الأول والثاني) ، وقواعد الفقه للشيخ عميم الإحسان بكامله
الفقه الحنفي	٦	الدر المختار للعلامة الحصكفي (أبواب الطلاق والنكاح والوقف وقضاء الدين)
التدريب على كتابة الفتوى	١٢	التدريب العملي على كتابة الفتوى، والإجابة عن النوازل

قسم التخصص العالي في الفقه و الإفتاء (سنتان)

السنة الأولى من التخصص العالي في الفقه والإفتاء

المادة	الساعات	الكتاب
آداب كتابة الفتوى	٢	مقدمة الدر المختار للحصكفي، وأصول الإفتاء وآدابه للمفتي محمد تقي العثماني
تلخيص الأبحاث	٣	بدائع الصنائع (كتاب الطهارة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الزكاة) إلى الامتحان النصف السنوي البحر الرائق (كتاب الصلاة، كتاب الأيمان، كتاب الذبائح، كتاب الأضحية) بعد الامتحان النصف السنوي
تعريف بكتب الفتاوى المتداولة وخصائصها وتاريخ المذهب الحنفي وميزاته	٢	أبو حنيفة للشيخ أبو زهرة فقه أهل العراق وحديثهم للعلامة زاهد الكوثري الفوائد البهية للعلامة عبد الحي اللكنوي

التدريب على كتابة الفتاوى	٢٤	كتابة ١٥٠ فتوى مع تخريجها وعنونتها
المطالعة الاستيعابية	٥	ملتقى الأبحر (من بداية الكتاب إلى كتاب الوقف) الحيلة الناجزة للشيخ أشرف علي التهانوي
المطالعة الحرّة		الجواهر المضيئة الأشباه والنظائر (الفن الثالث) إمداد الفتاوى (الجزء الثالث) تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان

السنة الثانية من التخصص العالي في الفقه والإفتاء

أصول الفقه وأصول التشريع	٣	أصول السرخسي للإمام السرخسي الموافقات للشاطبي (جزء المقاصد)
تلخيص الأبحاث	٣	رد المحتار (كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الوقف، كتاب الإجارة) إلى الامتحان النصف السنوي فتح القدير (كتاب البيوع، كتاب المضاربة، كتاب الشركة، كتاب الوصية، كتاب الهبة، كتاب الصيام) بعد الامتحان النصف السنوي
التدريب على كتابة الفتاوى	١٢	كتابة ١٥٠ فتوى مع تخريجها وعنونتها
كتابة فتوى تفصيلية تحقيقية أو مقالة في موضوع الفقه	٢٤	تحتوي على ٥٠ صفحة على الأقل

المطالعة الاستيعابية	٦	ملتقى الأبحر (من كتاب البيوع إلى نهاية الكتاب) إمداد الفتاوى (الجزء السادس)
المطالعة الحرّة		جواهر الفقه (كامل) للشيخ المفتي محمد شفيع العثماني قضايا فقهية معاصرة للمفتي محمد تقي العثماني بداية المجتهد لابن رشد مجلة الأحكام العدلية

قسم التخصص في العلوم الشرعية (سنة واحدة)

التفسير	٦	تفسير البيضاوي لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمرالبيضاوي
الحكمة الشرعية	٦	حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي
علم الكلام	٦	المسامرة لكمال الدين محمد بن محمد بن أبي شريف
أصول الحديث	٦	مقدمة ابن الصلاح
قواعد الفقه	٦	الأشباه والنظائر (الكليات الفقهية) لابن نجيم المصري
أصول الفقه	٦	مسلم الثبوت للعلامة محب الله البهاري
التراجم	٦	سبيل الرشاد للشيخ عبيد الله السندي

قسم التخصص في اللغة العربية وآدابها (سنة واحدة)

الإنشاء	٦	أساليب الإنشاء لمحمود عمر وزميليه
النثر العربي	٦	المختارات العربية لـ م، ع سليم خان
الشعر العربي	٦	ديوان الحماسة (باب الحماسة وباب الأدب) المعلقات السبع برواية حماد الراوية (٣ معلقات مختارة)

تاريخ الأدب العربي	٦	تاريخ الأدب العربي للزيات
البلاغة	٦	البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين
فن الكتابة والترجمة	٦	متى تكون الكتابات مؤثرة؟ للشيخ نور عالم خليل الأميني ترجمة الأنباء المختارة من الصحف العربية والإردية
المطالعة		حياتي لأحمد أمين الأيام لطه حسين العبرات للمنفلوطي العبقريات لعباس محمود العقاد

قسم التخصص العالي في اللغة العربية وآدابها (سنة واحدة)

النثر القديم	٦	كتاب البخلاء للجاحظ (رسالة سهل بن هارون، وقصة أهل البصرة من المسجديين) رسائل الجاحظ (رسالة كتمان السر)
النثر الجديد	٦	حياتي لأحمد أمين (١٠ فصول) رجال من التاريخ لعلي الطنطاوي (٥٠ صفحة من بداية الكتاب)
حفظ النصوص	٦	مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع لمحمد شريف سليم
الإنشاء العربي	٢	المختارات الصحفية الترجمة من العربية إلى الأردية وبالعكس
كتابة البحث	١٢	كتابة البحث العلمي لعبد الوهاب أبو سليمان إعداد بحث حول أحد الموضوعات العلمية أو الأدبية أو ترجمة علم من الأعلام، لا يقلُّ عن مئة صفحة

المطالعة		من نفحات الحرم للطنطاوي النظرات للمنفلوطي كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد لعبد الرحمن رأفت الباشا

الدبلوم في اللغة الإنجليزية وآدابها

السنة الأولى من الدبلوم في اللغة الإنجليزية

قواعد اللغة الإنجليزية	١	قواعد اللغة الإنجليزية
النصوص الإنجليزية	٢	الجزء ١ – ٨ من سلسلة تعليم اللغة الإنجليزية التي قام بإعدادها (NCERT).
الإنشاء الإنجليزي	٣	الإنشاء والكتابة
الترجمة	٤	الترجمة من الإنجليزية إلى الأردية وبالعكس
التكلم والخطابة	٥	التمرن على النطق بالإنجليزية والخطابة بها
مراجعة الدروس	٦	تصحيح الواجبات المنزلية

السنة الثانية من الدبلوم في اللغة الإنجليزية

القواعد الإنجليزية	٦	قواعد اللغة الإنجليزية للمدارس الثانوية
النصوص الإنجليزية	٦	الجزء ٩ من سلسلة تعليم اللغة الإنجليزية التي قام بإعدادها (NCERT) إلى مستوى (.B.A).

الإنشاء الإنجليزي	٦	الإنشاء والكتابة
الترجمة	٦	الترجمة من الإنجليزية إلى الأردية وبالعكس، والترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس
التكلم والخطابة	٦	التمرن على النطق بالإنجليزية والخطابة بها.
الدعوة الإسلامية	٣	كتب مقررة في الدعوة الإسلامية بالإنجليزية
الحاسوب والإنترنيت	٣	التدرب على الحاسوب والإنترنيت

الدبلوم في الصحافة (أكاديمية شيخ الهند) (سنة واحدة)

السيرة	٦	النبي الخاتم لمناظرأحسن الكيلاني، سيرة المصطفى لمحمد إدريس الكاندهلوي كتب المطالعة: رحمة للعالمين للسيد سليمان المنصورفوري ذكر رسول لعبد الماجد الدريابادي آفتاب نبوت للمقرئ محمد طيب
الإنشاء والصحافة	٦	أصول مطالعه ومضمون نويسي (أصول المطالعة والكتابة) لجميل أحمد نذيري قواعد أردو (قواعد اللغة الأردية) لعبد الحق أردو كي بانجوين (الكتاب الخامس للأردية) لإسماعيل الميروتي كتب المطالعة: سجي بات كا مجموعه (مجموعة الأقوال الصادقة) لعبد الماجد الدريادي

		كنجهاى كرامايه (تراجم شخصيات معروفة) لرشيد أحمد الصديقي أصناف سخن (أقسام الأدب) للدكتور عطاء الرحمن غبار خاطر (أفكار وخواطر) لمولانا ابو الكلام آزاد تحديث نعمت لمحمد منظور النعماني بس مرك زنده (تراجم شخصيات) لنور عالم خليل الأميني
تاريخ الهند	٦	مقدمة تاريخ الهند لأكبر النجيب آبادي كتب المطالعة: ملت إسلامية كي مختصر تاريخ (مختصر تاريخ الأمة الإسلامية) لثروت صولت آب كوثر، رود كوثر، موج كوثر (سلسلة التاريخ الإسلامي) للشيخ إكرام آئينه حقيقت نما لأكبر شاه النجيب آبادي مقدمة ابن خلدون
المعلومات العامة	٦	المعلومات العامة للدكتور سعيد الرحمن الشيركوتي
دراسة الأفكار والنظريات الإسلامية	٦	علماء ديوبند كا ديني رخ اور مسلكي مزاج (علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي) للمقرئ محمد طيب القاسمي اسلام اور عقليات (الإسلام والعقلانية) للشيخ أشرف علي التهانوي كتب المطالعة: مقالات عثماني للعلامة شبير أحمد العثماني أشرف الجواب للشيخ أشرف علي التهانوي حجة الإسلام للشيخ محمد قاسم النانوتوي عقائد الإسلام للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي

كتابة بحث		لا يقل عن ٥٠ صفحة خلال العام الدراسي

قسم صيانة عقيدة ختم النبوة (سنة واحدة)

العقائد الإسلامية	٦	التصريح بما تواتر في نزول المسيح للعلامة الكشميري تكفير كى أصول (أصول التكفير) للمفتي محمد شفيع الديوبندي
الرد على القاديانية	٦	رد قاديانيت كى زرين اصول (الأصول الذهبية للرد على القاديانية) للشيخ منظور أحمد الجنيوتي
تاريخ القاديانية	٦	قاديانيت تحليل وتجزيه للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
مقارنة الأديان	٦	اسلام اور قاديانيت كا تقابلي مطالعه (دراسة مقارنة بين القاديانية والإسلام) للشيخ عبد الغني البتالوي
المطالعة		كتب القاديانية
كتابة بحث	١٢	تلخيص الدروس والمطالعات

قسم الرد على النصرانية (سنة واحدة)

دراسة النصرانية	٦	إظهار الحق لرحمة الله الكيرانوي (أبواب مختارة) عيسائيت كيا هى؟ (ماهي المسيحية؟) عيسائيت يا اسلام لأحمد ديدات كتب المطالعة: دراسة الإنجيل والقرآن (آيات ذات الصلة بالموضوع) إزالة الأوهام للشيخ رحمت الله الكيرانوي إزالة الشكوك للشيخ رحمت الله الكيرانوي تعليمات إسلام اور مسيحي أقوام (التعاليم الإسلامية والأمم المسيحية) للمقرئ محمد طيب القاسمي اسلام اور نصرانيت (الإسلام والنصرانية) للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي

الديانات الهندية	٦	انتصار الإسلام للشيخ محمد قاسم النانوتوي كتب المطالعة: صداقت إسلام، و عظمت إسلام للنانوتوي (تسهيل محمد خالد القاسمي) هندوستاني مذاهب (دراسة في الأديان الهندية) للدكتور رضي أحمد كمال
الحوار والمناقشة	٦	مذكرات كتب المطالعة: مباحثه شاهجهانفور (مناظرة شاهجهانفور) للنانوتوي أشرف الجواب للتهانوي أصول المناظرة للشيخ إلياس كهمن

البحث والتحقيق	٦	مذكرات
الإسئلة والأجوبة	٦	مذكرات

قسم صيانة السنة النبوية (سنة واحدة)

فقه الحديث	٦	آثار السنن للعلامة شوق النيموي إعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد التهانوي
الخطابة	٦	إلقاء خطب حول عشرة مواضيع هامة
كتابة المقالة	١٢	كتابة مقالات حول عشرة مواضيع هامة
المطالعة	١٢	دراسة متون الحديث، وكتب اللامذهبية

المحاضرات العلمية في الفرق والأديان

اليهودية	٦	محاضرات في اليهودية للشيخ نعمت الله الأعظمي
النصرانية	٤	محاضرات في النصرانية للشيخ نعمت الله الأعظمي
الهندوسية	٥	محاضرات في الهندوسية للشيخ عبد الحميد النعماني
القاديانية	٦	محاضرات في القاديانية للشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري
الشيعة	٦	محاضرات في التشيع للشيخ محمد جمال الميروتي
البريلوية	٦	محاضرات في البريلوية للمفتي محمد أمين البالنبوري
اللامذهبية	٦	محاضرات في اللامذهبية للمفتي محمد راشد الأعظمي
المودودية	٥	محاضرات في المودودية للشيخ عبد الخالق السنبهلي

الدبلوم في الحاسوب (سنة واحدة)

مبادئ علوم الحاسوب	٦	مبادئ الحاسوب، والنوافذ، والتحميل
الكتابة	٦	إنبيج، وبيج ميكر
التصميم	٦	كورل درا، وفوتو شوب
ايم ايس آفس	٦	ايم ايس ورد، وايم ايس ايكسل، وايم ايس باور بوائنت.
الشبكة العنكبوتية	٦	التدريب على استخدام الشبكة العنكبوتية
اللغة الإنجليزية	٦	الإلمام باللغة الإنجليزية

قسم القراءات وتجويد القرآن الكريم

التجويد والقراءة برواية حفص باللغة العربية (سنة واحدة)

التدوير	٦	الجزء ١، و نصف الجزء ٢، والجزء ٣٠

أصول التجويد	٦	خلاصة البيان للمقرئ ضياء الدين تحفة الأطفال للعلامة سليمان الجمزوري مقدمة الجزرية للعلامة الجزري
التمرين	١٨	مختلف أحزاب القرآن مع ترتيل الجزء الثلاثين منه
الحدر	٦	منزل واحد أو أكثر

التجويد والقراءة برواية حفص باللغة الأردية

السنة الأولى من التجويد والقراءة برواية حفص

التمرين	١٨	قصار المفصل ترتيلًا ثلاثة أشهر (الفترة الأولى من العام الدراسي) الركوعات المختارة والجزء الـ ١ تدويرًا منزل واحد من القرآن حدرًا

أصول التجويد	١٨	قواعد التجويد للمقرئ أبو الحسن الأعظمي جمال القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي جامع الوقف للمقرئ ابن ضياء محب الدين (في الفترتين الأخيرتين من الدراسي)

السنة الثانية من التجويد والقراءة برواية حفص

التمرين	١٨	أوساط المفصل ترتيلًا (ثلاثة أشهر) الركوعات المختارة من الجزءين الـ٢٨، و٢٩ من القرآن تدويرًا القرآن بكامله حدرًا
أصول التجويد	١٨	فوائد مكية للمقرئ عبد الرحمن المكي معرفة الرسوم للمقرئ ابن ضياء محب الدين

القراءات السبع (سنة واحدة)

أصول التجويد والقراءآت	١٨	التيسير لأبي عمرو الداني الرائية من الشاطبية للعلامة الشاطبي الشاطبية للعلامة الشاطبي
التمرين	١٨	التمرين على مختلف الأحزاب في الاختلاف التطبيق في القرآن كاملًا

القراءات العشر (سنة واحدة)

أصول التجويد والقراءآت	٦	الوجوه المسفرة للشمس المتولي الدرة المضيئة للعلامة الجزري طيبة النشر للعلامة الجزري
التمرين	٦	تطبيق القواعد في مختلف الآيات
الإجراء	١٢	إجراء الدروس

قسم تحفيظ القرآن الكريم مع مبادئ الدين (٥ سنوات)

السنة الأولى من تحفيظ القرآن الكريم

حفظ القرآن الكريم	١٢	حفظ الجزء الـ ١-٥ من القرآن
مبادئ الدين	٦	تعليم الإسلام (ج ١) للمفتي كفاية الله الدهلوي
التجويد	٦	مختصر قواعد التجويد
التربية الإسلامية	١٢	استظهار الأدعية المأثورة

السنة الثانية من تحفيظ القرآن الكريم

حفظ القرآن الكريم	١٢	حفظ الجزء الـ ٦-١٣ من القرآن
مبادئ الدين	٦	تعليم الإسلام (ج ٢) للمفتي كفاية الله الدهلوي
التجويد	٦	مختصر قواعد التجويد
التربية الإسلامية	١٢	استظهار الأدعية المأثورة

السنة الثالثة من تحفيظ القرآن الكريم

حفظ القرآن	١٢	حفظ الجزء الـ ١٤-٢٢ من القرآن
مبادئ الدين	٦	تعليم الإسلام (ج ٣) للمفتي كفاية الله الدهلوي
التجويد	٦	قواعد التجويد
التربية الإسلامية	١٢	الأدعية المأثورة

السنة الرابعة من تحفيظ القرآن الكريم

حفظ القرآن الكريم	١٢	حفظ الجزء الـ ٢٣-٣٠ من القرآن
مبادئ الدين	٦	تعليم الإسلام (ج ٤) للمفتي كفاية الله الدهلوي
التجويد	٦	مختصر قواعد التجويد
التربية الإسلامية	١٢	استظهار الأدعية المأثورة

السنة الخامسة من تحفيظ القرآن الكريم

حفظ القرآن الكريم	١٨	مراجعة حفظ الجزء الـ ١-٢٠ من القرآن إلى الامتحان النصف السنوي، وبعده الجزء الـ ٢١- ٣٠ منه
التجويد	٦	مختصر قواعد التجويد

التربية الإسلامية	١٢	استظهار الأدعية الماثورة

ملحوظة: المنهج المقرر لتحفيظ القرآن المذكور أعلاه للطلاب الذين ليسوا أذكياء ولا أغبياء. وأما الطلاب الأذكياء فهم يستكملون حفظه في غضون سنتين.

قسم تحسين الخط (سنة واحدة)

في الثلث الأول من العام الدراسي

التمرين	١٨	التمرين على كتابة الحروف المفردة من الألف إلى الياء
أصول الخط	١٨	معرفة المسافات بين الحروف ودراسة نظرية لها معرفة الخط الفارسي والأردي

في الثلث الثاني من العام الدراسي

التمرين	١٨	التمرين على كتابة المركبات، وعلى أنواع مختلفة من الخطوط العربية والأردية من الرقعة والنسخ والثلث والكوفي والفارسي ونستعليق وما إليها
أصول الخط	٦	التعريف بالخطوط الابتدائية معرفة مصطلحات الخط، ودراسة نظرية لها
تاريخ الخطوط	٦	معرفة تطوّر الخط الفارسي في الهند
الإملاء	١	التمرين على الإملاء

في الثلث الثالث من العام الدراسي

التمرين	١٨	التمرين على الخط على الورق العادي والصقيل كتابة الإملاء (مرة في الأسبوع)
أصول الخط	٦	معرفة كتابة المتون والقصائد والنصوص المقتبسة والحواشي

		معرفة عمل السطور، وتلوين السطور، ومعرفة الفرق بين مختلف أحجام أوراق الطباعة
أصول عامة	٦	معرفة مُعدّات الخط اللازمة معرفة وجوه الحفاظ على الأوراق اللازمة، وطرق تصحيح الخط الوارد في الكتابة
تاريخ الخطوط	٦	معرفة تاريخ الخطوط وتطوّرها



منهج القبول والتسجيل في الجامعة

عدد الطلاب في دارالعلوم الآن (١٤٤٠هـ=٢٠١٩) أكثر من أربعة آلاف طالب، ولا يُقبَل في الأقسام التخصصية إلا الطلاب القدامى، فما نقص من عددالطلاب فيما عداها من الأقسام يُكمَلُ بقبول الطلاب الجُدُد بعد ما يمتحنون امتحانَ مقارنة، فيختار منهم من فاز بالعلامات الممتازة نزولًا من فوق، فحيثما يكمُل العدد المطلوب يُتَركُ من عداهم من الطلاب.

ويقبل الطلاب الجدد من المدارس الإسلامية التابعة لدارالعلوم في منهجها الدراسي والتربوي في المرحلة الابتدائية والثانوية والجامعية، وفي قسم التجويد والقراءات وقسم تحفيظ القرآن الكريم، وقسم تحسين الخط، وأما التخصصات فلايقبل فيها إلا طلاب دارالعلوم القدامى.

شروط قبول الطلاب الجدد

يشترط للطلاب الجدد المرشحين للقبول أن يأخذوا طلب المشاركة في امتحان القبول من ٣- ٨ من شوال، ويبتدئ امتحان القبول من الأسبوع الأول لشوال.

يُمتحن طلابُ السنوات الثلاث للمرحلة الثانوية شفويًّا في بعض المقررات الدراسية و تحريريًا في بعضها. أما طلاب سنوات المراحل الأخرى فيمتحنون تحريريًّا فقط، ولايُقبل في السنتين الأولى والثانية الطلاب الوافدون الذين لم يبلغوا الحلم.

ويلزم لطلاب المرحلة الثانوية والجامعية حفظ جزء عم من القرآن ويُمْتَحنون فيه.

يمتحن الطلاب المرشحون للقبول في المرحلتين الثانوية والجامعية في

الكتب الآتية شفويًّا / تحريريًا:

المرحلة الثانوية	السنة	الكتب الممتحنة شفويًا	الكتب الممتحنة تحريريًا
״	السنة الأولى	آمد نامه، وفارسي كامعلم	كلستان، والحساب (جمع، تفريق، وضرب، وتقسيم)
״	السنة الثانية	ميزان ومنشعب، وبنج كنج، ونحومير، وشرح مئة عامل، ومفتاح العربية بجزئيه	القراءة الواضحة (ج ١)
״	السنة الثالثة	علم الصيغة وفصول أكبري (خاصيات أبواب) ، ومختصر القدوري إلى نهاية كتاب الحج، والقراءة الواضحة	نفحة الأدب، وهداية النحو، ونور الإيضاح
״	السنة الرابعة		مختصر القدوري من كتاب البيوع إلى نهاية الكتاب، وترجمة معاني القرآن من سورة «ق» إلى سورة «الناس»، وشرح تهذيب، ونفحة العرب
المرحلة الجامعية	السنة الأولى		شرح الوقاية ج ١ بكامله، وج ٢ إلى كتاب العتاق، وأصول الشاشي، ودروس البلاغة، وترجمة معاني القرآن من سورة «يوسف» إلى سورة «ق»، والقطبي

ً	السنة الثانية		الهداية ج ١، ونورا لأنوار، ومختصر المعاني، وسلم العلوم، ومقامات الحريري
ً	السنة الثالثة		تفسير الجلالين بكامله، والهداية ج ٢، مختصر الحسامي، والميبذي، و قصائد منتخبة من ديوان المتنبي
ً	السنة الرابعة		مشكاة المصابيح، الهداية ج٣-٤، شرح العقائد النسفية، ونخبة الفكر، والسراجية في الميراث

من يُقبل من الطلاب في السنتين الأخيرتين يلزمهم حفظ جزء عم من القرآن الكريم مع تجويده، ولا يعطون استمارة القبول إلابعد أن يُمتحنوا فيه.

أما روضة الأطفال، والمرحلة الابتدائية، وقسم تعليم القرآن نظرًا وقسم تحفيظ القرآن فيقبل فيها أولاد المسلمين من ديوبند عمومًا، فهم يغدون ويروحون من وإلى دارالعلوم، ولايعطونَ السكن فيها.

أما قسم تجويد القرآن برواية حفص باللغة العربية والأردية فيقبل فيه من كان حافظًا للقرآن، ولايقل عمره عن ١٨ سنة. وأما قسم تجويد القرآن برواية حفص بالأردية فيمتحن الطالب المرشح للقبول في الحساب تحريريًا، وأما باللغة العربية فيمتحن في حفظ القرآن ويشترط أن يكون حائزًا لشهادة السنة الثالثة من المرحلة الثانوية.

وأما تجويد القرآن بالقراءات السبع والعشر فيشترط أن يكون الطالب المرشح حافظًا للقرآن وحائزًا شهادة السنة الرابعة من المرحلة الثانوية. ويشترط لمن يريد الدخول في قسم تجويد القرآن بالقراءات السبع أن يكون متخرجًا من

قسم التجويد برواية حفص باللغة العربية، ومن أراد الدخول في القراءات العشر فيشترط أن يكون متخرجًا من قسم التجويد بالقراءات السبع.

المبادئ العامة للقبول

هناك مبادئ وشروط يجب على الطالب المرشح للقبول التقيُّدُ بها، وهي:

١- أن يكون الطالب إسلاميَّ الزيِّ، فلايُسْمَحُ بالدخول في امتحان القبول من زيّه غير إسلامي أو مقطوع اللحية أو مسبل الإزار.

٢- أن يقدِّم الوثائق اللازمة عن جنسيته من بطاقة الهوية أو بطاقة التموين أو بطاقة التصويت أو جواز السفر، وما إلى ذلك.

٣- أن يقدم شهادة الميلاد وتوصية من ولي أمره.

٤- أن يقدم شهادة المدرسة التي كان يتلقى فيها التعليم وشهادة السلوك كذلك.

شروط القبول للطلاب الأجانب

١- يُقبل الطلاب الأجانب من شوال إلى ٣٠ من ذي القعدة.

٢- لا بدَّ من النجاح في امتحان القبول.

٣- أن يكون الطالب حائزًا على التأشيرة الدراسية، دون تاشيرة السياحة وأن يقدم صورة لجواز السفر وطلب الالتحاق.

٤- تعطي دارالعلوم الطالب الأجنبي وثيقة عدم الاعتراض (NOC) ، وللحصول على الوثيقة لابد له من إرسال اسمه واسم والده وعنوانه وصورة للجواز.

٥- لاتأخذ دارالعلوم أيَّ نوع من الرسوم على التعليم والتسهيلات اللازمة من الطعام والسكن والعلاج وما إليه.

٦- لابد من تقديم الوثائق والمستندات اللازمة لدى الحصول على استمارة القبول.

شروط للطلاب القدامى

١- على الطلاب القدامى أن يعودوا إلى دارالعلوم إلى ٢٠/ من شوال.

٢- أن يكون الطالب القديم ناجحًا في جميع المقررات الدراسة للتقدم في السنة الآتية. فإن فشل في كتابين يُعاد امتحانُه في الكتابين اللذين فشل في امتحانهما. فإن فشل في أكثر من كتابين يُعاد إلى نفس السنة دون أن يستحق المنحة الدراسية ولا يُعطى التقدم في السنة الآتية. وهذه الإعادة لسنة واحدة فقط.

٣- لا يدخل من تخرج من قسم التخصص في الفقه والإفتاء إلا في قسم التخصص في الحديث، وكذلك بالعكس، ولا يدخل فيما عداهما من الأقسام.

٤- لا يسمح بدخول التخصصات من لايكون مرضي السلوك خلال دراسة الفضيلة (العالمية). لايُعطى الدارس في أيِّ قسم من الأقسام شهادة الفضيلة إلا بعد التخرج منه.

٥- يُقبل الطلاب في التخصصات على أساس ما حصَّلوا من العلامات في الامتحان السنوي.

يُدخل التعديلات في مبادئ وشروط القبول والتسجيل تبعًا للظروف والأوضاع، وينشر عمادة القبول والتسجيل كل سنة كتيبًا يتضمن تفاصيل تتعلق بالامتحانات والقبول و التسجيل.

❊ ❊ ❊

الميزانية السنوية للجامعة ومواردها

من أهم خصائص هذه الجامعة مجَّانيّة التعليم، فقد قامت - ولا تزال تقوم- من أول يومها بتنظيم التعليم للطلاب مجَّانًا، بالإضافة إلى تزويدهم بالسكن ووجبتِيْ الغداء والعشاء، والدواء والعلاج، وإعارة الكتب الدراسية دونما مقابل. كما تمنح الطلاب المحتاجين منحًا دراسية كلَّ شهر.

أما موارد الدخل فقد سبق أن ذكرت أن الجامعة ليست لها موارد ثابتة، إنما هي تعتمد في ميزانيتها على الله أولًا، ثم على تبرعات المسلمين ومساعداتهم.

وقد بلغت ميزانيتها السنوية (عام ١٤٤١هـ) ٣٨٢,٣ مليون روبية هندية، وهي كلها تجمع من المسلمين في البلاد، وموظَّفو الجامعة يسافرون لهذا الغرض في البلاد ويعرِّفون المسلمين حاجات الجامعة ومشاريعها؛ فهم يتبرعون لها ويتسابقون في مساعدتها. وهكذا تتصل الجامعة بالمسلمين اتصالًا مستمِرًّا، وتقوم الصلة المتبادلة بين الجامعة وبينهم.

كانت المدارس والجامعات قبل الاستعمار الإنجليزي تسير بما كان يوقف لها الأمراء والحكام والإقطاعيون من الأراضي والعقارات التي كان ريعها يُغطّي حاجاتها، فلما استولى الاستعمار على البلاد هدم كثيرًا من المدارس والمعاهد، وصادر الأوقاف والعقارات، وذلك بهدف تجفيف منابع الفكر الإسلامي والتعليم الديني للمسلمين.

لقد كان مؤسسو الجامعة أولي الفراسة الدينية والألمعية الإيمانية، فأنشؤوا الجامعة على تبرعات الشعب المسلم، وكانت التجربة ناجحة، فالمدارس والجامعات الأهلية التي تتبع الجامعة في المنهج الفكري والتعليمي والتربوي، سواء كانت في شبه القارة الهندية أو في قارات العالم الأخرى، هي كلها تعتمد على

تبرعات الشعب المسلم في تغطية حاجاتها، ولا تأخذ معونة مادية من الحكومات، سواء كانت إسلامية أو غيرها.

ولعل ذلك سرُّ بقائها واستمراريتها في أداء رسالتها، وحريتها في وضع مناهجها التعليمية والتربوية، فلو أخذت هذه المدارس والجامعات مساعدات الحكومات لتدخَّلت فيها وسلبتها حريتها وعرقلت في أداء رسالتها وتحقيق أهدافها.



عدد الطلاب والمدرسين والموظفين في الجامعة عام ١٤٤١هـ

أما الطلاب الملتحقون بالجامعة فقد بلغ عددهم في بداية عام ١٤٤١ه ٤٩١١ طالبًا، معظمهم يقيمون بالأروقة الجامعية، وقليل منهم من أبناء أهالي مدينة ديوبند يغدون ويروحون من وإلى الجامعة.

أما عدد المدرسين في جميع المراحل الدراسية: الابتدائية والثانوية والجامعية والتخصصات، وأقسام تحفيظ القرآن والتجويد والقراءات وقسم اللغة الإنجليزية، وقسم الحاسوب وقسم تحسين الخط، وما إلى ذلك، فقد بلغ ٨٨ مدرسًا. أما الموظفون فهم ٢٦٨ موظفًا.

وأما عدد المتخرجين من الجامعة الحائزين شهادة الفضيلة منذ عام ١٢٨٣ه إلى هذا العام (١٤٤١ه) فقد بلغ ٥٢١٤٤ متخرجًا، وأما عدد المتخرجين في المراحل الابتدائية والثانوية والجامعية، وأقسام تحفيظ القرآن والتجويد والقراءات، بالإضافة إلى شتى أقسام التخصصات فقد يبلغ مئات الآلاف.

بيان عدد الطلاب والمدرسين والموظفين في الجامعة وميزانيتها السنوية عام ١٤٤١هـ

الطلاب الملتحقون	٤٩١١
المدرسون في جميع الأقسام	٨٨
الموظفون	٢٦٨
الميزانية السنوية	٣٨٢,٣ مليون روبية هندية
عدد الخرّيجين الحائزين لشهادة الفضيلة منذ عام ١٢٨٣ه إلى عام ١٤٤١ه	٥٢١٤٤

***

عدد الخريجين من الجامعة من شتى بلاد العالم

من عام ١٢٨٣هـ إلى ١٤٤١هـ

العدد المتسلسل	البلد	عدد الخريجين
١	الهند	٤٥٧١٧
٢	باكستان	١٥٢٤
٣	بنغلاديش	٣٣١٢
٤	ماليزيا	٥٢٦
٥	بورما (ميانمار حاليا)	١٨٥
٦	أفغانستان	٢٠٠
٧	نيبال	١٥٧
٨	سريلانكا	١٩
٩	أندونيسيا	١
١٠	اليمن	١
١١	كمبوديا	١
١٢	أمريكا	٢٧
١٣	أفريقيا	٢٣٩
١٤	بريطانيا	٢٥
١٥	الصين	٤٤
١٦	روسيا	٧٠
١٧	إيران	١١

العدد المتسلسل	البلد	عدد الخريجين
١٨	العراق	٢
١٩	الكويت	٥
٢٠	المملكة العربية السعودية	٩
٢١	مسقط	١
٢٢	مالديف	١
٢٣	مصر	١
٢٤	السودان	٧
٢٥	الهند الغربية	٤
٢٦	تايلاند	٨
٢٧	فرنسا	١
٢٨	فيجي	١٠
٢٩	لبنان	٦
٣٠	دبي	٣
٣١	تركستان	٢٠
٣٢	نيوزيلندا	٢
٣٣	كندا	١
٣٤	كرغيزستان	١
٣٥	سنغافوره	٢
٣٦	آستراليا	١
	المجموع:	٥٢١٤٤

***

الباب الخامس

عقائد ومواقف

- علماء ديوبند نسبهم العلمي وانتماؤهم الفكري
- علماء ديوبند من أهل السنة والجماعة
- علماء ديوبند يعضُّون بالنواجذ على مذهب أهل السنة والجماعة
- عقائد علماء ديوبند ومواقفهم
- حصيلة الأبحاث
- نماذج مُشرقة من سيرة علماء ديوبند وشمائلهم

علماء ديوبند

نسبهم العلمي وانتماؤهم الفكري

إنَّ مؤسسي دارالعلوم بديوبند ومشايخها الأوائل يرتقي نسبهم العلمي إلى الأمام ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، حيث أسند كلٌّ من الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفي سنة ١٢٩٧هـ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة ١٣٠٢هـ، الحديثَ عن الشيخ عبد الغني المجدّدي، عن الشيخ محمد إسحق الدهلوي، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي عن مسند الهند الإمام ولي الله الدهلوي.

على هذا فهم تلاميذ مدرسة الإمام الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، وحاملو فكره ومنهجه، وورثة حركته العلمية والدعوية والإصلاحية؛ فالإمام الدهلوي هو مورثهم الأعلى العلمي والفكري، وجهودهم في مختلف المجالات العلمية والدعوية والتوجيهية امتداد لحركته، وحركته تتلخَّص في النقاط الخمس الآتية:

١ - نشر تعاليم كتاب الله في أوساط عامة المسلمين، وتقريبهم إليها، وذلك عن طريق ترجمة معانيه إلى اللغة الوطنية وتفسيره.

٢ - التركيزعلى تدريس الحديث النبوي وعلومه، ونشرها في البلاد.

٣ - الدعوة إلى العقيدة الإسلامية المتوارثة عن السلف الصالح، ومحاربة البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية التي شاعت بين المسلمين في الهند.

٤ - عرض الإسلام وتعاليمه عرضًا عقليًا يتفق وعقليةَ العصر؛ فألَّف كتابه المعروف بـ «حجة الله البالغة» الذي قلَّما يوجد نظيره في المكتبة

الإسلامية العامرة، و«إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» وما إليهما.

٥- إقامة دولة إسلامية جديدة يتمُّ فيها تطبيق الشريعة الإسلامية؛ لأنه رأى أنَّه لايمكن نفخ روح جديدة في الحكومة المغولية الإسلامية التي ألـمَّ بها الضعف ونزل بها الهرم. كما قال ابن خلدون: إذا نزل الهرم بدولة لايرتفع.

ثم نشطت هذه الحركة وأعطت ثمارها المرجوَّة بعده على أيدي أبنائه وأحفاده وتلاميذهم وتسلسلت واستمرت إلى من بعدهم، فاضطلع بأعبائها تلاميذهم، ونقلوها إلى ديوبند حيث تمركزت في «دارالعلوم» بديوبند.

لقد ورث مشايخ دارالعلوم وعلماؤها حركة الإمام ولي الله الدهلوي، وفكره ودعوته وذوقه ومنهجه؛ لأن معظمهم كانوا تلاميذ أبنائه وأحفاده، فهم الورثة الحقيقيون له؛ لأنهم أقرب الناس نسبًا إليه علمًا وفكرًا.

لذلك تركَّزت جهود مشايخ دارالعلوم وأبنائها على النقاط الخمس المذكورة، فقد عُني كثير منهم بترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره وعلومه، مثل: شيخ الهند محمود حسن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، والشيخ أشرف علي التهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، والمفتي محمد شفيع العثماني المتوفى سنة ١٣٩٦هـ، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي المتوفى سنة ١٣٩٤هـ، والشيخ سعيد أحمد البالنفوري المتوفى سنة ١٤٤١هـ، والشيخ نعمت الله الأعظمي، وغيرهم.

كما أنهم اهتمُّوا بتدريس الحديث وعلومه، وتأليف شروح كتبه والتعليقات عليها التي تتداول اليوم في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي.

وكذلك انتهج الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس الجامعة منهج الإمام الدهلوي في عرض حقائق الإسلام عرضًا عقليًّا، فلئن كان الإمام الدهلوي يعرض المنقولات في ثوب المعقولات، فالإمام النانوتوي كان يعرضها في ثوب المحسوسات وفقًا لمتطلَّبات العصر وحاجات الزمان.

كما أن المحدث الفقيه العلامة رشيد أحمد الكنكوهي أحد المشرفين على الجامعة، سلك في الفقه مسلك التأصيل والتخريج حتى شهد له بعض أعلام عصره أنه أفقه من ابن عابدين الشامي صاحب رد المحتار على الدر المختار، وأنكر في فتاواه على كثير من البدع والخرافات التي كانت قد تسرَّبت إلى مجتمع المسلمين.

هذا إلى أن الشيخ الصالح محمد يعقوب النانوتوي رئيس هيئة التدريس الأول للجامعة مال إلى الإصلاح والتزكية والربانية بجانب اشتغاله بالتدريس وتوليه مهامّ الإدارة.

وكذلك شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رئيس هيئة التدريس للجامعة تولّى مسؤولية تدريس مختلف العلوم الإسلامية بالجامعة عبرأربعين عامًا، وخرَّج عددًا كبيرًا من العلماء الأكفاء، واستعان بهم في قيادة حركته: «حركة الرسائل الحريرية» التي أدّت – رغم إخفاقها- دورًا هامًّا في سياسة البلاد وتحريرها من براثن الاستعمار البريطاني.

ولما نهضت العصبة الإسلامية بحركة باكستان عارضها قطاع كبير من العلماء حفاظًا على وحدة المسلمين وقوتهم، ولكن لما أدركوا أنَّ قيامها أمر يقيني، ويمكن أن تكون الدولة الجديدة معمل القوانين الإسلامية، وقف طائفة منهم بجانبها، وقادها من علماء ديوبند الشيخ الكبير والعلامة الجليل الشيخ أشرف علي التهانوي، والعلامة شبير أحمد العثماني المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، وهاجر إليها عدد من كبار العلماء مثل: العلامة العثماني، والمفتي محمد شفيع العثماني، والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي ومن إليهم، حتى لا يعود الصوت الديني في باكستان بعد قيامها خافتًا.

إن مشايخ الجامعة عكفوا على دراسة كتب الإمام الدهلوي و رسائله، وقد أدرجوا بعضها في منهجهم الدراسي، مثل: الفوز الكبير، وحجة الله البالغة، وشرحوا بعضها وعلقوا عليها، مما يدل على صلتهم الوثيقة بالإمام الدهلوي. وقد قيل: إن شرح حجة الله البالغة كان دينًا على العلماء الذين نالوا ميراثه العلمي والفكري. وها هو ذا قد قضى أحد مشايخ الجامعة هذا الدَّين، وهو المحدث

الفقيه الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري، حيث حقَّقه وعلَّق عليه بالعربية تعليقات قيمة، وطبعته بعض مطابع بيروت في جزءين، كما شرحه بالأردية في خمسة مجلدات، وسماه «رحمة الله الواسعة».

وجملة القول أن من درس جهود علماء ديوبند العلمية والدعوية والإصلاحية أدرك أنها صدى لحركة الإمام الدهلوي واعترف أنهم الورثة الحقيقيون له علمًا وفكرًا، بين الكثير من الأدعياء الذين يدَّعون انتماءهم وانتسابهم إليه، وهم على غير منهجه وضدّ طريقه، بل هم كما قال الشاعر:

وكلٌّ يدِّعي وصلا بليلى   وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاك

* * *

علماء ديوبند من أهل السنة والجماعة

علماء ديوبند باتجاههم الديني والمذهبي طائفة من أهل السنة والجماعة، بل من صميمهم، وقد انتشر وازدهر مذهب أهل السنة والجماعة في الهند عن طريق الإمام ولي الله الدهلوي، وهو مورثهم الأعلى العلمي والفكري وإمام أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية؛ فالناطقون بمذهبهم في هذه الديار والناشرون له هم علماء ديوبند، الذين عكفوا - ولا يزالون- على التعليم والتربية والدعوة والتوجيه والإصلاح والتزكية، حتى عمَّ هذا المذهب الشرق والغرب.

إن علماء ديوبند لايتبعون إلا مبادئ وأصول أهل السنة والجماعة برُمّتها، بل ويحافظون حتى على مزاجهم وذوقهم المتوارث؛ فعلماء ديوبند ليسوا جماعةً أنشأتها الظروف، بل لهم سند من السلف، ونسبهم يتصل بهم، وهم من أهل السنة والجماعة الذين يتصل سندهم كابرًا عن كابرٍ بالنبي ﷺ.

ثم إنهم ليسوا فرقةً جديدةً أو طائفةً حديثةً، كما يُوهم انتماؤهم إلى «ديوبند» أو تسمية مذهبهم وفكرهم بـ« الديوبندية» أو إطلاق«الديوبندي»على من يتبنى فكرهم، بل وكما يتّهمهم بعض الأوساط عن جهل أو عمد؛ لأنَّ هذا الانتماء ليس انتماءً طائفيًا أو حزبيًّا، إنما هوانتماء تعليمي إلى دارالعلوم التي مقرُّها ديوبند.

كما أنّ المراد من «علماء ديوبند» ليست تلك الجماعة التي تقوم بالتدريس والإفتاء والدعوة والإصلاح والتوجيه في دارالعلوم بديوبند فحسب، إنما المراد منهم جميع العلماء الذين ينبع فكرهم من فكر مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ، فمن فكر الإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، ويتصل بفكر مؤسس دارالعلوم بديوبند الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ، والشيخ الفقيه رشيد

أحمد الكنكوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة ١٣٠٢هـ، سواء كانوا من خرّيجي دارالعلوم بديوبند، أم من خرّيجي الجامعات والمدارس والمعاهد الإسلامية التي تتبع دارالعلوم في الفكر والمنهج، سواء أكانت في الهند، أم في باكستان، أم في بنغلاديش، أم في جنوب إفريقيا، أم في بريطانيا وأمريكا، أم في أيٍّ بلد من بلاد العالم.

ثم إنَّ مذهب أهل السنة والجماعة بالنسبة إلى أساسه أعدلُ المذاهب بين المذاهب الشرعية الإسلامية، وأتباع هذه المذاهب – سواء كانوا أحنافًا أو شوافع أومالكيين أوحنابلة، على اختلاف أصول تفقُّههم – من أهل السنة والجماعة؛ حيث يمتازون بعدم الغلو والمبالغة، واللاإفراط واللاتفريط، ولا يوجد فيهم تشدّد أو تقصير، وإنما يوجد فيهم كمال العدل والاعتدال، ويتصلون في أصولهم وفروعهم وكلياتهم وجزئياتهم بالكتاب والسنة، ويصح أن يوصفوا بـ «أمة وسطا» وهم يشكّلون حجّةً فيما بين جميع المذاهب.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبما أن فضائل أهل السنة والجماعة ومزاياهم مستقاة من النصوص الشرعية – كما ستعرفون من خلال السطور الآتية – وبما أن علماء ديوبند انتهجوا طريقهم بشكل كامل؛ فانعكست عليهم أنوارهم، فثبت لهم من خلال تطبيق صفات أهل السنة والجماعة عليهم، من الفضيلة والمزية ما هو خاص بأهل السنة والجماعة، وما جاء ذكره في الحديث عنهم؛ ولكن إثبات هذه الفضيلة لجماعة ديوبند إنما جاء كبيانٍ للواقع؛ لأن اتجاهها الديني ومزاجها المذهبيّ لم يكن ليتَّضح بدون ذلك؛ ولذلك فلا يجوز أن يوضع ذلك في إطار الفخر والمباهاة أو العصبية الجماعية أوالإعجاب بالذات.

وقبل أن نسلِّط الضوء على مذهب علماء ديوبند واتجاههم ومزاجهم وذوقهم في مسائل الدين نوضح مذهب أهل السنة والجماعة وعناصره ومزاياه، ثم

نطبِّقه على مذهب علماء ديوبند وذوقهم المتوارث في الدين ومسائله.

مذهب أهل السنة والجماعة وعناصره ومزاياه

إنَّ التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر حافل بالملل والنحل والفرق والطوائف التي يصعب حصرها، وكلٌّ يدَّعي أنها على الحق والصراط المستقيم، وغيرها على الباطل وفي الضلال البعيد. فأيُّ فرقة على الحق وأيُّها على الباطل؟ وماهو المعيار الذي يوزن به الحق والباطل والاستقامة والضلال في الحشد الكبير من الفرق والطوائف والجماعات؟

لاشك أنَّ الطائفة الحقة والفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة من بين الفرق والطوائف الكثيرة التي نشأت خلا ل القرون، وقد دلَّ الكتاب والسنة والآثارعلى حقيتهم وبطلان غيرهم من الفرق، وكونهم معيارًا لمعرفة الحق والباطل.

وإذا أردنا أن ندرك مذهب أهل السنة والجماعة وعناصره ومزاياه واعتداله وتوازنه، يكفي أن نمعن النظر في لقبهم المذهبي: «أهل السنة والجماعة»؛ لأن النظر فيه يجلي عناصره وخصائصه، وحقيته بين المذاهب و النحل المختلفة التي نشأت في الإسلام.

فلقبهم هذا مركب من كلمتين: السنة والجماعة، ومجموعهما يشكِّل مذهبهم، ويجلي مميزاتهم.

فـ«السنة» ترمز إلى القانون والدستور والكتاب والهداية والصراط المستقيم الذي أُمِرنا أن نسيرعليه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

و«الجماعة» تشير إلى هداة الطريق، والشخصيات والمعلمين الذين أمرنا أن نسلك الصراط المستقيم في صحبتهم وفي ضوء تعليمهم وتربيتهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والقانون والدستور يعني كتاب الله وسنة رسوله وما انبثق منهما من المبادئ والأحكام، كما تعني الشخصيات شخصية النبي ﷺ وأصحابه ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالقانون و الشخصية كلاهما عنصران ضروريان للهداية؛ لأنَّ فهم مرادات القانون الإلهي لا يمكن بمعزل عن الشخصية، ولا يمكن فصل الشخصية عن القانون؛ لأن مسؤوليتها بيان مراد القانون وكيفية العمل به، والتربية والتزكية من الأدواء الخلقية.

على هذا فقد جرت سنة الله أن جاء مع القانون المنزل من الله الأشخاصُ المبعوثون من الله كذلك، وأن تتابع فيما بعدُ من العصور الأشخاصُ المباركون المتلقُّون منهم التربيةَ؛ فقاموا بتلاوة الكلام وتفهيمه وتعليم مراداته، وطرحوا النموذج العملي، وطهَّروا قلوب المخاطبين بتعليمهم وتربيتهم عن الزيع والضلال، و زوَّدوها بالاستقامة والفهم والعقل والكيفيات الروحانية، وجعلوها صالحة لفهم المراد الحقيقي والحرص على العمل والتكيُّف مع الأحوال المعنوية.

ومن هنا عرفنا أن الكتاب و الشخصية كلاهما عنصران ضروريان للهداية والإرشاد والتعليم والتربية. ولذلك تقرَّر إرسال الرسل وإنزال الكتب، كما نصَّ عليه القرآن الكريم، حيث قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيْزَانَ لِيَقُوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولذلك لم يأت في هذه الدنيا عهدٌ خلا من العنصرين، أي لم يمضِ عهد لم ينزل فيه كتاب من الله ولم يُبْعَثْ فيه نبيٌّ منه تعالى، أو نزل فيه كتاب ولم يُرْسَلْ نبيٌّ أو بالعكس. ففي بداية العالم لئن نزلت صحف آدم فإنه في الوقت نفسه نزل صاحبها آدم، وإن نزلت صحف إبراهيم بُعِثَ معها إبراهيم أيضًا، وإن نزلت التوراة بُعِثَ معها موسى، وإن نزل الزبور والإنجيل فإنه أرسِلَ معهما داود وعيسى، وإن نزل خاتم الكتب: القرآن فإنه بُعِثَ معه خاتم الرسل: سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى الأنبياء والمرسلين وسلم.

عنصران لازمان للهداية

فالآية التي جاء فيها الإخبار بإكمال الدين، جاءت فيها أيضًا الإشارة إلى عنصري الهداية المذكورين، والبشارة بالجمع الدائم بينهما، وذكرت الآية ذلك كله في معرض المنِّ من الله تعالى على عباده، إذ قالت:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَ يُزَكِّيْهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَلاَلٍ مُبِين﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ف «رَسُوْلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» تدلُّ على الشخصية المربية و«يَتْلُوْ عَلَيْهِم» إلى آخر الآية تبيِّن مسؤولية شخصية النبي المربية وهي إبانة قانون الدين وأحكامه.

وهي تتلخص في أربع نواح آتية

١- تلاوة الآيات، حتى تُوْضَع أمام الخلق نفس التعابير التي وضعها الله عز و جل وأودعها أغراضَ الهداية ومناهجَ الإرشاد.

٢- تعليم المرادات، حتى يفهم العباد من ألفاظ القانون تلك الحقائقَ والأهدافَ التي أرادها الله تعالى منها.

٣- النموذج العملي أو الأسوة الحسنة، حتى يأتي عمل الأمة مطابقًا لما عمله النبي ﷺ.

٤- تزكية النفس، حتى يزول زيغ النفس، وتنشأ فيها قابليةُ فهم المراد الإلهي، والاندفاعُ إلى العمل، والأحوالُ والكيفيات المعنوية، والعنايةُ بالاحتفاظ بها في حدودها.

أربعة مواقف بالنسبة لعنصري الهداية

وفي ضوء الآية السابقة، لا يمكن أن يبرز إلّا أربعة مواقف بالنسبة إلى عنصري الهداية: القانون وشخصية المربي أومعلم القانون.

١- أن يؤخذ بالعنصرين عن عاطفة إيمانية.

٢- أن يكون الصدود عنهما جميعًا.

٣- أن يؤخذ بألفاظ القانون و يُسْتَغْنَى عن شخصية المعلم المربية.

٤- أن يؤخذ بشخصية المربي و يُسْتَغْنى عن القانون.

والموقف الأول هو موقف أهل الحق الذين انقادوا للقانون الإلهي وشخص النبي في وقت واحد، ولم يخضعوا لعواطفهم العقلية ونزعاتهم الطبيعية أو تقليد الآباء، ولم يتخذوا من مجرد ألفاظ القانون منارة نور؛ وإنما سلكوا الطريق الذي أحاطه الله تعالى بالقانون وشخصية المعلم. وعلى ذلك عادت طائفة متبعي الحق هذه مصداقًا للمنَّة والنعمة التي ذكرها الله تعالى قائلًا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ويأتي ضمن هذه الطائفة كلٌّ من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان من بعدهم، الذين سلكوا هذا الطريق المستقيم و وضعوا عليه غيرهم يسلكون عليه.

ومن الواضح أن الطرق الثلاثة غير الطريق الأول المنصوص عليه في الكتاب، طرق مصطنعة، وسالكوها يأتون ضمن « لَفِيْ ضَلاَلٍ مُّبِينٍ».

وفي ضوء هذا المبدإ إذا ألقينا نظرة على تأريخ أقوام العالم، وجدنا أن قومًا منهم لم يضلّ إلا لرغبتهم عن العنصرين أو لأخذهم بأحد منهما في غنى عن الآخر.

الدعوة المحمدية قوبلت بالطبقات المذكورة

فلما طلعت الدعوة الإسلامية ظهرت بالقياس إلى عنصري الهداية المذكورين أربع طبقات:

١- طبقة آمنت بالعنصرين وهم صحابةرسول الله ﷺ.

٢- طبقة كفرت بالعنصرين وهم المشركون والمنافقون.

٣- اليهود الذين طوَوْا كَشْحَهم عن شخصية النبي ﷺ زاعمين أن لديهم الكتاب ولا حاجة بهم إلى الشخصية، ووقعوا فريسةً للإعجاب بالنفس والغلو والاستكبار، حتى تجرَّؤوا على قتل النبي ﷺ.

٤- النصارى الذين أعجبوا بشخصية نبيهم عيسى ابن مريم إعجابًا حتى

جعلوه ابن الله، وتسفَّلوا حتى اعتبروا أتباعه كذلك أربابًا من دون الله.

نشوء الفرق والطوائف في الأمة الإسلامية

وإذا قارنًا بين هذه الأمم وبين أمة محمد ﷺ، وجدنا أن ما كانت عليه الأمم الضالة أي اليهود والنصارى وغيرهما من الضلالات والإفراط والتفريط، ظهر في هذه الأمة كذلك. وكان ظهوره مُؤكَّدًا؛ حيث جاء الخبر بذلك على لسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ، لاتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[1].

وطبقًا لهذا التنبُّأ الصادق، ظهرت فرق وطوائف في هذه الأمة محاكاةً للأمم الماضية بالقياس إلى عنصري الهداية: الكتاب وشخصية معلم الكتاب.

١ - فرقة لاترتاح إلى عنصري الهداية

فقد ظهرت في الأمة فرقة لم ترتحْ إلى أيٍّ من الأساسين، ولا تزال لها فروع تمتدُّ وتزهر وتثمر. ورغم أنها تدعي الإسلام؛ ولكنها لا تقول من أعماق القلب بالشخصيات النبوية المقدسة ولا بالقانون المقدس.

فعندما تُعْرَضُ عليها قوانينُ الدين وأصولها وفروعها، تقول بصوت خفي وبأسلوب مُلْتَوٍ متداول اليوم وبشكل حكيم عندها: إن الزمن القديم قد ولّى بدون رجعة، وإن الإسلام لن يساير الحياة اليوم بمعناه القديم؛ فهو في أمسِّ الحاجة إلى التعديل، وفقهُه يقتضي إعادةَ النظر، وقانونُ أحواله الشخصية لا يتمشّى اليوم مع الحياة ما لم يُتَنَاوَلْ بالتغيير والتعديل وفق المتطلبات المعاصرة والحاجات الحاضرة؛ وبالجملة فالإسلام القديم يجب أن يُصاغَ إسلامًا جديدًا.

وهي لا تصدر في ذلك عن حجة مقنعة، ولا تقدر على تقديمها، وإنما تصدر في ذلك إما عن المصالح السياسية أو الدواعي الاقتصادية والاجتماعية، أو

(١) رواه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتّباع متشابه القرآن، رقم الحديث ٥.

الملازمة الدائمة للكفار، بالإضافة إلى الجهل التامّ بقانون الدين وأحكامه.

٢- الخوارج ومن كانوا على شاكلتهم

ونشأت في الأمة طائفة اتصلت – على زعمها – بكتاب الله ضاربةً الشخصيات المربية المقدسة عرض الحائط، وقد أقدمت على ذلك أولًا الخوارج الذين نادوا بـ «إن الحكم إلا لله» والذين اكتفوا بفهم مرادات حروف كتاب الله ونقوشه بعقولهم الناقصة، وانقطعوا عن شخصيات المربين، وقد أدّى ذلك إلى أن حدثت فيهم فتنة العلم، وثارت فيهم الوساوس، وأثّر ذلك في العقائد؛ مما أدّى إلى حدوث فرق عديدة في الذين اتبعوا آثارهم من بعدهم، مثل: القدرية، والجبرية، والمجسمة، والمشبهة، والمعطلة، واللاأدرية، وما إليها.

حتى جاءت طوائف في الأزمنة اللاحقة تحذو حذو الطوائف القديمة، واتخذت كتاب الله ألعوبةً؛ حيث أخضعته لأفكارها، حتى تجرَّأت على الأحكام الدينية من أجل إفراطها في التحرر في التفكير، وقامت بتحريفات في معاني آيات القرآن الكريم.

ورفضت الحديث النبويّ الذي حال دون اختلاقاتها، كما رفضت الجزئيات الفقهية التي قامت عقبةً كَأْدَاءَ في سبيل إلحاداتها. وكان مصدرُ هذه الفوضويَّة في الأفكار، والإلحاد في العقائد والأعمال، هو الاستكبار العقلي، والاستعلاء العلمي، على شاكلة اليهود؛ الأمر الذي كان قد أدّى دائمًا إلى الإنكار والجحود اللذين نشأا من الإعراض الكلي عن الشخصيات وتربيتها وعن اللجوء إلى اقتدائها، والاكتفاء – بدلًا من ذلك – بمجرد الكتاب.

٣- الروافض ومن كانوا على نهجهم

وفي جانب ظهرت طائفة ثالثة أعرضت عن الكتاب وأعْجِبَتْ بالشخصيات المقدسة إعجابًا مفرطًا؛ فاتخذت كل قول من أقوالها وكل فعل من أفعالها وكل موقف من مواقفها وكل مظهر من سلوكها الشخصي دينًا لها. وخَطَتْ إلى ذلك أولًا الروافض التي كان مذهبها هو اتّباع الشخصيات واتّباع الأسر

والبيوتات. إنها باسم حبّ أهل بيت الرسول ﷺ وصفت كبارَ الصحابة بالنفاق والغدر، واعتبرت اللعن والطعن عليهم والتبرُّأ منهم، جزءًا من الدين أو عينَ الدين. ومقابل ذلك اعتبرت صحابةً معدودين – كانوا وحدهم موضع إعجابها – معصومين عن الخطأ كالأنبياء، حتى اعترفت لهم باسم «الإمامة» بالحق في ممارسة التغيير في شريعة الله تعالى ؛ فكانت هذه الطائفة كالنصارى التي اتّخذت الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

ونَهَجَ نَهْجَها كثير من الطوائف اللاحقة التي ظهرت باسم حبّ الأولياء، وكانت تتَّسم هذه الطوائف بالحزبية والعصبية العفنة، و وصلت بحب الأولياء وتعظيمهم إلى حد العبادة، وروَّجت أعمال الشرك باسم التوحيد؛ فعبدت الصالحين الأحياء باسم «سجدة التعظيم» وعبدت الأموات منهم باسم «سجدة القبور» فطافت حولها، واعتكفت لديها، و استغاثت بها، ونذرت بأسماء أصحابها، وسألتها قضاءَ الحوائج، وقدّمت لها القرابين، ونادت بأسمائها، وهتفت عندها بـ «شيئاً لله». ولإبداء العبودية لها سمّت أولادها بأسماء عبد الرسول، وعبد النبي، وعبد المصطفى، وعبد الحسين، كما كان الجاهليّون في الجاهلية يسمون أولادهم بعبد العزى وعبد اللات وعبد مناة – تلك الأسماء التي غيّرها النبي ﷺ بغيرها.

وهناك فرق وجماعات كثيرة قد ضلَّت لترك العنصرين معًا، أو لأخذ أحدهما ورفض الآخر، لا نخوض في أحوالها وتفاصيلها.

على كلٍّ فقد خلصنا إلى تلك النتيجة الحتمية التي أشرنا إليها، وهي أن العنصرين (القانون والشخصية) ، لازمان للهداية، وأن الاستقامة والعدل والاعتدال لم تكن لتأتي بدون الجمع بين العنصرين؛ لأنَّ النبي ﷺ خلَّف هذه التركة – الجمع بين العنصرين – في أمته من بعده؛ فحصر الهداية للأبد في الجمع بينهما، إذ قال:

«تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله و سنة نبيه» [(١)].
وقد أشار بالكتاب إلى «القانون»، وبـ«السنة» إلى ذاته الشريفة وأسوته في العمل.

مزايا أهل السنة والجماعة

فلو ألقينا نظرة نابعة من صدق الضمير لوجدنا أن أهل السنة والجماعة يتمسَّكون بكلا الأمرين: القانون والشخصية أو بتعبير آخر: الكتاب ومعلم الكتاب معًا، بكامل الإعجاب والتقدير والاعتدال، ودونما انقطاع عن الكتاب أو معلِّمه، ودونما إعراض عن أحدهما واتصال بالآخر اتصالًا مُغالًى فيه، وكذلك دونما الإفراط والتفريط اللذين تورطت فيهما اليهود والنصارى، فلم يُمْنَوا بشقاء فهم كتاب الله في غنى عن معلمي الكتاب و مربي النفوس؛ حتى يتخذوا القانون الإلهي ألعوبةً لآرائها ونظرياتها؛ ولا بشقاء الحب والإعجاب المتخطيين للحدود بشخصيات المربين؛ حتى يعْتَبروا كلّ شيء من أحوالهم وأقوالهم ومواقفهم الشخصية قانونًا منزَّلًا من الله تعالى.

وهم يمتازون عن الفرق والطوائف بما يلي:

١- حب النبي وأصحابه والاحتجاج بأقوالهم

إنَّ أهل السنة والجماعة يحبون- بعد حب النبي ﷺ- الصحابة الكرام - رضي الله عنهم- قبل جميع السلف الصالحين؛ لأنهم - الصحابة - الحَمَلَةُ الأولون للدين وطلائعُ دعاة الإيمان واليقين، ويرون أن استكمال الحب لهم والإعجاب بهم إنما هو وسيلة للإيمان؛ حيث إن حبهم إنما هو متفرع من حبّ النبي ﷺ وناشيء منه، فقد قال ﷺ:

«من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» [(٢)].

---

(١) وتمام الحديث كما يلي: عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: تركتُ فيكم أمرين لن تضلّا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه . (موطأ الإمام مالك ٨٩٩، كتاب القدر، باب ١، رقم الحديث: ٣).

(٢) والحديث كما يلي: عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: في أصحابي، لا تتخذوهم

إن الحديث يؤكّد أن حبّ الصحابة وبغضهم إنما ينبعان من حبّ النبي ﷺ وبغضه، فإيمان المرإ لا يتمّ إلا بحبهم. وإذا كان حب النبي ﷺ أصلَ الإيمان فإن حبهم فرع من الإيمان؛ ولذلك زكّى القرآن الكريم جماعة الصحابة من حيث الكل، واعتبرهم مطَهَّري النفوس، صادقي الضمير، راشدين، ومرشدين، راضين، مرضيِّين، هادين، مهديِّين، مطاعين و متبوعين. ولذلك أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة كلهم عدول، ويرون أن تخطئتهم وانتقاصهم فسق، يستحق مرتكبه التعزير.

وبذلك يمتاز أهل السنة والجماعة عن الروافض والخوارج؛ لأن هاتين الطائفتين لا تعتبران الصحابة كلهم عدولًا ولا أتقياء، ولا يرون حبهم ضروريًا.

فأهل السنة والجماعة يرون أن الصحابة -رضي الله عنهم- هم المِحَكّ الدقيق في حق الأمة كلها تقاس بهم حقية وبطلان الثلاث والسبعين فرقةً الوارد ذكرها في حديث رسول الله ﷺ:

«إنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يارسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» [(١)].

فجماعة الصحابة المحبوبون لدى قلوب أهل السنة والجماعة فوقَ كل شبهة وانتقاد.

على هذا فهم- الصحابة- يستحقون أن يكونوا موضع الحب والتقدير والاتباع دونما استثناء، فضلًا عن أن يكونوا هدفًا للتخطئة والتغليط. نعم يجوز أن يكون للعلماء الراسخين حق الاختيار والترجيح فيما يتعلق بأقوال الصحابة

غرضًا من بعدي ؛ فمن أحبهم فبحبي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه (رواه الترمذي، أبواب المناقب، باب ما جاء فيمن سبّ أصحابَ النبي ﷺ).

(١) رواه الترمذي في أبواب الإيمان باب افتراق هذه الأمة.

المختلفة، وشتان ما بين الترجيح والتخطئة. فهم يعتبرون أقوالَ الصحابة كلهم دونما استثناء صحيحةً صادقةً، ثم يرجحون بعضها على بعض من أقوالهم المتعارضة – إذا مسّت بهم الحاجة إلى ذلك – ويقفون منها الموقفَ الذي يقفونه من الأحاديث المتعارضة.

٢- احترام الشخصيات الإسلامية المتلاحقة

وكذلك ينظرأهل السنة والجماعة بكل أدب واحترام إلى الشخصيات الإسلامية المتلاحقة التي ظهرت فيما بعد عهد الصحابة -رضي الله عنهم- متشربة للتراث الديني المتوارث منهم – رضي الله عنهم – كالراسخين في العلم، والمجتهدين من الأئمة، والعلماء الربانيين، والمشايخ الحقانيين. ويعتبرون واضعين في الاعتبار تعليمها وتربيتها لكونها متشربة لروح تعاليم الصحابة وصحبتهم ومعيتهم، يعتبرون ذوقها ومزاجها الديني أساسًا فيما يتصل بالرواية والدراية، فلا يتعدون إطار اتّباعها.

وذلك أيضًا يدل دلالة واضحة على أن ذوقهم ومذهبم جامع للسنة والشخصية، وجامع للرواية والدراية، وجامع للعقل والحب؛ ولذلك سُمُّوْا بأهل السنة والجماعة، وكانوا فرقة ناجية من بين الفرق الثلاث والسبعين؛ حيث إن صلتهم تنتهي بالسند المتصل مارة بالصحابة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ دونما انقطاع؛ مما يؤكد أن هذه الفرقة ليست وليدةً أحدثتها النظريات المعاصرة شأن الفرق الأخرى.

٣- لقبهم ثابت بالحديث والأثر

ثم إن لقبهم: «أهل السنة والجماعة» ثابت بالأحاديث والآثار، منها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- المذكور آنفًا، وهو: «إنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يارسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

ففي هذا الحديث إنما جعل النبي ﷺ أمرين معيارًا لمعرفة الحق والباطل من بين الثلاث والسبعين فرقة في الأمة، هما «ما» و «أنا و أصحابي». و في «ما»

إشارة إلى السيرة النبوية والدستور النبوي والأسوة النبوية التي كان هو وأصحابه قائمين عليها. ومن الواضح أن «السنة» إنما هي عبارة عن السيرة النبوية والأسوة النبوية اللتين عمل بهما هو ﷺ وأخذ بهما أصحابه. فكلمة «ما» هي عنوان لـ «السنة» التي هي أول جزء من لقب الفرقة الحقة. أما كلمة «أنا و أصحابي» فمن الواضح أن المراد بها الشخصيات المقدسة التي في طليعتها شخصية النبي ﷺ، فشخصيات أصحابه، فلا يمكن أن يراد بـ «أنا و أصحابي» إلا «الجماعة» التي هي جزء ثان من لقب الفرقة الحقة. ومجموع الجزئين هو« أهل السنة والجماعة» .

وقدجاء هذا اللقب مصرَّحًا في الأثر الذي ساقه جلال الدين السيوطي المتوفي ٩١١هـ في كتابه «البدورالزاهرة» في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمرآن، الآية: ١٠٦] نقلًا عن اللالكائي وابن أبي حاتم: «عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال تبيَضُّ وجوه أهل السنة والجماعة وتسوَدُّ وجوه أهل البدع والضلالة»[1].

فالجماعة التي تحتوي على عنصري « السنة» و«الجماعة» الأساسيين، وتتصل بالقرن الأول بالسند المتصل، وتتمتع بتوثيق النبي ﷺ المتسلسل، وشهد بها الصحابة، إنما تكون هي الفرقة الحقة، وهي التي تستحق أن توصف بالقدم والأصالة. ولا تستحق ذلك أبدًا جماعات وطوائف مستحدثة نشأت كفيض الساعة وسانحة الوقت، وانقطعت عن أحد من العنصرين. ومن هنا فالطائفة التي تشذُّ عن الطائفة الحقة هذه، هي التي تُعَدُّ مثيرة للخلاف. أما الطائفة التي لا يقوم أساسها على خلاف أو شقاق فلا تُعَدّ مشاقّة مُتَبَنِّيَةً للخلاف والشتات. ولذلك عُدَّ الإيمان كإيمان الصحابة مقياسًا للإيمان، الأمر الذي يبين وجوب طاعتهم واتباعهم:

﴿فَإِنْ آمَنُوْا بِمِثْلِ مَآ آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا، وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِيْ شِقَاقٍ، فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ وَ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ، صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَّ نَحْنُ لِهُ عَابِدُوْن ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨].

وخلاصة القول أن الحديث والأثر المذكورين يؤكّدان بما لا مزيد عليه أن

(١) تفسير الدر المنثور٢/ ١١١.

طائفة «أهل السنة والجماعة» طائفة أصيلة قديمة اسمًا ورسمًا، وصورة وحقيقة، وذوقًا و مذهبًا، ولونًا وصبغةً. وهذه الطائفة جزء أصيل من الإسلام تَمَثَّلَ فيه الإسلام منذ يومه الأول. وبذلك فإنها قد وُجِدَتْ في القرن الأول، وفيه وُضِعَ لقبه وعنوانه المذهبي، وفيه عُرِف هذا اللقب وشاع و ذاع حتى وجد في بعض الآثار مصرَّحًا به، وذلك دليل قاطع على قدمها وأصالتها، وعلى أنها لم تُوجَدْ وليدةً للنظريات الطارئة في القرون اللاحقة، حتى تُتَّهَمَ بحداثة أو ابتداع أو زيغ وانحراف. وإنما الثابت المجزوم المسلَّم به أنّ الفرق الأخرى هي التي وُجِدَتْ شاذَّة عنها ومضادة لها وقائمة على العداء لها.

٤- التمسك بالعدل والاعتدال

ثم إن لقبهم هذا ينبئ عن العدل و الاعتدال، والبعد عن الإفراط والتفريط، وقد جعل الله غرض الإسلام العدل والقسط حيث قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيْزَانَ لِيَقُوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] على هذا فهم مظهر أتمُّ للإسلام بالنسبة للغرض الأساسي للدين.

إن الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تبين أن الإسلام يودُّ أن يتبنَّى أتباعه العدل والاعتدال في كل من العبادات والمعاملات، والسيرة والأخلاق، وأن يجتنبوا الغلو والمبالغة والتشدد والتطرف. وإنّ هذا الغرض نفسه يتبنَّاه أهل السنة والجماعة، الذين تجري في جميع مبادئهم وأصولهم وفروعهم، وكلياتهم وجزئياتهم، روح العدل والاعتدال اللذين إنَّما يُوْجَدان بالجمع بين عنصري الهداية: الكتاب والشخصية؛ ذلك الذي تتجرد منه جميع الطوائف غير طائفة أهل السنة والجماعة، التي تزهد في أحد العنصرين أو كليهما.

ومن هنا فيجوز أن يقال: إن ما جاء في الحديث النبوي أن الطوائف الاثنتين والسبعين كلها في النار وأن واحدة من الثلاث والسبعين فرقة التي تفترق عليها الأمة، ناجية من بينها، هي فرقة أهل السنة والجماعة المُعَبَّرَة بـ«ما أنا عليه وأصحابي» [١].

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٩٢-١٦٣.

خلاصة البحث

١- أن أهل السنة والجماعة يجمعون بين القانون والشخصية؛ على هذا فهم يتمسكون بكتاب الله و سنة رسوله ﷺ وسنة أصحابه رضي الله عنهم، ويحبون النبي ﷺ وأصحابه ويُعَظِّمُونهم ويعتبرونهم معيارًا للحق في فهم مرادات الكتاب والسنة. كما يحبون ويحترمون جميع من ساروا على نهجهم من التابعين والأئمة المجتهدين والمحدثين والعلماء الراسخين والمشايخ الربانيين.

٢- وأن لهم انتماءً مستمرًا متسلسلًا مارًا بالفقهاء والمحدثين والعلماء الراسخين والصحابة الكرام إلى النبي ﷺ.

٣- لقبهم هذا ثابت بالحديث والأثر، ومعروف في العهد الإسلامي الأول، وليس مستحدثًا في العصورالأخيرة كألقاب الفرق والطوائف الأخرى. وهذا اللقب: لقب أهل السنة والجماعة، هو الذي كان من شأنه أن يُبدِيَ جامعية الفرقة الحقة وشمولها واعتدالها ومزاجها الديني الذي تكون لديها من الجمع بين الكتاب وشخصية معلم الكتاب.

٤- وأنهم معياريعرف به حقيَّة وبطلان الفرق والجماعات الأخرى التي نشأت وتنشأ إلى يوم القيامة؛ لأنهم المراد في الحديث: «ما أنا عليه وأصحابي» المعبر عنه بالفرقة الناجية.

٥- وأنهم يتمتعون بالاعتدال والوسطية، ويبتعدون كلَّ الابتعاد عن الإفراط والتفريط والغلو والمبالغة. وهم يمثِّلون أمة وسطًا كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة، الآية: ١٤٣].

***

علماء ديوبند

يعضُّون بالنواجذ على مذهب أهل السنّة والجماعة

إنَّ علماء ديوبند يمثِّلون أهل السنة والجماعة، ويسيرون على مذهبهم وفكرهم، ويتمتَّعون بجميع مزاياهم وخصائصهم، ولايحيدون قيد أنملة عن منهجهم في شعبة من شعب الدين.

فما يتميز به أهل السنة والجماعة من الجمع بين القانون –الشريعة– وبين الشخصيات، والاهتمام بفهم مرادات الكتاب والسنة من خلال درس وتدريس الأساتذة الثقات دون الاعتماد على الرأي الشخصي، والاعتناء بتحقيق استقامة الفهم وتزكية القلب عن طريق ملازمة المربين الثقات ومعاشرتهم وفي ضوء توجيهاتهم وإرشاداتهم، والتعلق في شعبتي العلم والأخلاق بصاحب الشريعة -عليه الصلاة والسلام- من خلال السند المتصل، واحترام السلف والتأدُّب معهم والاعتراف بعظمتهم فيما يخص الشعبتين، كل ذلك مبادئ تُشَكِّلُ بمجموعها مذهبَ أهل السنة والجماعة. وإن علماء ديوبند يعضُّون بالنواجذ على هذا المذهب بالذات دونما نقص وزيارة.

وفيما يلي ملامح بارزة على اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي:

١- الإسناد والتوارث في الدين

إن علماء ديوبند يقولون بالتوارث في الدين، ويُعنَون بالإسناد في شأنه اعتناء بالغًا، فهم لا يعتنون بأسناد القرآن والحديث فحسب؛ بل إنهم لا يقبلون كتب بقية العلوم والفنون الدينية كذلك إلا إذا كانت مُسْنَدَةً، حتى الكتب الأساسية في الفقه والكلام لا تُعْتَبَرُ إلا مسندة يتصل نسبها بأئمة الفقه والكلام

الثقات. وبلغوا في الاهتمام بهذا الجانب أنهم لا يعتدّون بكتب التزكية والإحسان الأساسية أيضًا إلا إذا كانت ذات سند؛ على حين أنها لا تتعلق بأحكام الحلال والحرام الظاهرة، وإنما تتعلق بأحكام إصلاح الباطن، التي لا علاقة لها مع قضاء القاضي أو موضوع الحكومة أو ما تقوم عليه الشؤون الدنيوية؛ بل إن ذوقهم ومزاجهم المذهبي هو الآخر متصل بالصحابة الكرام وصاحب الشريعة - عليه الصلاة والسلام- بسند متصل.

والشعبة الأولى وهي (العلم والتعليم) لا يمكن أن يتحقق – في الأغلب – فيها السند والاستناد وصحة الذوق وسلامة الفهم للمرادات الربانية وإنزالها في مواضعها الصحيحة، إلّا عن طريق الدراسة والتدريس والتربية والتمرين. فلو أخذنا من شعبة العلم علم الكتاب والسنة لوجدنا أن أساسه أيضًا إنما جُعِلَ الدراسةَ والتدريسَ؛ فحينما استنكر القرآن الكريم إعجابَ اليهود برأيهم وتقديس النصارى للشخصيات، وأمرهم أن يكونوا علماء ربانيين، فلم يجعل الطريق إلى الربانية مجرّد قراءة الكتاب أو مطالعةَ الأوراق، وإنما جعلها – الطريق إلى الربانية – الدرس والتدريسَ، فقال:

﴿وَلَكِنْ كُوْنُوْا رَبَّانِيِّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

يقول العلامة الخازن [علي بن محمد علاء الدين المتوفى ٧٤١هـ/ ١٣٤١م] في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل» المعروف بـ«تفسر الخازن» في تفسير الآية:

«أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب، فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا»(١).

مما يوضح أن «الربانية» إنما تتأتّى عن طريق الدراسة والتدريس والتعليم، ولا تتحقق بمجرد تصفّح الأوراق ومطالعة الكتب.

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٦٦٧.

ومن البين أن الدرس والتدريس والتعليم والتربية أمور إنما تتعلق بالشخصية وتتوقف عليها، ولا يمكن أن تتحقق بمجرد معالجة الأوراق وفي غنًى عن الأستاذ المربي ومصاحبته وتمرينه وترويضه. فقد كانت أوراق الكتاب من قبلُ بيد اليهود وكانوا يقرؤونها؛ ولكنهم كانوا محرومين من تعليم المعلمين وتربيتهم، وكانوا قد اقتصروا على قوة الدراسة منصرفين عن الشخصيات المقدسة، ممَّا جعلهم يشِبُّ زيغُهم النفسي. ومن ثم قال التابعي الجليل الإمام ابن سيرين [أبوبكر محمد المتوفى ١١٠هـ/ ٧٢٩م]: «هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» [١].

وإذا كانت الحال هذه فإنه سواء أكانت المسائل المُسْتَمَدَّة من مجرد ألفاظ النصوص أو المستقاة من مجرد إعمال التفكير – الذي يكون لا دخل فيه لتربية المربين أو تعليم المعلمين، ولا للذوق المُتَوَارَث والتهذيب الفكري – فإنه لا يعود هناك طريق لفهم المرادات إلا تخيل النفس غير الحظيّة بالتربية، الأمر الذي ليست له أيُّ قيمة فيما يتعلق بالدين. حتى لم يستثن الله عز وتبارك شخصَ النبي ﷺ أيضًا من هذا الأسلوب للتعليم، وإنما قام تبارك و تعالى بنفسه بتعليمه؛ حيث قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وإذا كان الأمر كذلك فإن أمته كانت أحوج ما تكون إلى ذلك، فجعل هذه الطريق نفسها لأمته، فقال: «إنما بُعِثْتُ معَلِّمًا» [٢].

وجملة القول أن تحصيل العلم في مذهب أهل السنة والجماعة المُتَّبَع من لدن

(١) مقدمة صحيح مسلم، ج١، ص٧٨، باب بيان أن الإسناد من الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) والحديث بكامله كما يلي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره، فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين، إحداهما يقرؤون القرآن و يدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلّمون . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كل على خير، يقرؤون القرآن ويدعون الله ؛ فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم. وهؤلاء يتعلمون ويعلّمون، وإنّما بُعِثْتُ مُعَلّمًا، فجلس معهم. (رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب (٣٨) فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ١٠) .

النبي ﷺ، إنما يتوقّف على العالم المربّي الثبت المسند، ولا يتعلق بمجرد أوراق الكتاب. ولذلك فإن علماء ديوبند كذلك اتّخذوا تعليم و تدريس المعلمين الثقات أساسًا تعليميًّا لهم، سالكين في ذلك مسلكَ أهل السنة والجماعة. واختيارًا منهم لأسلوب أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالتعليم، أقاموا شبكة من آلاف المدارس الإسلامية في داخل البلادوخارجها، تلك التي لا تقوم على الخطابة والوعظ فقط، وإنما تقوم على الدراسة والتدريس.

٢- التزكية والتربية

أما تطهير الأخلاق وتزكية القلوب فقد جعل في شأنه علماءُ ديوبند التزكية والتربيةَ مبدءًا أساسيّاً. والمنهج المتبعُ في ذلك هو توجيه المربي، وتقوى الله، والمجاهدة في العبادة، وترويض النفس عليها، حيث لا يمكن بدون ذلك أن تترسَّخ في القلوب الكراهيةُ تجاه الكبائر والصغائر، والرغبةُ في الطاعات والعبادات.

فعلماءُ ديوبند أيضًا اعتمدوا فيما يتعلق بإصلاح الأخلاق وتزكية النفس على أسلوب التزكية والتربية، وخرّجوا مشايخ ربانيين عملوا على تعميم «الإحسان» الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، وذلك عن طريق التزكية والتربية، وبذلك فقد استطاعوا القيام بإصلاح قلوب الآلاف من الناس.

وكما هو المعلوم أن هذين القسمين: العلم والأخلاق أو فقه الظاهر وفقه الباطن، أوجِبَ في شأنها صحبةُ الصلحاء ومعيّةُ الأتقياء؛ حيث لا يُتَصَوَّرُ أن تعود بدون ذلك المفاهيمُ والمراداتُ العلميةُ جزءًا من الذهن الإنساني، وأن تثبت الأخلاق الظاهرة والقيم المثلى في القلوب، وأن تتكيف الروح مع الأحوال الطيبة والخواطر الصادقة. ومن الواضح أن هذا الغرض لم يكن ليتحقق بمجرد الفتوى ما لم تصاحبها التقوى التي لم تكن لتكون فاعلة ما لم تعاضدها صحبة الصديقين؛ ولذلك فقد قرن القرآن الكريم الأمر بالتقوى مع الأمر بصحبة الصادقين، فقال:

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوا اللهَ وَ كُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وجملة القول أنه سواء أكان تحصيل العلم أو تكميل الأخلاق، إن الإسلام

يطرح الاتّصال في الإسناد من العلماء الربانيين فيما يتعلق بالعلم وصحبة الصالحين وإصلاح الأخلاق، يطرحه كحجر للزاوية. ولذلك فقد انصَبَّ اهتمامُ علماء ديوبند أيضًا فيما يتصل بتعليمهم فقه الظاهر وفقه الباطن على التقوى الداخلية وصحبة عباد الله الصالحين الخارجية، وذلك اتّباعًا منهم للسلف الصالح.

ومجموع هذه الأمور الأساسية هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي يأخذ به علماء ديوبند بشكل متكامل؛ بل يصح أن يقال: إنهم بدورهم أهل السنة والجماعة اسمًا و رسمًا، وصورةً وحقيقةً، وعلمًا و عملًا، وذوقًا ووجدانًا. فلا حاجة إلى شرح اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي بشكل مستقل؛ بل إن ما أسلفناه من الاتجاه الديني والمزاج المذهبي لأهل السنة والجماعة في الصفحات الماضية، وما دل على أسسه الكتابُ والسنة، هو نفسه تفصيل للمزاج الديني لدى علماء ديوبند.

فهم – علماء ديوبند – ليسوا من أهل السنة المزعومين الذين ولدتهم الحوادث والسوانح أو الطقوس والتقاليد الرائجة المُبْتَدَعَة، ولا يحملون دستورًا سماويًا؛ وليسوا فرقة متحررة لا يشرف عليها المعلّمون الثقات والمربون المهذبون، فيكونون لا يستندون إليهم ولا يصدرون عنهم؛ بل إن ذوقهم وعملهم، وهيئتهم العملية، كل ذلك يُوْجَد لديهم متوارثًا متصلًا بالنبي الكريم ﷺ مارًا بالسلف الصالحين فالرعيل الأول من الأمة.

ومن أجل تشاغلهم الدائب المستمر بعلوم الكتاب والسنة تعلمًا وتعليمًا وفهمًا وتنزيلًا وتطبيقًا، تَوَلَّد لديهم الشعُورُ القويّ بما يرضاه الله وما لا يرضاه، وبالحلال والحرام، وبالمكروه والمستحب، وبالسنة والبدعة، وبالتوحيد والشرك، وحصلوا على العلم المُفَرِّق بين ما يصح وما لا يصح. الأمر الذي لم يكن ليُوْجَد بدون التقوى:

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وفي جانب آخر أكسبتهم ملازمة الشخصيات المربية الصالحة، وحبُّهم والإعجاب بهم، والتربي عليهم، والصدور عن تهذيبهم وتثقيفهم، عواطفَ فائضةً

من الحب: الحب لله ولرسوله وللصحابة وأهل بيت الرسول والأئمة المجتهدين و أولياء الله والعارفين به والعلماء وحكماء الإسلام. الأمر الذي لم يكن لِيُوْجَدَ بدون المداومة على الذكر والتفكير في جانب الآخرة، والإنابة إلى الله، والانصراف إلى كتاب الله، وسنة رسوله تعلمًا وتعليمًا و نشرًا و تعميمًا، أي عندما يكون الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿اَلَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَامًا وَّ قُعُوْدًا وَ عَلَى جُنُوْبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٣- الاعتدال والوسطية

وإلى جانب ذلك أكسبهم الجمعُ بين الكتاب والشخصية، أي بين عنصري الهداية كليهما، الاعتدالَ والاتزان وسعة الأخلاق.

إن حبَّهم للشخصيات الصالحة زوّدهم بالتواضع لله وإنكار الذات. الأمر الذي حال دونهم ودون الغلو والاستكبار والغرور يتسرَّب إليهم. أما العلم بالكتاب والسنة فقد أكسبهم المعرفةَ بالحدود والمراتب والمراكز، مما أثار فيهم الإباءَ والاعتدادَ بالنفس، فتفادَوا من الذل النفسي لصالح الخلق والعبودية لغير الله تعالى. وعلى ذلك فهم – علماء ديوبند- ليسوا متورِّطين في الشبهات التي كانت دائمًا فتنةً للعلماء، والتي أوقعت اليهود في الكبر والاستعلاء والجحود والنكران، وبالتالي جعلتهم مغضوبًا عليهم. وليسوا مُسْتَعْبَدِيْن للشهوات والأهواء التي كانت دائمًا فتنة للعاملين، ومؤدية إلى البدع والمحدثات؛ وبالتالي إلى الشرك، والتي جعلت النصارى عبيدًا للشخصيات المقدسة فانتهوا إلى الضلال؛ بل إنهم تجنبوا طرفي الغلو كليهما، وصاروا جماعة حقيقية لأهل الحق، لا يصح أن يُطْلَقَ عليها إلّا «أهل السنة والجماعة».

إن علماء ديوبند يتجنبون جانبي الإفراد والتفريط، فهم يحملون قانون الشريعة أي الكتاب والسنة والفقه الناشئ منهما، ويحملون قانون الإحسان والتزكية والتربية التي يقوم بها أشخاص المربّين من العلماء الربانيين الصالحين.

وعلى ذلك فهم يتمتعون بالطريق وبهداة الطريق وبالصراط وبـ «الَّذِيْنَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» وبسبيل الإنابة وجماعة المنيبين. وباجتماع العنصرين استقرَّت قلوبهم على الاستقامة، فتوصّلت إلى مرتبة «القلب السليم» وتمتعت نفوسُهم بالتعليم والعلم بالأحكام، وبمعرفة ذات الله تعالى وصفاته، وحب الله عز و جل والخشية منه.

وعلى ذلك فاتّجاهُ علماء ديوبند الديني أو مزاجهم المذهبي إنما تَشَكَّلَ باجتماع «السنة» و «الجماعة»؛ ولذلك فتسري روح الاعتدال والتوسط في جميع أحوالهم وكيفياتهم من المُعْتَقَدَاتِ والعبادات، والأخلاق والمعاملات، والسياسيات والاجتماعيات.

ومن ثمَّ فبموجب مذهبهم المركب من «الشخصية» و«القانون» لم يكن منهجهم في فهم مرادات الكتاب والسنة ذلك المنهجَ الذي عم اتباعُه في هذا «العصر الجاهلي » حيث قد نهض المُثَقَّفُوْنَ المزعومون والمفكرون المزعومون ليتخذوا منهجًا لفهم مرادات الكتاب والسنة حسب هواهم.

إن علماء ديوبند لا يعتمدون في فهم نصوص الشريعة على الرأي، ولا على مجرد التضلُّع من اللغة العربية، ولا على التقاليد والأعراف، ولا على الأساطير والحكايات، ولا على نظريات العصر ومُقْتَضَيات الزمان، وإنما يعتمدون على التعليم والتربية القائِمَيْن على العنصرين الأساسيين: الكتاب والسنة، والمعلم المربي، الذكي القلب، الثاقب النظر، الزكي الفؤاد، مع الشرطين الهامين، وهما: الإسناد والنفسيّة التي هذّبتها التربية المُتَوَارَثَة، كما يتمثَّل ذلك في أن الصحابة تعَلَّموا الكتاب والسنة من النبي ﷺ وأن التابعين تعلّموهما من الصحابة، وأن أتباع التابعين تعلّموهما من التابعين، وأن الأجيال اللاحقة أخذتهما ممن سبقها بشكل مُتَوَارَث وبإسناد غير منقطع وبسلسلة متصلة، وكسبت فيما يتعلق بفهم القرآن والحديث، بصحة من فوقها وتربيتهم، ذلك الذوقَ المُتَوَارَث الذي كانوا يمتازون به، وعن تعليمهم وتربيتهم تلقَّوا مرادات الكتاب والسنة المقررة من عند الله تعالى. وتلك هي الطريقة التي لا يزال يتوارثها الخلف عن السلف بالسند

العلمي والعملي، ومن خلالها ظلت تُرَسَّخُ في الأذهان المراداتُ المُتَوَارَثة المنتقلة من الله إلى الرسول ﷺ، ومنه إلى الصحابة، ومنهم إلى التابعين، ومن أتباع التابعين إلى الأجيال التالية المتلاحقة لحد اليوم. ولم يكن بالإمكان أن تكسب الأذهانُ أهليةَ هذا الانصباغ وتلقّي هذه المرادات المأثورة من خلال مجرد الورق، أومجرد الدراسة، أو الأعراف والتقاليد، أوالظروف الموقتة، والملابسات الحاضرة، أو النظريات التي يطرحها الزمان، أو اللغة والأدب، أو الأساطير والقصص، ما لم تتمتَّع بتربيةوصحبة الشخصيات المتذوقة للشريعة، المتشرِّبة لروح الدين.

ومن الحقيقة الجلية أن الهداية الحاصلة من اجتماع العنصرين، ستكون مُنَزَّهَةً من الإفراط والتفريط، قائمةً على الاعتدال. ومن الطبيعي أن المهتدين بها سيتمثّل فيهم الاعتدالُ الذي يؤدي أولًا إلى تجردهم كليًا من العنصر الفاسد للعصبية الجاهلية.

ومن ثم ظل علماء ديوبند المتلقّون للتربية عن هذه الطريق ممتازين بنزاهتهم، من حيث المجموع، من خصائل الجاهلية تلك، وظلوا دائمًا على مستوى مثاليّ من الاعتدال والتوازن، مسالمين مع الجميع، بعيدين عن التورط في النزاع القائم على التعصب مع الطوائف الإسلامية، وإنما ظلوا ينظرون إليها نظرةَ الأخوة والمسالمة، ولم يزالوا يَسْعَوْنَ لجمعها على نقطة من الاعتدال.

نعم؛ ولكنه لئن وُجِدَ من تحامَلَ بسوء الأدب على مذهب الاعتدال لأهل السنة والجماعة، أو أساء الأدب مع السلف الصالحين أوالأئمة، أو تجرّأ على تخطئتهم، أو اصطنع ممشىً بجانب جادّتهم؛ فإنهم إذًا لم يلازموا السكوت، وإنما نهضوا للدفاع عن ذلك بشكل موضوعيّ جادّ مُعَضَّدٍ بالدلائل. ولكنه لا يجوز أن يُوْصَفَ موقفهم ذلك بالنزاع أو بـ «العصبية» أو «حمية الجاهلية» وإنما الواجب أن يوصف بـ «دفع النزاع» أو«محاربة الشقاق»؛ لأنهم امتثلوا ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فلا يخدش ذلك كونهم مسالمين مع جميع الطوائف؛ لأن تأريخهم الممتدّ على أكثر من قرن و خمسين عامًا دليل ناطق على ذلك.

٤- الشمول والجامعية

ثم إن مذهب علماء ديوبند مذهب جامع شامل للشعب الدينية العلمية والعملية كلها، وللشخصيات الإسلامية بجميعها؛ لأن لقب أهل السنة والجماعة يدل على الشمول والجامعية، فكل ما تكوّن ضمن «السنة» من شُعَب الدين بفضل السيرة النبوية هو عناصر مذهب علماء ديوبند، فجميعُ الشعب من الفقه والحديث والتفسير والرواية والدراية والحقائق والحكمة والأصول وفن التزكية والإحسان والكلام والسياسة، إنما هي كلها تأتي ضمن السنة وأجزاءً منها. وقد أخذ بها علماء ديوبند دونما تغيير فيها واتخذوها عناصر لمذهبهم.

أما «الجماعة» فكل من وُجِدَ بفضل الصحبة النبوية من الشخصيات العظيمة من الصحابة فالتابعين فالأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين في العلم ضمن تلك الشُعَب، احترامُهم جميعًا – مع مراعاة الفرق بين مراتبهم – واتّباعهم و تعظيمهم والتأدب معهم هو روح مذهبهم.

لقد ظهرت في الإسلام طوائف مختصة كان لها اختصاص وبراعة وتعمق في شعبها وفنونها، فسُمِّيَتْ كل منها بأسماء شعبها. نحو المتكلمين والفقهاء، والمحدثين والمجتهدين، والأصوليين والحكماء، والقائمين بالتربية والتزكية. وقد نبغ في هذه الطوائف كلها رجال في شعبهم وفنونهم وعاشوا بها وفيها ولها، حتى عادوا أسماءً على مُسَمَّيات هذه الفنون، وعاد من الصعب الفرق بينهم وبين الفنون التي نبغوا فيها واختصوا، حتى عادوا حججًا مقبولة ودلائل معتمدة في الدين، واعتُبِرُوْا أئمة في فنونهم، لمواهبهم ومآثرهم التي قاموا بها في تلك العلوم والفنون، كأئمة الاجتهاد: أبي حنيفة نعمان بن ثابت التيمي الكوفي المتوفى عام ١٥٠هـ، ومالك بن أنس الإصبحي الحميري أبي عبد الله المتوفى عام ١٧٩هـ، والشافعي محمد بن إدريس الهاشمي القرشي المطلبي أبي عبد الله المتوفى عام ٢٠٤هـ، و أحمد بن محمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني الوائلي المتوفى عام ٢٤١هـ وغيرهم رحمهم الله، وكأئمة الحديث: البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وغيرهم رحمهم الله.

وكأئمة الدراية والتفقه: أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني والمزني وداود الطائي والزعفراني وابن القاسم وابن وهب وابن رجب وغيرهم. وكأئمة الحكمة والحقائق: الرازي والغزالي والشاطبي والشاه ولي الله الدهلوي وغيرهم. وكأئمة الأصول: فخر الإسلام البزدوي والعلامة الدبوسي وغيرهما. وكأئمة الإحسان والتزكية: الجنيد والشبلي ومعروف وبايزيد وغيرهم رحمهم الله.

هذه الفنون والشعب وغيرها التي نبغ فيها رجال سعداء، بجهودهم وصل الدين والعلوم الدينية إلينا، فهؤلاء الأعلام البررة كلهم احترامُهم واجب في مذهب علماء ديوبند، وكذلك هم مراجع في فنونهم ونواحي اختصاصهم لدى علماء ديوبند.

فكما أن علماء ديوبند يرجعون إلى هذه الشعب كلها رجوعًا مُوَحَّدًا ولا يقتصرون على إحدى منها ولا يتشاغلون بها عن غيرها. فمثلًا لا يأخذون بشعبة التزكية والإحسان وحدها، حتى ينبذوا وراءهم الحديث، أو لا يأخذون بالحديث وحده، حتى يستغنوا عن الكلام وشعبة التزكية والإحسان، أو لا يأخذون بالفقه وحده، حتى ينصرفوا إلى الحقائق والأسرار، ولا يصنعون عكس ذلك، حتى يتشاغلوا عن الفقه وجزئياته. فهم يأخذون بجميع هذه الشعب بشكل سواء.

كذلك فهم يثقون برجال هذه الشعب المختصين فيها ويحترمونهم احترامًا متساويًا؛ لأن كلًا منهم ينتمون إلى شخص النبي ﷺ من جهة أو أخرى، ويقتبسون النور من سراج النبوة الوهاج.

فكل من رسول الله مقتبس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

فكونُ علماء ديوبند محدّثين لا يعني أبدًا أنهم لا يُلِمُّوْن بالفقه، أو كونُهم فقهاء لا يعني أنهم لا يُعْنَوْنَ بالحديث، أو كونُهم أصوليين لا يعني أنهم يحتقرون رجال التزكية والإحسان، أو كونهم رجال التزكية والإحسان لا يعني أنهم لا يقيمون وزنًا للمتكلمين. وذلك أن هؤلاء الأشخاص كلهم خلفاء للنبي ﷺ باعتبار من الاعتبارات ومتبعون لآثاره ﷺ. كمثل الصحابة الذي كان فيهم

رجال من كل نوع ومن كل لون؛ ولكنهم جميعًا كانوا على مكانة مرموقة في تبادل التأدب فيما بينهم واحترامهم بعضهم للبعض.

فكما أن جميع شعب الدين هذه: العلمية والعملية واجبة الاعتبار والأخذ، كذلك شخصياتُها كلها واجبة الثقة والإعجاب والاحترام؛ ولذلك فإن حبها جميعًا واحترامها معًا أساسٌ أهمُّ من أسس مذهب علماء ديوبند؛ لأن هذه الجامعية هي التي كانت مُتَّبَعَةً لدى الصحابة رضي الله عنهم، وهي التي كانت مذهبًا لديهم عن طريق اتباعهم لنبيهم ﷺ، أي أنهم بجانب اتباعهم لجميع السنن النبوية وأخذهم بجميع شعب الدين أجادوا احترام الأشخاص، و وَقَّر بعضهم بعضًا. وهذه الطريق نفسها طريق الجامعية، سلكها أهلُ السنة والجماعة الذين اختير لقبهم هذا «أهل السنة والجماعة» من عند النبي ﷺ، حتى تتجلى جامعية مذهبهم وأعمالهم باللقب هذا وحده.

وهذه الطريقة الجامعة هي التي وصلت كابرًا عن كابر إلى الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ « الشاه ولي الله الدهلوي» وهذه الطريقة الجامعة – التي اتّبعها الصحابة ومن بعدهم – هي التي انتهت إلى علماء ديوبند مارّةً به – الشاه ولي الله الدهلوي – وأصبحت هي شعارًا لهم ورمزًا على شخصيتهم وهويتهم [(١)].

خلاصة البحث

خلاصة القول أن علماء ديوبند يعضُّون بالنواجذ على مذهب أهل السنة والجماعة، فهم- علماء ديوبند- يجمعون بين القانون (الشريعة) والشخصيات (شخصية النبي وأصحابه ومن ساروا على نهجهم) ويعتمدون في فهم مرادات الكتاب والسنة على المعلمين الثقات، وفي التزكية والإحسان على المربين الثقات، ويهتمُّون أن ينتهي نسب هؤلاء المعلمين والمربين علمًا وعملًا وذوقًا ومزاجًا مارًّا بالصحابة إلى النبي ﷺ.

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي ملخصًا: ١٦٤- ١٩٢.

على هذا فهم يعنون بالإسناد في كل شيء، في الأساتذة ورجال التزكية والإحسان، وفي الكتب والمؤلفات، وفي الذوق والمزاج والمنهاج، كلُّ ذلك يجب أن يكون متصل الإسناد بصاحب الشريعة ﷺ وأصحابه والشخصيات الثقات.

فإسنادهم في الحديث ينتهي مارًا بأسرة الإمام ولي الله الدهلوي فمن قبله إلى النبي ﷺ. و لما كان علم الكتاب والسنة يتمُّ فيه السند والإسناد عن طريق الدرس والتدريس، فهم يركِّزون عنايتهم على الدرس والتدريس اللذين هما الطريق إلى الربانية حيث قال تعالى آمرًا اليهود أن يشتغلوا بالدرس والتعليم ويكونوا علماء ربانيين: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ولمّا كان الدرس والتدريس لايتمُّ إلا عن طريق الرجال والشخصيات فهم يراعون في ذلك أن يكونوا علماء ثقات متصلي الإسناد. فالمعتبرعندهم العلم الذي تمَّ تلقّيه على أمثال هؤلاء العلماء. كما قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

ولذلك ركَّزوا عنايتهم على التعليم والتدريس ونصبوا شبكة واسعة للمدارس الإسلامية في طول البلاد وعرضها، لتخريج علماء ربانيين.

كما أنهم يعتمدون في شأن تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، والتربية والإحسان على المربين أولي السند المتصل بالنبيﷺ وأصحابه ومن جاء بعدهم.

ولذلك قد نبغ فيهم عدد كبير من المشايخ المربين الذين قاموا بإصلاح القلوب وتزكية النفوس، وإنشاء صفة الإحسان في قلوب الناس.

إنهم يجمعون بين السنة والجماعة ويتمسَّكون بالاعتدال والتوازن والوسطية، ويعاملون الطوائف الإسلامية معاملة الأخوة الإسلامية، ويتورَّعون عن التكفيروالتفسيق والتبديع. وأما إذا رأوا تحريفات في الدين أو انتحالات فيه فيتصدَّون للرد عليها أداءً لمسؤولياتهم، قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

جملة القول أن علماء ديوبند يأخذون بجميع شعب الدين العلمية والعملية التي نبعت من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، مثل التفسير والحديث والفقه والكلام والسياسة والتزكية والإحسان. كما يقومون بتوقيرواحترام جميع المفسرين والمحدثين والمجتهدين والفقهاء ورجال التزكية والإحسان الذين نبغوا في علومهم وفنونهم والذين وصل إلينا هذا الدين عن طريقهم.

وقد ورثواهذه الجامعية والاعتدال والاتزان والتوسط والتحفظ من مورثهم الأعلى الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي.

❊ ❊ ❊

علماء ديوبند

عقائدهم ومواقفهم في مسائل الدين

إن عقائد علماء ديوبند هي نفس عقائد أهل السنة والجماعة، فمن أراد أن يعرف عقائدهم فعليه أن يرى أي كتاب موثوق به من كتب عقائد أهل السنة والجماعة، فما جاء فيه من العقائد فهي عقائدهم، كـ «العقيدة الطحاوية» للإمام أبي جعفرالطحاوي، وهو مقرر دراسي في مادة العقيدة لديهم، أو يرى ما أَلَّفوا في العقيدة خاصة كـ «رسالة التوحيد» للشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، و«عقيدة الإسلام» للعلامة محمد أنورشاه الكشميري، و«عقائد الإسلام» للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، و«تعليم الإسلام» بالأردية للمفتي الأكبر كفاية الله الدهلوي، و«علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي» للشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي الرئيس الأسبق للجامعة، أوما تضمن ما أَلَّفوا من تفاسيرللقرآن وشروح للحديث، أوما تخلل كُتُبَ فتاواهم من مباحث عقدية.

فـ «العقيدة الطحاوية» للإمام أبي جعفرالطحاوي، و«شرح العقائد النسفية» للتفتازاني، و«تعليم الإسلام» للمفتي الأكبركفاية الله الدهلوي من المقررات الدراسية في العقيدة ضمن المنهج الدراسي في دارالعلوم بديوبند والمدارس الإسلامية التابعة لها.

وأما «رسالة التوحيد» فهي مرجعهم في الدعوة والإرشاد، وأما «علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي» فهويعطي صورة واضحة عن مذهبهم ومعتقداتهم واعتدالهم ووسطيتهم وكونهم من أهل السنة والجماعة.

وهنا يجب أن يوضع في الاعتبارأنَّ كل فرد من متخرجي هذه الجامعات ليس ناطقا بمذهب وعقائد علماء ديوبند، وأن كل كتاب من كتبهم ومؤلفاتهم

ليس في العقيدة، فالاستدلال بآراء وأعمال كل فرد منهم على عقائدهم، أو الاحتجاج بكل ما جاء في كتبهم -مهما كان في موضوع القصص والحكايات- على عقائدهم ومذهبهم خيانة علمية وظلم عظيم. فكتاب «المهند على المفند» في الحقيقة أجوبة عن أسئلة وجَّهها علماء الحرمين إلى علماء ديوبند، فقام الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بكتابة الأجوبة عنها.فالكتاب يتضمن بعض عقائدهم كما أنه يشتمل على تجارب شخصية لبعضهم في باب التزكية والإحسان. ففرق كبيربين العقيدة والتجربة الشخصية. والحق أن مسائل التزكية والإحسان لا صلة لها بالعقيدة، فعَدُّ التجارب الشخصية في باب التزكية و الإحسان عقائدَ مما ينافي مبادئ الأمانة والإنصاف.

كما أنَّ التمسك بكتب القصص والحكايات الغريبة التي لايعنى فيها بالصحة والتوثيق عمومًا أوإلباس نصوصهم معاني خاطئة للحكم عليهم بالشرك والكفر- كما فعل بعض الباحثين المعاصرين مثل صاحب الديوبندية شأنَ المبتدعة في شبه القارة الهندية الذين ثاروا عليهم- علماء ديوبند- لمجرد أنهم أنكروا عليها بدعهم و فساد عقيدتهم، ومغالاتهم في تعظيم الشخصيات، وتخطيهم برسول ﷺ حدود البشرية إلى حدود الألوهية- كلُّ ذلك ينافي الدراسة الأمينة، ويدل على التعصب البغيض وسوء النية وفساد الطوية.

إنَّ علماء ديوبند مازالوا عرضة للافتراءات الشديدة والانتقادات اللاذعة من قبل الفرق والطوائف ذات المغالاة في الدين عندنا في شبه القارة الهندية، مما أدى إلى سوء فهم وظن بهم لدى عامة العلماء العرب الذين لم يعرفوهم -علماء ديوبند- عن كثب أو عن كتب، فنرجو أمثال هؤلاء العلماء أن يقوموا بدراسة مذهب وعقيدة علماء ديوبند وخدماتهم من المظان الصحيحة حتى يكونوا علي بصيرة من مذهبهم وعقيدتهم.

وفيما يلي نذكر بإيجاز نبذة من عقائدهم ومواقفهم في مسائل الدين:

عقيدتهم في التوحيد

إن علماء ديوبند يرون أن أساس العقائد كلها هو عقيدة التوحيد، ويركزون عليها أشد التركيز، ويعضُّون عليها بالنواجذ ويدعون إليها، وذلك بشكل لايتطرق إليه شوائب الشرك ودواعيه. بجانب ذلك يرون أن حب وتعظيم صلحاء الأمة وأتقيائها وعلمائها وأعلامها الذين سبقونا بالإيمان والذين لهم خدمات جليلة في سبيل الدين- لاينافي التوحيد؛ لأن تحقيرالشخصيات والتجرء عليها والاستهزاء بها لايقتضيه التوحيد، وإنما هو غلو فيه. كما أن الغلو في حب الشخصيات وتعظيمها بشكل يُخِلُّ بالتوحيد أويشوبه شوائب من الشرك ليس حبًا وتعظيمًا بالمعنى الصحيح، وإنما هو استهانة صريحة بالتوحيد؛ فهم يذهبون في هذا الشأن مذهب الاعتدال والوسطية حيث يعظِّمون الشخصيات بشكل لايخدش التوحيد، ويتمسكون بالتوحيد بصورة لاتحول دون الحب والتعظيم[1].

عقيدتهم في النبي ﷺ

إنهم يعتقدون أن النبي المصطفى الأكرم محمدًا ﷺ هو أفضل الكائنات، وأفضل البشر، وأفضل الأنبياء، ولا يتجرؤون أبدًا حتى على استخدام أي كلمة ترمز من قريب أو بعيد إلى كونه ﷺ شيئًا فوق البشر، أو كونه مظهرًا للألوهية، أو مصداقًا لقدرة الله تعالى. ونعوذ بالله من هذه التصورات الباطلة كلها.

إنهم يعتقدون أن النبي ﷺ يجمع بين جميع الفضائل التي كان يتصف بها الأنبياء عليهم السلام على حدة، وأنه ﷺ كان عبدًا لله، ولا يستعينون في إثبات فضائله النبوية بالتجاوز به حدود العبودية إلى حدود المعبودية، ولا يرون جواز ذلك بشكل من الأشكال. إنهم يعتقدون أن إطاعته ﷺ فرضُ عين؛ ولكنهم يرون أن عبادته حرام الحرمةَ كُلَّها.

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ١٩٤- ١٩٥.

إنهم يعتقدون أنه أفضل البشر، وأكمل الناس أجمعين، وسيد الأنبياء والرسل؛ ولكنهم لا يعتقدون أنه كان – ونعوذ بالله من ذلك – يتمتع بخصائص الألوهية. إنهم يعتقدون أن ذكره ﷺ، والحديث عنه، ومدحه و الثناء عليه، واللّهج بفضله، نوعُ عبادة يثاب عليه العبد، ويزداد بذلك إيمانًا ويقينًا؛ ولكنهم لا يجيزون مبالغةَ النصارى وإطراءهم، ومزجهم حدودَ البشرية بحدود الألوهية.

إنهم يعتقدون بحياته ﷺ في البرزخ، ولكنهم لا يقولون بعيشه هناك كعيشه في الدنيا. إنهم يُقِرُّون أن حفظ إيمان الأمة اليوم كذلك إنّما يتم بفضل الله وقدرته، من خلال المنبع الإيماني الروحاني ﷺ؛ ولكنهم لا يعتقدون بكونه ﷺ حاضرًا في كل مكان، وناظرًا لجميع الكون والأحداث الحاصلة فيه؛ لأن ذلك من خصائص الألوهية. إنهم يعتقدون بكون علمه ﷺ أتم وأكمل و أوسع بدرجات كثيرة من علم جميع من في الكون، بمن فيهم الملائكة والأنبياء والأولياء؛ ولكنهم لا يعتقدون بكونه محيطًا وشخصيًّا كعلم الله عز و جل.

وخلاصة القول أنَّ علماء ديوبند يرون النبي ﷺ منقطعَ النظير بين الخلق أجمعين، في جميع الفضائل والكمالات الظاهرة والباطنة؛ ولكنهم يرون أن نسبة فضائله وكمالاته من فضائل وكمالات وقدرات الله تعالى هي نفس نسبة الخلق منه تعالى؛ حيث إن ذاته تعالى و صفاته وكمالاته وقدراته كلها لا متناهية؛ أما ذوات الخلق وصفاته وكمالاته فهي كلها محدودة متناهية. ثم إن الأولى ذاتية والثانية عرضية. إن الأولى أزلية أبدية عفوية، والثانية زائلة فانية موهوبة من عنده تعالى.

على كل فإن مراعاة الحدود، والأخذ بالاعتدال هو الأساس الأصيل والمُرْتَكَز المتين الذي يقوم عليه مذهب علماء ديوبند[1].

عقيدتهم في الصحابة رضي الله عنهم

إن علماء ديوبند يعتقدون أن الصحابة كلهم – رضي الله عنهم – على

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ١٩٨- ٢٠٠.

مكان رفيع للغاية، من العظمة والنزاهة والقداسة، فيما بعد الأنبياء عليهم السلام؛ ولكنهم ليسوا آلِهَةً أو أنبياء، وإنما هم بشر يتصفون بالصفات البشرية، ويحتاجون إلى ما يحتاج إليه البشر من اللوازم والحوائج والضرورات؛ ولكنهم يمتازون عن عامة البشر بخصائص لا يتمتع بها حتى الصالحون والأولياء من الأئمة مهما كانوا متفانين في العبادة والطاعة، وزاهدين في الدنيا، وراغبين في الآخرة.

إنهم لا يقولون بالتفريق بين الصحابة -رضي الله عنهم- فيما يخص الاحترام والتقدير والحب، ولا يتخذون بعضهم أحباء جاعلين بعضهم أعداء، ولا يجيزون أن يُمارَس الإطراء في شأن بعضهم، ويُنالَ بعضهم بالذم ويُتبرّأ منهم، وأن يُنال بعضهم بالسباب والشتائم، ويُرفعَ بعضهم إلى مرتبة ما فوق النبوة، بل وإلى الألوهية.

إنهم يعتقدون أن جميع الصحابة متساوون في شرف الصحبة والصحابية؛ فهم يستحقون الحب والاحترام المتساويين بينهم، إلا أن بينهم فرقًا في المراتب يقتضي فرقًا في عظمة الرتب؛ ولكن هذا الفرق ليس ناشئًا عن الفرق في الصحبة؛ فلا يقتضي التقليل من احترام صحبة أحد منهم. فلا يجوز أن يقع الفرق فيما يخص الحب والاحترام اللذين ينبغي أن يحملهما المسلم نحو الصحابة -رضي الله عنهم- نظرًا لشرف صحبتهم. وحجرُ الزاوية في عقيدة علماء ديوبند نحو الصحابة -رضي الله عنهم- أن الصحابة كلهم عدول.

ويعتقدون أن الصحابة -رضي الله عنهم- نجوم الهداية دونما استثناء، وأن نجاة اللاحقين من الأمة تنحصر في إطار اتباعهم العلمي والعملي؛ ولكنهم لا يعتبرونهم شارعين حاملين لحق التشريع وصلاحياته، ولا يعتقدون أبدًا أن بيدهم الإحلالَ والتحريمَ؛ حيث لا يعود هناك في هذه الحالة فرق فيما بين النبوة والصحبة.

فالصحابة عند علماء ديوبند، كانوا أفرادًا من الأمة؛ ولكنهم كانوا خَدَمَةً أوفياء للإسلام متهالكين من أجله. وبفضل جهودهم وجهادهم ضرب الدين بجرانه، واستغلظ واستوى على سوقه؛ فهم خير الخلائق بعد الأنبياء ولئن لم يكونوا شارعين فهم كانوا متفانين في الشريعة التي باتت شعارهم ودثارهم.

إن علماء ديوبند يعتقدون أنهم كلهم كانوا حَمَلَةً للدين و رواة أولين له، وأنهم كانوا أصحاب الدراية الأولين للدين، وكانوا فاهمين أولين له، ومربين أولين للأمة بعد النبي ﷺ، وكانوا معيارًا لنقد الحق والباطل فيما بين الأمة كلها، به يمكن التمييز بين الصحيح والفاسد من الفِرَق والطوائف والنِّحَل والمذاهب. فإذا كانت طائفة تحبهم وتحترمهم دونما تحفظ، فهي الطائفة الحقة؛ وإن كانت هناك طائفة تبغضهم أو تسيء بهم الظن، فستكون منفصلة عن الفرقة الحقة الناجية بقدر ما تبغضهم وتحمل في قلبها غِلًّا لهم.

فالمحك الأول لمعرفة الحق والباطل هو حبهم واحترامهم، والاعتراف بأمانتهم وتقواهم، والاعتقاد بمكانتهم العليا في الدين، وفضلهم وسبقهم في تلقيه وفهمه ونقله إلى من بعدهم. فالطائفة التي تعتبرهم عدولًا دونما لفّ ودوران هي الفرقة الحقة الناجية، وهي – ولله الحمد – طائفة أهل السنة والجماعة الذين علماء ديوبند ممثلوهم الصادقون.

أما الفرقة التي تسيء بهم الظن، أو تنالهم بسوء الأدب، فهي المتباعدة عن الحقانية والمتورطة في الشيطانية؛ لأن أدنى سوء ظن بهم يرفع الثقة عن الشريعة كلها؛ حيث لئن كانوا هم الزائغين عن الصراط المستقيم – ونعوذ بالله من ذلك – وهم تربَّوا في مهد النبوة رأسًا، فكيف يجوز أن يكون اللاحقون من الأمة قائمين على الصراط المستقيم ؟ إن أية شبهة في شأنهم تجعل الأمة كلَّها في لمحة واحدة غير موثوق بها.

إن علماء ديوبند لا يعتقدون في عصمتهم؛ ولكنهم يرونهم مصونين من قبل الله تعالى؛ لأنَّ دواعي المعصية كانت مضمحلة فيهم لكمال زهدهم وقوة تقواهم وغاية فراستهم الإيمانية وبصيرتهم الدينية، ودواعي الطاعة كانت قوية متأججة فيهم؛ لأنهم لانقطاعهم إلى الله وانصرافهم من الدنيا وزينتها كانوا متباعدين عن المعاصي، ومتفانين في العبادة والطاعة، وكان الإيمان والتقوى مُزَيَّنَيْنِ في قلوبهم، وكان الكفر والفسوق والعصيان مُكَرَّهًا إليهم. ولذلك يذهب

علماء ديوبند إلى أنهم رغم كونهم غير معصومين، لا يجوز نيلهم بالانتقاد والانتقاص، والتعليق والتحليل، وإخضاعهم لمحك التغليط والتصحيح؛ ذلك أنهم كانوا محاطين بسياج التقوى ومحفوفين بإطار الخوف من الله.

بل إن علماء ديوبند يتأدَّبون في الحديث عن الخلاف الواقع بينهم الذي كان لهم حق في ذلك؛ فضلًا عن أن يجيزوا لأحد من الأمة أن يتّخذ مشاجراتهم أو انتقاد بعضهم لبعض ذريعةً إلى انتقادهم وأخذهم بالتعليق والاتهام. ذلك أن كون تقواهم منصوصًا عليها في القرآن، يجعل تعثرهم في أمور الدين في إطار «الخطأ» ويجعلهم مرفوعين فوق مستوى تعمّد المعصية. فقد تجوز المقارنة بين الخطأ والصواب فيما يتعلق بمشاجراتهم ونزاعاتهم، ولا تجوز المقارنة فيما يتعلق بها على أساس الحق والباطل والطاعة والمعصية. وكلنا يعلم أن المجتهد المخطئ أيضًا يستحقّ الأجر ولا يستحقّ الردع والزجر.

فَحَسَبَ مذهبِ علماء ديوبند لا تجوز إساءة الظن أو المقال فيما يخصّ مشاجراتهم التي كانت صادرة بالتأكيد عن حسن النية ونزاهة النفس، وإنما يجب التماس العذر واللجوء إلى التفسير الحسن والتعليل المرضي. وقد صدق سيدنا عمر بن عبد العزيز (٦١-١٠١هـ/ ٦٨١-٧٢٠م) -رحمه الله رحمةً واسعة- عندما قال: «تلك دماء طهّر الله يدي منها؛ فلا أحبّ أن أخضب لساني فيها» (١).

ويتلخّص مذهب علماء ديوبند فيما يتعلق بالصحابة -رضي الله عنهم- فيما يلي:

١- أن جماعة الصحابة أفضل طوائف هذه الأمة، وأقدسها، وأتقاها قلبًا، وأنقاها نفسًا، وأكثرها رضًا لدى الله تعالى؛ فهم كلهم -بلا استثناء- متقون عدول نزهاء القلوب، ولن يبلغ مكانتَهم أي وليّ أو زاهد أوّاب من أفراد الأمة مهما بلغ من درجات الصلاح والتقوى.

٢- أنهم معيار حق لنقد الحق والباطل من الفرق؛ فهم ناقدون في شأن

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١١٤، ط: بيروت.

الأمة وليسوا بمنقودين؛ لأن المقياس يكون آلة للنقد والقياس، ولا يكون محلًا للنقد. وإذا كان كذلك فإنه لا يعود مقياسًا، ولذلك فالصحابة رضي الله عنهم فوق كل انتقاد فيما يخصّ الدين: «بأيهم اقتديتم اهتديتم».

٣- والعلامة الأولى البارزة لمعياريتهم وأفضليتهم هي حبّهم والإعجاب بهم دون استثناء؛ لأن علاقة الأمة معهم ليست مجرد تأريخية تقليدية، وإنما هي علاقة حب وتقدير، وذلك هو مقتضى حديث النبي ﷺ، وهو: «من أحبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم».

٤- وإثارة قضية المشاجرات والنزاعات التي كانت بينهم، والتقوّل فيها وإدارة الرأي والنقاش حولها، إنما هو دليل الزيغ القلبي.

٥- ولا تجوز المقارنة في شأن مشاجراتهم مقارنةً تكون بين الحق والباطل، وإنما تجوز المقارنة فيما يخصّها مقارنةً تكون بين الخطأ والصواب. ومن المعلوم أن الأمور الاجتهادية يُوْجَرُ فيها المؤمن على الخطأ أيضًا؛ فلا يجوز أن توصف مشاجراتهم بـ«المعصية».

ولم توجد – كما يعتقد علماء ديوبند – بعد الصحابة – رضي الله عنهم – طائفة من الأمة تُعَدُّ كلها متّقيةً وعدولًا بلا استثناء. ولكن أي قرن من قرون هذه الأمة ولا سيما قرن التابعين وأتباع التابعين، لم يخلُ من المصلحين والهداة والمجددين والصلحاء المقدسين، ولم يقلَّ فيه أئمة العلوم وأئمة الهدى وأئمة الفضل والكمال. ويذهب علماء ديوبند إلى أن هؤلاء الأعلام العظام كلهم جديرون بالإكرام والحبّ؛ سواء كانوا أئمة مجتهدين إطلاقًا، أو أئمة مجتهدين في المذهب، أو راسخين في العلم، أو أئمة في الفنون، أو محدثين، أو متكلمين، أومربين زاهدين، أو حكماء عارفين. كل هؤلاء يستحقون التقدير والإعجاب؛ لأنه لا توجد طائفة منهم لم تقم بدور الحارس المحافظ للإسلام والإيمان، أو بدور

الخفير المتيقظ للإحسان والمعرفة[1].

موقفهم ممن كانوا بعد الصحابة من أعلام الأمة وصلحائها

وُجِدَتْ في الأمة دائمًا طائفة علماء الظاهر الذين هَدَوْا إلى الأحكام الظاهرة أي الأعمال، و وُجِدَتْ بجانبهم طائفة علماء الباطن [رجال التزكية والإحسان]، الذين تبنَّوا إصلاح الأخلاق وتهذيب الأفكار والأحوال والكيفيات القلبية. وستظلّ توجد هاتان الطائفتان إلى يوم الساعة مع الفرق الطبيعي القائم بينهما. ومذهب علماء ديوبند أن وسطية الإعجاب والاستفادة منهما ينبغي أن توجد في اللاحقين من طوائف الأمة بعد الصحابة أيضًا؛ ولكن الفارق أن الصحابة كلهم كانوا متقين عدولًا، فكانوا جميعًا موضع الحب والتقدير دونما استثناء، أما الصلحاء والأعلام اللاحقون من الأمة ففيهم متقون وفيهم غير متقين؛ فلم يكن متسع للخلاف فيما يخص الصحابة. أما غيرهم فهم مجال للخلاف والاتفاق؛ لأنهم لا يتمتعون بالخيرية المطلقة العامة مثل الصحابة. غير أن علماء ديوبند تقيّدوا بالوسطية والاعتدال فيما يتعلق بقضية هذا الخلاف والاتفاق؛ فلم يغالوا في الخلاف ولم يغالوا في الاتفاق أيضًا. فلم يتصدّوا لأحد حتى يتَّخذوا جبهة ضده، ولم يتبنَّوا أحدًا، انطلاقًا من الطائفية والتحزب والتكتل؛ حتى يتخذوا كيل المدح له جزافًا، موضوعًا مستقلًا؛ وإنما اعترفوا بعظمة الشخصيات؛ ولكنهم صوَّبوا صوابها وخطَّأوا خطأها. وبجانب ذلك وضعوا نصب أعينهم العذر العلمي للخطأ الذي يكون مكنونًا في أخطاء الشخصيات العظيمة أولي الصلاح والتقوى. ثم إنهم لم يتورَّطوا في ارتكاب خطأ اعتبار حياة هؤلاء الشخصيات كلها خاطئةً من أجل خطأ علمي يكون قد صدر عنهم؛ ولكنهم إذا لم يهتدوا إلى عذر علمي لخطأ شخصية، لم يتصدَّوا لإثارة الخطأ وتشهيره أو اتهام الشخصية بذلك، وإنما فوَّضوا الأمر فيما يخص الخطأ إلى الله عزَّ وجلّ واطمأنّوا ذهنيًّا، ولم يتخذوا الخطأ ذريعةً إلى جرح

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ٢٠٦-٢٠٨.

الشخصيات والطعن فيها، كما ظلّ يصنع ذلك المغالون أو المتعالون أو المجرّدون عن الفهم السليم؛ ولا سيما في هذا العصر الذي تموج فيه الفتن[1].

مذهبهم فيما يتعلق بالحديث والمحدثين

ومذهب علماء ديوبند فيما يتعلق بالحديث والمحدثين أيضًا واضح جلي؛ يتّسم بالشمول والاعتدال، كمذهبهم في شعب الدين الأخرى. والأساسُ في هذا الخصوص أنهم يعتبرون الحديثَ بيانًا للقرآن الكريم، ويعتبرونه مصدرًا من مصادر الشريعة؛ فلا يرفضون حديثًا ما، مادام حريًّا بأن يُسْتَدَلَّ به، حتى إنهم فيما يتصل بالروايات المتعارضة كذلك يعمدون أولًا إلى الجمع والتوفيق بينها، بدلًا من تركها أو اختيار بعض منها. وذلك بغيةَ العمل بكل حديث من الأحاديث بشكل من الأشكال، والأخذ بجميعها دون الاحتياج إلى ترك أحد منها. ويرجع إلى جامعية هذا المذهب أن علماء ديوبند يأخذون من حين لآخر بجميع الأشكال المبدئية، التي يمارسها أئمة الاجتهاد لرفع التعارض عن الروايات المتعارضة، في إطار المناهج والمبادئ الحنفية.

فعند التعارض بين الروايات يتركّز الاهتمام لدى الإمام الشافعي -رحمه الله- تعالى على صحّة الروايات وقوة السند؛ فهو يأخذ بأصحّ ما في الباب من الروايات، ويترك الروايات الضعيفة لديه، أو يجعلها تابعةً للرواية القوية عن طريق التأويل.

وعند الإمام مالك -رحمه الله تعالى- تتوجه العناية في هذه الحالة إلى الأخذ بعمل أهل المدينة أو بعمل أهل الحرمين؛ فهو يأخذ بالرواية التي تتّفق وعملَهم، ويردّ ما سواها أو يؤوّلها.

أما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فهو عند تعارض الروايات يبحث عن كثرة فتاوى الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فالرواية التي تحظى بهذه

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٢٠٩-٢١٠.

الكثرة يأخذ بها، ويترك ما سواها، أو يؤوّلها تأويلًا لائقًا.

ولكن الإمام أبا حنيفة -رحمه الله تعالى- يركّز الاهتمام على الجمع بين الروايات. وذلك يتأتّى من وجوه: فقد يُحْمَلُ كل حديث على محمل لائق، وقد تُجْمَعُ الروايات في الباب كلها، ويُنْظَرُ:

ما هو الغرض النبوي الذي يدل عليه جوهر الروايات ؟ وما هو القاسم المشترك بينها الذي تتحدث عن شتى نواحيه شتى هذه الروايات؟ فالإمام أبو حنيفة – قبل أن يَنْظُرَ إلى قوة السند أو عمل أهل الحرمين أو فتاوى الصحابة – يستخرج من النصوص مناط الحكم، ثم يتناوله بالتنقيح والنقاش فبالتحقيق، ثم يجعل الرواية – التي يتجلى فيها غرض الشارع عليه السلام بشكل أقوى وتنطوي على سبب الحكم أو على الحكم صراحة أو دلالة – أساسًا من أسس مذهبه، ويعمد إلى باقي الروايات فيصلها بتلك الرواية على أساس مناط الحكم وغرضه عليه السلام؛ وعلى ذلك فتأتي كل رواية معمولًا بها في موقعها، وتنضم – على أساس مناط الحكم – أجزاءُ الحكم التي كانت مُبَعْثَرَةً في مختلف الروايات، بعضُها إلى بعض، في أوقاتها المناسبة، وتشكل علمًا كبيرًا في الباب، يسع جميعَ نواحي العمل، التي كانت منثورة في عدد من الروايات.

وقد يُضْطَرُّون لترجيح حديث على آخر عند ما لا تتأتى صورة لرفع التعارض بين الحديثين أو الأحاديث إلى الأخذ بصحة السند أولًا، ثم ترجيح حديث على آخر في ضوء تفقه الراوي ودراسته؛ فلا يقتصرون على مجرد قوة السند، بل يرجحون الرواية التي تنطوي على الفقه ويكون راويها فقيهًا ويتجلّى فيه وجه التفقه.

فمناطُ الحكم في صورة الجمع بين الروايات، والتفقهُ في صورة ترجيح رواية على غيرها من الروايات الواردة في الباب؛ هما الأصل لدى علماء ديوبند، وليس الأصل لديهم مجرد قوة السند أو كون رواية أصح ما في الباب؛ لأن قوة السند إن دلت على شيء فإنما تدلّ على قوة ثبوت الحديث؛ ولكنه ليس من اللازم أن الحديث الأقوى ثبوتًا هو الذي يكون متضمنًا للفقه الأساسي في الباب.

فلو أُخِذَ بأصح ما في الباب من الحديث الذي إنما يُوْجَدُ فيه مجرد الحكم وتُرِكَ ما هو دونه في ذلك الباب، رغم كونه جديرًا بالاستدلال، وكونه متضمنًا لعلة الحكم ومناطه؛ فإنه يبقى الحكم بلا علة، على حين إن العلة هي التي تؤدي بالحكم إلى الأمثال والنظائر، الأمر الذي هو السبب في كون الحكم ذا مرونة وسعة وامتداد، وإنما تُرِكَتْ هذه العلة لأن مصدرها لم يكن أصحّ ما في الباب، وإنما كان بروايته ضعيفَ السند بالقياس إلى غيره. وبذلك فينتهي كون الحكم جامعًا و مصدرًا للنظائر، وبالتالي فتنتهي شمولية الفقة وكذلك سعة نظر المتبعين للفقة. ومن ثم يركّز الإمام أبوحنيفة -رحمه الله تعالى- إلى جانب قوة السند على استخراج مناط الحكم وتحقيقه وتنقيحه والنظر إلى تفقه الرواة، الأمر الذي تتجلّى به قوة الحكم وسعته معًا. ومن الواضح أن اجتماع الدراية إلى الرواية هو الأحسن؛ فإن الحديث الواحد الذي يكون مشتملًا على مناط الحكم تَثبتُ به كثير من الأحكام في الباب وتنحلّ به كثير من المسائل راجعةً إلى مصدرها. وهنا لا تفوت الروايات الضعيفة إذا كانت جديرة بالاحتجاج، فضلًا عن الروايات القوية التي لا غبار عليها. فالجمع بين الروايات والتوفيق بينها أصل مُهِمٌّ من أصول الأحناف، يركّزون عليه كثيرًا حتى لا تفوتهم رواية.

ولاشك أن الجمع بين الروايات وعملية التحقيق وتنقيح المناط، أدّيا إلى كثرة التأويلات والتعليلات لدى الأحناف؛ لأنه لم تكن الروايات بدونها ليتّصل بعضها ببعض وتُشَكِّلَ إطارًا شاملًا للحكم. لكن هذه التأويلات والتعليلات ليست ظنًا أو تخمينًا، وإنما هي مُمَدَّةٌ بالأصول والنصوص؛ فهي بمنزلة تفسير للحديث الشريف.

وملخص القول أن مذهب علماء ديوبند في الحديث هو الجامعيّة والاعتدال دون التساهل والتشدد، وإنما هم يأخذون لحدّ مستطاع بأصول جميع الأئمة في خصوص الروايات[1].

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٢٤٠- ٢٤٥.

موقفهم من الفقه والفقهاء

يقف علماء ديوبند فيما يتعلق بالفقه والفقهاء نفس الموقف المعتدل الشامل الذي يقفونه في شأن العلماء والصلحاء، ويتلخص موقفهم من الفقه والفقهاء في أنهم من أجل التفادي من أهواء النفس، و من الإعجاب بالرأي الشخصي، ومن أجل صيانة دينهم من التشتت والاضطراب؛ يرون من اللازم أن يتبعوا فقهًا معينًا وأن يلتزموا الإطار المذهبي لإمام مجتهد واحد. فعلماءُ ديوبند حنفيون في المذهب الفقهي؛ غير أن هذا التقليد والمذهبية أيضًا يتسمان بالتوسط والجامعية ويتنزهان من الإفراط والتفريط.

فبينا هم لا يقولون بالحرية الزائدة التي تجعل صاحبها يرفض مبادئ التفقه والاستنباطات النابعة من اجتهادات السلف، إذًا هم لا يقولون في الفقهيات بالجمود والتزمت، حتى لا يجيزوا الرجوع إلى الكتاب والسنة والمصادر الإسلامية الأصيلة من أجل البحث والتحقيق فيما يتصل بالقضايا الفقهية والمسائل الفرعية.

إنهم مقلدون ومتقيدون بفقه معيّن؛ ولكنهم في هذا التقليد أيضًا محققون وليسوا بجامدين؛ إنه تقليد؛ ولكنه ليس تقليدًا أعمى. ورغم ما يتمتعون به من التوفيق للتحقيق والدراسة والتفكير، لا يرون أنهم مؤهلون للاجتهاد المطلق.

نعم: ولكنهم في إطار فقه معين لا يرون من الحرام أن يفضّلوا المسائل بعضها على بعض، أو يأخذوا بعضها ويتركوا بعضها حَسَبَ إيحاءات الزمان والمكان وإملاءات الظروف والمناسبات. ولا يرون الاجتهاد منقطعًا في خصوص الأخذ ببعض المسائل وترك بعض المسائل المماثلة أو المتعارضة في دائرة مذهب فقهي واحد. فجاء مذهبهم متوسطًا بين التقليد الأعمى والاجتهاد المطلق.

وإذا كانوا يتبعون المذهب الحنفي ويصوّبون المسائل المجتهدة لديه فتصويبُهم للمذهب الحنفي لا يعني أبدًا أنهم يرون أن الحق الصراح ينحصر في المذهب الحنفي، وأن المذاهب الأخرى باطلة متعارضة مع الكتاب والسنة، وإنما يعني أنهم ليسوا مبتدعين، وإنما مذهبهم هو الآخر يرجع إلى الكتاب والسنة، و

يصدرون في المسائل كلها عن مصادر الشريعة الأساسية الموثوق بها لدى الأمة. فهم يرمون إلى تقديم مذهبهم على غيره من المذاهب، ولا يهدفون إلى إبطال المذاهب الأخرى.

فعلماءُ ديوبند إنما يضعون نصب أعينهم العمل بالمذهب الحنفي، ولا يحتمون به ليبطلوا المذاهب الأخرى، ولا يتخذونه وسيلةً إلى الطعن على الأئمة، ولا يَشْقَوْنَ بتقزيم العمالقة في الإسلام؛ لأنهم جميعًا أئمتنا نحن، نستفيد كل وقت من علمهم، و مدينون نحن لمنّتهم الثقافية الدينية بشكل لا نقدر على أن نوفّيهم حقهم من الشكر والتقدير[1].

مذهبهم فيما يتعلق بالكلام والمتكلمين

إن العقائد الثابتة بالنصوص الصريحة مُجْمعٌ عليها لدى الجميع؛ فهي مُعَضَّدَةٌ بالإجماع بالإضافة إلى تلك النصوص: نصوص الكتاب والسنة. أما العقائد المُسْتَنْبَطَةُ أو العقائد الفرعية، وكذلك تفسيرات العقائد القطعية المشار إليها أي الثابتة بنصوص الكتاب والسنة، فقد يختلف فيها العلماء المتكلمون. فمن أجل أن يكون المرأ على ثقة وطمأنينة لابدّ له أن يلوذ بأحد من أئمة الكلام ذوي البصيرة، كما كان لابدّ له أن يتقيد بفقه مُعيّن فيما يتصل بالفقهيات والخلافات الاجتهاديّة.

وقد ظل ذوقُ ومذهبُ علماء ديوبند في شأن علماء الكلام، أنهم لا يتخذون من أنفسهم خصمًا لأحد منهم لدى وقوع الخلاف فيما بينهم؛ وإنما يعمدون إلى التوفيق والتواصل بينهم، انطلاقًا من الاعتراف بمكانة كل منهم.

ورغم أنهم تقيدوا في هذا الباب أيضًا بـ «كلام معين» كما تقيدوا في الفقهيات بفقه معين؛ ولكنهم لم يَفُتْهُمْ التمسك بجانب التحقيق والدراسة والبحث. وقد غلبت عليهم في هذا الشأن «الصبغة القاسمية» التي هي مستقاة من الأفكار الحكيمة للإمام مولانا محمد قاسم النانوتوي (المتوفى ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م)

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٢٣٤-٢٣٨.

– رحمه الله – مؤسس الجامعة.

كان من أبرز خصائص الإمام النانوتوي –رحمه الله– لدى تناوله لهذه المسائل، أنه لم يسلك طريق الطعن والتجريح في خصوص الخلافات بين الأشاعرة والماتريدية، وإنما سلك طريق التوفيق ورفع الخلاف فيما يتعلق بالمسائل المهمة الأساسية؛ الأمر الذي جعل أكبر الخلافات الكلامية يبدو مجرد نزاع لفظي صوريّ، وجعل المتكلمين جميعًا تَعْظُمُ مكانتهم في القلوب بشكل مُوَحَّد، وجعل معظم المسائل الكلامية لا ينشأ في شأنها الشعورُ بالخلاف بين الأشعرية والماتريدية.

بين العقل والنقل

والأمر الذي يجب أن نضعه في الاعتبار بهذه المناسبة أن المحاربين للدين بينما استخدموا أسلحة كثيرة لمقاومته، إذًا وظّفوا في المسائل الكلامية بصفة خاصة، العقلَ الذي قدّموه على كل شيء. فالشكوك والشبهات ذات القائمة الطويلة التي يثيرها أعداء الدين ضده، إنما كان مصدرها في الأغلب هوالعقل القاصر المحدود. ومن ثم احتاج العلماء لتفنيدها إلى الاستعانة بالعقل لحد كبير؛ حتى وُجِدَ هذا الفن المستقل المعروف بعلم الكلام، الذي امتاز بأسلوب خاص مزيج من العقل والنقل. وهنا ثار سؤال بشكل طبيعي ما هو نسبة العقل من النقل في شأن الدين؟ هل هما سيّان بالقياس إلى الدين ؟ أم يختلفان ويقلّ أحدهما مكانةً عن الآخر؟ ونشأت هناك طائفتان إحداهما ردُّ فعل للآخر بما تتّسمان به من الإفراط والتفريط. والطائفة التي كانت مُعْجَبَةً بالفلسفة قدّمت العقل على النقل، وجعلت الأول أصلًا مقابل الآخر، كالمعتزلة الذين لا يثقون بالأحكام الدينية ما لم يُفْتِ العقلُ بكونها جديرةً بالقبول؛ مما يعني بشكل واضح أن الوحي الإلهي خاضع للعقل الإنساني لدى هذه الطائفة. وقدخان المعتزلةَ التوفيقُ ههنا، وأعلنوا صريحًا بكون العقل مسيطرًا على الوحي، وتجرأت الطوائف القائلة بالاعتزال على المحاولة لجعل صفات الله تعالى المتعلقة بالعلم والخبر والهداية والحاكمية خاضعةً

لعقولهم المحدودة القاصرة.

أما الفلاسفة القدامي فقد خَطَوْا مرحلةَ الإعجاب بالعقل إلى تقديس العقل والخضوع له، وكأنهم أشركوا العقل في صفة الخلق الإلهية، فافترضوا «العقول العشرة» التي وصلوا بها مرحليًا إلى مكانة الخالق للكون، وإن لم يقولوا بكونها«خالقة» فإنهم جعلوها بمنزلة «الخالق» دونما شكّ؛ حيث قالوا بالعقل الأول الذي خلق العقل الثاني الذي وُجِدَتْ بفضله العقول الثمانية المتبقية التي تحكّمت في وجود الكون وقيامه ودوارنه!!.

المادّيّون المعاصرون

أما فلاسفةالعصر، أي المادّيون؛ فقد تقدموا أربع خطوات أخرى، فوثقوا بالعقل الضعيف لحدّ أن جحدوا بوجود الله تعالى. والأمورُ كلها لديهم – وليس الدين فقط – إنما يسير بهذا الشكل المحكم الدقيق بفضل العقل وحده الذي يسيطر على جميع الأمور: دقيقها وجليلها. وجملة القول أن القاسم المشترك بين هذه الفرق كلها هو تفضيل العقل على الوحي. وظلت أشكالها تختلف حَسَبَ العصور وإيحاءاتها واقتضاءاتها.

وكردّ فعل لهذه الطوائف وُجِدَت في الإسلام بعض الطوائف التي منعت العقل من الدخول في حدود الدين منعًا باتًا، واعتبرته بالقياس إلى الدين مُهْمَلًا ضعيفًا تافهًا، وأعلنت إعلانًا صارخًا أن الدين لا صلة له بالعقل والعقلانية، وأنه لم تُرَاعَ في حكم من أحكامه أيةُ مصلحة عقلية؛ لأن الدين إنما هو مِحَكُّ اختبار قُصِدَ به العلمُ بطاعة العباد وعصيانهم. ومثل ذلك مثل المولى يأمر عبده بحمل حَجَرَةٍ أو بمسّ شجرةٍ لاختبار مجرد طاعته من عصيانه؛ حيث لا يقصد من ذلك إلى غير الاختبار. وإذًا فالأعمال الدينية لا تشتمل لدى هذه الطوائف على أيّ حسن أو قبح عقليّ، وإن اشتملت عليه فإن معنى ذلك لا يكون إلا استحقاق العبد للثواب أوالعقاب، ولن يعني ذلك كونَ عمل من الأعمال الدينية مشتملًا على معقولية أو على ما يعين الإنسان على التقدم والتمدن!!.

خصيصة علماء ديوبند فيما يتعلق بالعقل

لكنّ علماء ديوبند يأخذون في هذا الباب أيضًا بالاعتدال والشمول؛ فهم لا يعتبرون العقل في باب الدين مهملًا عاطلًا لا غناء فيه ولا فائدة، على حين إن النصوص الشرعية زاخرة بما تشتمل عليه الأحكام من المصالح العقلية والعلل الكلية والحقائق الجامعة، ويتجلى تأثير تلك الأمور العقلية في مواضع شتى فيما يتعلّق بإثبات المسائل واستخراج الأحكام واستنباط الحقائق؛ فالحاجة إلى العقل لا تقبل الإنكار. غير أنّهم لا يعدّونه شيئًا مستقلًا حتى يجعلوه أصلًا مقابل الوحي، ويعتبروه مُنْشِئًا للأعمال، وخالقًا للأفعال، أو حكمًا فيما يتعلق باستحقاق العبد للثواب أو العقاب.

فعلماء ديوبند يرون العقل نافعًا في الدين، ولكنهم لا يرونه حكمًا أو موجدًا للأحكام أومؤدّيًا إلى ثمرات للأحكام. إنهم يرون العقل آلة في إثبات العقائد والمسائل، ولا يرونه مصدرًا لها ومؤثرًا فيها، حتى يروحوا يستقون منه العقائد والأحكام. إنهم لا ينتقدون النقل بمقياس العقل، وإنما يرون النقل الصحيح معيارًا لنقد صحة العقل من سقمه. إنهم يرون العقل ميزانًا لتقدير المحسوسات، ولا يرون له دخلًا في إدراك المغيبات. فأصل الدين عندهم هو الوحي الإلهي وحده، والعقل خادم كالحواس الخمس التي تُوَظَّفُ لإثبات الوحي الإلهي. ومهما كان العقل أشرف هؤلاء الخَدَمَة؛ ولكنه ليس حاكمًا أو حكمًا.

إن علماء ديوبند ليسوا إذًا فلاسفة ولا معتزلة ولا أشاعرة متصلبين، وإنما هم يعتبرون العقل آلة نافعة على شاكلة أهل السنة والجماعة، تُسْتَخْدَمُ للتوصّل إلى الحِكَم والحقائق الخفية؛ لكنها لا تُوَظَّفُ لإيجاد الحِكَم والحقائق؛ فهي ليست واضعة للأحكام، وإنما هي تابعة لها، أي إنها موضحة للأحكام وليست موجدة للأحكام. ثم إن الحكمة المُسْتَخْرَجَةَ من الأحكام عن طريق العقل، لا تكون مُؤَسَّسَةً عليه – العقل – وإنما تكون مبنية على الأحكام.

فالأحكام الإلهية هي مصدر الحِكَم والأمور العقلية، وليس العكس، أي

ليست الحِكَم والعقليات هي مصدر الأحكام؛ فالعقل مُسْتَدِلٌّ للأحكام، وليس واضعًا لها؛ مدرك للأحكام وليس مُنْشِئًا لها؛ مفهم للأحكام وليس مُلهِمًا لها. إن العقل تتضح به المصالح الشرعية ولا تتحقق به.

أما القضايا الكلامية فقد وقف منها أيضًا علماءُ ديوبند موقف الاعتدال والشمول؛ فهم سلكوا في المسائل المختلف فيها مسلكَ التوفيق ورفع الخلافات، مكان التجريح والطعن أو الرفض والترك.

وهنا ينشأ السؤال أولًا: هل علماء ديوبند يتبعون الإمام أبا الحسن علي الأشعري [المتوفى ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م] أوالإمام محمدًا أبا منصور الماتريدي [المتوفى ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م] ؟ والجواب: أنهم في عُرْفِ علماء ديوبند أنفسهم يُعْرَفون بأنهم ماتريديون، ولكن جماعةً منهم ترى أنهم أشعريون. وذلك أولًا لأن مورثهم الأعلى العلمي هو الإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الذي تشف أقواله عن أنه أشعري فهم يرون أنهم أشعريّون؛ وثانيًا لأن علماء ديوبند يراعون المسائل الأشعرية في دروسهم ومحاضراتهم وكتاباتهم و خطاباتهم؛ إلا أن الأحسن – نظرًا إلى موقفهم المعتدل المزيج من المذهبين – أن يُوْصَفُوْا بأنهم ماتريديون مائلون إلى الأشعرية؛ فهم جامعون بين الأشعرية والماتريدية [(١)].

مذهبهم فيما يتعلق بالتزكية والإحسان ورجالها

سلاسل الطريقة الإحسانية

إن علماء ديوبند يقولون بسلاسل الطريقة الإحسانية ومسائلها الفنية، ويرون وصفَ العلاج عن طريق التدابير الموضوعة من قبل رجال التزكية والإحسان المحققين، لإصلاح الباطن وتزكية النفس ودراسة الأمراض النفسانية، يرون وصفَ العلاج هذا حقيقةً من الحقائق. ولو كانت هناك طريقة من طرق التزكية تبدو للعيان لأول وهلة غيرَ مربوطة بعضَ الشيء بتعامل السلف أو كانت

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٢٤٦-٢٥٣.

غير مأثورة عنهم، فإن علماء ديوبند لا يتجاسرون على نفيها نفيًا قاطعًا إذا كانت مباحةً في الأصل؛ ولكنهم في الوقت نفسه لا يتبنَّون القيامَ بنشرها وتبليغها، بل إنهم يثقون بحُذّاق الفن وسالكي الطريق المجرّبين، ويرونها – طريقتهم – اجتهادًا فنيًا واستنباطًا علاجيًا منهم تكون قد اقتضته نوعية المرض، ويكون مُعْتَبَرًا و مُتَصَوَّرًا من كل حاذق في فنه. وإذا كانت – الطريقة المشار إليها – غير مُتَّبَعَةٍ لدى السلف الأولين، فلأن الأمراض النفسانية المنتشرة اليوم في عصرنا لم تكن معهودة في عصرهم؛ فلم تكن الحاجة ماسة لعلاجها إلى هؤلاء المعالجين. كما لم يكن كثير من الجزئيات والمجتهدات الفقهية موجودةً في عهد السلف؛ لأنهم لم يعايشوا الحوادث التي نعايشها اليوم، غير أننا توارثنا الأصولَ التي وضعوها، فاستنار بها الفقهاء اللاحقون في استنباط المسائل الجزئية للحوادث المستجدة.

كذلك الشأن في العلاجات الروحانية، فكم من طريق لمعالجة النفس وتهذيبها وتزكية القلب وتطهيره – عندما ظهرت أمراض نفسانية جديدة – خرج بها الأطباء الروحانيون من المشايخ والعلماء الربانيين، في ضوء قواعد الفن وأصوله الكلية مما لم يكن في الظاهر مُصَرَّحًا به في عبارة واضحة من الكتاب والسنة؛ ولكنه كان مذكورًا ضمن الأصول والكليات، فاستخرجه أطباء الروح والقلب من العلماء الصلحاء والمربين، من أعماق الأصول.

علماء ديوبند يقولون ويتعاطون هذه الطرق العلاجية

وقد ظل علماء ديوبند يقولون بهذه الطرق العلاجية المُجَرَّبَةِ في معالجة أمراض النفس، شريطةَ أن تكون متوارَثَةً من أعلام هذا الفن، وأئمة الزهاد المصلحين، والربانيين المتبتلين، الذين لا ترتقي شبهة إلى فهمهم لروح الشريعة وأغوار طبيعة الإسلام، وتضلعهم من علوم الكتاب والسنة.

انتهج علماء ديوبند – وهم كانوا متعمقين في علوم الكتاب والسنة، وعارفين معرفة كاملة بفن الإحسان والتزكية – منهجَ الاعتدال والتوازن، فلا يجيزون صرفَ النظر كليًا عن هذا الفن بوصفه «أفيونًا مخدرًا للعقل والأدمغة» – كما

يصفه كثير من الجاهلين بالفنّ – ولا يجيزون التظاهرَ بالأحوال الباطنة واتخاذها ذريعة للدعاية بالزهد والتقوى ومعرفة الله.

علماء ديوبند لا يرون الصلحاء الأحياء أو الأموات قادرين على دفع البلاء

وخلاصة القول هي أن جماعة الأولياء الكرام وسادة رجال التزكية والإحسان -بموجب مذهب علماء ديوبند- روحٌ وثّابة في الأمة تقوم بها حياة الأمة الباطنة؛ فيرى علماء ديوبند حبّهم وإكرامهم ضروريين للحفاظ على الإيمان؛ ولكنهم يتبرؤون ويتفادَون من الغلو في حبهم والوصول بهم إلى منزلة الربوبية كما يصنع الجهال الأغبياء. يرون تقديرهم واحترامهم واجبين؛ ولكنهم لا يجعلونهما مرادفين لعبادتهم – ونعوذ بالله عز وجل من ذلك – أو السجود لهم أو الطواف حول قبورهم، أو تقديم النذور والقرابين إلى أضرحتهم أو اتخاذها مساجد. إن علماء ديوبند لا يظنونهم في حال من الأحوال قادرين على دفع البلاء والضرّاء، وقضاء الحوائج، وشفاء الأمراض، وإعطاء الرزق، وجلب المسرة. إنهم يجيزون زيارة القبور للاتعاظ والاستفادة الدينية؛ ولكنهم لا يجيزون اتخاذها مساجد و مواضع للاحتفالات و أمكنةً للمهرجانات.

إنهم يرون من اللازم في ضوء التجربة – لتتميم مكارم الأخلاق وتزكية النفس – أن يبايع المرأ صالحًا ربانيًا ويصاحبه ويتبع إرشاداته وتعليماته حَسَبَ طريقته في التزكية والإحسان؛ يرونه نافعًا في التشفي من الأمراض القلبية والروحانية؛ ولكنهم لا يرون طريقة التزكية والإحسان مستقلة عن الشريعة الإسلامية ومجرد متوارثة كابرًا عن كابر وصدرًا عن صدر، وإنما يرون أن شعبة تهذيب الأخلاق للشريعة هي التي تُسَمَّى «طريقة التصوف» التي هي الطريق إلى إصلاح القلب والتي سمّتها الشريعة بـ« الإحسان»؛ فهم يرون أن قواعدها الأساسية ثابتة بالكتاب والسنة؛ ولكنهم يرفضون رفضًا كليًا تلك القواعد التي لا تَمُتُّ بصلة إلى أصل من الكتاب والسنة، وإنما تقوم على مزاعم وتقاليد موضوعة ومناهج مُحْدَثَة، يرفضون بعضها، لأنه مخالف للسنة، ويرفضون بعضها لأنه بدعة.

سنة النبي ﷺ أصل الدين لدى علماء ديوبند

إذًا فإن مذهب علماء ديوبند يعتبر احترامَ أولياء الله والمشايخ الصالحين جزءًا من الدين؛ ولكنه لا يعتبر مجاراة التقاليد والأوهام جزءًا منه. إن تقاليد رسول الله ﷺ هي أصل الدين والتقاليد الموضوعة الموازية لها ليست من الدين في شيء.

الأقوال الصادرة عن بعض الصلحاء لدى غلبة الحال

ويقف علماء ديوبند الموقف المتوازن فيما يتعلق بالأقوال والأفعال الصادرة عن بعض الصالحين لدى غلبة الحال؛ فهم لا يسمحون بأدنى إساءة إليهم وتجرُّإٍ عليهم من أجل هذه الأقوال والأفعال، التي تبدو حائدة في ظاهرها عن السنة والشريعة، فلا ينكرون صلاحهم إنكارًا باتًا، ولا يشنّعون عليهم، ولا يتناولونهم من أجلها بالسباب والشتم، ولا يرون هذا الصنيع هو وحده الدين على شاكلة غيرهم. كما أنهم لا يقعون فريسة للغلو في حبهم حتى يعتبروا أقوالهم وأفعالهم المبهمة الغامضة الموهمة هذه هي وحدها طريقة التزكية الصحيحة؛ حتى يدْعُوْا إليها الناس، وحتى يجعلوا من لا يحبّهم مارقًا من الدين منسلخًا من الإسلام، كما يصنع ذلك بعض السفهاء.

فلا يردونها مطلقًا فتكون في نطاق «لا يُعْبَأ بها»على حين إنها تكون صادرة عن عباد الله المتقين؛ ولكنهم في الوقت نفسه لا يعيرونها مكانة شرعية، حتى يروا النقاش فيها مضادًّا لطريقة التزكية والإحسان. وإنما لا يردونها ردًا كاملًا؛ لأنها تكون صادرة من الصلحاء الأتقياء الذين يكونون هم متقيدين بالسنة والشريعة في حياتهم؛ ولذلك فإن مذهب علماء ديوبند يحاول أن يحملها على ما يتفق وحياتَهم الزكية وإخلاصهم لله وحبهم الصادق لرسوله ﷺ.

وقد أفرد عددٌ من العلماء الثاقبي النظر، الجامعين بين العلم والعمل، رسائل وكتبًا أبانوا فيها مصاديق لأقوالهم و أفعالهم المبهمة هذه بشكل يتفق و الحقيقةَ، ولا تبقى بعد ذلك مجردَ تأويلات باردة. وأكّدوا أن المرحلة التي بلغوها قد يجوز أن يصدر عنهم مثلُها، ولا ينبغي لمن لم يبلغ منزلتهم ولم يرد موردهم أن يتعرض لها.

فهذه الأقوال والأفعال الاضطرارية حقٌّ صدورها، ومعذورٌ صاحبها، وممكنٌ بل واقعٌ مصداقها الصحيح، وممنوعٌ تقليدها ومحاكاتها والدعوة إليها، وغيرُ لائق إساءة الأدب مع أصحابها، ومُسْتَحْسَنٌ كفُّ اللسان عنه والسكوت فيه وعدمُ التعرض له بالطعن والتجريح.

ولذلك فمذهب علماء ديوبند لا يسمح بالموقف المتعسف الذي يعني تكثيف الجهود وتكريسَ المحاولات، لحمل قول مبهم أو موهم لشخصية صالحة على معنى باطل، و يُوجد له معنى صحيحٌ لا غبار عليه ويمكن حمله عليه، وتقتضيه حياته العفيفة العامرة بالتبتل إلى الله تعالى وإخلاص العبادة له، ويتطلبه سياق كلامه وبدايته و نهايته؛ ولكن تُبْذَلُ كل الجهود لحمله على معنى مغلوط باطل حتى يسهل الطعن في حياتها – الشخصية – النزيهة. ومن الواضح أن ذلك ليس دينًا ولا أمانةً، ولا عدلًا ولا إنصافًا، ولا عقلًا ولا نقلًا؛ وإنما هو عناد و تحامل وتعنت، لا يَمُتُّ إلى المذهبية بصلة، وإنما هو عاطفية عمياء.

نعم: إذا لم يكن صاحبها – الأقوال والأفعال المشار إليها – نفسه متقيدًا بالسنة والشريعة، وكانت حياته منحرفة عن إطار الدين العام، وكانت اصطناعية تتبع منهجًا وضعيًا، لا شائبة فيها لاتّباع السلف ولا لاحترام الخلف، وتنطق – حياته – بذلك كله بدورها؛ فهذا لن يكون ممن يُعْذَرون من أصحاب الرتبة والحال الصالحة في التقوى والعبادة. وهو ليس ممن يجوز حمل كلامه على محمل صحيح، بل إن أمثاله خارجون من موضوعنا، وإنما يعنينا هٰهنا المحبون المتفانون الذين سلكوا المحجة البيضاء، ولاحت لهم صورة من المحبوب أثناء الطريق، فأغمِيَ عليهم، فصدرت عن لسانهم كلمة رمزية مبهمة، فهذه تكون ذات معنى ويمكن أن تُحمل عليه. أما المنحرف عن الطريق فهو ليس بمحب صادق، فلا يُتَاح له أن يفوز بلمحة من المحبوب، فيفقد رشده، فتصدر عنه كلمة؛ وإنما هو يتكلم بدهاء وفي وعي كامل وبأسلوب مهذب بها يُعلي شأنه و يرفع مكانه. فذلك لا يمكن أن نسميه إلا نفعيًا أنانيًا مشعوذًا، لا يستحق التفاتًا وإنما يجدر بالاستنكار

والرفض الكامل.

إن التمسك بسنة سيدنا و نبينا محمد المصطفى ﷺ هوالأصل في مذهب علماء ديوبند؛ حيث يرون الأخذ بها في كل حال واجبًا أوجبَ. فالأمور التي ليس لها أصلٌ في الكتاب والسنة وتعامل الصحابة، أو سندٌ في إطار الذوق والعمل لدى العارفين بالشريعة؛ وكذلك العادات التي تُطرَحُ كجزء من الدين وليس لها أساس في الدين أو الذوق الديني المُتَوَارَثِ؛ فهي بأسرها جديرة بالرد والإنكار لدى علماء ديوبند. فاجتناب هذه البدع والخرافات، واتباعُ سنن سيد الموجودات، والتأدب بآداب الصالحين والعلماء والربانيين، ذلك هو مذهب علماء ديوبند.

فالمذهب الديوبندي المتوازن يقف من أحوال هؤلاء الصلحاء موقف الاعتدال؛ فلا يتعرض لهم فيها بالانتقاد والملاحقة، وإنما يتركهم وشأنَهم ويتخلى عنهم. ومن الواضح أنه لا سبيل في هذا الباب للسلامة والعافية سوى سبيل الاعتدال هذه.

فظل هذا المذهب يحترم رجال التزكية والإحسان ومشايخ الطرق الصوفية والنساك الزهاد وأفاضل الإصلاح والتربية، مع ملاحظة الاختلاف فيما بينهم في الرتبة، احترامَه للعلماء المشغولين بالشريعة والفقه والحديث وعلوم الكتاب والسنة؛ ففي قلوب علماء ديوبند للشيخ محي الدين ابن عربي [محمد بن علي الحاتمي الطائي المتوفى ٦٣٨هـ] نفس الحب والتقدير اللذين يحملونهما لشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية [تقي الدين أحمد المتوفى ٦٢٥هـ] رحمهما الله تعالى. ويُكنّون في قلوبهم للشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بـ «مجدد الألف الثاني» [المتوفي ١٠٣٤هـ] نفس التقدير والاحترام اللذين يُكنّونهما للشيخ عبد الحق الردولوي، والشيخ صابر الكليري رحمهم الله تعالى. ويوقرون الجنيد بن محمد البغدادي [أبا القاسم الزجّاج القواريري المتوفى ٢٩٧هـ] و بايزيد البسطامي الخراساني ومعروف بن فيروز الكرخيّ [أبا محفوظ المتوفى ٢٠٠هـ] والإحسانَ والزهدَ والعبادةَ، توقيرَهم لأئمة الشريعة وعلوم الدين، أمثال أبي حنيفة والشافعي ومالك و أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى جميعًا.

التمرينات التربوية وصفات علاج لأمراض النفس

بعض الناس يرفضون في تحقيرٍ تعاملاتِ الصالحين الزهاد باسم العمل والتمسك بسنن النبي عليه الصلاة والسلام، بينما يتبنى بعض الناس صنائع المشايخ ولا يعيرون اهتمامًا لسنن النبي عليه الصلاة والسلام. أما علماء ديوبند فهم يأخذون بالاعتدال متفادين من المذهبين المتطرفين. فهم يرون أن أصل الأصول هو اتّباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، إلا أن تعاملات المشايخ الصالحين إذا لم تكن راجعة إلى غلبة الحال لا ينبغي اللامبالاة بها؛ لأنها إما أن تكون ثمرات ونتائج للعمل بسنن النبي ﷺأومبادئ يُمَهِّد التمسكُ بها الطريقَ المباشرَ إلى العمل بسنن النبي عليه الصلاة والسلام.

المسلم مُطَالَبٌ بالعَضِّ على سنة سيد الأنام ﷺ

إن التقاليد غير الماتّة بصلة إلى أصل في الدين، سواء كانت تتعلق بالأفراح أو الأتراح، أو بالمناسبات أو القربات، أو العبادات والصلوات، أو الحضارات والمدنيات، أو الاجتماعيات والعائليات؛ كلها جديرة بالرفض لدى علماء ديوبند، ولدى مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأنّها لا تحمل أساسًا سوى محاكاة الأمم والتشبه بالأغيار، على حين أنّ المسلم مُطَالَبٌ في كل حال بالتقيد بسنة وأسوة سيدنا ونبينا محمد ﷺ وما تعارف واصطلح عليه السلف الصالحون المصوغةُ حياتُهم في قالب الإسلام وسنةِ النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يُطَالَبْ باتباع التقاليد الجاهلية، ولم يخرجه الله ليدعو الناس إليها.

ومن ثم يستنكر علماء ديوبند بشكل مؤكد وينهون عن التقاليد البدعية الشركية، التي يمارسها المبتدعون لدينا، في مناسبات الزواج والمآتم، والاحتفال بالموالد والوفيات للمشايخ والزهاد، وتقديم النذور والقرابين للقبور والأضرحة، وتشييد البناء عليها، وإنارة المباني عليها، والسجود لديها، والمطاف بها، وطلب الحوائج من أصحابها؛ مُعتبرين ذلك كله بدعةً صريحة بل شركًا واضحًا. كما ينهون عن كل شيء لا يَمُتُّ إلى السنة بصلة.

فسواء كانت التقاليد البدعية أوالتقاليد التي لا تتفق مع السنة ينهى عنها علماء ديوبند نهيًا قاطعًا؛ ولكنهم يؤكدون على النهي عن التقاليد المتّبعة في المآتم، لأنها تُمارس باعتبارها أعمالًا يُثاب عليها العبد؛ فهي بدعُ تمس السنةَ بشكل مباشر وتفسد على المرإ عقيدته. أما التقاليد غير الشركية المتبعة لدى الأفراح من مناسبات الزواج وغيرها، فإنما تُمارس مجاراةً لما يأخذ به الناس في المجتمع بإيحاء الحضارة التي يعيشونها؛ فهي تقاليد لا تسمح بها السنة ولكنها لا تكون شركية.

إن البدع تفسد العقيدة؛ حيث يظن مرتكبها غيرَ الدين دينًا. أما ما يكون مخالفًا للسنة، فإنه لا يفسد على المرإ عقيدته، وإنما يتوقف لدى الفساد العملي الناشئ من أهواء النفس. الأمر الأول يمحو الدين، والأمر الثاني يخل بالعمل ولا يمس العقيدة الكامنة في القلب.

وكذلك فإن علماء ديوبند يرون عملية إيصال الثواب إلى الأموات صحيحًا، ويرون ذلك حقًا من حقوق الأموات؛ ولكنهم لا يقرون في ذلك بالتظاهر بأشكال خاصة، وبتحديد أيام وساعات لذلك، ولا بالتقيد بتقاليد يتقيد بها المبتدعون والمشركون.

جملة القول أن علماء ديوبند لا ينكرون التصوف أو طرق الصوفية ومناهج التربية لدى الزهاد العباد والمصلحين الموثوق بهم، وهم فعلًا يأخذون بهذه الطرق وهذه المناهج؛ وإنما ينكرون تقاليد أولئك المغالين الجهلاء الذين يمارسون مجرد المحاكاة ويقومون بعروض و تظاهرات. إن الطريق الأقوم الأسلم الأبيض الأوضح لدى علماء ديوبند هو اتباع السنة النبوية والمنهج الذي لقَّنه السلف الصالحون من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والفقهاء والمحدثين، الذي يَسْهُلُ الاطلاع عليه والأخذُ به عن طريق العلماء الربانيين -رحمهم الله تعالى أجمعين- وعن كتب العلوم الدينيّة كذلك[1].

---

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي ملخصًا، ص: ٢١١-٢٢٧.

مذهبهم في التكفير

إن مذهب علماء ديوبند ومواقفهم يتسم بالاعتدال والوسطية والحيطة في جميع مسائل الدين، فلا شطط ولا وكس، ولا إفراط ولا تفريط. فمن المسائل الحساسة ذات الأهمية القصوى مسألة التكفير، فهم يذهبون فيها مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يكفِّرون أحدا من أهل القبلة ما لم ينكر شيئا من ضروريات الدين.

قال العلامة محمد أنور شاه الكشميري: «من جحد شيئًا واحدًا من الضروريات فقد آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه، وهو من الكافرين».

وقال: «والمراد بالضروريات على ما اشتهر في الكتب: ما عُلِم كونُه من دين محمد ﷺ بالضرورة بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة، كالوحدانية، والنبوة، وختمها بخاتم الأنبياء وانقطاعها بعده» [١].

وقال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري: «أما تكفير أهل القبلة المبتدعين فلا نكفِّرهم ما لم ينكروا ضروريا من ضروريات الدين، فإذا ثبت إنكار أمر ضروري من الدين نكفِّرهم ونحتاط فيه وهذا دأبنا ودأب مشايخنا رحمهم الله تعالى».[٢]

وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وهو يتكلم في حصول علم الغيب لغيره تعالى، وفي أن من يُثبته لغيره تعالى فهو كافر ومشرك :

«إنما المشرك من يشرك أحدًا مع الله تعالى في شيء من أوصافه الذاتية من العلم والقدرة والعبادة؛ لأن الإشراك في الذات وتعدد الآلهة لم يقل بها إلا أقل قليل من الناس» [٣]. وقال أيضا: «وتقبيل القبر والسجود عليه، ووضع الرأس عليه كل ذلك حرام وممنوع» [٤].

وقال أيضًا: «الطواف بالقبر حرام فلو فعله استحبابًا يكفّر» ففي شرح

---

(١) إكفار الملحدين في شيء من ضروريات الدين، ص: ٤٣- ٤٦.

(٢) المهند على المفند، ص: ٥٤ .

(٣) الفتاوى الرشيدية، ص: ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص: ١٣٠.

المناسك للقاري: «ولا يطوف أي يدور حول البقعة الشريفة؛ لأن الطواف من مختصات الكعبة المنيفة فيحرم حول قبور الأنبياء والأولياء، ولا عبرة بما يفعله العامة الجهلة »[(١)].

وسُئِل -رحمه الله- عن رجل متبع للشريعة والسنة، يقول: «يا شيخ عبد القادر شيئا لله»، على حبات السبحة، أو يسجد للقبور أو للمشايخ، أو يذبح الحيوانات لتعظيم المشايخ، أو يطوف بالقبور، أو يصنع صور القبور والمقابر، أو يقدِّم عليها رقعات بحاجات، أو ينذر لغير الله تعالى و يستعين به عند ما تعرض له حاجة، ويقول: إني أستحسن هذه الأفعال وأظنها مقربة إلى الله وزلفى عنده وسعادة في الدارين، وأظن أن الشيخ عبد القادرحاضر وناظر، ومتصرف في الأمور ومعين في الحاجات والمشكلات، فأعتقد دائمًا أنه يسمعني حينما أدعوه لحاجتي فيعينني بل أنه يسمع كل من يدعوه ويناديه وهو يقدر على أن يعينه، واعتقادي أن كل ذلك يصل للشيخ بعطاء من الله تعالى. فما حكم هذا الرجل هل هو مؤمن أم كافر؟

وهنا رجال وقعوا في مثل هذه الأعمال إلا أنهم لا يذكرون اعتقادهم كذلك أو يؤولون. فما حكمهم؟

فأجاب الشيخ بقوله: أما الفريق الأول فهو كافر إن لم يكن عنده تأويل سائغ. وأما الفريق الثاني فممكن تأويل أفعاله وحركاته فهو فاسق دون كافر.[(٢)]

وقال الشيخ أشرف علي التهانوي في رسالة ألَّفها في الموضوع بعنوان: نهاية الإدراك في أقسام الإشراك: إنما الشرك الذي يترتب عليه عدم النجاة والخلود في النار، تعريفه كما جاء في حاشية الخيالي نقلا عن شرح المقاصد :

«إن الكافر إن أظهر الإيمان فهو المنافق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٦- ٥٧.

المرتد، وإن قال بالشريك في الألوهية فهو المشرك ».

وشرك عُبَّاد القبور والتعزيات (الضرائح القرطاسية) شرك عملي ما داموا يقولون في أنفسهم: إنهم مسلمون مُوَحِّدون، وأما شرك الهندوكيين فهو مركب من الشرك الاعتقادي والعملي.

وليعلم أن السجود لغير الله تعالى ليس بشرك مطلقا أي في كل حال، بل هو من أمارات الشرك في بعض الصور، وإلا فالحقيقة هو ما تقدم ذكره أي القول بالشريك في الألوهية قلبًا أو لسانًا. قال في شرح المقاصد: لا نزاع في أن من المعاصي ما جعله الشارع أمارة للتكذيب، وعلم كونه كذلك بالأدلة الشرعية كسجود الصنم وإلقاء المصحف في القاذورات والتلفظ بألفاظ الكفر.

لكن السجود للقبور والتعزيات (الضرائح القرطاسية) ليس بعلامة للتكذيب بالشرع؛ لأن عبادتها لا توجد في الكفار، وما شاعت وراجت عبادتها في الكفار فالسجود لها يستلزم الحكم بالكفر قضاء. وأما ديانة فيكون مؤمنًا عند الله تعالى إذا لم يقع ويوجد خلل في التصديق والإيمان القلبي. راجِعْ كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» للعلامة ابن تيمية فإنه شدَّد الكلام في التهديد على تعظيم القبور والسجود لها، ولكنه لم يحكم بالكفر على من ابتلي بمثل هذه الأعمال مع أنه قال: إنهم يشابهون الكفرة في ذلك [1].

بناءً على ذلك فعلماء ديوبند لا يكفرون عباد القبور والأضرحة، لأن هؤلاء يقولون في أنفسم إنهم مسلمون وموحدون، فهم متورطون في الشرك العملي لا الاعتقادي، وإنما المشرك من تورط في الشرك الاعتقادي والعملي كالهندوس ومشركي مكة.

وتلخص مما ذكر :

١ – من أنكر ضروريا من ضروريات الدين فهو كافر.

---

(١) نهاية الإدراك من إمداد الفتاوى ٦/ ٨١ .

٢- ومن أشرك في الألوهية قلبًا أو لسانًا فهو مشرك.

٣- ومن أبطن الكفر وأظهر الإيمان فهو منافق.

٤- ومن طرأ الكفر على إيمانه فهو مرتد.

٥- ومن عظّم القبور أو الضرائح القرطاسية وسجد لها مع التصديق والإيمان القلبي فهو فاسق وليس بكافر.



حصيلة الأبحاث

(مذهب علماء ديوبند و مواقفهم بإيجاز)

إنَّ علماء ديوبند ينتمون إلى الإمام ولي الله الدهلوي فكرًا ومنهجًا؛ لأن مشايخهم الأوائل تخرّجوا من مدرسته العلمية والفكرية، وورثوا حركته، وقاموا بتفعيلها وتنشيطها، حتى أعطت ثمارها ونتائجها المرجوة، وكانت حركته عبارة عن نشر رسالة القرآن ومعانيه في عامة المسلمين، وتدريس الحديث النبوي وترويجه، والكشف عن أسرار الشريعة وحكمها وعرضها بأسلوب عقلي يتفق وعقليةَ العصر، ومحاربة البدع والمحدثات التي تسرّبت إلى مجتمع المسلمين، وإقامة نظام إسلامي يتم فيه تطبيق الشريعة الإسلامية.

عكف علماء ديوبند على تراثه الفكري فتشربوه، وأخذوا حركته فجَسَّدوها، فما تجدون في حركة ديوبند العلمية والفكرية من التركيز على الكتاب والسنة وعلومهما، وعرض الإسلام بأسلوب عقلي سائغ، ومقاومة المحدثات والبدعيات، وممارسة النشاطات السياسية التي تخدم مصالح المسلمين كلُّ ذلك صدى لحركة الإمام الدهلوي العلمية والفكرية.

إطلاق كلمة علماء ديوبند ومدلولها

ثم إن المراد بعلماء ديوبند ليسوا العلماء الذين يشتغلون في دارالعلوم بديوبند بالتدريس والإفتاء والدعوة والإرشاد فحسب، بل المراد منهم جميع العلماء الذين ينبع فكرهم من فكر الشيخ أحمدبن عبد الأحد السرهندي، والإمام ولي الله الدهلوي، والإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، سواء كانوا من خريجي دارالعلوم بديوبند أو الجامعات والمدارس الإسلامية

التابعة لها في الفكر والمنهج، وسواء كانوا بالهند أو في أي بلد من بلاد العالم.

وكذلك الديوبندي يطلق على كل من يتبنَّى فكرهم ومنهجهم من عامة المسلمين. فالديوبندي ليس انتماء طائفيًا أو حزبيًا كما يوهم المعارضون لهم، إنما هو انتماء تعليمي وفكري إلى دارالعلوم التي مقرُّها ديوبند.

علماء ديوبند من أهل السنة والجماعة

إن علماء ديوبند ليسوا جماعة أو فرقة أنشأتها الظروف أو ولدتها الحوادث شأن الفرق والطوائف التي حدثت في الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، ولم يشقوا طريقًا فكريًا جديدًا يختلف عن التفسير المتوارث للإسلام عن السلف الصالح وجمهور علماء الأمة الإسلامية، إنما هم من أهل السنة والجماعة، ويعضّون على مذهبهم بالنواجذ، ولا يحيدون عن مذهبهم وذوقهم ومزاجهم قيد أنملة، ومورثهم الأعلى العلمي والفكري هو الإمام ولي الدهلوي أمام أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية، وعن طريقه وصل إليهم هذا المذهب.

لا شك أن فرقة أهل السنة والجماعة هي الطائفة الحقة والفرقة الناجية من بين الحشد الكبير من الفرق والطوائف والجماعات التي ظهرت خلال التاريخ، وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقيتها وبطلان غيرها من الفرق والطوائف، حيث قال: « إنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يارسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[1].

ففي الحديث كلمة «ما» تعني «السنة»، وكلمة «أنا وأصحابي» تعني «الجماعة».

وقد جاء لقبهم: مصرحًا فيما روي عن ابن عباس في تفسير آية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال تبيَضُّ وجوه أهل السنة والجماعة وتسوَدُّ وجوه

(١) رواه الترمذي في أبواب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة.

أهل البدع والضلالة»[١].

ويمتاز أهل السنة والجماعة عن الفرق والطوائف الأخرى بأنهم يجمعون بين الكتاب والسنة ويتمسكون بهما دونما إفراط وتفريط، ولا نقص وزيادة، وبدون الأخذ بأحدهما والإعراض عن الآخر، كما يحبون النبي ﷺ وأسوته، ويحبون الصحابة -رضي الله عنهم- ويحتجون بآثارهم، ويرجِّحون ما تعارض من أقوالهم، ولا يخطئونها، فموقفهم من أقوالهم المتعارضة مثل موقفهم من الأحاديث المتعارضة.

وأنهم يُعَظِّمون من جاء بعد عصر الصحابة من الشخصيات الإسلامية من التابعين والأئمة المجتهدين والعلماء الربانيين والمشايخ الحقانيين؛ لأنهم كانوا متشربين للتراث الديني، وتلقوا الذوق والتربية من الصحابة رضي الله عنهم.

وأنهم يمتازون بالاعتدال والعدل والقسط، والابتعاد عن التفريط والإفراط، وهم مظهر الأمة الوسط، فهم معتدلون ووسطيون في العقيدة والعمل والسلوك وفي جميع شؤون الدين.

إنَّ علماء ديوبند يأخذون بمذهب أهل السنة والجماعة ويتمتعون بجميع ما يتمتع به أهل السنة من المزايا والخصائص من التمسك بالكتاب والسنة وحب النبي ﷺ وأسوته الحسنة، وحب صحابته الكرام -رضي الله عنهم- واقتفاء آثارهم، واحترام جميع من تبعهم بإحسان من الشخصيات التي جاءت في الإسلام، والأخذ بأذيال العدل والوسطية في مسائل الدين وقضاياه بعيدين عن الإفراط والتفريط.

وفيما يلي ثمانية أسس يرتكز عليها مذهب علماء ديوبند ومزاجهم ومذاقهم.

١- التوارث في الدين

إن الأساس الأول هو أن علماء ديوبند يرون أن الإسلام دين متكامل، قد

---

(١) تفسير الدر المنثور٢/ ١١١.

أعلن الله -جلَّ وعلا- عن إكماله قبل أربعة عشر قرنًا، حيث قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلايُزاد فيه ولايُنْقَص منه، وهو الدين المرضي عند الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهو نافع اليوم كما كان بالأمس، وصالح لكل زمان ومكان، ولكل عصر ومصر.

ويرون أن الإسلام بجميع مبادئه وأصوله الأساسية والفرعية، وبجميع شعبه العلمية والعملية واجب العمل والتطبيق، ويجب عندهم أن يكون الإسلام، ذلك الذي تلقّاه الصحابة عن النبي ﷺ، فالتابعون عنهم، فمن تبعهم بإحسان من الشخصيات اللاحقة. والموثوق به عند علماء ديوبند تفسيرُ الإسلام المتوارث عن السلف الصالح. ولاعبرة عندهم بالتفسير الذي قام به المبتدعون والمغرضون وأصحاب الأهواء على إيحاء من أهواء النفس وضغط من أحداث العصر.

ولذلك فهم يعنون بالإسناد والتوارث في مسائل الدين، في الأساتذة ورجال التزكية والإحسان، وفي الكتب والمؤلفات، وفي الذوق والمزاج والمنهاج، كل ذلك يجب عندهم أن يكون متوارثًا ومتصل الإسناد بصاحب الشريعة ﷺ وأصحابه والشخصيات الثقات.

و لما كان علم الكتاب والسنة يتم فيه السند والإسناد والتوارث عن طريق الدرس والتدريس، فهم يركّزون عنايتهم على الدرس والتدريس اللذين هما الطريق إلى الربانية، حيث قال تعالى آمرًا اليهود أن يشتغلوا بالدرس والتعليم ويكونواعلماء دين: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

٢- العلم بالشريعة

إن الأساس الثاني هو الوحي الإلهي الذي يقوم عليه بناء الدين، والدينُ حججه أربع:

كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وقياس المجتهد.

وسنة الرسول ﷺ تتضمن خمسة أمور:

قول الرسول ﷺ، وفعله، وتقريره، وأثره، (وتندرج تحته أقوال الصحابة التي هي بمنزلة الحديث المرفوع) واجتهاده.

ويُشترط في الحصول على العلم بالشريعة، أن يتم ذلك عن طريق علماء الدين الثقات ورجال التربية والتزكية، ومن خلال تدريسهم وتربيتهم وإفادتهم ومصاحبتهم وملازمتهم، أولئك الذين تكون سلسلةُ علمهم وعملهم وفهمهم وذوقهم تنتهي بالسند المتصل إلى صاحب الشريعة – عليه أفضل الصلوات والتسليم – كما أنه يجب أن تُفْهَم مراداتُ هذا العلم ومعانيه في إطار أقوال السلف الصالحين و تعاملاتهم، ولا يُقْبَلُ في ذلك موقف المكابرين والمتبعين لأهوائهم والمعجبين بآرائهم الشخصية، والمقتصرين على مجرد الدراسة وإجهاد العقل وإعمال الفكر في غنى عن اتجاهات السلف الصالحين. ذلك لأنه بدون ذلك لا يمكن التمييز بين دقائق وخفايا الحلال والحرام، والمكروه والمندوب، والسنة والبدعة، والتوحيد والشرك. كما أنه لا يمكن بدون ذلك التنحي الكامل فيما يتعلق بأمور الدين عن التخيلات والأفكار الوضعية، والنظريات الفلسفية، والتوهمات الغيبية، والشكوك التي يثيرها الملحدون.

وذلك يقتضي ثلاثة أمور:

١- تفويض المتشابهات إلى الله عز وجل وعدم التقوّل فيها كالمعتزلة.

٢- والعمل في المشتبهات بما هو أكثر تحفظًا وحيطةً، واجتناب اللجوء إلى الأقوال الشاذة فيها كما يصنع مَنْ غلبتْهم الأهواء.

٣- العمل في المحكمات بالسنة الغالبة المعروفة لدى عامة الصحابة رضي الله عنهم، وعدم الحرص على الروايات المختلف فيها والأقوال الشاذة كالمغرضين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الأمْرِ فاتَّبِعْهَا وَ لاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِيْنَ لاَ

يَعْلَمُوْنَ﴾ [الجاثية: ١٨].

٣- التركيز على العقائد الحقة

والأساس الثالث هو بناء العقائد الحقة في ضوء فكر أهل السنة والجماعة حسب المبادئ التي قام بتنقيحها كل من الأشعرية والماتريدية؛ حيث لا يمكن بدون ذلك تنزيه العقائد من شكوك الزائغين وقياسات الفرق الباطلة، وتزيدات المبطلين، وتقوُّلات المغرضين.

فالأصل الأصيل عند علماء ديوبند عقيدة التوحيد، وهم يعضُّون عليها بالنواجذ، ويتبنَّونَها بحيث لا تشوبها شوائب الشرك، ويدعون إليها عامة المسلمين، بجانب ذلك يُعَظِّمُون الشخصيات تعظيمًا لا يُخِلُّ بالتوحيد. فالاستهانة بالشخصيات والاستهزاء بهم ليست من عقيدة التوحيد في شيء، إنما هو غلو في التوحيد، وتعظيم الشخصيات بشكل يخدش التوحيد، ليس من التعظيم في شيء، وإنما هو إخلال بالتوحيد. فمذهبهم منزَّه عن كل من الإفراط والتفريط في باب التوحيد وتعظيم الشخصيات.

كما يعتقدون في النبي ﷺ أنه عبد الله ورسوله، وأنه خاتم الأنبياء وسيدهم، وأنه أفضل البشر وأكمل الناس أجمعين، ويرون أن إطاعته فرض عين، ولكنهم يرون أن عبادته حرام الحرمةَ كلَّها، ولا يعتقدون أنه ليس بشرا، وأنه عالم بالغيب، وحاضر وناظر في كل مكان. وكذلك يعتقدون أنه حي في عالم البرزخ، وأنه ليس عيشه هناك كعيشه في الدنيا. بالجملة أنهم يُحِلُّونَه المحل السامي والمنزلة العظمى، ولايتخطون به إلى حدود الألوهية.

وإنهم يعتقدون أن الصحابة -رضي الله عنهم- أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، وهم المخاطبون الأولون للوحي الإلهي، والمتلقون الأولون إياه، وهم الذين رباهم النبي ﷺ في مدرسته النبوية، وهم العدول الثقات التي وصل إلينا الدين عن طريقهم. فالجرح فيهم والطعن عليهم يجعل الدين كله غير موثوق به، بل يهدمه هدمًا.

وأما ما تشاجروا فيها بينهم، فيحسنون بهم الظن، ولا يقارنون بينهم مقارنةَ الطاعة والمعصية، والحق والباطل، وإنما يقارنون مقارنةَ الخطأ والصواب، ومن المعلوم أن المجتهد المصيب له أجران، والمجتهد المخطئ له أجر.

وأما من بعد الصحابة من الشخصيات فيخطؤون خطأهم ويصوِّبون صوابهم مع احترامهم والتأدب معهم، ولا يأخذون بتفرداتهم ونوادرهم، وإنما يأخذون في المسائل بما عليه جمهور علماء الأمة.

إن علماء ديوبند لا يعتبرون العقل مهملًا وعاطلًا في باب الدين، وإنما يعدونه نافعًا فيه، ولكنهم لايخضعون الوحي الإلهي للعقل كالمعتزلة، ولايقدسون العقل ويجعلونه إلهًا وشريكًا في صفة الخلق كالفلاسفة القدامى، ولا يعتبرونه آلة تدار بها أمور الدنيا والدين كلها كالفلاسفة المعاصرين.

إن علماء ديوبند يقدِّمون الوحي على العقل، ويجعلونه خادمًا للدين ومستنبِطًا للحِكَم لا موجدًا للأحكام، ولو كان العقل موجدًا للأحكام ومشرِّعًا لها لما كانت هنا حاجة إلى نبي ولا كتاب. إنهم يعتبرون العقل آلة كالحواس الخمس، ويعدّونه ميزانًا لتقدير المحسوسات، ولا دخل له في إدراك المغيبات.

فموقفهم من العقل ليس موقف المعتزلة ولا الفلاسفة القدامى والمعاصرين ولا موقف الطوائف التي لا تمسح للعقل بالدخول في باب الدين، إنما موقفهم المعتدل والوسط هو أن العقل آلة نافعة تُوَظَّفُ للتوصل إلى الحِكَم والحقائق الخفية، لا لإيجاد الأحكام والحقائق؛ لأن مصدر الأحكام هو الوحي الإلهي، لا العقل القاصر المحدود.

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ لِتُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيْثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ [الحديد، الآية: ٨].

٤- التقليد الفقهي

الأساس الرابع هو تقليد فقه معيّن في الفروع الإسلامية والخلافات

الاجتهادية؛ لأنه لا يمكن بدون ذلك التنحي – في المسائل المختلف فيها – عن الاحتيار وهوى النفس والتحرر الجامح، كما لا يمكن بدون ذلك لغير المجتهد الذي لا يملك أهلية الاجتهاد والاستنباط، الاحترازُ – إذا سُمِحَ بالعمل بشتى المذاهب الفقهية – من التلفيق والتذبذب والتلوّن والحذف والزيادة من عنده في المسائل الاجتهادية.

إنهم – علماء ديوبند – يتقيدون في الاجتهاديات بالفقة الحنفي ويتبعون أصول التفقه الحنفي التي تسري في جميع المسائل الاجتهادية والقضايا الاستنباطية كالروح بشكل مطّرد؛ فالتقليد الفقهي لا يعني التقيد بالجزئيات الاجتهادية، وإنما يعني التقيد بأصول التفقه فيها، التي تسع جميع الجزئيات المتعلقة بشتى أبواب هذا الفقه.

فهم -رغم كونهم حنفيين- لم يجيزوا مدفوعين بالعصبية أو ضيق الأفق أن يطعن أحد منهم على فقه آخر أو على أئمة مذاهب فقهية أخرى، فضلًا عن أن ينالهم بالاستهزاء والسخرية. فهم يقولون في المسائل الفرعية بالتعليل والتأويل ولا يقولون بالرفض والتفنيد أو التكذيب. وإذا لم يكونوا مجتهدين فإنهم يرون النجاة في هذه القضايا المختلف فيها في الرجوع إلى المجتهدين الكرام، ويرون ذلك الموقف هو الواقعية؛ وعلى ذلك فهم يحترمون جميع المجتهدين دونما استثناء؛ لكونهم «أولي الأمر» الذين أشار إليهم القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ رَدّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَ إِلَى أولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

٥- مقاومة الزيغ والضلال

والأساس الخامس هو مقاومة الفتن المثارة من قبل الفرق المتعصبة وأولي الزيغ والضلال، وإدارك ما يقوم به المتسللون إلى الصفّ من المؤامرات وعمليات الشطارة، ثم التصدي له بالمقاومة والتفنيد بروح جهادية. سواء أتت هذه المؤامرات متلبسة بالدين أو متقمصة بالروح السياسية وبقوانين البلاد؛ لأنه لا يمكن أن يتحقق بدون ذلك أغراض مكافحة المنكرات والبدع والخرافات

والشركيات، وإصلاح المجتمع، ومقاومة التقاليد غير الإسلامية. وبالإيجاز: لا يتحقق بدون ذلك غرض إعلاء الدين وإعلاء كلمة الله.

بناءً على ذلك فقد ردّوا على أضاليل الفرق الضالة والمنحرفة وأباطيلها، وقاموا بمحاربة البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية التي كانت قد تسربت إلى مجتمع المسلمين، و توفروا على مقاومة التيارات والاتجاهات التي تصيب الدين بالضرر. وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وبها قال رسول الله ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين[1]..

فمقاومة الفتن والتيارات المضادة والاتجاهات الباطلة والبدع والخرافات من الواجب الديني، وجزء لا ينفك من المذهب الحق، كما تقتضي الآية القرآنية:

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُوْرٍ﴾.

[الحج: ٣٨]

٦- اتباع طريقة التزكية والإحسان

والأساس السادس هو تهذيب الأخلاق، وتزكية النفس، واستكمال السيرة والسلوك في ضوء سلاسل الناسكين المحققين وأصول تجاربهم المستمدة من الكتاب والسنة؛ لأنه لا يمكن بدون ذلك تطهير النفس، وكسب البصيرة والتوازن الخلقي، واستقامة الذوق، وتقويم الفهم والمزاج، وتوجيه الذكاء وجهةً صحيحةً، ورؤية الحقيقة.

على هذا فهم يعظمون رجال التزكية والإحسان الذين قاموا بدور عظيم في تربية الناس وتقويم سيرتهم وتهذيب سلوكهم، ويرون طرقهم الإحسانية و ووصفاتهم العلاجية وتمارينهم التربوية، نافعة في التخلي عن الأدواء الخلقية، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

(١) مسند البزار، رقم: ٩٤٢٩.

بل إنهم أنفسهم اشتغلوا بهذا الفن: فن التزكية والإحسان، ونقّحوه مما كان دخله من الشعوذات والخرافات والتقاليد المنكرة والطرق المصطنعة حتى جعلوه فنًا إسلاميًا بحتًا، ووظفوه لإصلاح عباد الله وتربيتهم وتزكيتهم، فخرَّجُوا آلافًا منهم يحيون حياة المسلم العامل بأحكام دينه المبتغي لمرضاة ربه في جميع حركاته وسكناته.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

٧- الجامعية والشمول

الأساس السابع هو الجامعية والشمول وهذا يعني أن هذا المذهب جامع شامل ممثل للإسلام؛ لأن الإسلام بجميع شعبه العلمية والعملية يمثله مذهب أهل السنة والجماعة، وعلماء ديوبند يمثلون مذهبهم خير تمثيل.

على هذا فمذهبهم يمثل جميع شعب الإسلام الأساسية على السواء، ويقدمون الإسلام جملة إلى الناس، فلا يأخذون بجانب، ويتركون آخر، ويفعِّلون شعبة منه ويعطلون أخرى، فمثلًا لايركزون على صحة العقيدة مهملين العمل بالأسوة النبوية، ولا يقبلون على شعبة السياسة منه ضاربين عرض الحائط الشعبَ الأخرى كلها، ولا يتمسكون ببعض شكليات الإسلام معرضين عن شكلياته الأخرى.

بل هم يأخذون بجميع شعبه وأقسامه باعتدال ووسطية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا شطط ولا وكس، ولا تشدد ولا تطرف.

وتلك إحدى المزايا التي تميزهم من الطوائف والفرق الإسلامية الأخرى التي منيت بالإفراط والتفريط والتطرف والتشدد، فطائفة تقدم العقل وتجعل الوحي الإلهي خاضعًا له، وأخرى تعكف على حب الصالحين وتتخذهم أربابًا من دون الله، وطائفة تغلو في حب أهل البيت حتى تحصر الإسلام كله في حبهم، وطائفة تركز عنايتها على بعض المسائل الخلافية المجتهد فيها، كأن الدين كله تلك المسائل لا غير.

فمـذهب علـماء ديوبنـد منـزه عـن هـذا الإفـراط والتفـريط، والتـشدد والتطرف، والغلو والإغراق، وهومذهب جامع للأحكام ولزوايا الأحكام التي تشمل جميع شعب الدين الأساسية، من الرواية والدراية، والعقل والنقل، والعلم والحبّ، والقانون والشخصية، والاعتدال والتوازن؛ إلى جانب ما يُقَوِّم الأخلاق، ويهذّب السيرة، ويزكّي المعنويات، ويسمو بالروح.

٨- التمسك بالسنة

الأساس الثامن هو التمسك بالسنة، التي تسمى بـ «الأسوة الحسنة» التي قدّم بها النبي إلى أمته نموذجًا لكل عمل من الأعمال بفعله هوﷺ، وهذه الأسوة تحوي جميع الأعمال الإسلامية.

ومن الواضح أنه لا يمكن بدون التمسك بأسوته ﷺ صيانةُ الأعمال الإسلامية على هيئتها المطلوبة، ولا يمكن بدونها الاحتراز من البدع والمحدثات، ولا يمكن أن تظل الصورة المعهودة للإسلام العملي ماثلة في الذهن بدونها. فهذا الأساس هو الأساس الأصيل لجميع الأعمال والأخلاق الإسلامية.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًا﴾[الأحزاب: ٢١].

ولذلك فإنَّ علماء ديوبند -بجانب تمسكهم بالجانب العقدي و الفكري المتوارث للإسلام- يركزون عنايتهم على الجانب العملي للإسلام الذي قدمه رسول الله ﷺ إلى أمته بأسوته، فهم بدورهم يتأسون بالأسوة النبوية في اللباس والالتحاء، وفي القيام والقعود وفي جميع الأعمال والأفعال.

ويتجنبون كلَّ الاجتناب الزيّ والهيئة التي تُشَبِّهُهم بغير المسلمين، ويدعون المسلمين كذلك إلى التأسي بأسوة رسول الله ﷺ، وتجنب أزياء وأعمال غير المسلمين، والحفاظ على شخصيتهم الإسلامية وعدم الذوبان في المجتمعات غير الإسلامية.

على كل فهذا المذهب مذهب معتدل يعتمد النقل والعقل والرواية والدراية معًا، ولكن بشكل لا يخرج من إطار العقل، ولا ينبني على العقل، وإنما امتزج فيه العقل بالنقل بحيث جاء النقل والوحي أصلًا فيه، وعاد العقل خادمًا له ومنفذًا لأوامره.

فمذهب علماء ديوبند ليس مذهب المعتزلة المتبنّين للعقل، الذين جعلوا العقل مسيطرًا على النقل ومتحكمًا فيه، فاعتبروه أصلًا وجعلوا الوحي تابعًا له؛ فبات الدين مجردَ فلسفة، تمهد السبيل أمام الجماهير إلى الزندقة والإلحاد، كما أن السذَّج من المتدينين يعودون لا علاقة لهم مع الدين ومع رجال الدين.

وكذلك فهذا المذهب ليس مذهب الظاهرية الذي يعتمد ألفاظَ الوحي فقط، ولا يلتفت إلى العقل والدراية، ولا يبالي بأسرار الدين وعلله الباطنة وحكمه ومصالحه؛ فتعود طريق الاجتهاد والاستنباط مسدودة، ويعود الدين شيئًا جامدًا لا حقيقة له ولا معنى من ورائه، ويعود العقلاء وكأنّ الدين لم ينزل لهم، ويعود الحكماء وكأنّ الإسلام لا علاقة له معهم.

ومن الواضح أن كلا المذهبين يتعرضان للإفراط والتفريط ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] اللذين يتبرأ منهما المذهب المتوازن.

فالمذهب الجامع إنما يكون المذهب الذي يجمع بين العقل والنقل في توازن كامل يجعله مُتَّبَعًا لدى كل فئة من فئات الأمة، ودستورًا للحياة شاملًا مقبولًا لديها جميعًا؛ فيعود المتبعون له مصداقًا لقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَّسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذا المذهب هو الذي يُسَمّى مذهَب أهل السنة والجماعة، وهو الذي يتبنّاه علماء ديوبند؛ ولكونهم يتبعون هذا المذهب الجامع هم مفسرون و محدثون معًا، وفقهاء و متكلمون معًا، وزاهدون ومجاهدون معًا، ومقلدون و مفكرون معًا؛ فجاء مزاجهم معتدلًا متوسطًا يتنزّه عن الغلوّ والمبالغة. وبفضل هذا التوسط وسعة الأفق والقلب لا يتبنّون عملية التكفير وتوجيه الشتائم، ورمي فرد أو جماعة

بالسباب والاتهام والنقيصة، ولا نصب العداء ضدها والحسد والكراهية والسخط، ولا يقعون فريسة للترف والتطرّف بغلبة الجاه والمال. وإنما يعمدون إلى بيان المسألة وكشف الحقائق أو إحقاق الحق وإبطال الباطل. وبكلمة أخرى: إلى إصلاح أحوال الأمة وتحقيق الاتحاد والتضامن بين المسلمين؛ الأمر الذي لا يقدمون عليه مدفوعين بعاطفة احتقار شخصيات الطوائف المخالفة أو تناولهم بالإساءة أوالطعن والاستهزاء.

فتلك الصفات والمزايا المشار إليها، ومجموعها هو الذي يسمى مذهب «دارالعلوم بديوبند» ومشايخها وعلمائها وأبنائها ومنتسبيها، وتلك الشمولية والجامعية العلمية والعملية والعقلية والأخلاقية، هي التي جعلت نفوذها يمتدّ إلى معظم أقطار العالم.

ونظرًا إلى هذه الجامعية والاعتدالية في المزاج اللّتين يمتاز بهما مذهب علماء ديوبند، كان الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال رحمه الله (المتوفى ١٩٣٨م) يقول في شأن «الديوبندية» كلمة بليغة شاملة للغاية، عند ما سأله سائل:

ما هذه الديوبندية؟ هل ديانة أو فرقة؟.

قال: «لا، إن الديوبندي عنوان لكل متدين يحب المعقول»[1].

***

(١) علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للمقرئ محمد طيب القاسمي، ص: ٢٨٧- ٣٠٤، و تاريخ دارالعلوم ديوبند للرضوي ١/ ٤٢٤- ٤٣٥ .

نماذج مشرقة من سيرة علماء ديوبند وشمائلهم

من رأى علماء ديوبند ومشايخهم عن كَثْبٍ، أو درس سيرتهم وشمائلهم وسلوكهم في الكتب، وجدهم من أكثر الناس حرصًا على العمل بكتاب الله و اتباع سنة رسوله ﷺ وهديه، وعرف أنَّ تعاليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مطبَّقة في حياتهم، ومترجمةٌ إلى أعمالهم وسلوكهم، ومتمثلةٌ في مساعيهم وجهودهم، بل في جميع حركاتهم وسكناتهم؛ فلا قول بلا عمل، ولا فكرة بدون تطبيق، و لا مبادئ بدون تمثيل.

قال الله جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

كان نُصْبَ أعينِهم ومَصَبَّ عنايتِهم ابتغاءُ رضوان الله جلَّ وعلا، وتحرِّيه في كل تحرُّك وعمل؛ فلم يكونوا يشتغلون بالتدريس والتأليف والدعوة والإصلاح لجمع المال والمادة، وتحصيل الجاه والثروة؛ فقد كان منهم من لايأخذ على التدريس الرواتب، ومنهم من كان يأخذ من الرواتب الكفاف، ويرُدُّ ما زاد عنه. و إنهم لم يحتفظوا لكتبهم بحقوق الطبع والنشر، بل أذنوا لكل من يريد طبعها ونشرها، فأصبح أصحاب المطابع والمكتبات التجارية أغنياء بكتبهم ومؤلفاتهم.

وكانوا دائمًا يحاسبون أنفسهم على كل عمل وكل حركة، فإذا خطرت لأحد منهم خاطرة أن الحضور يستحسنون محاضرته ويُعْجَبُون بغزارة علمه وسعة ثقافته انقطع عن الإلقاء وجلس؛ لأنه -إذًا- لايكون الإلقاء لابتغاء مرضاة الله بل لإشباع هوى النفس وتحقيق شهوتها.

وكانوا أَبْعَدَ خلقِ الله عن الصيت والشهرة، والثناء والإطراء، فلايحبون أن يشار إليهم بالبنان، ويثنى عليهم في المحافل، بل يخفون أنفسهم تفاديًا من

الظهور، واتقاء فتنة السمعة؛ لذلك إذا مدحهم أحد من الناس وأثنى عليهم قطعوا كلامه ومنعوه.

وكانوا على الأخلاق الإسلامية النبيلة، والصفات الحسنة العظيمة من الزهد والورع، والتقوى والخشية، وكثرة ذكر الله والابتهال إليه، والمحافظة على الصلوات وقيام الليل وتكبيرة الإحرام، والمعاملة الحسنة مع الناس، والحرص على نفعهم، والصدع بالحق في وجه الظَّلَمَة الطغاة، والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، ومواجهة السجن والاعتقال لرفع رأية الدين والحفاظ عليه، والحصول على الحرية الدينية، واستعادة مجد المسلمين الغابر... كانوا متحلين بهذه الأخلاق والصفات؛ لأن مشايخهم الذين كانوا مهرة الشريعة ورجال التزكية خرّجوهم علماء جامعين بين العلم والعمل، والشريعة والربانية.

فلئن كانوا على الذروة السامقة من العلم و القمة العالية من غنى النفس، فهم يتمتعون بالصفات الحسنة من الخضوع والزهد والإيثار، فلا تيه فيهم ولا كبر، ولا ذل ولا مسكنة. وإن كانوا على مكانة رفيعة بين سواد الناس في العلم والخلق فهم يبدون كأحد منهم في التواضع والبساطة وإنكار الذات؛ وإن كانوا يحبون الخلوة للمجاهدة والمراقبة فهم يخوضون معارك ميدانية لإسداء الخدمات إلى عامة الناس.

لقد اختارهم الله لخدمة دينه في هذا العصر، ووفَّقهم لحفظ شريعته، وتطبيقها في واقع الحياة، وتبليغها الأجيال اللاحقة كاملة سالمة؛ فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء، وأوفر الأنصباء، ووفقنا للسير على طريقهم واقتفاء آثارهم.

وإليكم نماذج مشرقة من سيرتهم وسلوكهم، وصورًا من زهدهم وتقواهم، وبساطتهم وتواضعهم، وجرأتهم وبسالتهم، والحرص على نفع الناس وتحقيق مصالحهم.

حب الإخفاء والبعد عن الصيت

كان الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ مثالًا في البساطة، متواضعًا، متقشفًا في المأكل والمشرب، ومتخشنًا في الملبس والمسكن، وأحبُّ شيء إليه الخمولُ والعزلةُ، وأكره شيء إليه الصيتُ والشهرةُ، وكان صبورًا على المكروه لا ينبس فيه ببنت شفة، وكان كريمًا سمح اليد مضيافًا.

وكان يُخفِي نفسه – جُهدَ طاقته – فلا يُحِبُّ أن يُشَار إليه بالبنان، ويُعْرَفَ في أوساط الناس بالشيخ أو العالم، وكان لا يُفتي بالفتوى، ولا يؤُمُّ الناس في الصلاة، فإذا أفتى كان لا يوَقِّع على الفتوى إخفاءً لنفسه. وقد مضى عليه حين من الزمان، كان يكره فيه أشدَّ الكراهية أن يدعوه الناس بالشيخ أو بالعالم، فإذا دعوه باسمه لبَّى وتهلَّل وجهه فرحًا.

التبرع بحلي زوجه للمجاهدين الأتراك

كان الإمام النانوتوي يشاطر آلام الأمة الإسلامية وأحلامها، فإذا سمع مصيبة حلت بساحتها في أي بقعة من بقاع العالم، أصبح يتقلب على أحرَّ من الجمر شأنَ المؤمن الحق، كما قال الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

فلما قامت الحرب البلقانية بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٧م، وتناهت إليه أنباء الحرب وما لحق المجاهدين الأتراك من خسائرفادحة في الأرواح والممتلكات، تألم هو وأصحابه المسؤولون في الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند أشدَّ التألم، و أزمعوا على أن يساعدوا إخوانهم الأتراك بأنفسهم وأموالهم. فجمعوا مبالغ باهظة لهم، كما تبرع الشيخ بحلي زوجه كلها لهم، وبعثوا بهذه المبالغ عن طريق السيد حسين حسيب سفير تركيا لدى مومباي بالهند إلى الخليفة العثماني في إستانبول عاصمة الخلافة العثمانية، فتلقاها المسؤولون فيها، وأرسل إبراهيم أدهم باشا رسالة شكر إليهم.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٨٣٨٠. صحيح مسلم، رقم: ٢٥٨٦.

الزهد في الدنيا

كان الشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى ١٣٠٢هـ-أول رئيس هيئة التدريس بالجامعة- زاهدًا فيما عند الناس، راغبًا فيما عند الله، كسلفه الذين كانوا يهتمُّون فقط بجانب الآخرة، ولا يبالون بجانب الدنيا.

يُروى أن أحدًا من أصحابه كان مُدِلًّا به كثيرًا، قال له ذات مرة: إن السَّريَّ الفلان يودُّ أن لو زُرْته مرة، فقال: سمعت أنه يُهدي إلى كل « مَوْلَوِيٍّ» – مثقف بالثقافة الدينية الشرعية- يزوره مئة روبية، وبما أنه يدعو إليه بنفسه، فقد يجوز أن يُهدي إليَّ مئتي روبية. وماذا تقع مني هذه المئة والمئتا روبية. إني لن أذهب إليه لأضع من مكانة المولوية.

كان قَنُوعًا زاهدًا، فلم تُغْرِه المناصب ذات الرواتب الكبيرة، واكتفى بالراتب الزهيد الذي كان يناله من الجامعة. دعاه الشيخ جمال الدين البوفالي الذي كان ذا منصب رئيس في إمارة «بهوبال» المسلمة والذي كان من تلاميذ أبيه الشيخ مملوك العلي النانوتوي، فاحترامًا لعلاقته هذه المشرفة، دعاه ليُولِّيه وظيفة مرموقة ذات راتب كبير في الإمارة، لكنه مارضي أن يُغادر الجامعة، رغم الراتب المتواضع الذي كان يناله منها، ووَجَّه إلى « بهوبال» مكانَه ابن اخته الشيخ خليل أختر الأنبهتوي.

رئيس الجامعة يبيع أرضه ويسدِّد المبلغ المسروق للجامعة

كان الشيخ منير النانوتوي المتوفى سنة ١٣٢١هـ-رئيس الجامعة الأسبق- مثالًا في النزاهة والأمانة، فقد روي أنه سافر لبعض شأن الجامعة إلى دهلي، ومعه مبلغ: مئتين وخمسين روبية، فسُرِقَ المبلغُ، فعاد أدراجه إلى قريته «نانوته»، وباع أرضه، ثم ذهب إلى دهلي وقضى حاجة الجامعة، ولم يخبر بحادث السرقة أحدًا من الناس، فلما اطلع أعضاء مجلس الشورى على الحادث استفتوا الفقيه المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في الأمر، فأفتى الشيخ بأن رئيس الجامعة لما كان أمينًا على المبلغ، وقد سُرق المبلغ دون تعدٍّ منه، فلا ضمان عليه. عرض أعضاء المجلس الفتوى على رئيس الجامعة، ورجوه أن يسترد المبلغ من الجامعة، فقال:

«ليس الأمر أمرالفتوى، إنما المهم لو تعرض الشيخ رشيد أحمد نفسه لمثل هذا الحادث فهل أخذ المبلغ؟» فأبى أن يأخذ المبلغ.

المحافظة على صلاة التهجد ستين سنة

كان السيد محمد عابد الديوبندي المتوفى سنة ١٣٣١هـ -رئيس الجامعة الأول- تقيًا ورعًا، عبَّادًا زهَّادًا، أقام بالمسجد ستين سنة، وحافظ على تكبيرة الإحرام ثلاثين سنة، كما لم تفته صلاة التهجد ستين سنة، وكان كثير المحافظة على أوقاته، شديد التمسك بسنة سيدنا محمد ﷺ. بلغه أن بعض تلاميذه كف عن الأكل والشرب كبحًا لجماح نفسه، فنهاه عن ذلك، وأمره بالأكل والشرب عملًا بسنة سيدنا محمد ﷺ.

ينفق في سبيل اللّه كل ما يملكه

كان أهالي ديوبند يُجلِّونه أشدَّ الإجلال، وقد نفع الله به الخلق الكثير. توكل على الله حتى أنفق في سبيله كل ما كان يملكه من منزل ومزارع وبساتين.

المحافظة على قيام الليل حتى في السجن

كان شيخ الهند محمود حسن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ -رئيس هيئة التدريس الأسبق- ملازما للعبادة والورع وقيام الليل. وكان آية في علو الهمة وبعد النظر والأخذ بالعزيمة والجهاد في سبيل الله، شديد البغض لأعداء الإسلام، ورعًا زاهدًا، مقبلًا على الله بقلبه وقالبه، متواضعًا كثير الإيثار، قليل التكلف، متقشفًا. وكان دائم الابتهال إلى الله قوي التوكل عليه، ثابت الجأش، سليم الصدر.

وكان كثير المحافظة على الأدعية، قائمًا بالأسحار، فكان لا يفوته القيام حتى في الأيام التي كان يدرِّس ١٩ كتابًا في النهار وبعد الفجر والمغرب والعشاء، كما لم يفته القيام رغم ضعفه و شيخوخته في سجن «مالطا» ذات البرد القارس.

يأخذ الراتب بقدر ما يحتاج إليه

وعندما توفي الشيخ السيد أحمد الدهلوي، ولي رئاسة هيئة التدريس، فكان

هذا المنصب يُدرُّ عليه ٧٥ روبية هندية كل شهر، فكان يأخذ منه خمسين روبية ويردُّ إلى دارالعلوم خمسًا وعشرين روبية.

رفض أن يقبل لقب «شمس العلماء» من الحكومة الإنجليزية

كانت الحكومة الإنجليزية قد أكرمت كثيرًا من العلماء بألقاب ووسامات استمالةً لهم وكسبًا لتأييدهم، فقبلها كثير من العلماء شاكرين إياها على هذا التكريم. وأما علماء ديوبند فقدكانوا قد خاضوا «معركة شاملي» النضالية ضد الإنجليز، وقادوا «حركة الرسائل الحريرية» لتخليص البلاد من براثنهم، وشنّوا حملة لمقاطعة بضائعهم، وأفتوا بأن التجند في الجيش الإنجليزي حرام، فكانوا ضدَّهم، فلم يقبلوا منهم أي تكريم، ولا لقب، ولا وسام.

أرادت الحكومة الإنجليزية أن يكرم الشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي المتوفى سنة ١٣٤٧هـ -رئيس الجامعة- بلقب «شمس العلماء»، فرفض أن يقبله.

تحقيق حوائج الأرامل من السوق، وإصلاح سطوح بيوت الفقراء أيام المطر

كان المفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي المتوفى سنة ١٣٤٧هـ- المفتي الأكبر الأول للجامعة- غاية في إنكار الذات، والتواضع، وستر الحال، والاجتهاد لإسداء الخير، والنفع للخلق، حتى كان دائب التطواف بعد صلاة العصر على البيوت، ليطلع على حوائج الأرامل والعجائز، والعفيفات من النساء اللاتي يفقدن كفلاء الأمر، فيحقق لهن حاجاتهن من السوق، وغيرها، ويحملها إليهن بنفسه. كما كان يُتابع سطوح بيوت الفقراء أيام المطر، فيُرمِّمُها بنفسه. وإذا جاءه أحد يستفتي وهو على السطح يصلحه يقول له: هات الورق والقلم، فيكتب له الإجابة من ساعته، ثم يعود إلى إصلاح سطح البيت.

كلمة حق عند سلطان جائر

قاد العلماء الربانيون والزعماء السياسيون «حركة الخلافة» في الهند، وكان في طليعتهم الشيخ محمد علي جوهر، والشيخ شوكت علي، والشيخ أبوالكلام

آزاد، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني المتوفى ١٣٧٧هـ، ومن إليهم، وكان أهم أهداف الحركة مطالبةَ الحكومة الإنجليزية بالحفاظ على كيان الخلافة وماتحكمه من البلاد الإسلامية؛ وذلك عن طريق الضغط عليها بترك موالاتها وعدم التعاون معها.

استفتى أعضاء الحركة العالمَ الربانيَّ شيخ الهند محمودحسن الديوبندي – أستاذ الحديث ورئيس هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند– عمَّاذا ينبغي أن يقف المسلمون من الحكومة الإنجليزية التي تحاول إلغاء الخلافة، وتقوم بالاستيلاء على البلاد الإسلامية وتعذيب المسلمين؛ فأفتى شيخ الهند بالفتوى التي وقَّع عليها نحو خمس مئة من العلماء، والتي نشرتها المنظمات الإسلامية في طول البلاد وعرضها. وكان مغزاها:

أن يترك المسلمون موالاة أعداء الإسلام والتعاونَ معهم عقيدةً وعملًا.

فعقدت «حركة الخلافة» مؤتمرًا لعموم الهند بكراتشي في يوليوعام ١٩٢١م، تم فيه إعلان الفتوى كقرار، وقد أعلن عن هذا القرار العالمُ الجليلُ والمجاهدُ الباسلُ شيخ الإسلام حسين أحمد المدني – رحمه الله – أحد تلامذة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي صاحب الفتوى – قائلًا:

يقرر المؤتمر بأن موالاة الحكومة البريطانية ونصرتها والتعاون معها حرام.

وقد أيَّد هذا القرار كبارُ الزعماء السياسيين، وعلى رأسهم الشيخ محمد علي جوهر، والدكتور سيف الدين كشلو، وبيرغلام مجدد السندي وغيرهم. وقد تم ذلك على مرأى من الناس ومسمع، وكان ذلك تحديًا سافرًا للحكومة الإنجليزية، وكان الحضور يخشون أنه ستلقي الحكومةُ القبضَ على من قدَّم القرار ومن أيَّدوه.

وقع ما كان الناس يخشونه، فقد جاء الضباط الإنجليز بالكتيبة المسلحة وألقوا القبض على الشيخ المدني وهو في ديوبند، وساقوه إلى المحطة، وأركبوه قطارًا خاصًا، وذهبوا به إلى كراتشي.

كانت القضية غايةً في الخطورة، وكانت الحكومة الإنجليزية تريد أن تزرع

الرعب والخوف في قلوب الشعب الهندي، فعنيت بترتيبات الشرطة والقوات أشد العناية، واختارت لمحاكمة المتهمين قاعة « خالق دين» في كراتشي بدل مبنى المحكمة، ولم تسمح بدخولها إلا ببطاقة الدخول.

بدأت إجراءات القضية فاستنطق القاضي الشيخَ حسين أحمد المدني، فألقى الشيخ كلمةً صعبةً في اللغة الأردية، لم يفهمها القاضي ولا أمين سره، وفي اليوم التالي: ٢٩/ سبتمبر ألقى الشيخ كلمته على رؤس الأشهاد في المحكمة، وكانت كلمته نموذجًا للحديث النبوي: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» ومثالًا للشجاعة الأدبية.

فقال الشيخ بعد ما أجاب عن الأسئلة التي وُجِّهت إليه:

«أنا رجل متديِّن، أؤمن بكتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ. ويجب على كل مسلم أن يؤدّي الفرائض الدينية، ولا يبالي بما يحول من العراقيل دون أدائها؛ فقد قال رسول الله ﷺ: السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، مالم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلاسمع عليه ولاطاعة. وقال: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

أنا رجل عالم يجب عليَّ العملُ بأوامر الله أكثر مما يجب على غيري، كما يجب عليّ أن أبلّغ الناس دينَ الله وأوامرَه. فقد قال ﷺ: من سُئِلَ علمًا يُبتَغى به وجهُ الله فكتمه، ألجِمَ يوم القيامة بلجام من نار.

وإني أعترف أنَّ العلماء أفتوا بأن التجند في قوات الحكومة الإنجليزية حرام.

أما الموافقة على هذا القرار في المؤتمر فليست أمرًا جديدًا، وإنما كان لازمًا أن نوافق عليه في الأوضاع الراهنة، كالطبيب يجب عليه أن يُشير على المريض بما يبدو عليه من الأعراض.

لقد صرح «لائد جورج» و«تشرتشل» بأنَّ هذه الحرب حرب بين الإسلام وبريطانيا. هنالك أصبح من أهم وآكد واجباتنا أن نعلن أنه يجب على المسلمين أن

يخوضوا الحرب ضدَّ جميع القوى التي تُعارض الإسلام؛ فالمسلمون أوفياء مع الحكومة مادام يسمح لهم دينُهم.

فإن كانت الحكومة الإنجليزية لاتريد أن تعمل بالمرسوم الذي أصدرته ملكة «فكتوريا» بشأن الحرية الدينية، ولاترعى شعائر الدين وحدوده، فعلينا نحن المسلمين أن نقطع أمرا: أنريد أن نعيش مسلمين، أم شعبا للحكومة الإنجليزية، فإن كانت الحكومة تريد أن تسلب الحرية الدينية فالمسلمون يُضَحُّون بأنفسهم في سبيل الحرية الدينية، وأنا أول من يُضحِّي بنفسه في سبيلها.

هنالك تقدَّم محمد علي وقَبَّلَ قدمي الشيخ.

وأما القرار الذي ألقيتُه أمام الحفل فليس قرارًا بمعناه الصحيح، وإنما أمر ديني قديم قِدَم الشريعة الإسلامية، وليس بجديد. إنما يُسَمَّى قرارًا لُجوءًا بالحيطة؛ لأنه قد ضُمَّت إليه فِقَرات أخرى، فهذه قضية دينية، الأمرفيها إلينا نحن العلماء، لا إلى «اللورد ريدنغ». والقرار بشكله ومضمونه عبارة عن مبادئ دينية لاغيرُ.

وإني أعلن على مرأى من الناس ومسمع أن التجند في الشرطة والقوات الإنجليزية حرام».

فصدرالحكم في هذه القضية التاريخية في ١/ نوفمبر١٩٢١م عن شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، والشيخ محمدعلي جوهر وزملائهما الآخرين بالحبس مع الأعمال الشاقة لسنتين، فحُبِس الشيخ في سجن «سابرمتي» وزملاؤه في السجون الأخرى.

وأعِفّ عند المغنم...

كان شيخ الإسلام حسين أحمد المدني – رحمه الله – عالمًا ربَّانيًا ومصلحًا كبيرًا ومجاهدًا باسلًا وآيةً للزهد والنزاهة.

كما كان له تضحيات وبطولات في سبيل كفاح تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، ومواقف جريئة في محاكم الإنجليز- كما أسلفت-؛ فاعتُقِلَ مرَّات في

الزنزانات في الهند وخارجها. فاعتقالاته معروفة مشهورة يردِّدها لسان الدهر وتعيها ذاكرة التاريخ.

نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧م، وقد تولى أبناء البلاد الذين خاضوا حرب التحرير مقاليد الحكم: فمنهم من أصبح رئيسًا للوزراء، ومنهم من صاروزيرًا للداخلية، ومنهم من عاد وزيرًا للتعليم . ومنهم من نالوا جوائز قيمة واستدروا رواتب ضخمة طيلة حياتهم. وأما الشيخ فقد عاد – بعد ما طرد الاستعمار من الهند– إلى ما كان فيه من تدريس و تعليم وتربية وإصلاح وإرشاد. وبذل ما بذل من تضحيات و مجهودات ابتغاء وجه الله لايبغي عليه جزاءً ولاشكورًا.

لقد عرفت الحكومة الهندية لكفاحه وجهاده قيمته، وقررت أن تمنحه لقبًا وهو «فدم وبوشن» وجائزة قيمة و راتبًا يصله مدى الحياة. تناقلت الصحف الخبر، فلما بلغ الشيخَ هذا الخبركتب خطابًا إلى رئيس الجمهورية الهندية معتذرًا عن قبول هذا اللقب والجائزة، وقدجاء فيه:

«بلغني أنكم ستشرِّفونني بجائزة «فدم وبوشن» اعترافًا بخدماتي التدريسية في دارالعلوم بديوبند، وكفاحي في سبيل تحرير الهند، ورئاستي لجمعية علماء الهند، فإن كان الأمر كذلك فأنا أشكركم من أعماق قلبي على تقديركم وتكريمكم إيايَّ، وأقول: بما أني أرى أنَّ الجائزة كهذه في نظر الشعب تنال من حرية الرأي والصدع بالحق لدى العاملين المخلصين للأمة والبلاد، وتعرقل في الإرشاد الصحيح للحكومة الوطنية، أرى من اللازم أن أردَّ هذه الجائزة».

فقد ردَّ هذه الجائزة ولم يأخذ على مجهوداته الجبارة التي بذلها لتحرير البلاد شيئًا، وعاش قنوعًا متوكلًا على الله، وكان كما قال الشاعر:

ويُخبرك من شهد الوقيعة أنّني
أغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنم

نقاوم الأوضاع بجرأة وبسالة

لما انفجرت نار الاضطرابات في البلاد بعد استقلالها وقسمتها سنة

١٩٤٧م، وعمَّ لهيبها دهلي العاصمة ضعُفت همم المسلمين وتقاصروا عن مواجهة هذه الأوضاع، فقاوم الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي المتوفى سنة١٣٨٢هـ وغيره من رجال جمعية علماء الهند هذه الأوضاع العصيبة بجرأة وبسالة، وزجر الزعماء السياسيين والسلطات زجرًا وأنحى عليهم بالملام مؤكدًا عليهم بسط الأمن والاستقرار في العاصمة، وأزال عن قلوب المسلمين الخوف والوهن، وثبَّتَ أقدامهم. وتلك مكرمة له عظيمة جديرة بأن يكتب بماء الذهب. فما قام به من خدمات جُلّى نحو المسلمين لن ينساها التاريخ الهندي.

فلما وقعت حوادث القتل والنهب والشغب في الأحياء المسلمة قال له الزعماء السياسيون الهندوس مؤكدين: «قد صعُب علينا صيانة المسلمين في المدينة، فعليهم أن يلجؤوا إلى مخيمات اللاجئين التى نصبناها خارج المدينة».

وكان ذلك مكيدة من الزعماء السياسيين الهندوس حاكوها لإخراج المسلمين من الأحياء الرئيسة للمدينة، ففطن لها الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، وقال في جرأة وبسالة ضاربًا مشورتهم عرض الحائط: « لن نخرج من المدينة. ليس لنا أدعى للخجل والجبن من أن نكون لاجئين في وطننا. لا شك أنَّ هذه الأيام عصيبة، غير أننا نقاومها بجرأة وشجاعة».

يردُّ ما كان أخذه من الرواتب إلى الجامعة

درَّس الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المتوفى سنة ١٤٠٢هـ الحديث وعلومه في جامعة مظاهر علوم محتسبًا متطوعًا، لا يأخذ عليه أجرًا، ولقد عرضت عليه القناطير المقنطرة لينفصل عن جامعة «مظاهر علوم» ويلتحق ببعض المدارس الحكومية، أو ببعض المؤسسات التأليفية، فزهد في تلك الأموال، وآثر جامعة مظاهر علوم وأفنى عمره فيها، وفي بداية سني تدريسه أخذ الرواتب الشهرية، ثم رد جميع ما كان أخذه من الرواتب إلى الجامعة.

يعيد الراتب إلى الجامعة بعد ما يضيف إليه

كان المفتي محمود حسن الكنكوهي المتوفى سنة ١٤١٧هـ – المفتي الأكبر

للجامعة -كان بسيطًا في المأكل والملبس منذ أيامه الأولى في الحياة، فقد كان يتناول الغداء أو العشاء ولا يتناولهما معًا، وكان في أيام تحصيله يهب وجبته الغدائية أو العشائية إلى أحد زملائه المحتاجين من طلاب المدرسة، ولم يرض بعد عمله مدرسًا كذلك بالجمع بين الغداء والعشاء إلا عند ما بدأ يكثر نزول الضيوف عليه من العلماء والمشايخ والطلاب والمثقفين وشتى قطاعات الشعب لتلقي التربية منه؛ فاضطُرَّ أن يؤاكلهم مجاملة معهم وإكرامًا لهم واحتفاء بهم، تأسيًا بسيرة النبي ﷺ في إكرام الضيف وامتثالًا لأمره ﷺ بذلك.

وكان لا يقبل الرواتب من الجامعة، وإنما ظلت عادته في شأنها أنه كان يُعيد إليها بعد ما كان يُضيف إليها من عنده.

رئيس الجامعة يقدم عوضًا عن كل ما يستفيد منها

كان الشيخ مرغوب الرحمن المتوفى سنة ١٤٣٢هـ - رئيس الجامعة سابقًا- كبيرَ الاهتمام بشؤون الجامعة وكثيرَ السهر على مصالحها، جَعَلَها شغلَها الشاغلَ وهمَّها الوحيدَ، مع أنّه لم يكتفِ بأنه لم يقبل منها راتبًا، وإنما كان يُقَدِّم لها تبرعات سخيّة عينيّة ونقديّة وبشكل الحبوب؛ بل كان يُقَدِّم أجرةَ الغرفة التي كان يسكنها، ومقابلَ البترول إذا استخدم سيارةَ الجامعة، وكان لايستفيد منها بشكل إلاّ كان يقدم معاوضةً عن الفائدة التي كان ينالها، وكان يعيش في الجامعة مُوَفِّرًا كل التسهيلات التي كان يحتاج إليها من عنده، من الطعام والدواء والعلاج والكهرباء والمراوح والمبردات والثلاّجة وما إلى ذلك من الحوائج اللازمة اليوميّة، حتى كان يُنْفِق على الضيوف من عنده إلا أن يكونوا ضيوفًا رسميّين.

ذات مرة تنازع عدد من الطلاب وأصحاب الدكاكين في المدينة واشتبكوا، ففسدت بعض بضائعهم، فذهبوا إليه- رئيس الجامعة المذكور- مطالبين منه أن يعوِّض عن الخسارة التي لحقتهم بسبب الطلاب، وبالغوا في وصف الخسارة، فقال لهم: إنِّي أمين على مال الجامعة، فلن أعطيكم منه شيئًا؛ وأنا أذهب إلى مدينتي وأبيع من أراضي وأعوضكم عن الخسارة التي تطالبونها، فرقَّ أصحاب الدكاكين

لموقفه، وأبوا أن يأخذوا منه العوض.

جائزة الملك فيصل العالمية يوزّعها الفائز بها على الطلاب الفقراء

لقد كان الدكتور مصطفى الأعظمي المتوفى سنة ١٤٣٩هـ -من أبناء الجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند المعروفين- علمًا من أعلام السنة النبوية، ومجاهدًا فريدًا في الدفاع عنها، من خلال دراسات علمية موضوعية أفنى فيها كثيرًا من سنوات حياته، وعصر فيها جهوده المكثفة، وطَوَّف من أجلها على مكتبات العالم، ودَحَضَ فيها شبهات المستشرقين وغيرهم حول السنة والحضارة الإسلاميّة، بأدلة دامغة لم ينهض لها أحد منهم.

وقام بعمل فريد من خلال إنشائه مركزًا لخدمة السنة على شبكة الإنترنت، وتخزين عدد من كتب السنة فيه، وكانت إنجازاته العلمية متميزة على مستوى العالم، اقتضتها ظروف العصر، وسدّد فيها حاجةَ العصر؛ ولذلك قَدَّرَه العالم الإسلامي تقديرًا بالغًا، وعلى رأسه المملكة العربية السعودية، التي أَكْرَمَتْه بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، عام ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، فلم يتمتع بها شخصيًّا، ولم ينفقها على عائلته، وإنما تَبَرَّعَ بها للطلبة النابهين من فقراء المسلمين.

هذا ما ذكرتُ غيض من فيض، وقُلٌّ من كُثْر، فمن أراد الاستزادة من الموضوع فليقرأ تراجم حياتهم وسيرتهم، والكتب التي تجمع قصصهم ووقائعهم.

***

الباب السادس

جهود و مقاومات

- الجامعة حركة متعددة الأبعاد
- الجامعة حركة تعليمية عالمية
- جهود الجامعة في نشر الثقافة الإسلامية
- جهود الجامعة في الدفاع عن الإسلام
- جهود الجامعة في مجال الدعوة و التزكية والإصلاح والإرشاد
- جهود الجامعة في مجال السياسة والاجتماع
- جهود الجامعة في تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني

الجامعة حركة متعددة الأبعاد

غزا الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر كثيرًا من بلاد العالم، ولاسيَّما البلاد الإسلامية، فتمخَّضت عنه أزَمَات دينية واجتماعية وسياسية، ونتج عنه الإلحاد والزندقة والإباحية، ومُلِئ الناس رعبًا بالدول الاستعمارية الغازية والثقافة الغربية الوافدة. فإذا سرَّحنا الطرف على العالم الإسلامي من أندونيسيا إلى المغرب لم نجد حركة تقوم سدًّا منيعًا في وجه سيل التغريب والتشكيك والإلحاد الذي صَحِب الاستعمار الأوربي.

في مثل هذه الظروف العصيبة انطلقت حركة الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند- التي عُرفت بـ«حركة ديوبند» نسبة إلى موطنها الأصلي- وكانت في بداية أمرها بسيطة ضئيلة، ثم قويت واشتدت، وشملت وتوسعت، حتى عادت أقوى الحركات الدينية التي قامت في الهند تأثيرًا، وأوسعها نطاقًا، وأشملها أبعادًا، فهي حركة تعليمية تربوية في جانب، وحركة دعوية توجيهية في جانب آخر، وحركة حفاظٍ على علوم الإسلام وثقافته في ناحية، وحركة دفاعٍ عن حمى الدين وشعائره في ناحية أخرى.

فلهذه الحركة أبعاد أربعة: البعد التعليمي والتربوي، والبعد الدعوي والتوجيهي، والبعد الحفاظي، والبعد الدفاعي.

البعد التعليمي والتربوي

أما بعدها التعليمي والتربوي فقد قام العلماء الربَّانيون الغيارى بإنشاء الجامعة على عهد الاستعمار الإنجليزي في الهند عام ١٨٦٦م، بعد ما طبَّق الإنجليز خُطَّتهم التعليمية في المدارس الهندية الرسمية الهادفة إلى إعداد جيل هنديّ النسل واللون غربيّ الفكر والثقافة. وقد جاء إنشاء الجامعة كحركة تعليمية، وسرعان ما

نالت هذه الحركة قبولها وشعبيتها لدى المسلمين، فأنشئت على غرارها مدارس كثيرة في شبه القارة الهندية - الهند، وباكستان، وبنغلاديش -، حتى بلغ عددها الآن آلافًا في هذه البلاد الثلاثة، وهي في ازدياد مستمرّ، وذلك ماعدا الكتاتيب الإسلامية الأهلية المنتشرة في أحياء المسلمين وقراهم.

ثم توسع نطاق الحركة حتى وصلت إلى البلاد المتاخمة والقريبة لشبه القارة الهندية كأفغانستان وإيران، والنيبال وبورما، وسريلانكا، وأندونيسيا وماليزيا، حتى في بلاد الحرمين. ثم خرجت الحركة من قارة آسيا إلى القارات الأخرى، كإفريقيا بشطريها الشرقي والجنوبي، وأوربا، وأمريكا وأستراليا. ففي كل من هذه البلاد والقارات قامت مدارس على نَمَط الجامعة تتبعها في منهجها الدراسي والفكري، والكثير منها تسمَّت باسم «دارالعلوم» تيَمُّنًا باسمها وتوثيقًا لانتمائها الفكري والمنهجي إليها.

فالجامعة والمدارس التي تسير على غرارها تُعنى بتربية الأجيال تربية إسلامية، وتخريج آلاف مؤلَّفة من الطلاب كل سنة علماء ومدرسين، وكتّابا وخطباء، ودعاة ومرشدين، ونُشَطاء وخَدَمة، يعملون في أوساط المسلمين.

البعد الدعوي والتوجيهي

وأما بعدها الدعوي والتوجيهي فقد قامت الجامعة بتثقيف المسلمين وتوجيههم وتوعيتهم خيرقيام، وقدمَّت لهم الإسلام في شكله الصحيح المتوارث عن سلف الأمة، وتعبيره الأصيل المأثورعنهم، حتى كسبت ثقتهم واعتبارهم، وأصبحت مرجعًا لهم يفزعون إليه في قضاياهم ومشكلاتهم الدينية.

لقد رفعت الجامعة مستوى الوعي الديني للمسلمين في الهند، ونفخت فيهم الروح الديينة وأثارت فيهم الغيرة الإسلامية، مما صانهم من الذوبان في المجتمع الهندي الوثنيِّ، والتنازل عن شيء من معتقدات الإسلام وشعائره، وجعلهم أفضل بكثير من مسلمي كثير من بلاد العالم دينيًّا واجتماعيًّا.

فإن رأيتهم يخرجون إلى الشوارع محتجِّين على قرار أصدره البرلمان

الهندي، والذي يمس دينهم وعقيدتهم، أو مستميتين في سبيل الحفاظ على مساجدهم ومدارسهم وآثارهم الإسلامية، أو متبرعين بسخاء للجامعات والمدارس والجمعيات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية الأهلية فالفضل في ذلك كله يرجع إلى الجامعة وجهودها المبذولة المتنوعة بعد الله عزَّ وجل.

البعد الحفاظي

وأما بعدها الحفاظي فهو أن الجامعة أنشئت بعد ما سقطت الحكومة المغولية في الهند وطُوِيَ بساطها، واستَتَبَّتْ فيها إمرة الإنجليز، فأغلقوا المدارس ودور التعليم، و صادروا الأوقاف والأراضي، وجفَّفوا الموارد التي كانت تُمِدُّ المدارس بالمعونة المادية، واستهدفوا علماء المسلمين، فكم قُتِّلوا منهم، وكم شُنِقوا، وكم نُفوا إلى الجزائر خارج الهند.

هنالك خاف العلماء الربانيون الغيارى على بقاء الإسلام وعلومه وثقافته في هذه البلاد، واهتدوا بفراستهم الإيمانية إلى وسيلة ناجعة لبقائه، وهي إنشاء مدارس تكون معاقل للشريعة الإسلامية وعلومها، ومحاضن للأجيال المسلمة، ومراكز للإشعاع الديني للمسلمين.

فأول مدرسة أنشئت لهذا الغرض النبيل هي «المدرسة العربية الإسلامية» بديوبند التي تعرف اليوم بـ «دارالعلوم بديوبند». والحق أن إنشاء هذه المدرسة كان عبارة عن تفجير حركة واسعة لإنشاء المدارس؛ لذلك فقد تبع إنشاء المدرسة الأولى في ديوبند نشرُ شبكة واسعة للمدارس والكتاتيب الإسلامية في طول البلاد وعرضها.

وقد نجحت الحركة في أهدافها وأغراضها كلَّ النجاح، فقد حُفظ الإسلامُ وعلومه وثقافته، وبقي كيان المسلمين في البلاد، وجاءت المدارس الإسلامية خير بديل للحكومة المغولية في الحفاظ على الإسلام في صورته الأصيلة في شبه القارة الهندية.

البعد الدفاعي

وأما بعدها الدفاعي فهو يتمثل في الجهود المبذولة للدفاع عن عقيدة الإسلام وشعائره، والردِّ على الفرق الضالة، ومقاومة الحركات الهدَّامة، و ملاحقة الأفكار المنحرفة. كان الاستعمار الإنجليزي مصدر ويلات وآفات للمسلمين في الهند، فقد استجدَّت بمجيئه فرق ضالة، ونشأت حركات هدَّامة، وظهرت أفكار واتجاهات منحرفة؛ فهبَّ مشايخ الجامعة وأبناؤها للذب عن حمى الدين، و نفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فكلما ظهرت فكرة تمس عقيدة من عقائد الإسلام أو شعيرة من شعائره تعقّبوها وردُّوا عليها حتى حصحص الحق لعامة المسلمين، وزالت لهم الشبهة، وكشفت لهم الغمة.

أما الدعوات والفرق والطوائف التي تعقّبوها وردُّوا عليها فهي فيما يلي:

١- **المسيحية:** لقد انتشر الأساقفة والمنصِّرون في أرجاء البلاد كلها بعد الاحتلال الإنجليزي يدعون الناس إلى اعتناق المسيحية بأساليب متنوعة من الرغب والرهب، والحوار والمناظرة، وتوجيه الاعتراضات إلى الإسلام وإثارة الشكوك في عقائده وشعائره. فقام علماء الإسلام للرد على المسيحية بالمناظرة والحوار والبحث و الاستدلال، حتى سدوا سيل التنصير العارم، وصانوا المسلمين من ويلاته. وجهود العلامة رحمة الله الكيرانوي والإمام محمد قاسم النانوتوي والشيخ منصور علي المراد آبادي في هذا الشأن محمودة مشكورة لا تنسى.

٢- **القاديانية:** كما أسلفت أن الاستعمار الإنجليزي قد ولَّد فرقًا وأشخاصًا شقُّوا عصا المسلمين وزرعوا الفرقة بينهم، وتلاعبوا بمعتقداتهم الأصيلة الثابتة من الكتاب والسنة، فمنهم الميرزا غلام أحمد القادياني الذي تنبَّأ وفتن المسلمين السُذَّج، والذي عرفت فرقته بـ «القاديانية».

خرج مشايخ الجامعة وأبناؤها إلى المجال، وكشفوا لعامة المسلمين عن ضلال هذه الفرقة وأباطيلها، وألَّفوا كتبًا ومؤلفات قيمة في الردّ عليها، مما عرّف بزيفها وزيغها المسلمين في بلاد العالم الإسلامي.

٣- **الشيعة:** كان في ولاية «أوده» حكومة شيعية، وكذلك كان للشيعة نفوذ في الحكومة المغولية، مما طبع الهند كلها بطابع شيعي وزرع بذور معتقدات الشيعة في قلوب عامة المسلمين من أهل السنَّة والجماعة، فكانوا يرفعون الضرائح الكاغذية -كالشيعة- ويحضرون طقوسهم في الحسينيات، ويعتبرون كلَّ ذلك شطرًا من دينهم.

بذل علماء الجامعة وأبناؤها جهودًا مكثَّفة لإزالة الآثار السيئة من قلوب عامة المسلمين من أهل السنة، وأرشدوهم إلى معتقدات أهل السنة والجماعة بإلقاء الخطب وتأليف الكتب، فوضح الأمر لعامة المسلمين وتميَّزَ الحق من الباطل لهم، فأصبحوا يكرهون معتقدات الشيعة ويجتنبون ممارسة طقوسهم الدينية، وحضور الحسينيات.

٤- **الدعوة إلى اعتناق الهندوسية:** معظم المسلمين في الهند كان آباؤهم من الهندوس وأكرمهم الله بنعمة الإسلام، فهم يعتزُّون به، ويشكرون الله على إنقاذهم من أوحال الشرك والوثنية.

أغرى الإنجليز المستعمرون الهندوسَ بأن يرُدُّوا أمثال هؤلاء المسلمين إلى الديانة الهندوسية ليزدادوا عددًا؛ فقام دعاة الفرقة الآرية من الديانة الهندوسية بدعوتهم إلى اعتناق الهندوسية، وردِّهم إلى دين آبائهم. وقد نشطت هذه الدعوة أيام الاحتلال الإنجليزي في الهند وأيام قسمتها إلى قطرين: الهند وباكستان.

فقاوم علماء الجامعة حركة الردة هذه مقاوَمةً فعَّالةً، فناظروا دُعاتَها ونُشَطَاءها، وألَّفوا الكتب والرسائل، واستخدموا نفوذهم وتأثيرهم السياسي حتى أنقذوا المسلمين من ورطة الردة.

٥- **مواجهة الفرق المبتدعة:** لما جاء الإسلام إلى الهند أثَّر على مدنيتها واجتماعها ودياناتها تأثيرًا كبيرًا، كما تأثر الإسلام وأهله باجتماعها و تقاليدها وخرافاتها تبعًا لعملية التفاعل. وقام من صفوف المسلمين علماء السوء الذين خلعوا على البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية التي تسربت إلى المسلمين

الشرعيَّةَ، وقدَّموا لها أدلة واهية من الكتاب والسنة وآثار السلف، حتى أصبحوا فرقة لها دعاة ونشطاء يدعون الناس إلى ممارسة ذلك باسم الدين.

فقام بالرد على الفرق المبتدعة وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم العلماءُ الربانيون، وعلى رأسهم مشايخ وأبناء هذه الجامعة أمثال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ أشرف علي التهانوي ومن إليهم، ومتخرجوها لايزالون يضطلعون بهذه المسؤولية حتى الآن.

٦- **الفرقة اللامذهبية:** معظم الحكومات الإسلامية التي قامت في الهند كانت تتمذهب بالمذهب الحنفي، وتصدر عنه في وضع القوانين والدساتير، وكان أهاليها من المسلمين يتبعون المذهب الحنفي، فلا انحراف عن التقليد، ولا ابتعاد عن المنهج المتوارث، ولا طعن على السلف الصالح.

ولما ضعفت الحكومة المغولية وأشرفت على السقوط، ووطئت أقدام الإنجليز الهند استجدّت فرق وطوائف متنوعة، منها الفرقة اللامذهبية التي انحرف أتباعها عن المنهج المتوارث في فهم نصوص الكتاب والسنة، وطعنوا على الأئمة الأربعة ولاسيما الإمام أبو حنيفة، ورموا المقلِّدين للمذاهب الفقهية بالشرك، ودعوا عامة المسلمين إلى التحرر من التقليد.

قاوم علماء الجامعة هؤلاء اللامذهبيين الذين كانوا ينشرون بين المسلمين الاتجاهات المنحرفة، وردُّوا عليهم بتأليف الكتب والرسائل، وعقد المحاورات والمناظرات، ليتضح لجماهير المسلمين الحقُّ والمسار الصحيح.

٧- **النيجرية والعقلانية والدعوات المنحرفة:** إن كان الانقلاب الأوربي المعرفي والاقتصادي له تأثير إيجابي عظيم على المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتجارية فقد أثار هو ضجَّة في الأوساط الدينية؛ لأن الانقلاب المعرفي كان في الحقيقة ثورة على المسيحية التي كانت تُشكل عقبة كَأْدَاء في سبيل الرقي والتقدم، فأخرج الانقلابيون الدين من الحياة الاجتماعية النشطة، وحصروها في الكنائس، وفي الحياة الشخصية، ثم أخرجوا الدين من جميع مجالات

الحياة، واستعاضوا عنه العلمانية والعقلانية.

ثم إن العقلانية الناشئة من الاستعمار الأوربي قد ولَّدت المعتزلة الجديدة، والنيجريين (الطبيعيين) ، ومنكري الحديث، والمتنوِّرين، ومن إليهم من أصحاب الأفكار المنحرفة والاتجاهات الباطلة.

قاوم مشايخ الجامعة وأبناؤها هؤلاء جميعًا، وردُّوا على أفكارهم واتجاهاتهم، وذبُّوا عن حمى الإسلام ورابطوا على ثغوره، وفسّروا الإسلام تفسيرًا متوارثًا عن سلف الأمة وأئمتها العظام.

هذا وكلما شذَّ فرد أوجماعة عن جادَّة «ما أنا عليه وأصحابي»، وحاول نشر أفكاره واتجاهاته المضادة للإسلام أنكر عليه علماء الجامعة شذوذه وانحرافه، وبيَّنوا الموقف الصحيح لئلا يتورط عامة المسلمين في الزيغ والضلال.

فبفضل الله عزَّ وجلَّ أولًا، وجهود علماء الجامعة ثانيًا بقي الإسلام في صورته الأصيلة في هذه البلاد، بل وتميَّز عما عليه في كثير من الدول الإسلامية.

ولما كانت الحركة شاملة متعددة الأبعاد وعالمية الاتجاه فسأتناول أبعادها الأربعة واتجاهها العالمي بشيء من التفصيل في الصفحات الآتية.

***

الجامعة حركة تعليمية عالمية

استولى الإنجليز على الهند، وأحكموا قبضتهم عليها بعد فشل ثورة عام ١٨٥٧م، فصَبُّوا على أهلها ولاسيما المسلمين أنواعًا من العذاب، وحاولوا القضاء على كيانهم ومعالم ثقافتهم، فأغلقوا المدارس والمعاهد الإسلامية القديمة، وصادروا الأوقاف والأراضي التي كان وقفها عليها الحكام والأمراء والإقطاعيون المسلمون، والتي كانت تُمِدُّها بالمعونة المادَّية.

وقد أقلقت هذه الظروف العصيبة العلماء الربَّانيين، وجعلتهم يتقلبون على أحرَّ من الجمر، فهبوا يبحثون عن حيلة تضمن الحفاظ على الإسلام وعلومه و ثقافته، وهوية المسلمين في هذه البلاد. فكروا وفكروا حتى اهتدوا- بفضل الله ومنّه- إلى حيلة ناجعة: وهي أن تنصب شبكة المدارس والمعاهد والكتاتيب الإسلامية الأهلية التي تضخ الدماء القانية الزكية في عروق الأمة الإسلامية الهندية، وتحافظ على هويتها وثقافتها.

أما نفقاتها فيتكفلها الشعب المسلم، ولا تعتمد ميزانيتُها على الحكومة. فأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل هي «المدرسة العربية الإسلامية» المعروفة الآن بـ«الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند».

بارك الله في هذه المدرسة ووضع لها القبول ونفع بها المسلمين، فتتابع إنشاء المدارس على غرارها في شبه القارة الهندية- الهند وباكستان وبنغلاديش-، والبلاد المجاورة لها، بل في كثير من قارات العالم. فلم يكن إنشاء هذه المدرسة إنشاء معهد للتعليم الديني فحسب، وإنما كان عبارة عن تفجير حركة عالمية لإنشاء المدارس الإسلامية في جميع أرجاء العالم.

وكانت هذه الحركة لها سماتها وخصائصها، فمن سماتها البارزة أنها كانت

تعتمد على مبدأين من المبادئ الثمانية التي وضعها قائد الحركة العبقري و رجلها الأول الإمام محمد قاسم النانوتوي: أحدهما أن تعتمد هذه المدارس على تبرعات الشعب المسلم، ولا تأخذ أي معونة من الحكومات والحكام، وذلك لتؤدي دورها في حرية، وترتبط بالشعب المسلم، وتُوفِّر التعليم لجميع طبقاته.

وثانيهما أن يكون منهجها التعليمي والإداري مؤسَّسًا على المبدأ الإسلامي المعروف: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨] لتكون إنجازاتها أكثر وعطاؤها أوفر، ونظامها أوثق وآكد.

وقد وضعت الجامعة منهجًا دراسيًا أفضل، استفادت في وضعه من المناهج الدراسية القديمة المتبعة في دور العلم ومراكز الثقافة في الهند، فأخذت في منهجها الحرصَ الزائدَ على الكتاب والسنة من مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي، والعنايةَ البالغةَ بالفقه الإسلامي من مدرسة «فرنكي محل» بـ «لكناؤ»، والاهتمامَ بالعلوم العقلية من مدرسة «خير آباد» حتى جاء منهجها الدراسي جامعًا متكاملًا يُمثِّل الثقافة الإسلامية في ذلك العصر.

إنّ المدارس القديمة كانت قد انقرضت إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ولم يبق إلا عددٌ منها، فالمدارس المتبقية منها كانت تُعنى بتعليم العلوم العقلية من المنطق والفلسفة أشدّ العناية، ولا تُولي لعلوم الكتاب والسنة اهتمامًا ذا بال. وأما الجامعة فقد قامت على فكرة الإمام ولي الله الدهلوي، فركّزت عنايتها على التفسير والحديث والفقه أشدَّ التركيز.

إنَّ الجامعة أم الجامعات والمدارس الإسلامية وفي طليعتها، ولها فضل السبق على مثيلاتها، فالمدارس التي أنشئت بعدها اتبعت هذا المنهج الدراسي المقرر.

امتدَّت الحركة واتسعت، فظهرت آثارها الإيجابية في الجزء الغربي لولاية أترابراديش قبل باقي ولايات الهند، حيث أنشئت – بعد إنشاء الجامعة بستة أشهر – مدرسة «مظاهر علوم» بمدينة «سهارنفور»، وذلك في رجب سنة ١٢٨٣هـ= نوفمبر ١٨٦٦م، واتبعت نفس المنهج المقرر. ثم أنشئت مدارس على

غـرار الجامعـة في مـدن مختلفـة، مثـل: «دهـلي»، و«مـيروت»، و«خورجـه»، و«بلندشهر»، و«سهارنفور»، و«علي جراه»، وما إليها.

ثـم أنـشئت مدرسـة في بلـدة «كلاوتهـي»، و مدرسـة في «دان فـور»، و مدرسة في مدينة «مراد آبـاد»، وهـي تعـرف اليـوم بالجامعـة القاسـمية مدرسـة شاهي بـ «مرادآباد»، و اتبعت هذه المدارس كلها الجامعة فكرًا ومنهجًا.

لم يكـن إنشاء المـدارس في فجـر هـذه الحركـة سـهلًا ميسورًا؛ لأن النـاس لم يهتدوا إلى سبيل إنشائها، ولم تكن لها موارد تتكفـل بنفقاتها. فلما أنشئت الجامعة وانتشر خرّيجوهـا في أنحـاء الـبلاد، وأنـشؤوا المـدارس في مـدن مختلفـة عـلى غـرار الجامعة، اهتدى الناس إلى سبيل إنشائها، فأنشؤوا حتى ازدادت و تكاثرت، وما زالت تُنشأ في مشارق البلاد ومغاربها حتى بلغ عددها الآن آلافًا من المدارس.

ومـن المـدارس المعروفـة التـي جـاء إنـشاؤها تبعًـا لهـذه الحركـة في مختلـف ولايـات الهنـد: مدرسـة مظاهرعلوم بـ «سـهارنفور»، والجامعـة القاسـمية مدرسـة شـاهي بـ «مرادآبـاد»، والمدرسـة الأمينيـة بـ «دهـلي»، ومدرسـة أشرف المـدارس بـ «هردوئـي»، والجامعـة العربيـة بـ «بانـده»، ومدرسـة ريـاض العلـوم بـ «جونفـور»، ومدرسـة مفتـاح العلـوم بـ«مئـو»، ودارالعلـوم بـ «مئـو»، والجامعـة الإسـلامية بـ «بنـارس» في ولايـة «أترابـراديش»؛ والجامعـة الرحمانيـة بـ «مـونغير»، والمدرسـة الإمدادية بـ «دربنغا» بولاية «بيهار»؛ والجامعة المدنية بـ «كالكوتا» بولاية «بنغال»؛ والجامعـة الجلاليـة بـ «هوجـائي»، ودارالعلـوم في «بانـسكندي»، بولايـة «آسـام»؛ ودارالعلوم الحسامية، ومدرسة سبيل السلام، وأشرف العلوم، والجامعة الرحمانية بـ «حيـدرآباد» بولايـة «آنـدهرابراديش»؛ وسـبيل الرشـاد بـ «بنغـالور» بولايـة «كرناتكـا»؛ ومظـاهرعلوم بـ «سـيلم»، ومفتـاح العلـوم بـ «ميـل وشـارم»، بولايـة «تاملنادو»؛ ومدرسة تعليم الدين بـ«دابيل»، والجامعة الحسينية، والجامعة الأشرفية بـ «رانديز»، ودارالعلوم بـ «كنتاريا» بولاية «غوجرات»؛ وجامعة إشاعة العلوم بـ «أكل كوا» بولاية مهاراشترا؛ وما إليها من الجامعات والمدارس التي يتعذر عدها

ويصعب حصرها.

وقد قامت الجامعة بإنشاء رابطة باسم«رابطة المدارس العربية الإسلامية في الهند» في ٢٠-٢١محرم الحرام ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م لتكون منبرًا تصدر عنه في مناقشة القضايا والمشكلات التي تعترض طريقها، ودراسة المناهج التعليمية وما تحتاج إليه من تعديل وتحسين، وتكون جبهة قوية في وجه المنظمات المتطرفة التي تُشهِّر بها وتضع المتاريس و العراقيل في سبيل سيرها. وقد بلغ عدد المدارس الأعضاء في الرابطة ٢٥٠٠ مدرسة.

إن عدد الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية في الهند لا يُعرف بشكل مضبوط، وإنما يُحزَرُ عددها أكثر من عشرة آلاف مدرسة. وهذا ما عدا الكتاتيب الإسلامية التي تقوم بالتعليم الديني في كل مسجد وفي كل حي من أحياء المسلمين.

هذا إلى أنه قد أنشئ على نَمَط الجامعة الكثير من المدارس في باكستان، والتي يدرس فيها آلاف من الطلاب، أشهرها و أعرفها دارالعلوم بـ «كراتشي»، والجامعة البنورية بـ «كراتشي»، ودارالعلوم حقانية بـ «أكوره ختك»، والجامعة الأشرفية بـ «لاهور»، والجامعة الفاروقية بـ «كراتشي» وما إليها.

وأما «وفاق المدارس الإسلامية بباكستان» فقد تنضوي إلى رأيته نحو عشرة آلاف مدرسة، وهي كلها تنتسب إلى الجامعة فكرًا ومنهجًا.

كذلك بنجلاديش فقد أنشئ بها عدد كبير من المدارس على منهج الجامعة، أقدمها دارالعلوم في «هات هزاري»، بالإضافة إلى مدارس في كل من «جتا كانك»، و«دهكه»، و«سلهت»، وما إليها.

ثم وصلت الحركة- عن طريق خريجي الجامعة- إلى البلاد المجاورة والمتاخمة لشبه القارة الهندية، فأقيمت مدارس على غرار الجامعة في «بورما» في الشرق، وفي «أفغانستان»، و«إيران» في الغرب، وفي النيبال في الشمال، وفي «سري لانكا »في الجنوب.

كما وصلت فكرة هذه الحركة على أيدي مشايخ الجامعة وأبنائها إلى بلاد

الحرمين، فقد أسّسوا في مكة المكرمة ثلاث مدارس:

الأولى: المدرسة الصولتية التي أسسها العلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي، وذلك في ١٥/ شعبان عام١٢٩٠هـ.

والثانية: المدرسة الفخرية التي قام بتأسيسها الشيخ عبد الحق القاري الهندي عام ١٢٩٦هـ.

والثالثة: مدرسة دارالفائزين التي أسسها الشيخ محمد حسين البنغالي أحد تلاميذ الشيخ رحمة الله الكيرانوي، وذلك عام ١٣٠٤هـ.[1]

وأما المدينة المنورة فقد أنشأ بها الشيخ السيد أحمد الفيض آبادي (أحد خريجي الجامعة وشقيق شيخ الإسلام حسين أحمد المدني) مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٤٠هـ =١٩٢٠م.

وكان لهذه المدارس دور كبير في النهضة العلمية في الحجاز، وقد اعترف به العلماء والأدباء والباحثون العرب، فقد قال الأستاذ عبد الله عريف:

«يومئذ لم يكن بمكة المكرمة سوى مدرستين: المدرسة الصولتية التي أسسها الشيخ رحمة الله الهندي. وكان يدرّس فيها. ويصرف عليها من تبرعات أهل الهند، ثم مدرسة يقوم بها الشيخ يوسف محمد الخياط».

وقال الشيخ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل:

«هي[مدرسة العلوم الشرعية] إحدى دعائم نهضتنا العلمية الحديثة بما تضمُّه من مئات الطالبين، وبما خرَّجته وتخرجه من المثقفين والحافظين للقرآن المجيد بالإتقان والتجويد، فمعهد كهذا يقوم بمهمة نشر الثقافة الإسلامية العربية في هذه البلاد المقدسة أراه جديرًا بالتقوية والتدعيم والمساعدة والعطف الكريم»[2].

ثم وصلت الحركة إلى القارات الأخرى كـ «إفريقيا» و«أوروبا» و«أمريكا»،

---

(١) دارالعلوم مدرسة فكرية للشيخ عبيد الله الأسعدي، ص: ١٤٨-١٥٠.

(٢) دارالعلوم مدرسة فكرية للشيخ عبيد الله الأسعدي، ص: ١٥١.

و«أستراليا». أما «إفريقيا» فقد أقيمت في شطرها الجنوبي مدارس كثيرة، منها دارالعلوم زكريا بـ «لينيسيا» في «جوهانسبرغ»، والمدرسة الإنعامية بـ «كيمبرداون»، ودارالعلوم بـ «آزاد ويل»، ودارالعلوم في «نيوكيسل»، ودارالعلوم أبوبكر بـ«بورت ألزابث»، ودارالعلوم «اسبنكوبيج»، والجامعة المحمودية بـ «إسبرنغس»، ودارالعلوم الإسلامية العربية بـ «كيب تاون» وما إليها.

وأما في «أوربا» فقد أنشئت في «بريطانيا» مدارس ودورعلم كبيرة تقوم بالتعليم الديني على غرار الجامعة، مثل: دارالعلوم بـ «بري»، و دارالعلوم بـ «لندن»، ودارالعلوم في «برمنغهم»، ودارالعلوم بـ «ليستر»، ودارالعلوم بـ «بولتن»، وما إلى تلك.

وعبرالبحر الأطلنطي في «أمريكا» و«كندا» و «جزرالهند الغربية» أنشئت مدارس على منوال الجامعة، ففي «أمريكا» دارالعلوم بـ «نيويارك»، ودارالعلوم المدنية بـ «فيلو»، ودارالعلوم بـ «تورنتو»، ودارالعلوم بـ«شيكاغو». وفي «كندا» دارالعلوم بـ«أونتاريو».

وأما في الشرق فقد قامت مدارس على غرار الجامعة في «أستراليا»، و«فييجي»، و«نيوزيلندا».

هكذا أقيمت مدارس إسلامية نتيجة لهذه الحركة التعليمية في معظم بلاد العالم، وانتشر خريجوها لممارسة العمل الإسلامي في جميع أرجاء المعمورة، فلهذه المدارس الإسلامية دور مهم في الحفاظ على العلوم الإسلامية ونشرها، وتربية الأجيال المسلمة وتثقيفها. والمنهج التعليمي المتبع في هذه المدارس له فوائد وبركات يكاد ينقصها منهج تعليمي آخر.

وأنهي هذه السطور بما قال الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال في المدارس الإسلامية:

«دعوا المدارس الإسلامية وَشأنَها. تُعلِّم وتثقِّف أولاد فقراء المسلمين، إن لم يبق العلماء والمشايخ في الهند فماذا يحدث؟ يحدث ما رأيته بأم عينيّ. لو حرم المسلمون

في الهند خيرات المدارس الإسلامية وبركاتها يحدث فيها ما حدث في الأندلس؛ فرغم حكم المسلمين ثمانية قرون لم يبق فيها من آثار المسلمين وحضارتهم سوى خراب قرطبة وأطلال غرناطة، كذلك لايبقى في الهند سوى تاج محل في آكره، والقلعة الحمراء في دهلي بالرغم من الحكم الإسلامي فيها ثمانية قرون»[1].

❊ ❊ ❊

(١) خون بها لحكيم أحمد شجاع ١/ ٤٣٩.

جهود الجامعة في نشر الثقافة الإسلامية

(١) القرآن وعلومه

لا شكَّ أنَّ القرآن الكريم هو الوحي الإلهيّ الأخير، المنزَّل على النبي الخاتم ﷺ، والكتاب المقدس لدى الأمة الإسلامية، ومصدر التشريع الإسلامي الأول؛ لذلك فقد عُنِي به مشايخ دارالعلوم وعلماؤها أشدَّ العناية تعليمًا وتحفيظًا، وتدريسًا وتأليفًا، ونشرًا لرسالته ومعارفه وتعاليمه بين المسلمين.

أما عنايتهم بتدريسه فقد أنشئ قسم تعليم القرآن وتحفيظه بعد تأسيس دارالعلوم بسنتين، و ذلك عام ١٢٨٤هـ، وقد أقيم مؤخرًا مبنى مستقل باسم «دارالقرآن الجديدة» التي تحتضن جميع حلقات تعليم القرآن وتحفيظه البالغ عددها ٢٥ حلقة.

وقد ضُمَّ إلى المنهج الدراسي المتَّبع في دارالعلوم موادُّ متصلة بالقرآن الكريم من التجويد والقراءة و ترجمة معاني القرآن والتفسير وأصوله، أما القراءة برواية حفص عن الإمام عاصم فكمادَّةٍ إجباريّةٍ لمن يريد نيل شهادة الفضيلة (العالمية) من الجامعة.

كما تُدَرَّسُ ترجمة معاني القرآن الكريم بكامله خلال ثلاث سنوات بدءًا من السنة الثالثة من المرحلة الثانوية إلى السنة الأولى من المرحلة الجامعية. ثم تُدرَّس مادتا التفسير وأصوله في السنة الثانية من المرحلة الجامعية متمثلتين في «الفوز الكبير في أصول التفسير» للإمام ولي الله الدهلوي، و«تفسيرا الجلالين» كاملًا.

وهناك قسم آخر وهو قسم التخصص في تفسيرالقرآن وعلومه، يُقبَل فيه الطالب الراغب في الدراسات العليا بعد نيله شهادة الفضيلة. والكتب المقرَّرة فيه

تفسير البيضاوي، وتفسير ابن كثير، ومباحث مختارة من «مناهل العرفان» للزرقاني.

هذا إلى أنَّ العديد من أبناء دارالعلوم ومتخرجيها يقومون بتفسير القرآن الكريم في المساجد عقب صلاة من الصلوات الخمس، أو في يوم معين من أيام الأسبوع، وذلك لنشر رسالة القرآن وتعاليمه في عامة المسلمين.

أمَّا اهتمامهم بالتأليف في القرآن وعلومه فقد توارثوه من الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى ١١٧٦هـ، وأبنائه النابغين، فقد ترجمَ الإمامُ الدهلوي معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية- لغة البلاد آنذاك- وهو أوَّلُ من ترجم القرآن الكريم بالفارسية بالهند، وقد أبدع في الترجمة وراعى فيها أسرارًا لطيفة لا يكاد يفهمها كل أحد ما لم يكن له إلمام بها من ذي قبل، وكتب عليها فوائد لطيفة مختصرة خالية من الإسرائيليات، وسمَّاها «فتح الرحمن» [1].

كما ألَّف كتابًا في أصول التفسير سمّاه «الفوز الكبير في أصول التفسير» وهو كتاب فريد من نوعه، لم يُنسج على منواله.

ثم قام نجله الشاه عبد القادر الدهلوي المتوفى ١٢٣٠هـ بترجمة معانيه إلى اللغة الأردية، وأبدع في الترجمة وأجاد، وقد اعتمدها الأمة الهندية الإسلامية في فهم كتاب الله ومعانيه، وأصبحت مرجعًا لكثير من العلماء الذين قاموا بترجمة معاني القرآن بعده.

كما ترجم نجله الآخر الشاه رفيع الدين الدهلوي المتوفى ١٢٣٣هـ معانيه إلى الأردية، وراعى فيها الترجمة اللغوية بترتيب كلمات القرآن، و هو أنفع لعامة الناس من ترجمة شقيقه الشاه عبد القادر رحمه الله.

كذلك أملى نجله الأكبرالشاه عبد العزيز الدهلوي المتوفى ١٢٣٩ على بعض أصحابه تفسيرًا للقرآن الكريم من الجزأين الأخيرين، والجزء الأول والجزء الثاني إلى قوله تعالى: «وأن تصوموا خيرًا لكم» وهو بالفارسية، وسماه «فتح العزيز»، وأتى فيه بعلوم سامية وفوائد غزيرة عالية، وقد أملاه عن ظهر قلبه من غير مراجعة

---

(١) يتيمة البيان، ص: ٤٩.

كتاب ولا تسويد، وقد قال إمام العصر العلامة محمد أنور شاه الكشميري: «يا ليت لو كمل هذا التفسير على هذا النمط البديع لقُضِيَ عنا حق تفسير القرآن العظيم حسب المقدور البشري» (١).

هذا وقد اشتغل علماء دارالعلوم وأبناؤها بخدمة القرآن الكريم كسلفهم الراحل من الإمام ولي الدهلوي وأبنائه العباقرة، فخدموه من النواحي المختلفة من ترجمة معانيه والتأليف في تفسيره وأحكامه وإعجازه وعلومه، ومشكلاته ومفرداته وتجويده وقراءته.

وقد استعرض الأستاذ الدكتور صلاح الدين يوسف جهود علماء ديوبند وخدماتهم للقرآن الكريم، فقال: «قد اشتغل بخدمته نحو ٣٠٠ عالم في ٢١ لغة. وبلغ عدد ترجمة معاني القرآن إلى نحو ٨٤ ترجمة، ونحو ٢٠٠ تفسير مابين كامل وناقص، و ٢٠ كتابًا في موضوع أحكام القرآن، و٢٣ في أصول التفسير، و٦ في إعجاز القرآن، و١٥ في تاريخ القرآن، و٤٤ في قصص القرآن، و٢٩ في مفردات القرآن، و١٠ في بلاغة القرآن وإعجازه، و ٣ في أرض القرآن، و٨ في فضائل القرآن، و١٥ في تاريخ تجويد القرآن، و١٢٠ في تجويد القرآن وقراءاته، و١٥ في أسباب النزول، و١٥ في الأدعية الواردة في القرآن، و٧ في الأسماء الحسنىٰ، و١٩ في الرد على الآراء الشاذة للفرق الضالة في تفسيرالقرآن، و٥ في فهرسة القرآن، و٥ في فلسفة القرآن، و نحو ١٠٠ في الموضوعات المختلفة ذات الصلة بالقرآن» (٢).

وفيما يلي نسرد أهمَّ مؤلفاتهم في مختلف الموضوعات المنوطة بالقرآن وعلومه:

١- ترجمة معاني القرآن الكريم في مختلف اللغات

من أهم تراجمهم لمعاني القرآن الكريم ترجمة شيخ الهند محمود حسن

---

(١) يتيمة البيان، ص: ٥١.

(٢) جريدة «نجات» الصادرة من «بيشاور» في عددها الخاص بمناسبة مؤتمرجهود دارالعلوم عبر قرن وخمسين عامًا.

الديوبندي الأردية لمعاني القرآن، وقد بدأ بهذه الترجمة في سجن «مالطة» حتى أكملها، واتخذ ترجمة الشاه عبد القادر الدهلوي نواةً لترجمته، وصاغها في أسلوب عصري. ثم كتب عليها فوائد تفسيرية إلى تمام سورة النساء، ولم يتمكن من إكمالها، حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٣٣٩هـ، ثم أكمل الفوائد صاحبُه العلامة شبير أحمد العثماني- صاحب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم- في ثلاث سنوات.

لقد لقيتْ هذه الترجمة إعجابًا واعتبارًا كبيرًا في أوساط المسلمين. ولما قام مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بطباعة ترجمة معاني القرآن في مختلف لغات العالم وقع اختياره الأول عليها، فطبعها ووزَّعها بالملايين، وقد شهدت السفارات السعودية بالهند وباكستان إقبالًا عظيمًا على هذه الترجمة لم تحظ به ترجمة أخرى مطبوعة من المجمّع.

وترجمة الشيخ أشرف علي التهانوي، وترجمة الشيخ عاشق إلهي الميروتي مع الفوائد التفسيرية، وترجمة سحبان الهند الشيخ أحمد سعيد الدهلوي مع التفسير الوجيز في الهامش، وتوضيح القرآن مع الفوائد التفسيرية للمفتي محمد تقي العثماني، وترجمة الشيخ خالد سيف الله الرحماني مع الفوائد التفسيرية، ونِعْمَ البيان للشيخ نعمة الله الأعظمي، وهذه التراجم كلها بالأردية، وترجمة الشيخ محمد يوسف شاه الكشميري باللغة الكشميرية، وترجمة الشيخ أرشد المدني والشيخ سليمان باللغة الهندوسية، وترجمة شيخ الهند باللغة الغجراتية للشيخ غلام محمد صادق الرانديري، وترجمة شيخ الهند باللغة الفارسية التي قامت الحكومة الأفغانية بطبعها ونشرها عام١٩٤٠م، وترجمة شيخ الهند بلغة «بشتو»، وترجمة الشيخ محمد طاهر باللغة البنجالية، وترجمة الشيخ عبد الحق الآسامي باللغة الآسامية، وترجمة الشيخ عبد الغفور الكرنولي مع الفوائد التفسيرية بلغة «تيلغو»، وترجمة الشيخ أشرف على التهانوي بلغة «كنرا» التي قامت بطباعتها دارالإشاعة بـ «بنغالور» عام ١٩٦٦م، وأنوار القرآن للشيخ السيد أنوار الحق كاكا خيل بلغة «بشتو»، وترجمة الشيخ فيض الوحيد باللغة الكشميرية الغوجرية، ، وترجمة المفتي محمد تقي

العثماني باللغة الإنجليزية[١].

٢- تفسيره

ومن أهم تفاسيرهم بالأردية بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي، والفوائد التفسيرية للعلامة شبير أحمد العثماني على ترجمة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، ومعارف القرآن للمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي في ٨ مجلدات، ومعارف القرآن للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في ٨ مجلدات، وجواهر القرآن للشيخ حسين علي الفنجابي، وحلّ القرآن للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي، والتفسير الثنائي للشيخ ثناء الله الأمرتسري، والتفسير الأحمدي للشيخ أحمد علي اللاهوري، وهداية القرآن (تفسير أجزاء من القرآن) للشيخ محمد عثمان كاشف الهاشمي، وهداية القرآن (تفسير القرآن بكامله) للشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري نفسه، وبيان القرآن للشيخ أحمد حسن، وتقرير القرآن للمفتي عزيز الرحمن البجنوري، وجواهر التفاسير للشيخ عبد الحكيم اللكنوي، وأنوار البيان للشيخ عاشق إلهي البرني.

وأما تفاسيرهم وتعليقاتهم بالعربية فتفسير القرآن بكلام الرحمن للشيخ ثناء الله الأمرتسري، وإلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي، وحاشية تفسيرالبيضاوي للشيخ عبد الرحمن الأمروهوي، وحاشية الجلالين للشيخ احتشام الحق الكاندهلوي، والتعليقات على بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي.

٣- علومه المتنوعة

أما علوم القرآن المتنوعة فقد ألَّفوا فيها كتبًا شتى، نذكر أهمها فيما يلي:

أ- أحكام القرآن

أما في أحكامه فأحكام القرآن للفيف من العلماء الذين قاموا بتأليفه تحت إشراف حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وأحكام القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني.

---

(١) دارالعلوم ديوبند كي جامع اور مختصر تاريخ، ص: ٣٢٥-٣٣٣.

ب - مشكلاته وأسراره

وأما في مشكلاته وأسراره فأسرار القرآن للإمام محمد قاسم النانوتوي، ومشكلات القرآن للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، ومشكلات القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني، وفقه القرآن للشيخ عمر أحمد التهانوي.

ج- علومه

وأما في علومه فيتيمة البيان في شيء من علوم القرآن للعلامة محمد يوسف البنوري بالعربية، وعلوم القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني، ومنازل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد مالك الكاندهلوي، وأشرف البيان في علوم القرآن، وأحسن البيان فيما يتعلق بالقرآن للشيخ المفتي عبد الشكور الترمذي، وجواهر القرآن للشيخ غلام الله الهزاروي، وعلوم القرآن للشيخ المفتي محمد تقي العثماني، وعلوم القرآن للشيخ عبيد الله الأسعدي القاسمي.

د- مفرداته

وأما في مفرداته فمفردات القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني، ولغات القرآن للقاضي زاهد الحسيني، وقاموس القرآن للقاضي زين العابدين الميروتي، ولغات القرآن للشيخ محمد أجمل خان بالعربية، وتفصيل البيان في علوم القرآن للشيخ ممتاز علي الديوبندي وهو معجم قرآني، ولغات القرآن للشيخ عبد الرشيد النعماني، ومنتخب لغات القرآن للشيخ نسيم أحمد الباره بنكوي.

هـ- إعجازه

وأما في إعجازه فإعجاز القرآن للعلامة شبير أحمد العثماني، وإعجاز القرآن للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

و- قصصه

وأما في قصصه فقصص القرآن للشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، وقصص القرآن للقاضي زين العابدين الميروتي.

ز- تاريخ تدوينه وتفسيره

وأما في تاريخ تدوينه وتفسيره فتدوين القرآن للعلامة مناظر أحسن الكيلاني، وتاريخ تدوين القرآن للدكتور مصطفى الأعظمي بالعربية، وتاريخ القرآن للشيخ عبد الصمد صارم، وتذكرة المفسرين للقاضي زاهد الحسيني، والإسرائيليات في التفاسير للشيخ أسير الأدروي، ونيل السائرين في طبقات المفسرين للشيخ محمد المرداني.

ح- أصول تفسيره

وأما في أصول تفسيره فمرآة التفسير للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، والعون الكبير في شرح الفوز الكبير للشيخ سعيد أحمد البالنبوري، والتحرير في أصول التفسير للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

ط- ربط الآيات وتناسقها

وأما في ربط الآيات وتناسقها فسبق الغايات في نسق الآيات لحكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي[1].

٤- التجويد والقراءات

لقد اهتمت دارالعلوم بالتجويد والقراءات منذ عهود ها الأولى اهتمامًا عظيمًا، فقد أنشئ فيها قسم التجويد والقراءات عام ١٣٢١هـ=١٩٠٣م، وانتُدِبَ له المقرئ الكبير عبد الوحيد الإله آبادي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ (أحد أصحاب المقرئ عبد الرحمن المكّي) ، وقد شغل منصب رئاسة التدريس في القسم نحو ٤٥ سنة، وتخرَّج عليه خلال هذه المدة مئات من العلماء، وأول من تخرَّج فيه هوالمقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الأسبق، وقد أصبح هذا القسم مركزًا هامًا من مراكز التجويد والقراءات في شبه القارة الهندية.

ثم تولى منصب رئاسة التدريس في القسم المقرئ حفظ الرحمن البرتاب

(١) المصدر السابق، ص: ٣٢٥-٣٣٣.

كرهي، فعمَّت على عهده خيرات هذ القسم، وأقبل عليه الطلاب الراغبون في فن التجويد من داخل البلاد وخارجها.

أما مؤلفاتهم وتعليقاتهم على الكتب في هذا الفن فهي كثيرة جدًا كذلك، أهمها وجوه المثاني مع توجيه الكلمات والمعاني، و زيادات على كتب الروايات، وكلاهما بالعربية، و جمال القرآن، وتنشيط الطبع في إجراء السبع، وهما بالأردية، ورفع الخلاف في حكم الأوقاف، وهذه الرسائل كلها للشيخ أشرف علي التهانوي.

وعنايات رحماني في شرح حرز الأماني للشيخ المقرئ فتح محمد الضرير الباني فتي ثم المدني في ثلاثة مجلدات.

وقد ألَّف بعض أبناء دارالعلوم في هذا الموضوع فأكثروا وأجادوا حتى كوّنوا مكتبة صغيرة في الموضوع، أخص منهم بالذكر المقرئ رحيم بخش الباني بتي ثم الباكستاني الذي ألَّف في هذا الموضوع ٢٣ كتابًا، والمقرئ أبو الحسن الأعظمي رئيس قسم التجويد والقراءات بدارالعلوم سابقًا وعضوا المجلس العالمي لشيوخ الإقراء التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، و هو من المؤلفين المكثرين في الموضوع، له نحو ٩٠ كتابًا ما بين صغير وكبير، أهمها تحصيل الأجر في القراءات العشر بالعربية، والنفحة العنبرية شرح المقدمة الجزرية، و النفحات القاسمية شرح متن الشاطبية، والتحفة الجميلة شرح الرائية للشاطبي، وتيسير القراءات في السبع المتواترات، وحسن المحاضرات في رجال القراءات، ومعجم القراءات القرآنية، وهي كلها بالأردية [١].

٥- ملاحظات على بعض التفاسير الحديثة

ولا يفُوتُني هنا أن أذكر ماقاموا به من انتقاد التفاسير الحديثة التي ظهرت في هذا العصر، مثل: تفسير القرآن للسار سيد أحمد الدهلوي مؤسس جامعة

(١) المصدر السابق، ص: ٣٢٥-٣٣٣.

عليجراه الإسلامية، وترجمان القرآن للزعيم السياسي الكبير الشيخ أبو الكلام آزاد، والتذكرة لعناية الله مشرقي، وتفهيم القرآن للأستاذ أبو الأعلى المودودي، وقد تناول علماء دارالعلوم تفاسيرهم بالانتقاد والرد، و كشفوا عما فيها من تحريف و زيع وضلال [1].

***

---

(١) يتيمة البيان، ص: ٥٤- ٨١.

(٢) الحديث وعلومه

علم الحديث في بلاد الهند عبر التاريخ

لما فتح محمد بن القاسم الثقفيُّ السند في عهد الخليفة وليد بن عبد الملك الأموي، وقامت فيها أَوَّلُ دولة إسلامية دخلها - في من دخلوا - أهل العلم من أتباع التابعين وسكنوا بها واستوطنوها وتوالدوا وتناسلوا، ورَوَوا الحديث بالحفظ والإتقان، وسافروا له من بلاد إلى أخرى، فنفقت سوق هذا الفن الشريف في هذا القطر من الهند أربعة قرون، وخلَّفوا تراثًا حديثيًّا اشتهر في الآفاق و سار به الركبان[١].

ثم انقرضت دولة العرب من السند، وقامت الدولة الغزنوية والغورية في بلاد الهند، وتتابع أهل العلم إليها من خراسان و ماوراء النهر، وغلب على الناس الشعر والعلوم العقلية والرياضية، ومن العلوم الدينية الفقه وأصوله، وزهدوا في علوم القرآن والحديث حتى أصبح الحديث غريبًا كالكبريت الأحمر، وظلت الحال كذلك إلى القرن العاشر الهجري[٢].

وكان مدارهم في الحديث «مشارق الأنوار» للصغاني، فإذا قرأ أحد منهم مصابيح السنة أومشكاة المصابيح ظنَّ أنه بلغ درجة المحدثين، وكان قراءتهم للحديث للتبرك لا للفهم له و العمل به. وأما الفقه فكانت بضاعتهم منه قليلة كذلك.

ثم مَنَّ الله على أهل الهند بإفاضة هذا العلم، حيث ورد بها في القرن العاشر كثير من علماء هذا الفن، ونبغوا فيه من أهل الهند حتى نفقت سوقه

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص: ١٣٥.

(٢) المصدر السابق.

وراجت بضاعته. ومن العلماء النوابغ في هذا العصر الشيخُ علاء الدين علي بن المتقي البرهان فوري المتوفى ٩٧٥هـ صاحب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، والشيخُ محمد بن طاهر الفتني المتوفى سنة ٩٤٦هـ صاحب مجمع بحار الأنوار في غريب الحديث، والمغني في أسماء الرجال، والتذكرة في الموضوعات، كان واسع الاطلاع على علم الحديث بالغ النظر فيه، قلما يماثله غيره في هذا العلم في عصره.

ثم جاء الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ صاحب أشعة اللمعات، ولمعات التنقيح، وعكف على تدريس الحديث ونشره نحو خمسين سنة، وخرَّج عددًا كبيرًا من العلماء على هذا العلم، ثم خلفه ابنه نور الحق المتوفى سنة ١٠٧٣هـ في تدريس الحديث ونشره.

ثم اشتغل بالحديث الشيخُ أحمد بن عبد الأحد السرهندي- مجدد الألف الثاني- وأبناؤه و أحفاده، فأفادوا ودرسوا وألفوا، وقد كان من أحفاده من حفظ سبعين ألف حديث متنًا وإسنادًا وجرحًا وتعديلًا.

ثم قيَّض الله لنشر الحديث وعلومه في بلاد الهند الشيخ الأجل والمحدث الأكمل الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، فرحل إلى الحجاز حيث أخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني، وغيره من أئمة الحديث، ثم عاد إلى الهند و قصر همته على نشر هذا العلم، فدرَّس وأفاد و خرَّج وصنَّف، حتى تخرَّج عليه خلق كثير.

كذلك أبناؤه الشيخ عبد العزيز، والشيخ عبد القادر، والشيخ رفيع الدين، وابن ابنه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الذين رجحوا علم السنّة على غيرها من العلوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، فلهم منّة عظيمة على أهل الهند.

كذلك الشيخ محمد إسحاق سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوي، أخذ عن جدِّه عبد العزيز، ولازمه ملازمة طويلة، ثم أفاد ودرّس، وانتفع بعلمه خلق كثير، وانتهت إليه رئاسة الحديث في الهند.

وأخذ عن الشيخ إسحاق عدد كبير من العلماء منهم الشيخ عبد الغني المجددي الذي هاجر إلى المدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٢٩٦هـ، والشيخ أحمد علي السهارنفوري الذي درَّس وأفاد، وله منة عظيمة على العلماء؛ لأنه صَحَّح كتب الحديث و طبعها وأشاعها، لا سيما صحيح البخاري، وعلّق عليها تعليقات نافعة.

بفضل جهود الإمام ولي الله وأنجاله وتلاميذهم انتشرت السنّة وعلومها في بلاد الهند، ونفقت سوقها، على حين ركدت رياحها في الأقطار الإسلامية، كما اعترف العلماء بهذه الحقيقة، حيث قال العلامة رشيد رضا صاحب مجلة المنار:

«لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر»[1].

وقال الأستاذ عبد العزيز الخولي:

«لا يوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها من وفّى الحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند»[2].

دور مشايخ دارالعلوم وعلمائها في خدمة الحديث النبوي

ثم انتقل هذا الميراث النبويّ العظيم ومهمة نشره من الإمام ولي الله الدهلوي وأنجاله وتلاميذهم إلى مشايخ دارالعلوم وعلمائها، حيث أسند الحديثَ الإمامُ محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ، والشيخُ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ عن كلٍّ من الشيخ عبد الغني المجددي، والشيخ أحمد علي السهارنفوري المتوفى سنة ١٢٩٧هـ صاحبي الشيخ محمد إسحاق الدهلوي، كما أنَّ الشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة١٣٠٢ هـ -أولُّ شيخ حديث بدارالعلوم- أسند الحديثَ عن الشيخ عبد الغني المجددي، ثم قاموا جميعًا بمهمة

(١) مجلة الداعي، عدد خاص، شهري مارس وأبريل ١٩٨٠م.

(٢) المصدر السابق.

نشره وإشاعته أيَّما قيام.

أما الإمام محمد قاسم فقد ساعد أستاذه الشيخ أحمد علي السهارنفوري في التعليق على صحيح البخاري، فعلّق على الأجزاء الخمسة منه بأمره، وأسس مع طائفة من العلماء الربانيين دارالعلوم بديوبند التي أنا بصدد استعراض خدماتها للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

ومن أصحابه البارزين الشيخُ محمود حسن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ صاحب تعليقات على سنن أبي داود، والأمالي الوجيزة على سنن الترمذي، وشرح تراجم أبواب البخاري، وترجمة معاني القرآن الكريم المعروفة بترجمة شيخ الهند، والشيخ فخرُ الحسن الكنكوهي المتوفى سنة ١٣١٥هـ صاحب تعليقات على سنن أبي داود سماها «التعليق المحمود»، و حواش مختصرة على سنن ابن ماجه، والشيخُ أحمد حسن الأمروهوي، والشيخُ محمد حسن السنبهلي صاحب المؤلفات القيمة في الفقه والحديث.

أما الشيخ رشيد أحمد الذي هوصنو الإمام محمد قاسم وزميله في الدراسة وأحد المشرفين على دارالعلوم فقد درَّس كتب الحديث ثلاثين سنة، وكان تدريسه للأمهات الست في سنة كاملة، على وجه التدبر والإتقان والضبط والتحقيق، لا يعادله في ذلك أحد من معاصريه. تخرج عليه كثيرمن جهابذة هذا الفن الشريف، منهم الشيخ خليل أحمد السهارنفوري المتوفى سنة١٣٤٦ هـ صاحب بذل المجهود في حل سنن أبي داود، والشيخ يحيى الكاندهلوي، والشيخ ماجد علي المانوي وغيرهم. وله أمالٍ لكتب الحديث قَيَّدها الشيخ يحيى الكاندهلوي، وسمّاها لامع الدراري على صحيح البخاري، والكوكب الدري على جامع الترمذي، وعلَّق عليهما وأخرجهما إلى النور الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي.

أما الشيخ محمد يعقوب النانوتوي فهو أوَّل من تولّى شياخة الحديث في دارالعلوم سنة ١٢٨٣هـ، وظلَّ يشغلها طوال ١٩ عامًا، حتى وفاته. تخرَّج عليه فيها كبار العلماء الأفاضل، أمثال: شيخ الهند محمود حسن الديوبندي المتوفى سنة

١٣٣٩هـ، والشيخ الجليل والمصلح الكبير حكيم الأمة أشرف علي التهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، والشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، والشيخ الحافظ محمد أحمد النانوتوي المتوفى سنة ١٣٤٧هـ، والشيخ المحدث خليل أحمد السهارنفوري المتوفى سنة ١٣٤٦هـ صاحب بذل المجهود في حلِّ سنن أبي داود، والشيخ حبيب الرحمن العثماني المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ أحمد حسن الأمروهوي.

ثم تولى شيخ الهند محمود حسن الديوبندي شياخته فيها نحو ٢٤ سنة، وكان أعلم العلماء في عصره، وكان يحفظ متون الحديث، و إذا درَّسه تموج علومه كالبحر الزاخر، وكان بحق رُحلة الأقطار. تخرَّج عليه عدد كبير من العلماء الأكفاء، أشهرهم الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٢٥٢هـ صاحب فيض الباري شرح صحيح البخاري، والعرف الشذي شرح سنن الترمذي، والمؤلفات والتعليقات النافعة، والشيخ أشرف علي التهانوي صاحب جامع الآثار، وتابع الآثار، والتشرف، والعلامة شبير أحمد العثماني صاحب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني صاحب المعارف المدنية شرح الترمذي و الخدمات المشكورة في تحرير البلاد، والشيخ فخر الدين المراد آبادي، والعلامة إبراهيم البلياوي، ومن إليهم.

ثم خلفه في منصب شياخته العلامة محمد أنور شاه الكشميري، كان ذا استحضار مدهش وذاكرة قوية واطلاع واسع على أصناف العلوم، وقد جعل الحديث شعاره ودثاره، عاش له وعاش فيه وقضى حياته في خدمة السنة المشرفة. درَّس وأفاد في دارالعلوم نحو١٢ سنة، وتخرج عليه كثير من العلماء المتضلعين، منهم العلامة محمد يوسف البنوري صاحب معارف السنن شرح سنن الترمذي، والعلامة محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ إعزاز علي الأمروهوي، والشيخ بدر عالم الميروتي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ أحمد رضا البجنوري، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني، وغيرهم.

ثـم اعـتلى هـذا المنصبَ الجليلَ شيخُ الإسـلام حـسين المـدني المتـوفى سـنة ١٣٧٧هـ، وكفاه فضلا أنه درَّس الحديث في المسجد النبوي بالمدينة المنورة نحو ثلاث عشرة سنة، ودرَّس في دارالعلوم صحيح البخاري، وسنن الترمذي مدة ٣٢ سنة، كـان غزيـر العلـم، قـوي الـذاكرة، حافظًا لمتـون الكتـب، مرجعًا في التفسير والحديث. وتخرج عليه طائفة كبيرة من علماء العرب والعجم، أشهرهم الزعيم السياسي المعروف الشيخ عبد الحميد باديس، و الشيخ عبد الحفيظ الكردي عضو المحكمـة العليـا، والـشيخ أحمـد البـساطي نائب القـاضي بالمدينـة المنـورة، والـشيخ محمـود عبـد الجـواد رئـيس بلـديتها، والـشيخ محمـد بـشير الإبراهيمـي الجزائـري، والشيخ شريف الحسن الديوبندي المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، والشيخ نصير أحمد خان المتوفى سنة ١٤٣١هـ، والشيخ عبد الحق الأعظمي المتوفى سنة ١٤٣٧هـ، والشيخ مصطفى الأعظمي المتوفى سنة ١٤٣٩هـ، والشيخ أبو الليث الخيرآبادي، والشيخ سليم الله خان، والشيخ قمر الدين الغوركفوري، والشيخ نعمت الله الأعظمي.

ثـم زانَ هـذا المنـصب العـالي الـشيخُ فخـر الـدين المـراد آبـادي المتـوفى سـنة ١٣٩٢هـ الذي درَّس وأفاد في غزارة علم وسعة اطلاع، وتخرج عليه كثير من كبار العلماء، أشـهرهـم الـشيخ سـعيد أحمـد البـالنبوري المتـوفى سـنة ١٤٤١هـ، والـشيخ أرشد المدني، والشيخ رئاست علي البجنوري المتوفى سنة ١٤٣٨هـ.

ثـم تـولاه الـشيخ شريـف الحـسن الديوبنـدي، وأخـذ عنهـم كثير مـن العلماء من جيل العلماء المعاصرين.

ثـم اعتلاه الـشيخ نـصير أحمد خـان البلنـدشـهري الـذي درَّس المجلـد الأول مـن صـحيح البخـاري ٣٢ سـنة، وتخـرج عليـه خـلال هـذه المـدة نحـو ٢٠٠٠٠ مـن طلبة العلم.

و كان مكثرًا من مطالعة كتب الأحاديث وخاصة الجامع الصحيح للإمام البخاري، فقد كان يتلو منه جزءًا كاملًا يوميًّا.

كما درَّس معه الشيخ عبد الحق الأعظمي المجلد الثاني منه، تخرج عليهما

كثير من العلماء الشباب.

ثم تولاه الشيخ سعيد أحمد البالنبوري صاحب تحفة القارئ شرح صحيح البخاري، وتفسير هداية القرآن، ورحمة الله الواسعة شرح حجة الله البالغة، و غيرها من المؤلفات النافعة، فدرس المجلد الأول من صحيح البخاري، والشيخ قمرالدين الغوركفوري درس المجلد الثاني منه.

ولما توفي الشيخ سعيد أحمد البالنبوري وُلِّي شياخة الحديث فضيلة الشيخ المفتي أبوالقاسم النعماني رئيس الجامعة.

ومن أبناء دارالعلوم ومنسوبيها المحدثين الذين بذلوا قسطًا كبيرًا من حيواتهم في خدمة الحديث النبوي الشريف تدريسًا وتأليفًا وتحقيقًا وتعليقًا شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري ثم المدني، والشيخ محمد يحيى الكاندهلوي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ أحمد حسن الأمروهوي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ أشرف علي التهانوي، والعلامة شبير أحمد العثماني، والعلامة محمد إبراهيم البلياوي، والشيخ فخر الدين المرادآبادي، والشيخ ظفر أحمد التهانوي، والشيخ أحمد رضا البجنوري، والشيخ بدر عالم الميروتي، والعلامة محمد يوسف البنوري، والشيخ حميد الدين الفيض آبادي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ محمد إسماعيل السنبهلي، والشيخ عبد الجبار الأعظمي، والشيخ إسلام الحق الأعظمي، والشيخ محمد ميان الديوبندي، والشيخ شريف الحسن الديوبندي، والشيخ نصير أحمد خان البلندشهري، والشيخ عثمان غني، والشيخ خورشيد عالم الديوبندي، والشيخ محمد يونس الجونفوري، والشيخ محمد تقي العثماني، والشيخ سعيد أحمد البالنبوري، والشيخ عبد الحق الأعظمي، والشيخ نعمت الله الأعظمي، والشيخ أرشد المدني، والشيخ المفتي أبو القاسم النعماني، والشيخ قمر الدين الغوركفوري، والشيخ حبيب الرحمن

القاسمي الأعظمي، والشيخ رئاست علي البجنوري، والشيخ سرفرازخان صفدر، والشيخ سليم الله خان، والشيخ واجد حسين الديوبندي، والشيخ عبد السلام المظفرنجري[1].

المقررات الدراسية في الحديث

تُعنى دارالعلوم – والجامعات والمدارس التابعة لها– بتدريس كتب الحديث بشكل لا يُوجَد له نظير في جامعات العالم، حيث يتم في السنة الرابعة من المرحلة الجامعية– وهي سنة التخرج– تدريسُ صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والموطأ بكلتا الروايتين: رواية يحيى بن يحيى المصمودي، ورواية الإمام محمد بن حسن الشيباني، وكتاب الشمائل لأبي عيسى الترمذي.

كذلك يُدرَّس مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي في السنة الثالثة من المرحلة الجامعية، وألفية الحديث للشيخ محمد منظور النعماني، ومشكاة الآثار للشيخ محمد ميان الديوبندي في السنتين الثالثة والرابعة من المرحلة الثانوية، كما يُدَرَّس في السنوات الأخرى من كتب علوم الحديث المقدمةُ لابن الصلاح، ونخبة الفكر شرح نزهة النظر لابن حجر، والمقدمة للشيخ عبد الحق الدهلوي.

ولا بد للطالب الذي ينوي التخرج من دارالعلوم ونيل شهادة الفضيلة منها أن يقرأ كتب الحديث المذكورة في السنة الرابعة النهائية من المرحلة الجامعية ويجتاز امتحانها السنوي بنجاح.

أسلوب تدريس الحديث

أما أسلوبهم في تدريس الحديث فهم يُرَكِّزُون عنايتهم على تدريس كتب الحديث هذه روايةً ودرايةً وضبطًا وتحقيقًا، وذلك بأن يقرأ الطلاب على المشايخ وهم يسمعون، أو يقرأ المشايخ عليهم وهم يسمعون، ثم يشرحون متن الحديث

---

(١) دارالعلوم كى جامع اور مختصر تاريخ ص: ٣٤٠

وإسناده بتحقيق وإمعان، ويبينون أسماء الرجال، ودرجات الرواة، والمذاهب الأربعة الفقهية، ويقومون بالدراسة المقارنة بينها، والمحاكمة الاستدلالية فيها، وترجيح المذهب الحنفي من غير تعصب ولا تعسف.

هذا إلى مناقشة القضايا والمشكلات والتحديات المعاصرة والبحث عن الحلول لها في ضوء الأحاديث الشريفة.

وقد أَعْجَبَ أسلوبُ تدريس الحديث في دارالعلوم العلماء الزائرين، فقد قال الشيخ رشيد رضا المصري لما زار دارالعلوم وحضر دروس العلامة محمد أنورشاه الكشميري: «مارأيت مثل هذا الأستاذ الجليل قط».

وقد أصبح هذا الأسلوب المتبع في دارالعلوم لتدريس الحديث ميزة من مزاياها، لا يشاركها فيها مدرسة أو جامعة من جامعات العالم.وهو الذي جعل طلاب الحديث في مختلف بقاع الأرض من الهند، وبورما، وأفغانستان، وماليزيا، وبخارا، يتوافدون إلى دارالعلوم وينهلون من منهلها العذب الزلال. فالمتخرجون منها أو تلاميذهم أو من تَلْمَذوا إليهم هم الذين يزينون دَكَّة تدريس الحديث في كثيرمن المدارس والجامعات التي تتبعها في المنهج التعليمي والتربوي.

خصائص تدريس الحديث

إنَّ أسلوب تدريس الحديث هذا يتضمَّن خصائص وميزات تتلخص فيما يأتي:

١- إلقاء الضوء على غرض الشارع من النصوص التي يعتصم بعراها أهل كل مذهب من المذاهب الأربعة، إن كان هناك فيه شيء من الغموض يشرحوه شرحًا يرتاح له القلب.

٢- أنهم لا يُنِيطون شرح الأحاديث المشكلة والمتعارضة بلفظ واحد أو طريق واحد، بل يتفقدون جميع الأحاديث المروية- عن طرق مختلفة للحديث- ويتوخون فيها لفظ الشارع.

٣- أنهم يعتنون أشدَّ اعتناء بإفصاح منشأ ما وقع بين الأمة من الاختلاف البين

في الأعمال التي جرى التعامل بها- مأثورًا- في الأمة كرفع اليدين وتعيين مواضعه، والوتر وتعيين ركعاته، وصلاة الجمعة وشروط أدائها، وما شاكلها من المسائل الأخرى التي تباينت فيها الأقوال، فهم يعتنون- في الدرس- كثيرًا بهذه الناحية ويقرِّبون هذا الاختلاف إلى أذهان الطلبة، حتى يعرفوا أنه لم يكن بد من هذا الاختلاف، وأنَّ أصحاب المذاهب معذورون فيه، وهذا أمر مهم جِدًّا، وأنَّ الإهمال لهذا الجانب يُفضي إلى سوء الظن بالتعامل والنقل، وأنه أقوى حجة في الباب.

٤- أنهم لا يتعصَّبون لأقوال الأحناف، بل يحرصون دائمًا على الأخذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وإن كان يخالف ذلك آراء الأحناف، عملًا بما رُوِيَ عن الإمام الأعظم أبي حنيفة قولُه: ما صحَّ عن الرسول ﷺ فهو مذهبي.

٥- أنهم يوجِّهون الطلاب إلى ما في الأحاديث من نواحٍ خُلقية، لتكون حياتهم طاهرة نقية متحلية بالأسوة النبوية.

٦- وذلك مع كمال التأدّب مع الأئمة الأعلام والاحترام لآرائهم فلا يصدر من أحد – من قول أو فعل- ما يمس كرامة الأئمة وعلماء الأمة السابقين، بل جميع الطلبة والأساتذة يخضعون لمكانتهم العلمية الكبيرة السامية، ويشكرون لجهودهم الجميلة المشكورة، وأعمالهم الرائعة في نشر الدين وحفظه، ويعترفون بجميلهم الذي أسدوه إلى الأمة الإسلامية، وأبقوا به الدين في صورته الأصلية النقية.

٧- وأنهم يُفضِّلون الجمع بين ما تعارض من الروايات قدر ما أمكن، وإذا رجحوا مذهبًا ومالوا إلى العمل بحديث لم يهجروا ما عارضه أيضًا ولا التجأوا إلى تضعيفه، بل جعلوا له محمِلًا يرتاح له القلب وتطمئنُّ به النفس[1].

---

(١) دارالعلوم حركة فكرية للشيخ عبيد الله الأسعدي، ص: ١٨٤.

مبنى دار الحديث الشامخ

وقد بلغ بهم اهتمامهم بالحديث الشريف وحرصهم عليه أنهم أقاموا مبنى شامخًا يُسمى «دارالحديث» لتدريس الحديث وحده، ولعلّه أول مبنى مستقل أقيم لدراسة الحديث في التاريخ.

وقد قُبِل- ولايزال يُقبلُ- عدد ملحوظ من الطلاب في السنة الرابعة (من المرحلة الجامعية) المختصة بدراسة الحديث، والعدد يتزايد على مر السنين، حتى بلغ في هذه السنوات إلى ١٥٠٠ طالبٍ.

إن حلقة الحديث الكبيرة العدد من الطلاب كهذه قد سبق لها نظير في تاريخ تدريس الحديث في الماضي. أما اليوم فلا يكاد يوجد لها نظير في مدارس وجامعات العالم.

مؤلفاتهم في الحديث

أما تآليفهم في الحديث وعلومه فقد تنوَّعت وتكاثرت، ولم يتركوا فنًا من فنونه، ولا جانبًا من جوانبه إلا طرقُوه، وأتوا بالعجب العجاب، وبما يُحيِّر الألباب. وإليك أهمَّ مؤلفاتهم في الحديث وعلومه:

أ- شروح دواوين الحديث وحواشيها

قد قام كثيرمن العلماء بشرح أمهات كتب الحديث وغيرها من الكتب الحديثية أو تحلية جيدها بالحواشي، وهي شبه شروح، وفيما يلي تفاصيلها:

صحيح البخاري

الحواشي على صحيح البخاري للشيخ أحمد علي السهارنفوري، ولامع الدراري على صحيح البخاري للعلامة المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في عشرة مجلدات، وهو أماليه في الدرس التي كتبها بالأردية صاحبُه الشيخ يحيى الكاندهلوي، ثم نقلها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي إلى العربية و علَّق عليها وطبعها في ١٠ مجلدات.

وفيض الباري للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وهو شرح حافل على صحيح البخاري في أربعة مجلدات، و هذا الشرح أمالي العلامة في درس صحيح البخاري قيَّدها صاحبه الشيخ بدرعالم الميروتي. ولهذا الشرح خصائص لا تُوجد في غيره من شروح الصحيح، وهي فيما يلي:

الأولى: إشباع الموضوع من سائر المظان البعيدة، والتقاط غرر النقول في الباب.

الثانية: استيعاب مذاهب الأئمة الأربعة وأقوال العلماء، وترجيح ما هو الراجح بأصول دقيقة هي من خصائص المؤلف بغاية النصفة.

الثالثة: العناية بذكر ما لم يذكره شراح صحيح البخاري، والاكتفاء بتلخيص كلام الشارحين في مواضع، والإحالة عليه في مواضع.

الرابعة: اشتماله على نفائس تحقيقات من مشكلات العلوم وأبحاث دقيقة من البلاغة والعربية وأصول الفقه وعلم التوحيد وغيرها.

الخامسة: اشتماله على النقد العلمي والتنبيه على زلات الشارحين مع رعاية جلالة قدرهم بنزاهة اللسان [1].

وفضل الباري في فقه البخاري للشيخ عبد الرؤوف الهزاروي، والنبراس الساري في أطراف البخاري للشيخ عبد العزيز الغونجراوي، وهذه الشروح بالعربية.

وأما بالأردية ففضل الباري شرح صحيح البخاري للعلامة شبير أحمد العثماني، وتحفة الباري بحل مشكلات البخاري للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وفرحة القارئ عن صحيح البخاري للشيخ شير زمان الهزاروي، والكوثر الجاري في شرح البخاري للشيخ عبد الرحمن المرداني، وتلخيص البخاري للشيخ شمس الضحى الرنكوني، وأنوار الباري للشيخ أحمد رضا البجنوري، وإمداد الباري

---

(١) نفحة العنبر للشيخ محمد يوسف البنوري، ص: ١٨٤.

للشيخ عبد الجبار الأعظمي، وإسعاد الباري للشيخ صدّيق أحمد الباندوي، وإرشاد القارئ إلى صحيح البخاري للشيخ المفتي رشيد أحمد اللدهيانوي، وإيضاح البخاري للشيخ فخر الدين المراد آبادي، وإنعام الباري في شرح البخاري أمالي الشيخ المفتي محمد تقي العثماني، وإحسان الباري للشيخ سر فراز صفدر، وجواهر البخاري للشيخ القاضي زاهد الحسيني، وتحفة القارئ شرح البخاري للشيخ سعيد أحمد البالنبوري.

أما في تراجم أبواب البخاري فشرح تراجم البخاري لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وشرح التراجم للشيخ ماجد علي المانوي، وشرح تراجم البخاري للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والقول الفصيح في نقد أبواب الصحيح للشيخ فخر الدين المراد آبادي، و الأبواب والتراجم للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

الصحيح لمسلم

أما شروح صحيح مسلم فأهمها فتح الملهم للعلامة شبير أحمد العثماني في ٦ مجلدات، و تكملته للشيخ محمد تقي العثماني في٦ مجلدات؛ ففتح الملهم بتكملته موسوعة حديثية ضخمة لقيت قبولا وإعجابًا في البلاد العربية.

والحل المفهم لصحيح مسلم للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وهو أماليه قيّدَها الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي، ثم علق عليه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وطبعه في مجلدين، ونعمة المنعم في شرح المجلد الثاني لصحيح مسلم للشيخ نعمة الله الأعظمي.

أما مقدمة صحيح مسلم فقد شرحها غير واحد من العلماء، أهمها شرح مقدمة مسلم للشيخ علي أحمد الأعظمي، وهو بالعربية في مجلد ضخم، ولم يُطبع، ونعمة المنعم للشيخ نعمة الله الأعظمي، وفيض المنعم للشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري.

الجامع للإمام الترمذي

أما حواشي وشروح الجامع للترمذي فهي: الحواشي على جامع الترمذي للشيخ أحمد علي السهارنفوري، والكوكب الدري للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و النفح الشذي للشيخ نفسه، والورد الشذي على جامع الترمذي لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والعرف الشذي للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، ومعارف السنن للشيخ محمد يوسف البنوري، وهدية الأحوذي للشيخ محمد إبراهيم البلياوي، والطيب الشذي للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، والمعارف المدنية أمالي شيخ الإسلام حسين أحمد المدني على الترمذي كتبها الشيخ طاهر حسن الأمروهوي، والتنقيح الشذي للشيخ شمس الحق الأفغاني بالعربية، وتقرير الترمذي لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي بالعربية، ومعارف الترمذي للشيخ عبد الرحمن الكامل فوري، وشرح الترمذي للشيح السيد بادشاه كل، وخزائن السنن في شرح الترمذي للشيخ سرفراز صفدر، وشرح الترمذي للشيخ موسى خان البازي، وشرح الترمذي للشيخ عبد الستار الأعظمي، ودرس ترمذي للشيخ المفتي محمد تقي العثماني، وعلل الترمذي للشيخ فضل الله الرحماني، وشمائل الترمذي للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وكشف النقاب عما يقوله الترمذي وفي الباب للشيخ الدكتور حبيب الله مختار، والعرف الذكي للشيخ عبد الله المعروفي في ضوء ما أفاده العلامة محمد أنورشاه الكشميري.

السنن للإمام أبي داود

أما شروح وحواشي سنن أبي داود فهي: بذل المجهود في شرح سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري في ٥ مجلدات، وأنوار المحمود للشيخ أبي العتيق صديق أحمد النجيب آبادي، وهو أمالي كل من شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، و العلامة شبير أحمد العثماني، والدر المنضود أمالي الشيخ العلامة رشيد أحمد الكنكوهي، حققها وعلق عليها الشيخ محمد عاقل السهارنفوري، وشرح أبي داود للشيخ عبد الماجد، والتعليق

المحمود حاشية سنن أبي داود للشيخ فخر الحسن الكنكوهي، وحاشية بذل المجهود للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

السنن للإمام النسائي

أما شرح السنن للإمام النسائي فهو الفيض السمائي أمالي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، قام بتحقيقها والتعليق عليها الشيخ محمد عاقل السهارنفوري، وحواشي سنن النسائي للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

السنن للإمام ابن ماجه

وأما شروح وحواشي السنن لابن ماجه فهي: شرحُ ابن ماجه للشيخ محمد منظور النعماني بالعربية، ومصباح الزجاجة للشيخ أسعد قاسم السنبهلي، وحواشي سنن ابن ماجه لكل من الشيخ فخرالحسن الكنكوهي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وحاشية ابن ماجه للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، ورفع الحاجة ترجمة سنن ابن ماجه.

الموطأ للإمام مالك

أما شرح الموطإ فهو أوجز المسالك إلى موطإ الإمام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في٦ مجلدات، وحاشية الموطإ للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي.

شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي

أما شروح وحواشي شرح معاني الآثار فهي: أماني الأحبار للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في ٤ مجلدات، و مجاني الأثمار للشيخ محمد عاشق إلهي البرني المدني، وتبهيج الراوي بتخريج أحاديث الطحاوي للشيخ نفسه، و تقريب شرح معاني الآثار للشيخ نعمت الله الأعظمي في ٣ مجلدات، وإيضاح الطحاوي للشيخ المفتي شبير أحمد القاسمي، ودرس طحاوي للشيخ جميل أحمد السكرودوي، والكلام الحاوي على الطحاوي للشيخ سرفراز خان صفدر، ومصباح الطحاوي

للشيخ أسعد الله الرامفوري، وحاشية الطحاوي للشيخ محمد أيوب السهارنفوري، وتصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة في النسخ الطحاوية للشيخ نفسه.

مشكاة المصابيح

أما شرح وحواشي مشكاة المصابيح فالحواشي على المشكاة للشيخ أحمد علي السهارنفوري، والتعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في ٧ مجلدات، ومظاهر حق شرح المشكاة للشيخ قطب الدين الدهلوي، ومظاهر حق جديد شرح المشكاة للشيخ عبد الله جاويد الغازي فوري، ومعارف المشكاة شرح مشكاة المصابيح للشيخ عبد الرؤوف عالي، و شرح مشكاة المصابيح للشيخ موسى خان روحاني بازي، وحاشية المشكاة للشيخ نصير الدين الكامل فوري، وتنظيم الأشتات شرح المشكاة للشيخ أبي الحسن التشاتغامي.

كتاب الشمائل للترمذي

أما كتاب الشمائل فشرحه للشيخ أشفاق الرحمن، وخصائل نبوي للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وجمع الفضائل شرح الشمائل للشيخ محمد إسلام القاسمي.

تحقيق كتب الحديث والتعليق عليها

بجانب شرح كتب الحديث وتحليتها بالحواشي الشبيهة بالشروح اعتنوا بكتب التراث الحديثي، فقاموا بتحقيق عدد لابأس به من المخطوطات أو المطبوعات القديمة و أخرجوها إلى القراء الكرام محققة ومنقحة، وأهمها:

جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي بتحقيق الشيخ عاشق إلهي الميروتي أحد أصحاب الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وتاريخ الأسماء والثقات لابن شاهين بتحقيق القاضي محمد أطهر المباركفوري، وكتاب الزهد الكبير للإمام البيهقي بتحقيق الدكتور تقي الدين

المظاهري الندوي، والمسند للإمام الحميدي، والسنن لسعيد بن منصور، وكتاب الزهد والرقاق لابن المبارك، والمصنف لابن عبد الرزاق، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ومختصر الترغيب والترهيب، كلاهما للحافظ ابن حجر العسقلاني، وكشف الأستار عن زوائد البزار للحافظ الهيثمي، هذه الكتب كلُّها حققها وعلَّق عليها الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والصحيح لابن خزيمة بتحقيق وتعليق الدكتور مصطفى الأعظمي، وكتاب المغني في ضبط الأسماء لرواة الأنباء للشيخ محمد بن طاهر الفتني بتحقيق الشيخ زين العابدين الأعظمي.

ونصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي بتحقيق وتعليق لفيف من العلما: الشيخ محمد يوسف الكامِلفوري، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ أحمد رضا البجنوري، و بغية الألمعي لابن قطلوبغا الحنفي بتحقيق وتعليق الشيخ عبد العزيز البنجابي، ونخب الأفكار شرح شرح معاني الآثار للعيني بتحقيق الشيخ السيد أرشد المدني.

ولهم تعليقات نافعة على كتب الحديث وشروحها، مثل: آثار السنن للعلامة ظهير حسن شوق النيموي بتعليق العلامة محمد أنور شاه الكشميري، ولامع الدراري للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و الكوكب الدري للشيخ نفسه، وبذل المجهود شرح سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهانفوري، وقد علق على جميعها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وأوجز المسالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وبذل المجهود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والتعليق الممجَّد على موطإ الإمام محمد قد علَّق على هذه الثلاثة الشيخ تقي الدين المظاهري الندوي، ومعين اللبيب تعليق على ألفية الحديث للشيخ توقير عالم الفورنوي.

مؤلفاتهم في متون الحديث

ما زال - ولا يزال -حديث الرسول ﷺ موضع اهتمامهم ومصب عنايتهم، فألَّفوا - ولا يزالون- فيه الجديد والمزيد، وأضافوا إلى المكتبة الحديثية كتبًا و موسوعات ما زالت المكتبة على سعتها في حاجة إليها، من أهمها:

جامع الآثار، وتابع الآثار، والتشرف بمعرفة أحاديث التصوف، هي كلها للشيخ أشرف علي التهانوي، و إحياء السنن لبعض أصحابه، وإعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد التهانوي في ١٨ مجلدًا، وقد تم تأليفه بأمر وإشراف الشيخ أشرف علي التهانوي، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، والأربعين للشيخ محمد فخر الدين المراد آبادي، والسيف المجلى على المحلى للشيخ مهدي حسن الشاهجهانفوري، ومشكاة الآثار للشيخ محمد ميان الديوبندي، وألفية الحديث للشيخ محمد منظور النعماني، وزاد الطالبين للشيخ محمد عاشق إلهي البرني، وتعقيب التقليب الواقع في تهذيب التهذيب للشيخ محمد أيوب السهارنفوري، وحياة الصحابة للداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في ٣ مجلدات. ومجموعة الأحاديث للتحفيظ للشيخ محمد توقير عالم الفورنوي.

كذلك ألفوا كتبًا في الحديث بالأردية لعامة المسلمين حرصًا على نشر رسالة السنة ومعارفها بينهم، أهمها:

ترجمان السنة للشيخ بدر عالم الميروتي في ٤ مجلدات، وجواهر الحكم له، ومعارف السنة للشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي، وتجريد البخاري للشيخ محمد حيات السنبهلي، وانتخاب الصحاح الستة للقاضي زين العابدين الميروتي، وانتخاب الترغيب لعبد الله طارق، ومعارف الحديث للشيخ محمد منظور النعماني، وكتاب الفضائل ترجمة الشمائل للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

أصول الحديث وقواعده

كما ألَّفوا في أصول الحديث وقواعده، أو حَلُّو جِيْدَ الكتب القديمة بالحواشي، منها قواعد في علوم الحديث للشيخ ظفر أحمد التهانوي، وعلم الحديث للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، وجواهرالأصول في أصول الحديث للشيخ عبد الرحمن المرداني، وأصول الحديث على مذهب الحنفية للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وأحسن الخبر في مبادئ علم الأثر للشيخ محمد حسن البشاوري، وعلوم الحديث للشيخ عبيد الله الأسعدي، ومفتاح الحديث لعبد الجليل

القاسمي، وبصائر السنة للشيخ أمين الحق المرداني في مجلدين.

الحديث أحد مصادر التشريع الإسلامي

لقد أثار المستشرقون والمتغربون موضوع حجية الحديث ومكانته التشريعية، وحاولوا التشكيك في كونه مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي، وقد تصدى للرد عليهم كثير من العلماء في العالم الإسلامي.

كذلك عالج مشايخ دارالعلوم وعلماؤها هذا الموضوع، فألَّفوا فيه كثيرًا من الكتب، منها: الفوائد الملكوتية في أن الأحاديث حجة للشيخ موسى الروحاني بازي بالعربية، وحجية الحديث لكل من الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد طيب القاسمي، والشيخ المفتي محمد تقي العثماني، ونصرة الحديث للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والانتصار لسنة سيد الأبرار للشيخ محمد طاهر المرداني بالعربية، ونتائج إنكار الحديث للشيخ سرفرازخان صفدر، والمدخل إلى دراسة الحديث النبوي الشريف، ودور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي، وهما للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بالعربية.

كتابة الحديث وتدوينه

ومن مؤلفاتهم في موضوع كتابة الحديث وتدوينه دراسات في الأحاديث النبوية للدكتور مصطفى الأعظمي، وكتابة حديث للشيخ منة الله الرحماني، وكتابة حديث للمفتي محمد رفيع العثماني، وتدوين حديث للشيخ مناظر أحسن الكيلاني.

أسماء الرجال

أما مؤلفاتهم في أسماء الرجال فهي: فن أسماء الرجال للشيخ أسير الأدروي، وعلم أسماء الرجال للشيخ تقي الدين المظاهري الندوي باللغتين: العربية والأردية.

تراجم أئمة الحديث ورجاله

أما تآليفهم في تراجم المحدثين فهي: كشف المغطى عن رجال الموطإ

للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، وتراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار للشيخ محمد أيوب السهارنفوري، والحاوي في رجال الطحاوي للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وأعلام المحدثين، ونخب من أسماء رجال الصحاح كلاهما للشيخ زين العابدين الأعظمي، و شيوخ الإمام أبي داود السجستاني للشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي، و«محدثين عظام اور ان كے علمي كارنامے» (المحدثون العظام وإنجازاتهم العلمية) للشيخ تقي الدين المظاهري الندوي.

في موضوعات متنوعة من الحديث

المعيار القرآني لحديث الرسول ﷺ للشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، وبين الموضوع والضعيف من الأحاديث للشيخ محمد عبيد الله الأسعدي بالعربية، وروض الرياحين ترجمة بستان المحدثين للشيخ عبد السميع الديوبندي، منتخب أحاديث (الأحاديث المختارة) للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، والمسك الزكي للشيخ أشرف علي التهانوي، ومنحة الحبيب في شرح ألفية الحديث للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ومستزاد الحقير على زاد الفقير للشيخ بدر عالم الميروتي، والإتحاف لمذهب الأحناف للشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري، وقلائد الأزهار شرح كتاب الآثار للشيخ المفتي مهدي حسن الشاهجهانفوري، الدر المُنضَّد في شرح الأدب المفرد للشيخ نياز محمَّد الميواتي بتهذيب وتذهيب الشيخ محمد عبد الله المعروفي و علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث للدكتور عبد الرحمن البرني، حديث وفهم حديث للشيخ محمد عبد الله المعروفي.

***

(٣) الفقه وأصوله

لقد تلقَّت الأمة الإسلامية المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة بالقبول والصحة، وشاعت هذه المذاهب في أقطار العالم الإسلامي، فشاع مذهب مالك في بلاد المغرب، ومذهب أبي حنيفة في بلاد العراق وماوراء النهر وأذربيجان وخوارزم وأفغانستان وبلاد الهند، ومذهب الشافعي في الحجاز واليمن، ومذهب أحمد بن حنبل في بلاد نجد[١].

مذهب أهل الهند في الفقه

فأهل الهند عهدهم بالفقه الحنفي قديمٌ قدمَ الإسلام فيها، فقد كانوا من سالف الزمان على الفقه الحنفي[٢]، وظلّت الحكومات الإسلامية فيها تَتَّبِعه في محاكمها ودور قضائها وفي شؤون الحياة.

كما ظلَّ العلماء معنيِّين بالمذهب الحنفي تدريسًا وتأليفًا وتطبيقًا في القضايا الحياتية، فقد درَّسُوا كتبه في مدارسهم كجزء من المقررات في الفقه، وألفوا مجاميع وموسوعات تُشكِّلُ جزءًا مهمًّا في المكتبة الإسلامية العامرة، وهي كثيرة لاتكاد تُحصى عدًّا، منها: فوائد فيروز شاهي في فروع الحنفية لملا محمد العطاري، والفتاوى التاتارخانية للشيخ عالم بن العلاء الدهلوي، والفتاوى الحمادية للمفتي أبي الفتح ركن الدين بن حسام الدين الناغوري، والفتاوى العالمكيرية التي ظلت دستورًا للحكومة المغولية، والتي اشتهرت في الأقطار الإسلامية بالفتاوى الهندية، وهي إنجاز فقهي كبير لا يكاد يوجد له نظير في بلاد العالم الإسلامي.

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص: ١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٠٣.

منهج الإمام ولي الله الدهلوي في الفقه الحنفي

ولما جاء الإمام ولي الله الدهلوي وآلت إليه وإلى أبنائه وتلاميذهم القيادة العلمية في الهند قاموا بتجديد العلوم الإسلامية ونفخِ الروح الجديدة فيها، لاسيما علوم الكتاب والسنة و ما انبثق منهما من الفقه.

فقد ابتكر الإمام رحمه الله منهجًا جديدًا لتقريب الفقه الحنفي إلى السنة وإيجاد التوافق بينهما، ومنهجه هذا مشروح في مؤلفاته، فقد قال في كتابه في فيوض الحرمين:

«...ثم كشف لي أنموذجًا ظهر لي منه كيفية تطبيق السنة بفقه الحنفية من الأخذ بقول أحد الثلاثة[أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد] وتخصيص عموماتهم والوقوف على مقاصدهم، والاقتصار على ما يُفهم من لفظ السنة وليس فيه تأويل بعيد، ولا ضرب بعض الأحاديث بعضًا ولا رفض لحديث صحيح بقول أحد من الأئمة، وهذه الطريقة إن أتمها الله وأكملها فهي الكبريت الأحمر والإكسير الأعظم»[١].

وقال في موضع آخر من كتابه:

«...إن في المذهب الحنفي طريقة أنيقة هي أوفق الطرق بالسنة المعروفة التي جُمِعتْ ونُقِّحت في زمان البخاري وأصحابه.

«وذلك أن يُؤخَذَ من أقوال الثلاثة قول أقربهم بها في المسألة، ثم ذلك يتبع اختيارات الفقهاء الذين كانوا من علماء الحديث كالحافظ أبي جعفر الطحاوي، فرُبَّ شيء سكت عنه الثلاثة في الأصول وما تعرَّضوا لنفيه، ودلَّت الأحاديث عليه، فليس بدٌّ من إثباته، والكل مذهب حنفي»[٢].

ثم درج أبناؤه وتلاميذهم على هذا المنهج المبتكر وقاموا بتوسيعه والإضافة إليه، ثم أخذه الإمام محمد قاسم النانوتوي عنهم حتى قال:

---

(١) مجلة الداعي عدد خاص، مارس وأبريل ١٩٨٠م

(٢) المصدر السابق.

«إني أتحمل مسؤولية إثبات أقوال الإمام أبي حنيفة وفق الأحاديث، ولا أضمن تخريجات الفقهاء»[(١)].

وقد انتهج المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي، والعلامة محمود حسن الديوبندي نفس المنهج، ثم نقَّحه وأكمله العالم الموسوعي في العلوم الشرعية العلامةُ محمد أنورشاه الكشميري، حيث قال:

«إني قضيت ثلاثين سنة من حياتي لأرى هل الفقه الحنفي يُطابق الحديث أم لا؟ فإني مطمئن بعد هذا التعب على أن أحاديث الإمام أبي حنيفة تساوي درجة أحاديث الفقهاء الآخرين»[(٢)]

وقال العلامة محمد يوسف البنوري موضِّحًا منهجهم: «إنهم متصلِّبون لا متعصِّبون، ولذا فإنهم لا يتعصَّبون لأقوال أبي حنيفة ولا للعلماء الحنفية، بل يحرصون على الأخذ بالكتاب والسنة، والعمل بما يوافق السنة الصحيحة، وإن كان يخالف ذاك آراء الأحناف، وهو الثابت من صنيع مؤلفي أحكام القرآن وإعلاء السنن، وقد عرف من صنيع الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، والحق أنه ليس صنيعه فقط، بل صنيع الجماعة[جماعة علماء ديوبند] كماذكرت: «أنه إذا صح حديث، والرواية المشهورة عن أبي حنيفة كانت مخالفة له- غير أنه يوجد في الباب رواية عن الإمام- فكان المذهب عنده ما دل عليه الحديث ووافقته رواية عن الإمام»[(٣)].

«وكذلك كان الأمر عنده إذا جاءت عن الإمام روايات، منها ما يوافق بعض الأئمة من الشافعي وغيره، ومنها ما يخالفهم فالمذهب عنده ما جاء في الرواية الموافقة لا المخالفة»[(٤)].

وقد وضَّح العلامة محمد أنور شاه الكشميري منهجه هذا أمام الشيخ

---

(١) المصدرالسابق.

(٢) المصدرالسابق.

(٣) معارف السنن ٣/ ٤٦.

(٤) معارف السنن ٤/ ١٢١.

رشيد رضا المصري لدى زيارته لدارالعلوم فاستحسنه وارتضاه وشهد له بالصحة والكفاية، حيث قال:

«ما ذكره الشيخ أنور من الأصول ومن مسلك مشايخه فأنا أرتضيه وأوافقه، فإن الفقه الحنفي كاف وواف بلا شبهة»[1].

أما أسلوبهم لتدريس الحديث فهو فريد من نوعه، فهم يستخرجون أدلة المذاهب الأربعة من الأحاديث لدى تدريسها، ثم يُقارنون بينها ويحاكمون فيها، ويرجِّحُون ما رجَحَ دونما تعصُّب وتعسُّف. وشروحهم لدواوين الحديث خيردليل على منهجهم وأسلوبهم، لذلك فلما قرأ بعض الأفاضل أوجز المسالك إلى موطإ مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وما فيه من تأييد المذهب المالكي ومناصرته خُيِّلَ إليه أن صاحبه مالكي، لا حنفي.

ومن جهودهم المشكورة الهامة لتقريب الفقه إلى الكتاب والسنة كتابان قيِّمان، أحدهما: أحكامُ القرآن لنخبة من العلماء: الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ ظفر أحمد التهانوي، والشيخ جميل أحمد التهانوي، وذلك في ٥ مجلدات ضخمة، والكتاب يبحث في أدلة المذهب الحنفي من القرآن، وقد سارالمؤلفون فيه سيرة أبي بكر الجصاص الحنفي في كتابه أحكام القرآن.

وثانيهما: الموسوعةُ الحديثية الضخمة: إعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد التهانوي في ١٨ مجلدًا، وهذا الكتاب كذلك يجمع أدلة المذهب الحنفي المبعثرة في التراث الحديثي الواسع. وقد تم تأليف هذين السفرين العظيمين بأمر وتحت إشراف أحد كبار مشايخ دارالعلوم حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي.

وقد أشاد بهذا المجهود العلمي المبارك كلٌّ من العلامة المحقق الشيخ محمد زاهد الكوثري، والبحاثة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحلبي.

---

(١) حالات جامعة ديوبند سنة ١٣٣٠ هـ

وهكذا فنَّدوا ما أثير ضد المذهب الحنفي من شبهة، وهي أنه لا سند له من الكتاب، ولا أساس له من السنة.

المقررات الدراسية في الفقه الحنفي

ومن عنايتهم الخاصة بالفقه أنّهم أدرجوا كتبًا هامة في الفقه الحنفي وأصوله في المنهج الدراسي لدارالعلوم، مثل: الهداية للمرغيناني بأجزائه الأربعة، والدر المختار للحصكفي، والأشباه والنظائر لابن نجيم المصري، والسراجية في الميراث للسجاوندي، و شرح عقود رسم المفتي لابن عابدين، وقواعد الفقه للمفتي عميم الإحسان البركتي، وشرح الوقاية لصدر الشريعة بجزئيه، وكنز الدقائق للنسفي، ومختصرالقدوري لأبي الحسين أحمد بن محمد القدوري، ونور الإيضاح للشرنبلالي. وأما في أصول الفقه فتسهيل الأصول للشيخ نعمت الله الأعظمي والشيخ رئاست علي البجنوري، وأصول الشاشي، ونور الأنوارشرح المنار لملّاجيون، والمنتخب الحسامي للأخسيكثي.

هذا إلى أنَّ أعضاء هيئة الإفتاء في دارالإفتاء يستفيدون من تراث الفقه الحنفي كله قديمه وحديثه لدى الإفتاء والإجابة عن المسائل الشرعية.

دارالإفتاء

ومن مظاهر اهتمامهم البالغ بالفقه دارُالإفتاء، وهي قسم من أقسام دارالعلوم الهامة، أنشئت سنة ١٣١٠هـ= ١٨٩٢م، وسرعان ما أصبحت مرجعا للناس في الفتاوى والمسائل الشرعية. وقد تولى المدرسون في دارالعلوم بادئ ذي بدء مسؤولية الإجابة عن المسائل وكتابة الفتاوى، ثم لما كثرت الأسئلة الواردة إليها تمَّ تكوين هيئة للإفتاء واختيار الشيخ عزيز الرحمن الديوبندي أوَّلَ رئيسٍ لها.

فالهيئة المكوَّنة من المفتين تُفتي في المسائل التي ترد إليها لا من أنحاء الهند فحسب بل من مختلف بلاد العالم، وذلك بمختلف اللغات المحلية والعالمية من الأردية والهندوسية والعربية والإنجليزية.

وتصدر عن دارالإفتاء نحو عشرة آلاف فتوى سنويًّا، وقدصدرت عنها خلال ١٥٠ سنة نحوُ ثمان مئة ألف فتوى. وهي محفوظة في خمس مئة سجل، وقد طُبِعَ ١٨ مجلدًا مما أفتى به المفتي الأول عزيز الرحمن باسم «فتاوى دارالعلوم بديوبند».

وما تُصْدِرُ دارالإفتاء من الفتاوى له اعتبار في المجتمع الهندي، وتنظر المحاكم الرسمية ومحاكم التثليث غير الرسمية إلى فتاواها نظرة اعتبار واحترام، وقد تأتي فتاواها في خصومات الناس وقضاياهم قولًا فصلًا، فهي كما يقول المثل العربي: قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قول كلِّ خطيب.

بجانب ذلك تقوم دارالإفتاء بتدريب الطلاب المتفوقين المتخرجين على الإفتاء وكتابة الأجوبة، ويقبل في القسم نحو ٥٠ طالبًا، ويتدربون على ذلك ويتخصصون فيه ويتخرجون مفتين، ثم يتولون مهام الإفتاء والقضاء في المدارس والجامعات ودور الإفتاء والقضاء.

موقع دارالإفتاء عبرالشبكة العنكبوتية

لا شك أنَّ وسائل التواصل الحديثة قد أحدثت انقلابًا عظيمًا في مجال الاتصال السريع، وحوَّلت العالم قرية صغيرة، مما أمكن وصول الخبر من أقصاه إلى أقصاه ومن شرقه إلى غربه بأسرع ما يمكن.

ولما كانت دارالعلوم سبَّاقة إلى كل ما ينفع عامة المسلمين استعملت الوسائل الحديثة للاتصال لصالحهم، ففتحت موقعًا لدارالإفتاء باسم (www.darulifta-deoband) عام ٢٠٠٧م ليتمكنوا من إرسال الاستفتاءات من خلاله إلى دارالإفتاء والحصول على الفتاوى منها بشكل سريع. وهو أكبر موقع للإفتاء في العالم ذي لغتين: الأردية والإنجليزية، ويزوره أكثر من ألف وخمس مئة شخص شهريًّا، وقد نُشِرَ عبر هذا الموقع نحوُ ٤٠٠٠٠ فتوى بالأردية والإنجليزية. ولا يزال هذا الموقع يخدم المسلمين في العالم بإرشادهم دينيًّا في مختلف قضاياهم ومشكلاتهم.

دورالإفتاء في المدارس والجامعات التابعة لها

لدارالعلوم فضلُ تقدم على المدارس والجامعات الإسلامية في كل شيء، فقد أنشئت قبلها، وسبقتها إلى فتح الأقسام المختلفة التي تنفع الطلاب وعامة المسلمين، فبهذا الفضل والسابقية أصبحت للمدارس والجامعات الإسلامية الأخرى مثالًا يُحتذى، وأسوة يقتدى بها.

فحذت حذوها كثير من المدارس والجامعات في الهند وخارجها، فأنشأت دور إفتاء لإصدار الفتاوى وتدريب الطلاب على الإفتاء والتفقه، في مقدمتها مظاهر علوم بسهارنفور، والجامعة القاسمية شاهي بمدينة مراد آباد، ودارالعلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ، و رياض العلوم غوريني بجونفور، و إحياء العلوم بمباركفور بأعظم جراه، ومدرسة تعليم الدين بدابيل بولاية غوجرات، والمعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء بـ بتنه، بولاية بيهار، والمعهد العالي الإسلامي بـ حيدر آباد، وما إليها.

الإمارة الشرعية

كانت الحكومات الإسلامية في الهند ترعى المسلمين، وتطبِّق الأحكام الشرعية في حياتهم، فلما قُضي على الحكومة المغولية المسلمة، أصبح أمر المسلمين في اضطراب وتشويش، فلا محاكم شرعية، ولا قضاة ولا ولاة.

هنالك فكَّر أعضاء جميعة علماء الهند- و كانوا من أفاضل متخرجي دارالعلوم – أن ينصبوا أميرًا للمسلمين في الهند يمارسون تحت إمارته الأحكام الشرعية. ومن العلماء الذين اقترحوا هذا الاقتراح أبو المحاسن سجاد، والمفتي كفاية الله الدهلوي، فأنشؤوا الإمارة الشرعية ونصبوا أميرًا للمسلمين بولايتَيْ: بيهار وأريسه سنة ١٩٢١هـ، كما أقاموا دور القضاء وعيّنوا فيها قضاةً في مختلف المناطق للولايتين المذكورتين.

وقد مارس كثيرمن متخرجي دارالعلوم من على منبر الإمارة المذكورة نشاطات ملموسة، على رأسهم الشيخ أبو المحاسن سجاد، و الشيخ منة الله الرحماني،

والشيخ عبد الرحمن، والشيخ عبد الصمد الرحماني، و القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، والشيخ نظام الدين، ومن إليهم.

ولم يتيسر لهم تنفيذ هذا الاقتراح آنذاك على مستوى البلاد لاشتغالهم بكفاح استقلال الهند، ثم مضت فترة طويلة على ذلك، فعقدت جمعية علماء الهند في مقرها بدهلي اجتماعًا، حضره العلماء وناقشوا فيه هذا الاقتراح وسبل تنفيذه على مستوى البلاد، فأنشؤوا الإمارة الشرعية، و وافقوا على اختيار المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي أميرًا لمسلمي الهند، والشيخ السيد أسعد المدني نائبًا له، فلما توفي المحدث الكبير اختير الشيخ أسعد المدني أمير شريعة، وبعد وفاته تم اختيار الشيخ مر غوب الرحمن البجنوري- رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم سابقًا- أميرًا، ولما توفي هو الآخر، اختير الشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري - رئيس جمعية علماء الهند- أميرًا لمسلمي الهند، وبعد وفاته تمَّ اختيار الشيخ السيد أرشد المدني أميرًا لهم.

إدارة المباحث الفقهية

هذا إلى أنَّ أبناء دارالعلوم قاموا بإنشاء مؤسستين فقهيتين كبيرتين للتشاور وتبادل الآراء والاجتهاد الجماعي في القضايا المعاصرة والنوازل المستجدة، إحداهما «إدارة المباحث الفقهية» التي أنشأها مسؤولوجمعية علماء الهند عام ١٩٧٠م، في طليعتهم الشيخ محمد ميان الديوبندي.وقد أدَّت إدارة المباحث دورًا عظيمًا في مناقشة العديد من القضايا المعاصرة، والموافقة على القرارات الفقهية فيها.

وهذه الإدارة تعقد ندوة فقهية كل سنة يحضرها كبار العلماء و المفتين في البلاد، ويقدمون بحوثهم في الموضوعات المعنية، ويساهمون في المناقشات والمداولات، ثم تتمخض الندوة عن قرارات يوافق عليها الأعضاء. وقد طُبعت قرارات الإدارة الصادرة حتى الآن باللغات الثلاث: الأردية والعربية والإنجليزية.

مجمع الفقه الإسلامي بالهند

وثانيتهما: مجمع الفقه الإسلامي الذي قام بتأسيسه القاضي مجاهد الإسلام

القاسمي بدهلي عام ١٩٨٩م، والمجمع أكثر نشاطا وأوسع نطاقًا. وهو كذلك يعقد ندوة فقهية كل سنة يحضرها كبار العلماء والفقهاء والمفتين من الهند، وباكستان، وبنغلاديش، وإيران، والمملكة العربية السعودية، والعراق ومصر والكويت واليمن وبرونائي وبريطانيا، وما إليها. وله جهود مشكورة في معالجة القضايا الحديثة والنوازل المستجدة، وقد لقيت قراراته قبولا وإعجابًا في العالم الإسلامي.

ونشاطه مقصور على ثلاثة مجالات:

١- عقد الندوات الفقهية

٢- إعداد الكتب والمؤلفات الفقهية

٣- تنظيم مخيمات تربوية

وقد قام المجمع بإعداد ونشر عدد كبيرمن الكتب والمؤلفات الفقهية في مختلف اللغات: الأردية والعربية والإنجليزية والهندوسية، كما قام بترجمة الموسوعة الفقهية التي قامت بإعدادها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بدولة الكويت عام ١٩٦٧م في ٤٥ مجلدًا، وذلك باللغة الأردية.

المجاميع والموسوعات

ما أفتى الفقهاء ورجال الإفتاء وما صدر عن دارالإفتاء بدارالعلوم والمدارس والجامعات التابعة لها من الفتاوى كثيروكثير، وقد جمعت فتاواهم في مجلدات ضخمة وطبعت حتى جاءت مجاميعَ و موسوعاتٍ فقهيةً تحوي كثيرًا من المسائل الشرعية والاجتهادات الفقهية.ومن أهم هذه المجاميع:

فتاوى دارالعلوم للمفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي في ١٨ مجلدًا، والفتاوى الرشيدية للشيخ المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي في مجلدين، وإمداد الفتاوى للشيخ أشرف علي التهانوي في ٦ مجلدات، وعزيز الفتاوى للمفتي عزيز الرحمن الديوبندي في ٨ مجلدات، وإمداد المفتين للمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي في ٨ مجلدات، وكفاية المفتي للمفتي كفاية الله الدهلوي في ٩ مجلدات، والفتاوى الخليلية للشيخ خليل أحمد السهارنفوري في مجلد، وفتاوى شيخ الإسلام

حسين أحمد المدني في مجلد، والفتاوى المحمودية للمفتي محمود حسن الكنكوهي في ٢٥ مجلدًا، وأحسن الفتاوى للشيخ رشيد أحمد اللدهيانوي في ٨ مجلدات، وخير الفتاوى للشيخ خير محمد الجالندهري في ٥ مجلدات، والفتاوى الرحيمية للشيخ المفتي عبد الرحيم اللاجفوري في ٦ مجلدات، والفتاوى الحقانية للشيخ عبد الحق الأكاروي في ٦ مجلدات، وفتاوى المفتي محمود السرحدي، وثمينة الفتاوى للشيخ محمد يعقوب الشرودي، وآپ كے مسائل اور ان كا حل (حلول القضايا التي تواجهك) للمفتي محمد يوسف اللدهيانوي في ٩ مجلدات، ومنتخبات نظام الفتاوى للمفتي نظام الدين الأعظمي، وفتاوى القاضي مجاهد الإسلام القاسمي في مجلد، وكتاب الفتاوى للشيخ خالد سيف الله الرحماني في ٦ مجلدات، وفتاوى إحياء العلوم للشيخ محمد ياسين المباركفوري في مجلد، و الفتاوى العثمانية للمفتي محمد تقي العثماني في ٣ مجلدات، وكتاب المسائل للمفتي محمد سلمان المنصورفوري في ٣ مجلدات، وحبيب الفتاوى للشيخ حبيب الله الجمفارني في مجلد، ودين فطرت (أحكام المسائل المستجدة) للمفتي عزيز الرحمن الفتحفوري في مجلد، وجامع الفتاوى للشيخ مهربان علي البروتوي في ٥ مجلدات، وفتاوى علماء الهند للشيخ أنيس الرحمن القاسمي في مجلد، ومحمود الفتاوى للشيخ المفتي أحمد الخانفوري، ومن إليهم.

تحقيق الكتب الفقهية وتخريجها

هذا إلى أنهم قاموا بتخريج الكتب الفقهية التراثية وتحقيقها، وهي: بغية الألمعي في تخريج الزيلعي للمفتي محمد شفيع الديوبندي، و المستزاد الحقير على زاد الفقير لابن همام بتحقيق الشيخ بدر عالم الميروتي، والفتاوى المحمدية مع شرحها للشيخ ميان أصغر حسين الديوبندي، وتعليق المفتي مهدي حسن على كتاب: الحجة على أهل المدينة للإمام محمد بن حسن الشيباني، وتعليقه أيضا على شرح كتاب الآثار للإمام محمد، وفتح الرحمان في إثبات مذهب النعمان بتحقيق المفتي نظام الدين، وصنوان القضاء بتحقيق القاضي مجاهد الإسلام القاسمي،

والفتاوى التاتارخانية بتحقيق القاضي سجاد حسين الدهلوي، ومختارات النوازل، وكتاب التجنيس والمزيد، كلاهما بتحقيق الشيخ خالد سيف الله الرحماني، والفتاوى التاتارخانية بتحقيق وتعليق الشيخ المفتي شبير أحمد القاسمي، وذلك في ٢٣ مجلدا. وصلاة الرسول ﷺ للشيخ جميل أحمد نذيري.

كما حلُّوا جيد المقررات الدراسية في الفقه بالحواشي والتعليقات المفيدة، وهي التي تدرس اليوم في جميع الجامعات و المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية.

مؤلفاتهم في الموضوعات الفقهية

كما ألفوا مئات الكتب في الموضوعات الفقهية من أذان وصلاة وصيام وزكاة وحج وأضاحٍ وما إلى ذلك، وأهمها فيما يلي:

تأليفات رشيدية (مجموع رسائل الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي) ، وأحسن القرى في توضيح أوثق العرى لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي في موضوع إقامة الجمعة في القرى،

وأحكام القرآن لنخبة من العلماء، وإعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد التهانوي، ونيل الفرقدين في رفع اليدين للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وبهشتي زيور (المعرَّب باسم المخلص في الفقه الحنفي) للشيخ أشرف علي التهانوي، وتعليم الإسلام للمفتي كفاية الله الدهلوي، ومفيد الوارثين، وميراث المسلمين، كلاهما للشيخ ميان أصغر حسين الديوبندي، وأحكام الحج للمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، وبغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب للعلامة محمد يوسف البنوري، ومعين القضاة للشيخ شمس الحق الأفغاني، وزيارة القبور للشيخ بادشاه كل، ومعلم الحجاج للمفتي محمد سعيد السهارنفوري، ومسائل سجدة السهو، ومسائل الإمامة، كلاهما للمفتي حبيب الرحمن الخير آبادي، وإيضاح المسالك، وإيضاح المناسك، كلاهما للمفتي شبيرأحمد القاسمي، وأحكام لحوم الخيل للشيخ بدر الحسن القاسمي، والنكاح والطلاق والميراث للمفتي

فضيل الرحمن هلال العثماني، والتجارة والاقتصاديات المعاصرة في الإسلام للمفتي محمد تقي العثماني.

مؤلفاتهم في أصول الفقه، وتاريخ تدوينه، وأسرار الشريعة

أما مؤلفاتهم في الموضوعات المتصلة بالفقه من أصوله وتاريخ تدوينه وأسرار الشريعة فهي كثيرة كذلك، أهمها: الحيلة الناجزة، والمصالح العقلية، وأشرف الجواب، والفقه الحنفي أصوله وضوابطه، واجتهاد وتقليد كا آخري فيصله (القول الفصل في الاجتهاد و التقليد) ، هذه الكتب كلها للشيخ أشرف علي التهانوي، ومقدمة تدوين الفقه، وأصول الفقه، وهما للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، ومقدمة نور الإيضاح للشيخ محمد إعزاز علي الأمروهوي، ومقدمة اسلامي عدالت للقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، وتدوين الفقه (مقدمة فتاوى دارالعلوم ديوبند) للشيخ المفتي ظفير الدين المفتاحي، ومقدمة الفتاوى التاتارخانية للقاضي سجاد حسين، وآپ فتوى كيسے ديں؟ (أخلاقيات المفتي) للشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري، و فقه إسلامي تدوين وتعارف (الفقه الإسلامي تدوينه وتعريفه) آسان أصول فقه (تيسير أصول الفقه) وهما للشيخ خالد سيف الله الرحماني، الموجز في أصول الفقه للشيخ عبيد الأسعدي بالعربية، والقواعد الفقهية للشيخ أبو الكلام شفيق، وحجية الإجماع والقياس للشيخ جميل أحمد السكرودي، وأودھ ميں فقهى مراكز اور ان كى خدمات (مراكز الإفتاء في أوده وجهودها) للدكتور اشتياق أحمد الأعظمي، وقاموس الفقه للشيخ خالد سيف الله الرحماني، وإسلامي عدالت (المحكمة الإسلامية) للقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، ومجموعة القوانين الإسلامية للشيخ منة الله الرحماني والمفتي ظفيرالدين المفتاحي، وإسلام كا أراضى نظام مع فتوح الهند (أحكام الأراضي في الإسلام مع حكم فتوح الهند) للمفتي محمد شفيع الديوبندي، وإسلامي معاشيات (الاقتصاد الإسلامي) للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، وإسلام كا اقتصادي نظام (الاقتصاديات في الإسلام) للشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، و

إسلام كا زرعى نظام (حكم الزراعة في الإسلام) للشيخ تقي أميني، وهمارا اقتصادى نظام (منهج اقتصادنا) للشيخ المفتي محمد تقي العثماني.

في القضايا الفقهية المعاصرة

بجانب اشتغالهم بالتراث الفقهي القديم تناولوا القضايا المعاصرة والمشكلات الحديثة التي أفرزتها المدنية الغربية بالبحث والتحقيق، وخرَّجوها على منهج الفقه وأصوله، وألفوا كتبًا كثيرة ما بين صغير وكبير، حتى اجتمعت ثروة فقهية كبيرة في هذا الموضوع كذلك، ومن أهم مؤلفاتهم في هذا الشان:

آلات جديدة كى شرعي احكام (الحكم الشرعي للآلات الجديدة) ، وجواهر الفقه، ورويت هلال (رؤية الهلال) ، ومسئله سود (قضية الربا) ، وهي كلها للمفتي محمد شفيع الديوبندي، وبحوث في قضايا فقهية معاصرة للمفتي تقي العثماني، وقضايا فقهية معاصرة للشيخ بدرالحسن القاسمي، ومعاشرتي مسائل (المسائل الاجتماعية) للشيخ برهان الدين السنبهلي، وجديد فقهي مسائل (المسائل الفقهية المعاصرة) و حلال وحرام (الحلام والحرام)، وهما للشيخ خالد سيف الله الرحماني، و إيضاح المسائل وإيضاح النوادر وهما للمفتي شبير أحمد القاسمي، وبينك انشورينس اور سركاري قرضے (التأمين المصرفي والديون المصرفية) ورؤيت هلال كا مسئله (قضية رؤية الهلال) للشيخ برهان الدين السنبهلي، شئرز اور كمپني (الشركة وسهامها) ، وحاجت اور ضرورت (الحاجة والضرورة) ، وجديد تجارتي شكلين (الأشكال التجارية المعاصرة) و الوقف، ومجلة الفقه الإسلامي، هذه الكتب كلها للقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، وجند اهم عصري مسائل (قضايا معاصره مهمة) للمفتي زين الإسلام القاسمي.

ترجمة الكتب الفقهية وشروحها

كذلك نقلوا كثيرًا من الكتب الفقهية إلى الأردية مثل: الفتاوى الهندية، ورد المحتار، والدر المختار، كما شرحوا المقررات الدراسية في الفقه وأصوله،

مثل: الهداية، وشرح الوقاية، وشرح النقاية، وكنز الدقائق، ومختصرالقدوري، ونور الإيضاح، والسراجية في الميراث، وأصول الشاشي، ونورالأنوار، ومنتخب الحسامي، وما إليها.

من مشاهير فقهائهم ومفتيهم

قد اشتغل كثيرمنهم بالفقه والإفتاء وبرعوا فيه وتركوا آثارًا علمية في الموضوع، أشهرهم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي صاحب الفتاوى الرشيدية، والشيخ أشرف علي التهانوي صاحب إمداد الفتاوى، والمفتي عزيز الرحمن صاحب الفتاوى العزيزية، والمفتي كفاية الله الدهلوي صاحب كفاية المفتي، والشيخ إعزازعلي الأمروهوي صاحب التعليقات المشهورة على كتب الفقه والأدب، والشيخ رياض الدين البجنوري، والمفتي محمد شفيع الديوبندي صاحب المؤلفات الكثيرة في الفقه، والمفتي سهول الباجلفوري، والمفتي كفاية الله الكنكوهي، والمفتي محمد فاروق الأنبيتهوي، والمفتي السيد مهدي حسن الشاهجهانفوري صاحب التعليقات المعروفة، والمفتي محمود حسن الكنكوهي صاحب الفتاوى المحمودية، والمفتي محمد ميان الديوبندي صاحب المؤلفات الكثيرة، والمفتي نظام الدين الأعظمي صاحب نظام الفتاوى، والمفتي رشيد أحمد اللدهيانوي صاحب أحسن الفتاوى، والمفتي محمد يوسف اللدهيانوي، والقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، والمفتي ظفيرالدين المفتاحي، والمفتي حبيب الرحمن الخير آبادي، والمفتي محمد تقي العثماني، والشيخ برهان الدين السنبهلي، والشيخ عتيق أحمد القاسمي البستوي، والمفتي خالد سيف الله الرحماني، والمفتي أحمد الخانفوري، والمفتي زين الإسلام القاسمي، والمفتي شبير أحمد القاسمي، والمفتي محمد سلمان المنصورفوري، ومن إليهم.

***

(٤) اللغة العربية

نبذة من تاريخ اللغة العربية في الهند

دخلت اللغة العربية الهند مع الغزاة الفاتحين العرب، وتطورت فيها وازدهرت، حتى كانت يُنطق بها وتُفهم في الأسواق في المناطق التي فتحوها.قال المقدسي الذي زار السند بعد انتهاء العصر العربي عن سكان مدينة الديبل: «كلهم تجار وكلامهم سندي عربي» وقال الاصطخري المتوفى ٣٤٠هـ: «ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية»[١].

واتخذها العلماء والقضاة الذين جاؤوا مع الجيش الإسلامي، والذين وردوا بعدهم الهند، والأجيال التي وُلدت فيها على الإسلام ونشأت على العلم والمعرفة.. اتخذوها لغة العلم والتأليف والثقافة، وأودعوها نتاج فكرهم وثمار عقولهم، وتركوا فيها آثارًا علمية خالدة تزدان بها المكتبة الإسلامية العامرة.

وقد ظلت الحال كذلك في جميع عصورالتاريخ حتى اليوم، فقد نبغ فيها في كل عصر من عصور تاريخ الهند عدد كبير من العلماء والأعلام الذين يتعذر حصرهم، فمن أئمة اللغة المعروفين ونوابغها البارزين:

العلامة حسن بن محمد الصغاني المتوفى سنة ٥٦٠هـ. قال عنه الذهبي: إنَّ إليه المنتهى في اللغة، وقال السيوطي: هو حامل لواء العربية[٢]. وهو صاحب العباب الزاخر واللباب الفاخر، الذي هو أعظم معجم في العربية إلى اليوم، لا

---

(١) الثقافة العربية في الهند، ص: ٨.

(٢) مجلة الداعي عدد خاص بمناسبة الاحتفال المئوي شهري مارس وأبريل ١٩٨٠م.

تضاهيه معاجم أخرى، ولا يساويه معجم في كثرة مادته وغزارة ألفاظه[١].

وأحمد بن محمد التهانيسري المتوفى سنة ٨٢٠هـ الذي قال عنه الشيخ غلام علي البلكرامي: «هو عالم يُشبه اللآلي تحريره وشاعر يحكي السلسال تقريره».

ومن قصائده قصيدة في مدح النبي ﷺ أولها:

أطـار لبـي حنـين الـطائر الـغرد وهـاج لوعـة قلبـي التائـه الكـمد

وأذكرتني عهـودًا بـالحمى سلفـت حمامة صدحت من لاعـج الكبـد[٢]

والإمام علي بن حسام الدين المتقي المتوفى سنة ٩٧٥هـ الذي يناهز مؤلفاته نحو مئة مؤلَّف، أشهرها كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الذي يُعدُّ من أجل ما صنف في الحديث، وهو أشبه بموسوعة للأحاديث النبوية.

والعلامة محمد بن طاهر الفتني المتوفى سنة ٩٨٦هـ صاحب مجمع بحار الأنوار، وهو كتاب قيم يدل على سعة اطلاع المؤلف ومعرفته بالفروق اللغوية والخصائص البلاغية لأحاديث الرسول ﷺ.

وأبو الفيض فيضي بن مبارك الناكوري المتوفى سنة ١٠٤٤هـ، كان -رغم زيغه وانحرافه- من الأعلام البارزين في اللغة والشعر والإنشاء والتاريخ. من أعماله الرائعة: سواطع الإلهام، وهو تفسيرالقرآن الكريم، استخدم في تأليفه صنعة الإهمال (كلمات غير منقوطة) ، ولا ريب أنه يدل على علو كعبه في اللغة وغزارة ثروته اللغوية.

والإمام ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ صاحب مؤلفات كثيرة بالعربية، أشهرها كتاب حجة الله البالغة، وهو كتاب فريد في بابه، ذاع صيته وسارت به الركبان.وكان – بجانب ذلك – شاعرًا، يماثل شعره بل يفوق أشعار الشعراء المفلقين، وقد جمع نجله عبد العزيز الدهلوي قصائده وأبياته، ومن

---

(١) تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند للدكتور صهيب عالم، ص: ٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص: ٧٧-٧٨ .

قصيدته في مديح الرسول ﷺ:

كأنَّ نجومًا أومضت في الغياهب ... عيون الأفاعي أو رؤس العقارب

إذا كان قلب المرء في الأمر خائرًا ... فأضيق من تسعين رحب السباسب

وحسان الهند غلام علي آزاد البلكرامي المتوفى سنة ١٢٠٠هـ، صاحب سبحة المرجان في آثار هندوستان، والسبع السيارة (دواوينه الشعرية في مديح النبي ﷺ) وهو في صناعة الشعر أكثررونقًا وأغزر مادة وأشمل بيانًا، وقد بلغ شعره في مديح النبي ﷺ الغاية والمنتهى في حسن التأني وسلاسة النظم، وقوله في مديح الرسول ﷺ:

عليك سلام الله يا أشرف الورى ... لقد سال دمعي في وداعك فانيا

وما أنا إلا كالذي جاء منهلا ... فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

والعلامة مرتضى الحسيني البلكرامي الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ صاحب تاج العروس من جواهر القاموس، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، وهو من مشاهير المحققين و فحول الأدباء المؤلفين. كان له مقدرة فائقة في الشعر العربي بكل إبداع ودقة، وقصائده تشهد بذلك، ومن قصيدته في الحث على الجد والاجتهاد للسعادة الأبدية:

فانهض بإقدام على الأقدام ... إن كنت للعلياء ذا مرام

وشمِّر الساق عن اجتهاد ... مثل اجتهاد السادة العباد

والشيخ محمد أعلى التهانوي المتوفى سنة ١٢٩١هـ صاحب كشّاف اصطلاحات الفنون، وهو معجم اصطلاحي معروف في الأوساط العلمية في الهند وخارجها.

وقد نبغ في العهد الأخير كثيرمن العلماء في اللغة والنثروالشعر، منهم: الشيخ حميد الدين الفراهي المتوفى سنة ١٣٤٩هـ صاحب جمهرة البلاغة، والإمعان في أقسام القرآن. قدأوتي موهبة شعرية قوية، واعترف بفصاحته العرب قبل

العجم، وقد قال وهو يعبِّر عن أسفه لما أصاب المسلمين في أواخر أيام الخلافة العثمانية، والعالم على فوهة الحرب العالمية:

كيف القرار وقد نكس   أعلامنا بطرابلس

كيف القرار وحولنا الأ   عداء ترتقب الخلس

والعلامة عبد العزيز الميمني المتوفى سنة ١٩٧٨م، صاحب سمط اللآلي في شرح الأمالي لأبي علي القالي، وأبي العلاء وما إليه، وابن رشيق القيرواني حياته والبيئة التي نشأ فيها، وما إليها من كتب نافعة.

والعلامة صديق حسن خان القنوجي المتوفى سنة١٣٠٨هـ صاحب فتح البيان في مقاصد القرآن، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام، والحطة في ذكر الصحاح الستة.

والعلامة عبد الرحمن المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ صاحب تحفة الأحوذي، و الشيخ عبد الحي الحسني المتوفى سنة ١٣٤١هـ صاحب نزهة الخواطر، والثقافة الإسلامية في الهند، و الشيخ مسعود عالم الندوي المتوفى سنة ١٣٧٣هـ صاحب الدعوة الإسلامية في الهند، والإمام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، و الداعية العلامة أبو الحسن علي الندوي المتوفى سنة١٤٢٠هـ صاحب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وغيرها من مؤلفات ورسائل مشهورة[1].

مساهمة دارالعلوم في خدمة اللغة العربية

لقد أسهمت دارالعلوم في خدمة اللغة العربية ونشرها إسهامًا عظيمًا، ويتبلور إسهامها من نواح شتى:

(١) المصدر السابق، ص: ٧٨ -١١٠.

١- في مجال الشعر

قد اشتغل مشايخها وعلماؤها - بجانب العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه و ما إليها- باللغة العربية وآدابها، واكتسبوا مهارة النطق، وموهبة الكتابة، وسليقة قرض الشعر، وتركوا آثارًا علمية ودواوين شعرية تدل على مهاراتهم في الكتابة وسلائقهم في معالجة الشعر.

وممن نبغوا في قرض الشعر من مشايخها: الشيخ فيض الحسن السهارنفوري المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، له مؤلفات مهمة في الأدب والشعر والتفسير، منها: شرح ديوان الحماسة، ورياض الفيض، وشرح المعلقات السبع، وحاشية مشكاة المصابيح، وحاشية على تفسير البيضاوي، وتعليقات الجلالين، وديوان الفيض، وهو أروع ما خلَّفه الشيخ من الآثار الأدبية.

وإليك نماذج من أبياته في مديح النبي ﷺ:

فديتك أن تعاتبني فتنعم ... علي فكل خير في عتابي

فدى لك أن تعاقبني فتحسن ... فأي شر في عقابي

أتيتك مستغيثا مستغيثا ... بقلب فارغ يحكي جوابي[١]

والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي المتوفي سنة ١٣٢٢هـ كان من مؤسسي دارالعلوم وأحد أعضاء مجلسها الاستشاري، وهو يُعدّ من طليعة الشعراء المفلقين، وكتاب العربية القديرين، قلما أنجبت الهند مثله في سعة الاطلاع على شعرالعرب، والأنساب، والعروض، وقواعد اللغة العربية، له مؤلفات أدبية قيمة، وقصائد بديعة رنانة، من أهمها: تسهيل الدراسة في شرح ديوان الحماسة، وشرح وجيز على المعلقات السبع، وعطر الوردة في شرح قصيدة البردة، والهدية السنية في ذكرالمدرسة العربية الديوبندية[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٢.

(٢) مجلة الداعي عدد خاص بمناسبة الاحتفال المئوي شهري مارس وأبريل ١٩٨٠م.

ومن قصيدته التي مدح بها السلطان عبد الحميد الثاني المتوفى سنة ١٣٣٦هـ ملك الدولة العثمانية:

يا قاسي القلب يا من لجَّ في عذلي إليك عني فإني عنك في شغل

وكيف تعرف حال المستهام أيا من لم تصبه سهام الأعين النجل

نام الخليون في خفض وفي دعة وقد أرقْتُ بدمع سائل همل

والإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ كان له مقدرة عجيبة على قرض الشعر باللغتين: العربية والأردية. له قصائد وأبياتٌ جمعت في كتابٍ سُمي القصائد القاسمية، ومن قصيدته في مدح السلطان عبد الحميد الثاني:

نفسي وما بيدي فدى لجمالكم إن مت دونكم فمن لدلالكم

أنسيتم أيام حسن خصالكم أيام كان حياتنا بوصالكم

إذا أنت دون النفس وهي بعيدة مُتْنَا مرارًا بالسرور هنالكم

وأما الشيخ محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة ١٣٠٢هـ، فقد كان يقول الشعر بالعربية جيد السبك رصين الصياغة لا تشوبه شائبة من الركاكة والعجمة، ومن أبياته العربية في مديح السلطان عبد الحميد الثاني العثماني:

الوعظ ينفع لو بالعلم والحكم فالسيف أبلغ وَعَّاظ على القِمَم

لولاه ما بلغ الدنيا لآخرها وآض كل وجود الدهر في العدم

أما الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي فكان شاعرًا مفلقًا قديرًا ذا إنتاجات شعرية، له لامية المعجزات، وهي قصيدة في مدح النبي ﷺ، ومعين اللبيب في قصائد الحبيب، و من قصيدة له في مناجاة الله عزَّوجل والتضرع إليه:

أتاك إلهي خائف متضرع بئيس كسير القلب ولهان موجعا

ومعترف أني خلطت بصالح ذنوبًا هوت منها الجبال تصدعا

أتيتك لا أرجو سواك ولا أرى لنفسي منحازًا ولا متفزعا

أما العلامة محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٢هـ فكان شاعرًا مطبوعًا مجيدًا، حصلت له سليقة شعرية من كثرة ما حفظ من الشعر العربي، فقد حفظ من قصائد الشعراء العرب ما يربو على خمسين ألف بيت.له قصائد في المديح النبوي والمدح والرثاء والأخلاق والموضوعات العلمية، وقد بلغ عدد أبيات قصائده ألفا و مئة وخمسة وخمسين بيتًا.وأسلوبه في الشعر أسلوب فحول الشعراء العرب في العصر الجاهلي والإسلامي.وقد جمع الدكتور عبد الملك القاسمي قصائده وأبياته، في كتاب سماه: العلامة محمد أنورشاه الكشميري: حياته وشعره.

من قصيدته في مديح الرسول ﷺ:

أجابت دموعي إذ دعوتُ تحيُّرا — وجادت عيوني بالدموع تغزَّرا

تحيَّر قلبي إذ بلا لاعج الهوى — ومن شيمة الولهان أن يتحيَّرا

وصرت أليف السهر منذ تحمَّلوا — وصارت دموعي كالجمان تحدَّرا

وقال في مرثية الإمام محمد قاسم النانوتوي:

قفا يا صاحبي على الديار — ومن دأب الشجيّ هوى ازديار

وعُوجَا بالرباع رباع أنس — وفي المرأى لشيء كاصطبار

وإن عادت دوارس بعد هجر — فقد كانت معاهد للمزار

قال في رثاء المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي:

قفا يا صاحبي عن السفار — بمرأى من عرار أو بهار

أتابعهم ويمليني دموعي — حديثي من شيوخي لادِّكار

يسير بنشرها نفحات أنس — و ريًّا عند محي من قطار

ومن قصيدته في رثاء شيخه العلامة محمود حسن الديوبندي:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا — مصيفًا و مشتى ثم مرأى ومسمعا

قد احتَفّه الألطاف عطفًا وعطفة — وبورك فيه مربعا ثم مربعًا

وقد كان دهرًا ثم دهرًا طريقتي　　طريقة غـر ثـم أولى فأوقعـا

وله قصيدة تسمى «ضرب الخاتم على حدوث العالم» في أربع مئة بيت، أطول قصيدة قالها شاعر من الشعراء الهنود في الموضوع الفلسفي، وهو إثبات ذات الله تعالى وقدم أسمائه وصفاته وشؤونه، والتدليل على حدوث ما سواه. وهي تدل على مقدرته الفائقة المدهشة لقرض الشعر لكل موضوع من الموضوعات المختلفة.

والعلامة المفتي كفاية الله الدهلوي المتوفى سنة١٣٧٢هـ=١٩٥٢م. كان له ذوق شعري رفيع، يمثِّله ما قاله من قصائد في الموضوعات المختلفة. فمن قصيدة له في تهنئة العيد السعيد، وهو مسجون بسجن ملتان عام ١٩٢٢م إلى المقدَّم فضل الدين مدير السجن المركزي الجديد بملتان:

أهنِّئك يا من فاز بالخير وارتوى　　بكاس دهاق من مكارم واشتفى

أهنِّئك يا من صاد أفئدة الورى　　بأخلاقك الزهراء طيبة الشذى

أهنِّئك يا من فاق بالفضل والندى　　على كل من أعطى وأنفق ما حوى

وأما الشيخ إعزاز علي الأمروهوي المتوفى سنة١٣٧٤هـ فقد انتهت إليه الرئاسة في الأدب في عصره، فكان يلقَّب بـ«شيخ الأدب»، وقد بذل مجهودًا مشكورة في خدمة اللغة العربية تدريسًا وتأليفًا وتعليقًا. له كتاب يسمى نفحة العرب مدرج في المقررات الدراسية في المدارس الإسلامية، ، وتعليقات نافعة على كتب الأدب والشعر والفقه، مثل ديوان المتنبي، وديوان الحماسة، و نور الإيضاح، وكنز الدقائق وما إليها.

ومن قصيدة له يمدح بها دارالعلوم بديوبند:

دارالعلـوم بفيـضها المـدرار　　فاقت ضياء الشمس نصف نهار

بـاقٍ عـلى مـر الزمـان لأهلـه　　مـن فيـضها الهطـال بحـر جـار

من جاء يستسقي بحار فيوضها　　يُسقى بها علـلا بفتح البـاري

أما العلامة محمد يوسف البنوري المتوفى سنة ١٣٩٧هـ فهو من أدباء العربية المعروفين وشعرائها المجيدين، له مؤلفات قيمة بالعربية تلقَّاها العالم العربي بالقبول والتقدير، أشهرها: معارف السنن شرح الجامع للترمذي، ويتيمة البيان في شيء من علوم القرآن، وبغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب، وله قصائد في رثاء أساتذته. ومن قصيدة له يرثي بها شيخه العلامة محمد أنور شاه الكشميري:

العين ذرَّافة والقلب حيران والطير تشدو فتبدو منه أشجان

٢- في مجال النثر

أما في مجال النثر والكتابة والتأليف فقد نبغ عدد كبيرمنهم، وقد ألفوا كثيرًا من المؤلفات في العربية في مختلف الموضوعات، وكتبوا الهوامش والحواشي والتعليقات بالعربية على جميع المقررات الدراسية الجارية في المدارس الإسلامية، وألفوا قواميس ومعاجم ومناهج وسلاسل لتعليم اللغة العربية، وأدَّوا خدمات مشكورة تدريسًا لها وتأليفًا ونشرًا على مختلف الأصعدة.

وسيأتي ذكرأسماء المؤلفين وأصحاب التحقيق والتعليق ومؤلفاتهم. وأما من قاموا بإعداد المعاجم والقواميس وإعداد المناهج والسلاسل، فمنهم:

الأديب اللغوي عبد الحفيظ البلياوي المتوفى سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م أستاذ الأدب العربي في دارالعلوم بديوبند، وفي دارالعلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ، له مصباح اللغات، وهو معجم عربي أردي معروف ومتداول في الأوساط العلمية، وتعليقات على مختارات من أدب العرب للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي، وقاموس عربي – أردي وجيز، وغيرها من الأعمال الأدبية واللغوية.

والشيخ زين العابدين سجاد الميروتي المتوفى سنة ١٤١١هـ =١٩٩١م من متخرجي دارالعلوم وعضو مجلسها الاستشاري، له مؤلفات بالعربية، أهمها: بيان اللسان، وقاموس القرآن، وهما يشهدان بنبوغ المؤلف وبراعته.

والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي المتوفى سنة ١٤١٥هـ، هو معلم اللغة

العربية العبقري والعالم اللغوي الكاتب الخطيب المصقع، أستاذ الأدب العربي بدارالعلوم بديوبند. توفَّر على خدمة اللغة العربية تدريسًا وتأليفًا ونشرًا نحو ٢٧ عامًا، وغرس حبها في جيل المتعلمين في المدارس الإسلامية، وخرَّج جيلا يمتاز بحبِّ اللغة العربية والحرص على توسيع رقعتها حرصًا صادقًا تعلّمًا وتعليمًا، ودراسة وتأليفًا، ونطقًا وخطابة.

وأصدر من دارالعلوم مجلة «دعوة الحق» العربية الفصلية عام ١٣٨٤هـ، ثم تعطلت سنة ١٣٩٥هـ، ثم أصدر جريدة «الداعي» نصف الشهرية ١٣٩٦هـ التي مازالت تصدر حتى تحولت مجلة شهرية سنة ١٤١٤هـ، وهي لاتزال تصدر حتى اليوم.

كما أصدر مجلة «الكفاح» العربية نصف الشهرية كلسان حال جمعية علماء الهند، ورأس تحريرها توثيقًا للصلة بين مسلمي الهند وإخواننا العرب وتعريفًا إياهم بما تقوم به الجمعية من نشاطات اجتماعية وخدمات جليلة نحو المسلمين في الهند.

وأنشأ النادي الأدبي لطلبة دارالعلوم، لتدريبهم على اللغة العربية نطقًا وخطابة وكتابة، وذلك عن طريق عقد الحفلات الأسبوعية وإلقاء الخطب فيها، وإصدار المجلّات الحائطية وكتابة المقالات فيها.

وقد أدّى النادى دورًا بارزًا في تربية الطلاب وتثقيفهم وتسليحهم بسلاح الخطابة والكتابة. ونشاطاته وفعالياته مستمرة حتى الآن.

فما شهدت دارالعلوم والمدارس التابعة لها من شغف باللغة العربية وإقبال على تحصيلها نطقًا وخطابة وكتابة منذ أربعة عقود من الزمان يرجع فضله إلى الشيخ الكيرانوي.

له مؤلفات أشهرها وأنفعها: القاموس الجديد من العربية إلى الأردية وبالعكس، والقاموس الاصطلاحي من العربية إلى الأردية وبالعكس، والقراءة الواضحة في ثلاثة أجزاء، ونفحة الأدب، وهما من المقررات الدراسية في كثير من المدارس والجامعات الأهلية والرسمية، والقاموس الوحيد الذي يقع في

٢٠٠٠ صفحة بالقطع الكبير، صدر بعد وفاته، مؤلفاته هذه كلها التي تهدف إلى نشر اللغة العربية وتعليمها فريدة مبتكرة.

والشيخ نور عالم خليل الأميني أستاذ قسم الأدب العربي بدارالعلوم ورئيس تحرير مجلة الداعي الصادرة منها سابقًا، هوصحفي كبير وأديب بارع وكاتب قدير، نشرت مقالاته وبحوثه في المجلات الصادرة من العالم العربي، وقام بترجمة أكثر من عشرين كتابًا من الأردية إلى العربية، و له مؤلفات كثيرة باللغة العربية كذلك، أشهرها: الصحابة ومكانتهم في الإسلام، ومجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام، والمسلمون في الهند، و فلسطين في انتظار صلاح دين، وتعلّموا العربية فإنها من دينكم، ومتى تكون الكتابات مؤثرة؟، ومفتاح العربية في جزأين، وهو مدرج ضمن المقررات الدراسية في دارالعلوم والمدارس التابعة لها.

رأس تحرير مجلة «الداعي» نحو ٣٩ سنة، ونشر بحوثه ومقالاته على صفحاتها، وأفاد قرّاءها بعطائه العلمي والأدبي الثر، كما أتحف الأوساط العلمية بمؤلفاته النافعة، حتى توفي سنة ١٤٤٢هـ.

والشيخ خالد سيف الله الرحماني له قاموس الفقه، والشيخ نديم الواجدي له القاموس الموضوعي ومؤلفات أخرى لتعليم اللغة العربية.

ومنهم من ألفوا معاجم ثلاثية اللغات: وهم الشيخ عزيز الرحمن الأعظمي له معجم ثلاثي اللغات (عربي- أردي- انجليزي) معروف باسم سنغم، والشيخ ياسر نديم الديوبندي له القاموس العصري ثلاثي اللغات (عربي- اردو- انجليزي) ، والشيخ بدر الزمان الكيرانوي له القاموس الفريد (عربي- أردي- انجليزي).

المقررات الدراسية في اللغة العربية

ولما كانت اللغة العربية لغة الكتاب والسنة والعلوم المنبثقة منها، ولم تكن الاستفادة منها رأسًا إلا بالتضلع منها والتعمق فيها ركَّزت دارالعلوم تركيزًا بالغًا على علومها من النحو، والصرف، والبلاغة، والإنشاء، والشعر، والنصوص

المختارة من النثر، والنثر الفني، فيتمُّ تدريس هذه المواد كلها في السنوات الدراسية المختلفة بدءا من السنة الأولى من المرحلة الثانوية إلى السنة الثانية من المرحلة الجامعية من دراسة الفضيلة، فبدراسة هذه المواد يتمكن الطلاب من فهم الكتاب والسنة وعلومهما المختلفة، والتعبير عما في ضميرهم- إذا مست الحاجة- نطقًا وخطابة وكتابة.

هذا إلى أنَّ جميع المقررات الدراسية لدراسة الفضيلة التي تستغرق ثماني سنوات بالعربية، مما يزيدهم تعمقًا وإمعانًا في اللغة العربية.

ولما كان الغرض من وراء تعليم اللغة العربية جعلهم قادرين على الإفادة رأسًا من علوم الكتاب والسنة يُعنى في تعليمهم بهذا الغرض السامي النبيل، ولا يكتفى بتدريس المناهج والسلاسل المعدّة لتدريس اللغة العربية التي تجعلهم ملمين بها إلمامًا يسيرًا، ولا يتعمقون فيها.

قسم التخصص في اللغة العربية وآدابها

فإن كان المتخرجون الحائزون لشهادة الفضيلة يودُّون أن يتخصصوا في الأدب العربي ويحصِّلُوا المهارات اللغوية في العربية، فهم يدخلون قسم اللغة العربية وآدابها، ويدرسون الموادَّ المختلفة من الشعر القديم، وتاريخ الأدب العربي، وقواعد البلاغة وتطبيقاتها، والإنشاء، والترجمة من العربية إلى الأردية وبالعكس، ثم يتخرجون متمكنين من اللغة العربية نطقاوخطابة وكتابة.

قسم التخصص العالي في اللغة العربية وآدابها

فإن كان الدارسون في قسم التخصص في اللغة العربية وآدابها يريدون أن يتوسعوا في الأدب العربي ويتضلعوا منه فهم يدخلون هذا القسم، ولا يُقبل فيه إلا خمسة طلاب متفوقين ممن درسوا في قسم التخصص في اللغة العربية، فهم يدرسون في هذا القسم مختارات من النثر القديم والجديد، والنقد الأدبي، والإنشاء، والترجمتين، وقواعد كتابة البحث العلمي، ويُحَفَّظون قصائد للشعراء القدامى والمعاصرين. ولابد لهم من إعداد بحث يحتوي على ١٠٠ صفحة على

الأقل في موضوع علمي أو ترجمة شخصية بارزة. هكذا يتخرجون من القسم حاملين مؤهلات التأليف والترجمة وإعداد البحوث العلمية.

نادية الأدب

لقد شهدت ساحة دارالعلوم- ولا تزال تشهد- كثيرًا من النوادي الأدبية الطلابية لمختلف اللغات، لها دور عظيم في تثقيف أذهان الطلاب و فتق قرائحهم وتنشيط مواهبهم الشعرية والخطابية والكتابية. أما اللغة العربية فقد حظيت بالنوادي كذلك، أهمها وأشهرها: ناديان، أحدهما: نادية الأدب، الذي أنشئ على عهد شيخ الأدب إعزاز علي الأمروهوي، لتدريب الطلاب على قرض الشعر ومعالجة القصيد، والمساجلة الشعرية تحت إشراف أساتذتهم، فكانوا يتمرّنون على معالجة الشعر، وذلك بأنه كان يُعطى واحد منهم بيتًا ويُكلَّف إجازته، فكان يحاول قرض الشعر على منواله، ثم يقدِّم في نادية الأدب.

قال شيخ الأدب إعزاز علي الأمروهوي: أمِرتُ بإجازة قول الشاعر في نادية الأدب:

تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار

فأجزتُ بقصيدة، منها:

ألام على التجنّب والتخلي	فقلت أجيبهم هذا شعاري
لقد طوَّفت في الآفاق دهرًا	وجُبْتُ القفر والبيد الصحاري
وجرَّبتُ البلاد ومن عليها	وميّزْتُ الصغار من الكبار
فإني لم أجد أحدًا نَصُوحًا	يقيني من وقوعي في عوار

النادي الأدبي

ثانيهما: النادي الأدبي الذي أنشأه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) لطلاب قسم الأدب العربي خصوصًا ولطلاب المراحل التعليمية الأخرى عمومًا ليتمرنوا على النطق والخطابة والكتابة والترجمة من

العربية إلى الأردية وبالعكس ويوسعوا مداركهم وينشطوا ملكاتهم. وهو منبر فعَّال لهم يتمكنون من خلاله من ممارسة النشاطات الإضافية، لا سيّما فيما يتعلق باللغة العربية وتنمية مهاراتها الخطابية والكتابية، وعقد الحفلات وإدارتها وإلقاء الخطب فيها.

وللنادي قسمان مهمان: قسم الخطابة، وقسم الكتابة. ومكتبتان: مكتبة التوزيع، و مكتبة المطالعة.

ولكل قسم ناظر (مدير) ونُوَّاب ومساعدون من الطلاب الأعضاء، يديرونه ويُمارسون نشاطاته.

وللنادي معتمد منهم، وهو مسؤول عن جميع نشاطات أقسام النادي.

وله هئية الإشراف المكوّنة من الأساتذة تشرف على جميع نشاطاته وتحركاته.

أما قسم الخطابة فهو يوزِّع الأعضاء المنتسبين للنادي إلى الحلقات، و يعقد الحفلات الأسبوعية ليالي أيام الخميس فيما بين المغرب والعشاء، يحضرها الطلاب الأعضاء ويتمرنون على إلقاء الخطب فيها، والحفلات هذه تُقام في الفصول الدراسية، وتُلقى فيها الخطبُ وتُنشد الأناشيد، وتُمثَّل المسرحيات، وجميع مداولات هذه الحفلات باللغة العربية الفصحى، مما يُشكّل منظرًا جذّابًا، ويخلُق جوًّا عربيًّا، يُخيَّل إلى الوارد أنه في اجتماع عُقد في بلد عربي تجري مداولاته كلها بالعربية الفصحى.

وقد وصف الأديب البارع والكاتب القدير فضيلة الأستاذ نور عالم خليل الأميني هذه الحفلات وصفًا صادقًا:

«لو تجوَّل وارد بين جنبات الفصول الدراسية فيما بين صلاتي المغرب والعشاء بعد ما يأخذ النادي نشاطه، وينفخ في الطلاب حماسه، لو تجوَّل لرأى عجبًا، لرأى كأنَّ سوق عكاظ قائمة، والخطباء يعرضون خطاباتهم، والشعراء يُنشدون قصائدهم الغرَّاء والجوُّ كله عربي وتحوّلت الجامعة إلى واحة عربية، ورأى

أنَّ صغار الإسلام يخطبون باللغة المضرية، وأنَّ أشبال الإسلام يؤكِّدون ولاءهم لرسالة محمدﷺ ولغته وبلاده، ورأى أن العربية كيف تنبت وتخضرُّ في ديار الغربة والعجمة، وما ذلك إلا معجزة الإسلام ومعجزة القرآن»(١).

كما يعقد هذا القسم حفلة افتتاحية عامة للنادي في بداية السنة، ثم حفلة ثانية على مضيّ ستة أشهر، ثم حفلة ثالثة في نهاية السنة، وهذه الحفلات العامة تعقد في قاعة الحديث التحتانية، يرأسها ويشرف عليها أستاذ من أساتذة دارالعلوم، و يحضر ها طلبة قسم الأدب العربي بالإضافة إلى طلبة جميع المراحل الدراسية.

يلقي الطلاب الأعضاء في هذه الحفلات الخطبَ، و يمثّلون المسرحيات، و ينشدون الأناشيد، و يقدّمون المساجلة الشعرية، وبرنامج الحفلة كله بلهجة عربية فصحى تعجب السامعين.

أما قسم الكتابة فهو يُصدر الإعلانات للنادي عن الانتساب إليه وعقد الحفلات، والبرامج المختلفة وما إليها، كما يُصدرالمجلّات الحائطية، والمجلة الحائطية عبارة عن إطارخشبي وزجاجة يوضع تحتها ورق مقوى سميك، بعد ما يكتب عليه الطلاب المقالات والأناشيد والأنباء بخط جميل.

ولكل مجلة أسرة تحرير مكوّنة من رئيس تحرير، ومديره، ومساعديه من الطلاب الأعضاء.

وهذه المجلات كثيرة ومتنوعة، فقد بلغ عددها إلى عشرات، وهي ما بين شهرية ونصف شهرية، وأسبوعية ونصف أسبوعية، كما أنها ما بين أدبية، ودينية، وسياسية، واجتماعية. وأسماؤها: الربيع، والسياسة، والزهرة، والروضة، والنادي، والدعوة، والقاسم، والمنبع، والمطلع، والصحوة، والوحيد، والنجم، والقمر، والكوكب، والصديق، والكفاح، والمشعل، والسفينة، والثاقب، والبدر،

(١) مجلة الداعي العدد: ١، السنة ١٩/ المحرم ١٤١٦هـ= يوليو ١٩٩٥م .

والريحان، والحضارة، والسيرة، واليقظة، والمسيرة، والنداء، والرسالة.

بعض هذه المجلات تطلع حينًا وتحتجب حينًا آخر حسب نشاط الطلاب ورغبتهم، ومعظمها تصدرباستمرار حتى الآن.

أما المكتبتان فهما حافلتان بالكتب الأدبية والمجلات العربية الصادرة من العالم العربي، إحداهما في مكتب النادي، وهي مكتبة التوزيع، يقوم ناظرها بتوزيع الكتب للطلاب الراغبين في المطالعة لأسبوع واحد، ثم يستعيد منهم أو يجَدِّدُ لهم لأسبوع آخر.

وأما مكتبة المطالعة فهي في فصل قسم الأدب، يفتحها ناظرها بعد المغرب والعشاء، فيأخذ الطلاب الكتب منها ويطالعونها جالسين في الفصل، ولايُسمح لهم بأخذ الكتب إلى حجراتهم.

إن النادي الأدبي هذا بنظامه الشامل والمتشعب الفريد كان من اختراع الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي وتفكيره المبتكر. اتّخذه الشيخ منبرًا فعَّالا لتدريب طلاب دارالعلوم على اللغة العربية وإيقاظ مواهبهم الخطابية والكتابية، وتربيتهم- إلى ذلك- على التنظيم والإدارة، وحسن العشرة، وأسلوب عيش الحياة.

وقد خرَّج الشيخ من ناديه جماعة من الكتاب البارعين والمؤلفين الماهرين والخطباء المصاقع وعمداء المدارس الإسلامية الأهلية، ومديري المؤسسات الإسلامية. واستعراض إنجازات الشيخ الكيرانوي من منبرالنادي يحتاج إلى كتاب مستقل.

ولما كانت دارالعلوم أم المدارس الإسلامية ومقدمتها اتّبعتها المدارس الأخرى في هذا المجال كذلك، فأنشأت هي الأخرى الأقسام الأدبية على غرار قسم اللغة العربية وآدابها في دارالعلوم، وخدمت- ولاتزال- اللغة العربية خدمة تُذكر. كما أنشأت النوادي الأدبية - شأن النادي الأدبي في دارالعلوم- وأتاحت للطلاب فرصة ممارسة النشاطات الإضافية فيما يتعلق باللغة العربية وتحصيل مهاراتها من النطق والخطابة والكتابة.

مجلة دعوة الحق الفصلية

بدأت الصحافة العربية في دارالعلوم سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م حيث أصدر فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي مجلة فصلية باسم دعوة الحق، ورأس تحريرها، فصدر عددها الأول في شوال ١٣٨٤هـ= فبراير ١٩٦٤م، ولم تزل تصدر حتى سنة ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م، فاحتجبت احتجابًا موقّتًا، فارتأى مسؤولو دارالعلوم أن يحوِّلوها جريدة نصف شهرية، فأصدرها الشيخ باسم الداعي سنة ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م، وأشرف عليها هو وفوَّض رئاسة تحريرها إلى الشيخ بدر الحسن القاسمي.

في بداية الأمر كان عدد صفحاتها ٦٤ صفحة، ثم ازدادت إلى ٨٠ صفحة. أما محتويات المجلة فهي: الصفحة الأولى لكلمة التحرير تحت عنوان أفكار وخواطر، ثم تتبعها الصفحات المخصّصة للبحوث والمقالات، ثم تليها صفحة مخصّصة للأنباء، و تنتهي المجلة بالصفحات المخصّصة لرسائل القرّاء بعنوان بريد المجلة.

وكان من أهداف مجلة دعوة الحق نشر الوعي الإسلامي، وترويج اللغة العربية ونشرها، وتنمية ملكات الطلاب والأساتذة لكتابة المقالات بها بأسلوب حديث، وتعريف العالمين العربي والإسلامي بآثار وأعمال علماء هذه الدار.

وكانت المجلة تنشر مقالات علمية وبحوثًا رائعة للعلماء المتخصصين في العلوم ذات الصلة بها، بالإضافة إلى الإنتاجات الأدبية للأدباء والكتاب في العالم العربي.

مجلة الداعي الشهرية

كما أسفلت أنَّ الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي أصدر من دارالعلوم مجلة عربية فصلية تسمى «دعوة الحق»، سنة ١٣٨٤هـ =١٩٦٤م، ورأس تحريرها، واستمر صدورها إلى سنة ١٣٩٥هـ. ثم لما أظل موعد الاحتفال المئوي لدارالعلوم وبدأت استعداداته وترتيباته حوَّلها المسؤولون إلى جريدة نصف شهرية باسم

«الداعي»، فصدر عددها الأول في ١١/ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٦هـ=١٠/ يونيو ١٩٧٦م، ورأس تحريرها فضيلة الشيخ بدرالحسن القاسمي، وأشرف عليها فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، وما زالت تصدر حتى استقال الشيخ بدرالحسن من منصب تدريسه ورئاسة تحرير الجريدة، وغادر إلى دولة الكويت، حيث عمل- ولايزال يعمل- موظفًا بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

ثم رأس تحريرها فضيلة الشيخ نور عالم الأميني، وأصدر عددها الأول (السنة: ٦) في ٧/ المحرم الحرام ١٤٠٣هـ (٢٥/ أكتوبر ١٩٨٢م). ثم تحوّلت في صفر- ربيع الأول ١٤١٤هـ (أغسطس ١٩٩٣م) في عددها: ١، السنة: ١٧ إلى مجلة شهرية. وهي لاتزال تصدر حتى اليوم.

مجلة الداعي مجلة عربية إسلامية الفكر دينية الاتجاه، تنطق بحال دارالعلوم، وتعنى بعرض ومناقشة وتحليل قضايا العالم العربي خصوصًا والعالم الإسلامي عمومًا. كما أنها تهتم بأوضاع المسلمين في الهند، وما يواجهونه من تحدِّيات وقضايا متنوعة.

وهي تمتاز عن المجلات العربية الأخرى في البلاد جمالَ مظهرٍ، وحسنَ مخبرٍ، واختيارَ مقالاتٍ، وفصاحةَ لغةٍ، وروعةَ أسلوبٍ، وأناقةَ طباعةٍ، وجودةَ ورقٍ، ومناسبةَ حجمٍ. مما يجذب القارئ ويستأسره.

وقد أشاد معالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر (الرياض، بالمملكة العربية السعودية) بالمجلة وما تهدف إليه من أهداف نبيلة، وما تحتوي عليه من بحوث ومقالات قيمة، وما تقدمه من نموذج راق للصحافة الإسلامية البناءة، حيث قال:

«مجلة الداعي إشعاع إسلامي ساطع صاف، هدفه النفع، وغايته الفائدة، ووعاؤه الإيمان العميق، وفحواه خدمة الإسلام، وجلاء صورته، والدفاع عنه، وإظهاره بالمظهر الحقيقي، والصورة المنيرة التي أرادها الله له، وأنه دين يهدي إلى التي هي أقوم، وإلى صراط الله المستقيم، وتوجيه المسلم إلى مايسعده دنيا ودينا».

«وقد اختطت هذه المجلة لنفسها نهجًا حسنًا يجذب القارئ إليها في الجوهر والصورة، فأحسنت اختيار المقال، ونوَّعته، وتلمّست خدمته لأغراض إسلامية متعددة، تمس العمل والروح، والدنيا والآخرة، تنشئ وتقتبس، وتختار. كل هذا بدقة، وحسن التماس. وأما ما يخص الصورة فجذاب، فالحجم مثالي، والورق ممتاز، والإخراج بديع، والحرف كبير جميل، ونسقه يشد القارئ ويجذبه، والعرض حسن، والمظهر مبهج، يريح العين والنفس، والاعتناء بهذه النواحي يدل على حرص القائمين عليها في السعي المتناهي لنفع القارئ وراحته»[1].

وأهدافها مذكورة على غلافها، وهي:

١- إيقاظ الوعي الإسلامي في قلوب المسلمين.

٢- المشاركة في آلام الأمة الإسلامية وأحلامها.

٣- إحاطة المسلمين العرب بما يعيشه المسلمون العجم من القضايا والمشكلات.

٤- الاهتمام بتوسيع رقعة اللغة العربية في هذه الديار خصوصًا وفي العالم عمومًا.

٥- نشر الدعوة والثقافة الإسلامية نقية من الشوائب.

٦- العمل على تصحيح صلة المسلمين بالله والعودة بهم إلى الكتاب والسنة وتجنيبهم الخرافات والأوهام.

٧- العمل على تأهيل الشباب المسلم لمواجهة التحدي الحضاري الحديث بجميع شؤونه وسمومه، وفنونه ومكره، ونفاقه وجنونه.

٨- إثبات أن الإسلام رسالة الله الخالدة الباقية التي تصلح لكل زمان ومكان، بما يحمله من مقومات الحياة المتجددة ومن الشمول والمرونة والنعومة.

---

(١) مجلة الداعي، العدد: ١، السنة: ٢٦ المحرام الحرام١٤٢٣هـ = مارس- أبريل ٢٠٠٢م.

٩- التعبير عن الفكر الإسلامي الأصيل المتوارث عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

١٠- تجنيب الشباب المسلم الإفراط والتفريط في فهم الدين وتطبيقه.

والمجلة موزّعة إلى عشر زوايا، وهي:

١- كلمة المحرر ٢- كلمة العدد ٣- الفكر الإسلامي

٤- دراسات إسلاميّة ٥- الأدب الإسلامي ٦- إلى رحمة الله

٧- العالم الإسلامي ٨- محلّيات ٩- أنباء الجامعة ١٠- إشراقة.

أما الزاوية الأولى، وهي «كلمة المحرر» فيُكْتَب فيها في موضوع هام يتعلق بقضايا الأمة الإسلامية، والمقال المكتوب فيها يسع صفحة أو صفحتين.

وأما زاوية «كلمة العدد» فيتناول فيها رئيس التحرير موضوعا من الموضوعات الإسلامية الهامة بالتحليل والتفصيل، ويترك القلم على سجيته، فيمتد المقال إلى خمس أو عشر صفحات من المجلة.

وأما زاوية «الفكر الإسلامي» فيتم فيها ترجمة كتاب من كتب مشايخ دارالعلوم، وقد نقل عشرات الكتب في هذه الزاوية حتى الآن، كما تمّ طبعها ونشرها من أكاديمية شيخ الهند التابعة لدارالعلوم.

وأما زاوية «إلى رحمة الله» فيكتب رئيس التحرير فيها ترجمة رجل بارز من رجالات الأمة الإسلامية في مجال من المجالات العلمية أو الاجتماعية أو السياسية في الهند خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، وقد كتب في هذه الزاوية تراجم مئات من الشخصيات الإسلامية حتى الآن، فإن جُمِعَتْ جاءت في مجلدات ضخمة.

أما الزاوية الأخيرة «إشراقة» فيقدِّم رئيس التحرير فيها فكرةً جديدةً، أو خاطرة خطرت بباله، أو تجربةً عاشها، أو صورة للمجتمع تراءت له، أو يُعلِّق على الأوضاع الراهنة. والمقال المكتوب فيها أدبي أو فكري أو ثقافي. والإشراقة تُعَدَّ من مميزات مجلة الداعي يقرؤها القراء المعنيون باشترائها بشوق ورغبة بالغين.

أما الزاويتان: «دراسات إسلامية»، و«الأدب الإسلامي»، فتنشر فيهما

مقالات وبحوث الكتّاب والأدباء في الهند وخارجها.

وأما الزوايا: «العالم الإسلامي»، و«محليات»، و«أنباء الجامعة»، فيُعنى فيها بنشر أنباء وأخبار وأحداث الجامعة وبلاد الهند والعالم الإسلامي.

وجملة القول أن مجلة الداعي تحظى بقبول واعتبار بالغين في الأوساط الأدبية والعلمية في الهند وخارجها.

مجلة الدراسات الإسلامية

مجلة علمية عربية فصلية صدرت عن أكاديمية شيخ الهند التابعة للجامعة سنة ١٤٠٤هـ، برئاسة تحريرالشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي، وظهر عددها الأول في رمضان- ذي القعدة ١٤٠٤هـ، وقد كتب رئيس تحريرها في افتتاحيتها:

«يسرّنا أن نقدم إلى قرائنا الكرام أول عدد لمجلة «الدراسات الإسلامية» التي ستصدر إن شاء الله تباعًا أربع مرات في عام واحد، تحت مراقبة «أكاديمية شيخ الهند» التي أُسِّست على ما قرّره المجلس الاستشاري لجامعة دارالعلوم، والذي يضمّ كبار العلماء وذوي التحقيق والورع الذين قد ذاع صيتهم في بلاد العرب والعجم.

وأريد بحديثي هذا أن أدعو الباحثين والدارسين للمساهمة في تغذية هذه المجلة، ليكونوا أعضاء مساندين لها، وإنما اخترت اسم هذه المجلة «الدراسات الإسلامية»؛ لأنه قد كان نصب أعيننا أن نخاطب بذلك العصر الذي اقتضت طبيعته البحث والتخصص.

ولما كان مركز البحث العلمي: « أكاديمية شيخ الهند» في إطاره المرسوم يهدف إلى تحقيق البحوث الإسلامية خلال هذا المنعطف التاريخي يسعف بحاجة الشباب بخطوات التنفيذ من مجلتها العلمية وإصداراتها القيمة إن شاء الله، فهذه هي أول خطوة له نرجو أن يكون قافلة تحمل الزاد من هدي القرآن ونور اليقين وعلم الحديث».

قد صدرعددها الأول وتوقفت ولم يستمر صدورها.

مجلة النهضة الأدبية

صدرت مؤخرًا مجلة «النهضة الأدبية» عن «النادي الأدبي» التابع للجامعة، فقد صعَّدت الجامعة اهتمامَها باللغة العربية، وحاولت غرس حبها في قلوب طلاب المدارس والجامعات الإسلامية وتعميق صلتهم بها، فاتخذت خطوة جديدة، وهي إصدار مجلة عربية فصلية عن النادي الأدبي تنشر على صفحاتها بحوث ومقالات الكتاب والأدباء أولي الأسلوب السهل، وتتيح للكتاب المبتدئين وأصحاب الأقلام الواعدين فُرَص النشر، وتأخذ بأيديهم في مجال الإنشاء والكتابة، وتُعنى بنشر المواد التي تعلِّم الأدب واللغة.

وقد لفت الشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري - أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم بديوبند سابقًا، وأحد المشرفين على النادي الأدبي التابع لها - على رغبة أعضاء النادي ومطالبتهم انتباه المسؤولين عن الجامعة إلى إنشاء مثل هذه المجلة، فتقدم أعضاء النادي الأدبي بالطلب في هذا الشأن إلى المجلس الاستشاري؛ فوافق أصحابُ الفضيلة الأعضاء للمجلس على إنشاء مجلة عربية فصلية باسم «النهضة الأدبية»، وذلك في دورته المنعقدة ٢٢-٢٤/ صفر١٤٤١هـ = ٢٢- ٢٤/ أبريل ٢٠١٩م. وقد فوَّض رئيس الجامعة رئاسة تحريرها إلى كاتب هذه السطور. فصدر عددها الأول في المحرم- ربيع الأول ١٤٤١هـ = سبتمبر – نوفمبر ٢٠١٩م.

وقد جاء في افتتاحيتها:

«ستلتزم المجلة بإذن الله خطوطها الفكرية والفنية التي لأجلها أنشئت، وهي كونها إسلامية الاتجاه، أدبية المواد، تثقيفية الزوايا، سهلة الأسلوب، بحيث يفهمها طلاب المدارس والجامعات الإسلامية، قليلة الحجم، بحيث يسهل لهم شراؤها واقتناؤها والإفادة منها، وستُعنى بنشر المواد الممتعة المشوِّقة، وتتيح الفرص للكتّاب المبتدئين، وتشجِّعهم على المضي قدمًا في طريق الكتابة والإنشاء».

مؤلفاتهم باللغة العربية

لقد قام مشايخ دارالعلوم وعلماؤها بتأليف مئات من الكتب باللغة العربية في مختلف العلوم و الفنون، مما يشكِّل مكتبة هامة. وتقوم مطابع العالم بطبع ونشر كثيرمن مؤلفاتهم، ويُعجَبُ بها القراء والدارسون في العالم العربي.

وفيما يلي استعراض سريع لمؤلفاتهم في مختلف الموضوعات باللغة العربية:

أما في التفسير فهي:

إلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي، وتفسيرالقرآن بكلام الرحمن، وبيان الفرقان على علم البيان، هما للشيخ ثناء الله الأمرتسري، ومرآة التفسير، ونوالين شرح الجلالين، هما للشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، ومشكلات القرآن للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وسبق الغايات في نسق الآيات للشيخ أشرف علي التهانوي، وأحكام القرآن للفيف من المؤلفين: الشيخ ظفر أحمد التهانوي، والمفتي محمد شفيع الديوبندي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ويتيمة البيان في شيء من علوم القرآن للعلامة محمد يوسف البنوري، وتفسيرات شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ إقبال أحمد الأعظمي، والعون الكبير شرح الفوز الكبير للمفتي سعيد أحمد البالنبوري.

أما في الحديث فهي:

لامع الدراري على صحيح البخاري، والكوكب الدري على جامع الترمذي، هما للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والورد الشذي على جامع الترمذي لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وبذل المجهود شرح سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنبوري، وفيض الباري على صحيح البخاري، و العرف الشذي، هما للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وفتح الملهم بشرح صحيح مسلم للعلامة شبير أحمد العثماني، وتكملته للمفتي محمد تقي العثماني، ومعارف السنن شرح جامع الترمذي للعلامة محمد يوسف البنوري، والطيب الشذي، وكشف المغطى، وشرح الشمائل للترمذي لصاحبها الشيخ أشفاق الرحمن الكاندهلوي، وتحفة

القارئ بحل مشكلات البخاري، والتعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح، هما للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والأبواب والتراجم للبخاري، وأوجز المسالك إلى موطإ الإمام مالك، هما للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وإعلاءالسنن للعلامة ظفر أحمد العثماني، وشرح كتاب الآثار للإمام محمد للمفتي مهدي حسن الشاهجهانفوري، وتحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي لكل من مصنف عبد الرزاق، و مصنف ابن أبي شيبة، و مسند الحميدي، و كتاب الزهد والرقاق للمحدث عبد الله بن مبارك، وسنن سعيد بن منصور، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني، و حمد المتعالي على تراجم البخاري للشيخ بادشاه غول، وحاشية جواهر الأصول في علم حديث الرسول للإمام محمد بن محمد بن علي الحنفي للقاضي أطهر المباركفوري، والنبراس الساري في أطراف البخاري للشيخ عبد العزيز البنجابي، وتعليقات آثار السنن للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وتحقيق وتعليق صحيح ابن خزيمة للدكتور مصطفى الأعظمي، وتحقيق نخب الأفكار شرح شرح معاني الآثار لبدر الدين العيني، للشيخ أرشد المدني، وتقريب شرح معاني الآثار للشيخ نعمةالله الأعظمي، والحديث الحسن في جامع الترمذي، وحسن صحيح في جامع الترمذي، وحسن غريب في جامع الترمذي، هذه دراسات طلبة قسم التخصص في الحديث بدارالعلوم، وشرح الترمذي للشيخ شمس الحق الأفغاني، و مستزاد الحقير على زاد الفقير لابن الهمام للشيخ بدر عالم الميروتي، والباقيات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات، وتحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإيمان، هما للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وجواهر الأصول في أصول الحديث للشيخ عبد الرحمن المرداني، وحجة الوداع وعمرات النبي ﷺ للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وشيوخ الإمام أبي داود للشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي، وعلماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث للدكتور عبد الرحمن البرني.

أما في الفقه فهي:

فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب، و نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين، وبسط اليدين لنيل الفرقدين، وكشف الستر عن صلاة الوتر، هي للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وبغية الأريب في أحكام القبلة والمحاريب للعلامة محمد يوسف البنوري، وحاشية محمود الرواية شرح النقاية لملا علي القارئ، وحاشية كنز الدقائق، وحاشية مختصرالقدوري، وحاشية نور الإيضاح، هي كلها لشيخ الأدب إعزاز علي الأمروهوي، وشرح القدوري للشيخ غلام الله خان، والتعليق على المبسوط للإمام محمد للشيخ أبي الوفاء الأفغاني، وبغية الألمعي في تخريج الزيلعي للمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، والتعليق على الحجة على أهل المدينة للإمام محمد بن حسن الشيباني للمفتي مهدي حسن الشاهجهانفوري، وتحقيق فتح الرحمن في إثبات مذهب النعمان للشيخ عبد الحق الدهلوي للمفتي نظام الدين الأعظمي، والموجز في أصول الفقه للشيخ عبيد الله الأسعدي، والقواعد الفقهية المحمودة للشيخ أبي الكلام شفيق القاسمي، وقاموس الفقه للشيخ خالد سيف الله الرحماني، وتحقيق وتعليق على الفتاوى التاتارخانية (٥ أجزاء) للقاضي سجاد حسين الدهلوي، وتحقيق وتعليق على الفتاوى التاتارخانية (٢٥ جزءا) للمفتي شبير أحمد القاسمي، وتحقيق صنوان القضاء للقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، وتحقيق مختارات النوازل للشيخ خالد سيف الله الرحماني.

وأما في العقيدة فهي:

عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام، وإكفار الملحدين في شيء من ضرورات الدين، وضرب الخاتم على حدوث العالم، ومرقاة الطارم لحدوث العالم، وإزالة الرين في الذب عن قرة العينين، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح، هي كلها للعلامة محمد أنور شاه الكشميري، وهدية المهديين في آية خاتم النبيين للمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، والكندي وآراؤه الفلسفية، والحياة الاجتماعية عند نجم الدين الرازي، هما للسيد عبد الرحمن الهزاروي، واليانع الجني في الفرق بين الرسول والنبي، والفوائد الملكوتية في أن الأحاديث حجة في العربية،

وكتاب الأعيان والكبراء، والهيئة الجديدة، هي كلها للشيخ محمد موسى روحاني بازي، والأستاذ المودودي للعلامة محمد يوسف البنوري.

أما في الأدب و التاريخ والتراجم فهي:

لامية المعجزات، ومعين اللبيب في قصائد الحبيب لصاحبهما الشيخ حبيب الرحمن العثماني، ورجال السند والهند في القرن السابع، والفتوحات الإسلامية في الهند، والعقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، هي كلها للقاضي أطهر المباركفوري، ونفحة العنبر في حياة الشيخ أنور للعلامة محمد يوسف البنوري، والتذكرة المحمودة للمفتي محمود حسن الهزاروي، ودارالعلوم مدرسة فكرية للشيخ عبيد الله الأسعدي، و العالم الهندي الفريد الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، ومجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام، والمسلمون في الهند، والصحابة ومكانتهم في الإسلام، وفلسطين في انتظار صلاح دين، هي كلها للشيخ نور عالم خليل الأميني، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري حياته وشعره للدكتور عبد الملك القاسمي.

أما القواميس و المقررات الدراسية فهي:

مصباح اللغات، والقاموس (عربي- أردي) ، هما للشيخ عبد الحفيظ البلياوي، وبيان اللسان (عربي -أردي) للشيخ زين العابدين سجاد الميروتي، والقاموس الجديد (عربي- اردي) والقاموس الجديد (أردي- عربي) والقاموس الاصطلاحي (عربي- أردي) والقاموس الاصطلاحي (أردي- عربي) والقاموس الوحيد (عربي-أردي) هي كلها للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، وسنغم (عربي- أردي- إنجليزي) للشيخ عزيز الرحمن الأعظمي، والقاموس العصري (عربي- أردي- إنجليزي) للشيخ ياسر نديم الديوبندي، والقاموس الفريد (عربي-أردي- إنجليزي) للشيخ بدرالزمان القاسمي، ونفحة العرب، وحاشية ديوان المتنبي، هما لشيخ الأدب إعزاز علي الأمروهوي، وشرح المقامات الحريرية للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والتعليقات شرح المقامات للشيخ نور الحق، والقراء ة

الواضحة في ٣ أجزاء، ونفحة الأدب للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، ومفتاح العربية للشيخ نور عالم خليل الأميني في جزأين، والقراءة العربية للشيخ عبد القدوس النيرانوي وكاتب هذه السطور، ونافذة على العربية، وسلم العربية، هما للشيخ راشد علي الدهلوي، و تيسيرا لإنشاء في٣ أجزاء لكاتب هذه السطور، ونجوم الصرف للشيخ محمد عثمان الهوروي، والنحو الهادي للشيخ هداية الله القاسمي الآسامي.

الكتب المترجمة إلى العربية

و لما كانت اللغة الأردية هي لغة المسلمين في شبه القارة الهندية، التي ينطقون بها ويتواصلون بها، وهي لغة علمهم وثقافتهم، كان من الطبيعي أن يتخذها مشايخ دارالعلوم وعلماؤها لغة التأليف والكتابة لإفادتهم بالفكر الإسلامي الأصيل، وتعاليم الإسلام المتوارثة. وقد تكونت من مؤلفاتهم بهذه اللغة مكتبة علمية قيمة، ومؤلفاتهم تحتوي على التحقيقات النادرة، والمعاني اللطيفة، والفوائد المهمة، ربما لا توجد لدى غيرهم، على هذا فهي تستحق أن تُنقَل إلى اللغة العربية ليستفيد منها إخواننا العرب، وقد طلب كبارالعلماء العرب الذين زاروا دارالعلوم، واستفادوا من مؤلفاتهم بالعربية، ووجدوا فيها من دقائق علمهم ولطائف فكرهم ما أدهشوهم، وعلى رأسهم المحدث العلامة عبد الفتاح أبوغدة الحلبي المتوفى سنة ١٤١٧هـ..طلبوا من مسؤولي دارا لعلوم وعلمائها أن ينقلوا هذا التراث إلى اللغة العربية ليستفيد منها القراء العرب، وهذا من حقهم-القراء العرب- عليهم-علماء ديوبند الموجودين-.

بناءً على أهمية هذا الجانب قام عدد من العلماء الأفاضل بترجمة العديد من كتب مشايخ دارالعلوم إلى العربية، وحركة الترجمة مستمرة ولوببطء، والحاجة ماسة إلى تنشيطها وتفعليها.

وفيما يلي أسماء كتبهم المترجمة إلى العربية:

حجة الإسلام، ومحاورات في الدين، وردود على اعتراضات موجهة إلى

الإسلام، والعقيدة الإسلامية للإمام محمد قاسم النانوتوي، ترجمة: كاتب هذه السطور، وحجة الإسلام للنانوتوي، ترجمة: عبد الحميد السواتي، والإسلام والعقلانية، ولالئ منثورة، هما للشيخ أشرف علي التهانوي، ترجمة: الشيخ نورعالم خليل الأميني، بحوث في الفكر والدعوة الإسلامية، والحالة التعليمية فيما قبل الاستعمار وبعده، هما لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، ترجمة: الشيخ نور عالم خليل الأميني، والصحابة ماذا ينبغي أن نعتقد عنهم لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، ترجمة: كاتب هذه السطور، والعقل والنقل للعلامة شبير أحمد العثماني، ترجمة: الشيخ عبد الرشيد القاسمي البستوي، وعلماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي للشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، ترجمة: الشيخ نور عالم خليل الأميني، الفتنة الدجالية للعلامة مناظر أحسن الكيلاني، والإمام محمد قاسم النانوتوي كما رأيته للشيخ محمد يعقوب النانوتوي، ترجمة: الشيخ محمد عارف جميل المبارك فوري.

من شعراء العربية وكتابها ومؤلفيها المعروفين

ممن اشتهروا منهم بصناعة الشعر والكتابة والتأليف بالعربية العلامة فيضُ الحسن السهارنفوري، والإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رحيم الله البجنوري، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ يحيى الكاندهلوي، ونجله الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والعلامة حبيب الرحمن العثماني، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، والعلامة شبير أحمد العثماني، والمفتي عزيز الرحمن العثماني، والمفتي كفاية الله الدهلوي، والعلّامة ظفر أحمد العثماني، والعلامة محمد يوسف البنوري، و الشيخ بدر عالم الميروتي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وشيخ الأدب إعزاز علي الأمروهوي، والمفتي محمد شفيع الديوبندي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والمقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ محمد يوسف الكامل فوري، والشيخ عبد الحق المدني، والشيخ عزيز الحق التشاكامي، والشيخ جميل أحمد التهانوي، والشيخ محمد إبراهيم المسقطي، والشيخ عبد الرحمن

السيوهاروي، والشيخ ميرك شاه الإندارابي، والشيخ يامين السهارنفوري، و الشيخ عبد الحفيظ البلياوي، والشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي، والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، والشيخ عميد الزمان الكيرانوي، والشيخ أبوبكر الغازيفوري، والشيخ بدر الحسن القاسمي، والشيخ نورعالم خليل الأميني، والشيخ عبد الرشيد البستوي، والشيخ محمد عارف جميل المباركفوري.



(٥) اللغة الأردية

اللغة الأردية لغة مسلمي الهند الدينية والثقافية

إنَّ اللغة الأردية لغة مسلمي الهند الدينية والثقافية، وهي مستودع ثقافتهم ومدنيتهم، ووعاء آدابهم وتاريخهم، وأغنى لغاتهم بالثقافة والآداب والكتب الدينية بعد اللغتين: العربية والفارسية.

ومقوِّماتها الأساسية: العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية، وهي تكتب من اليمين إلى الشمال شأنَ اللغات السامية، وقد كانت أوسع لغات البلاد وأكثرها استعمالًا، حيث كان يتعلَّمها وينطق بها معظم المواطنين في البلاد، حتى نبغ كثير من غير المسلمين في الشعر والأدب.

لما أنشئت دارالعلوم كانت اللغة الأردية تقطع مرحلة التطور والارتقاء، و تستكمل ملامح وجهها، و كان يبدو أنَّها ستكون عما قريب لغة وطنية للبلاد كلها. وهي لغة ليس عليها صبغة دينية، يتعلمها وينطق بها معظم المواطنين من المسلمين والهندوس، على النقيض من العربية والفارسية اللتين تُعدَّان من لغات المسلمين الدينية والثقافية.

أدرك علماء دارالعلوم أنَّ اللغة الأردية ستحل محلَّ الفارسية التي كانت رائجة على عهد الحكم الإسلامي في الهند، وستكون لغة قومية للبلاد، وهي أحرى وأجدر من غيرها لأداء واجبهم نحو المسلمين، وهي التي يفهمها المسلمون في معظم أرجاء البلاد. لذلك آثرها علماء الدار على العربية والفارسية، وجعلوها لغة تدريسهم وتأليفهم ومحاضراتهم العامة، ولو جعلوا العربية أو الفارسية لغة تدريسهم وتعبيرهم لضاق مجال إفادتهم وخدمتهم، وتقلَّص نطاق تأثيرهم ونفوذهم في المجتمع الهندي.

علماء دارالعلوم ودورهم في تطوير اللغة الأردية

اختار علماء ومشايخ الدار اللغة الأردية لأداء مسؤوليتهم وواجباتهم العلمية والدينية، فاختارها الشيخ الصالح المربي الجليل الحاج إمداد الله الفاروقي التهانوي المكي لمؤلفاته ذات التأثير البالغ في التربية والتزكية والإحسان، ولشعره الرقيق وأدبه القوي، والشيخ محمد قاسم النانوتوي لمؤلفاته الفلسفية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي لترجمة شخصية الإمام محمد قاسم النانوتوي، وكذلك لشعره وأدبه، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي لمؤلفاته وفتاواه.

وكان شيخ الهند محمود حسن الديوبندي أديبا بارعًا في اللغة الأردية، وله إسهام عظيم في نشرها وخدمتها بمؤلفاته وشعره الفائض بالعواطف وأدبه الرفيع، وكان ذا أسلوب فريد قادرًا على أساليبها وأمثالها. وكان كل من الشيخ حبيب الرحمن العثماني صاحب «إشاعة إسلام»، وشقيقه العلامة شبير أحمد العثماني صاحب الفوائد التفسيرية للقرآن الكريم والمؤلفات القيمة في الأردية، والشيخ حسين أحمد المدني صاحب سيرته الذاتية المسماة بـ«نقش حياة»، ومناظر أحسن الكيلاني صاحب الكتب العلمية القيمة من المؤلفين المعروفين في اللغة الأردية.

اللغة الأردية لغة تأليفهم وأداة اتصال لهم مع الشعب المسلم

اضطلعوا بأعباء الدعوة الإسلامية، وإرشاد المسلمين وتوجيههم في قضايا الحياة ومشكلاتها، فاختاروا لذلك التأليف والتصنيف باللغة الأردية، حتى بلغ عدد مؤلفات أحد هم، وهو حكيم الأمة أشرف علي التهانوي نحوألف مؤلف، وقد شملت مؤلفاته جميع مناحي الحياة الدينية والإصلاحية. وهو من المؤلفين المعروفين والمكثرين لا يساويه أحد من المؤلفين الهنود في كثرة المؤلفات وقوة التأثير وكثرة النفع.

وقد تكونت مكتبة إسلامية ذات بال مما ألَّفوا من الكتب الدينية والإصلاحية في اللغة الأردية، وهي مفخرة المسلمين في شبه القارة الهندية

وموضع عزتهم، ولم يتركوا موضوعًا – دقيقا كان أو جليلا – إلا وطرقوه. معظم مؤلفاتهم في مختلف الموضوعات في اللغة الأردية، وهي ما بين صغير وكبير، ويُقَدَّر عددها بنحو اثني عشر ألفا، وهي في ازدياد مستمر. وتحتضن هذه اللغة من التراث الديني الإسلامي ما لا تحتضنه لغة بعد العربية و الفارسية.

من المؤلفين المعروفين في اللغة الأردية

ومن المؤلفين المعروفين من علماء الجامعة ومتخرجيها الذين تركوا آثارًا علمية هامة في اللغة الأردية حكيمُ الأمة أشرف علي التهانوي، والعلامة شبير أحمد العثماني، والمفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ بدر عالم الميروتي، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والمؤرخ الشهير الشيخ محمد ميان الديوبندي، والمقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ محمد طاهر الديوبندي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ عبد الصمد الرحماني، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ محمد يوسف اللدهيانوي، والشيخ سرفراز صفدر، والشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي، والقاضي زين العابدين سجاد الميروتي، والشيخ حامد الأنصاري، والشيخ أحمد رضا البجنوري، والمفتي عزيز الرحمن البجنوري، والقاضي أطهر المباركفوري، والمفتي عتيق الرحمن العثماني، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والشيخ أنظر شاه الكشميري، والقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، والمفتي ظفير الدين المفتاحي، والشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي، والمفتي محمد تقي العثماني، والشيخ عاشق إلهي البرني، والشيخ أبو بكر الغازيفوري، والشيخ نظام الدين أسير الأدروي، و الشيخ إعجاز أحمد الأعظمي، والشيخ نور عالم خليل الأميني، والشيخ خالد سيف الله الرحماني، والشيخ نديم الواجدي ومن إليهم.

المؤسسات العلمية والثقافية ودور النشر والطباعة

وقد أنشأ أبناء دارالعلوم المؤسسات العلمية والثقافية ودور النشر

والطباعة التي أسهمت في نشر الأردية وتوسيع رقعتها إسهامًا عظيمًا، من أهمها «ندوة المؤلفين» بدهلي، و«المجلس العلمي» بدابيل بولاية غوجرات، و «المطبع القاسمي»، و«تاج المعارف»، و«أكاديمية شيخ الهند»، و«مكتبة دارالعلوم»، ودور النشر والمحلات التجارية للكتب بديوبند التي يقدَّرُ عددُها بنحو ٦٠ محلًا.

هذه المطابع لا تزال تطبع وتنشر الكتب في الأردية. وبعض الكتب تنفد طبعاتها: الطبعة تلو الطبعة كالمختصر في الفقه الحنفي (بهشتي زيور) للشيخ أشرف علي التهانوي، وتعليم الإسلام للمفتي كفاية الله الدهلوي.

مؤلفاتهم في الأردية تُشرِّق وتُغرِّب

لا تقتصر مؤلفاتهم على أقطار الهند، وإنما هي تصل إلى الأقطار الأخرى مثل أفغانستان، وبورما، ونيبال، وسيري لانكا، وجنوب أفريقيا، وإنجلترا، وأمريكا و ما إليها من البلاد والقارات التي تسكنها الجاليات الهندية والباكستانية.

وديوبند- موطن دارالعلوم- أكبر مركز في العالم لنشر الكتب الدينية والإصلاحية في الأردية، مما يساعد على توسيع رقعتها يوما فيوما في جانب، وإيصال الثقافة الإسلامية إلى المسلمين القاطنين في أفريقيا و البلاد الأوروبية في جانب آخر، حتى قال المغفورله الأستاذ همايون كبير: «هذا الأمر – نشر الكتب الدينية والإصلاحية في الأردية- زاد من كرامة البلاد وشرفها بين الدول الأخرى، وجعل اللغة الأردية لغة عالمية».

لقد زاد من انتشار مؤلفات علماء ديوبند أنَّهم لم يحفظوا لهم حقوق مؤلفاتهم و أذنوا لكل من يودُّ من الناشرين طباعتها لنفع عامة المسلمين، وما أرادوا الربح المادي من مؤلفاتهم، وإنما أرادوا وجه الله.

شعرهم في اللغة الأردية

هذا إلى أنهم اختاروا اللغة الأردية للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم، فقرضوا فيها القصائد، وأنشدوا الأبيات، وشعرهم مزيج جميل من الواقعية

والروحانية والمثُل العليا، وهو أبعد عن الهجر والهذيان والفواحش. إنهم لم يشتغلوا بالشعر ولم يتكسبوا به شأنَ الشعراء المحترفين المتكسبين، وإنما لجؤوا إليه كأداة للتعبير عن عواطفهم النبيلة ومشاعرهم الرقيقة؛ لذلك لم يدوَّن ما قالوه في مختلف الأوقات والمناسبات؛ بل هو مبعثر في بطون الكتب والمجلات، مع ذلك كانوا يعرفون فنَّ الشعر ودقائقه، و يحتلُّون مكانة الأستاذية في الشعر.

من الشعراء المعروفين من مشايخ دارالعلوم ومتخرجيها

ومن الشعراء المعروفين من مشايخ دارالعلوم وعلمائها الشيخ الصالح المربي الجليل الحاج إمداد الله الفاروقي التهانوي المكي، شعره يحمل رقة وروحانية وحرقة قلبية، وهو خير نموذج للشعر الروحي. والشيخ محمد قاسم النانوتوي وهو شاعر مفلق في اللغة الأردية، له قصيدة في مديح الرسول ﷺ تسمى قصيدة بهارية، وهي خير دليل على مقدرته الشعرية، وبعض أبياته تساوي أبيات كبار الشعراء في الأردية. والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ أشرف على التهانوي الذي جرى بينه وبين تلميذه السيد سليمان الندوي تكاتب وتراسل بالشعر.

وممن اشتهروا بالشعروقرضه المقرئ محمد طيب القاسمي، والمفتي محمد شفيع الديوبندي، والشيخ إحسان الله تاجورالنجيب آبادي، والشيخ عامر العثماني، والشيخ أفضال الحق جوهر القاسمي، والشيخ محمد عثمان كاشف الهاشمي، والشيخ رئاست علي ظفر البجنوري، والشيخ كفيل الرحمن نشاط الديوبندي، و الشيخ كفيل أحمد العلوي، و الشيخ صادق علي البستوي، و ولي الله ولي البستوي وغيرهم كثير من علمائها الذين كانوا يحملون ملكة الشعر و موهبة القصيد.

دورهم في الصحافة في اللغة الأردية

يرجع تاريخ الصحافة في اللغة الأردية بدارالعلوم إلى سنواتها المبكرة، إذ أنشأ الشيخ حبيب الرحمن العثماني شخصيًا مجلة «القاسم» الشهرية سنة

١٣٢٨هـ=١٩١٠م، ثـم تولـت دارالعلـوم إصـدارها والإشراف عليهـا سـنة ١٣٣١هـ. وكان ممن يكتبون في المجلة الشيخُ أشرف علي التهانوي، والشيخُ إعزاز علي الأمروهوي، والشيخُ ميان أصغر حسين الديوبندي، والشيخُ المقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخُ محمد طاهر القاسمي، وغيرهم.

ثم أنشأت دارالعلوم مجلة « الرشيد » نسبة إلى المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وذلك سنة ١٣٣٢هـ= ١٩١٤م، واستمرت إلى سنة ١٣٤١هـ.

ثم جاء إصدار مجلة « دارالعلوم» الشهرية سنة ١٣٦٠هـ=١٩٤١م، وكان أول رئيس تحرير لها الشيخ عبد الوحيد الغازيفوري، و هي لا تزال تستمر إلى الآن. وقد رأس تحريرها كل من الشيخ القاضي خليق أحمد الصديقي، والشيخ عبد الحفيظ البلياوي، والشيخ أزهر شاه قيصر، والشيخ رئاست علي البجنوري، والشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي، والآن يرأس تحريرها الشيخ محمد سلمان البجنوري.

كذلك أنشأت دارالعلوم جريدة نصف شهرية باسم « آئنيه دارالعلوم» (مرآة دارالعلوم) برئاسة تحرير الشيخ كفيل أحمد العلوي، وذلك سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م، واستمرت حتى احتجبت سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

هكذا سنَّت دارالعلوم سُنَّة حسنة في الصحافة والإعلام، فاتبعتها الجامعات والمدارس الإسلامية الأخرى، فأنشأت مظاهر علوم بسهارنفور مجلة «مظاهر» الشهرية، ومدرسة شاهي بمراد آباد مجلة «ندائى شاهي» الشهرية، ودارالعلوم بكراتشي بباكستان مجلة « البلاغ» الشهرية، وجامعة العلوم الإسلامية بكراتشي مجلة «بينات» الشهرية، ودارالعلوم حقانية أكوره ختك مجلة «الحق» الشهرية، والمدرسة كلزار حسينية بأجراره بميروت مجلة «ياد كار أسلاف»، ورياض العلوم بغوريني بجونفور مجلة «رياض الجنة» وغيرها من المجلات الشهرية التي تصدرها الجامعات والمدارس الإسلامية كلسان حالها ويرأس تحريرها متخرجو دارالعلوم.

وهناك عدد كبير من علماء دارالعلوم ومتخرجيها الذين أسدوا إلى اللغة الأردية خدمات جليلة ببحوثهم ومقالاتهم ومؤلفاتهم، منهم حامد الأنصاري غازي، والمفتي عتيق الرحمن العثماني رئيس تحرير مجلة «برهان» الصادرة من دهلي، والشيخ محمد منظور النعماني رئيس تحرير مجلة «الفرقان» الشهرية الصادرة من لكناؤ، والشيخ عبد الوحيد الصديقي رئيس تحرير صحيفة «نئ دنيا» الأسبوعية الصادرة من دهلي، والشيخ أسيرأدروي رئيس تحرير مجلة «ترجمان الإسلام» الصادرة من بنارس، والشيخ إعجاز أحمد الأعظمي رئيس تحرير «مجلة المآثر وضياء الإسلام»، والشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي رئيس تحرير مجلة «دارالعلوم» المذكورة، والشيخ عتيق الرحمن السنبهلي رئيس تحرير مجلة «الفرقان»، والشيخ هاشم القاسمي رئيس تحرير مجلة «الفيصل»، والشيخ أسرار الحق رئيس تحرير مجلة «ملي اتحاد»، والشيخ رضوان القاسمي رئيس تحرير مجلة «صفا»، والشيخ كفيل أحمد علوي رئيس تحرير جريدة «آئينه دارالعلوم»، والمفتي سلمان المنصور فوري رئيس تحرير مجلة «ندائى شاهي»، والشيخ فضيل أحمد القاسمي رئيس تحرير «كردار جمعية»، والشيخ أفضال الحق جوهر القاسمي والشيخ وارث مظهري رئيسا تحرير مجلة «ترجمان دارالعلوم»، والشيخ عبد الله خالد رئيس تحرير مجلة «مظاهر علوم»، وأنيس آزاد القاسمي البلكرامي رئيس تحرير مجلة «تنوير حرم»، والشيخ حقاني القاسمي رئيس تحرير مجلة «استعاره» و الشيخ أبو الكلام القاسمي رئيس تحرير مجلة« تهذيب الأخلاق»، والشيخ عبد الرشيد القاسمي البستوي رئيس تحرير مجلة «محدث عصر»، ونديم الواجدي رئيس تحرير مجلة «ترجمان ديوبند»، ونسيم شاه قيصر رئيس تحرير مجلة «نداء دارالعلوم» وغيرهم من الكتاب والأدباء.

وهناك عدد كبير من متخرجي دارالعلوم يكتبون البحوث والمقالات في الصحف والجرائد والمجلات المعاصرة الصادرة في الهند، مثل الشيخ نور عالم خليل الأميني، والشيخ بدر الحسن القاسمي، والشيخ عبد الحميد النعماني وغيرهم.

دور المدارس الإسلامية في الحفاظ على اللغة الأردية ونشرها

اتخذت دارا لعلوم اللغة الأردية لغة تدريسها، وسارت المدارس الإسلامية المنتشرة في طول البلاد وعرضها سيرتَها، فاتخذتها هي الأخرى لغة تدريسها، بالرغم من أن لكل إقليم من أقاليم الهند لغة مستقلة، فمدارس آسام، وبنغال الغربية، وبنغلاديش، حتى معظم مدارس جنوب إفريقيا وبريطانيا جعلت لغة تدريسها اللغة الأردية.

لا شك أنَّ اللغة الأردية هي وليدة اللغات العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية، وقد ساهم في رقيها وتطويرها كل من المسلمين والهندوس والجينيين والبوذيين والمسيحيين، غيرأنها قوبلت بالعصبية عند ما قام طائفة من الهندوس المتعصبين الذين أرادوا أن يجعلوا الهند دولة هندوسية، والذين مزقوا وحدة البلاد وسلامتها، وبذروا بذور النفور والكراهية في نفوس المواطنين، والذين أكدوا للهندوس أن اللغة الأردية هي لغة المسلمين وحدهم؛ لأنها تكتب من اليمين إلى الشمال، وهي لغة دينهم وتأليفهم ولغة تراثهم.

هكذا لقيت اللغة الأردية التي كانت تحمل ثقافة المواطنين من المسلمين والهندوس، ومثلهم وقيمهم، ولقيت نفورًا وعصبية شديدة من قبل طائفة متعصبة من الهندوس.

فلو لا حفاظ المدارس والجامعات الإسلامية عليها ولولا اشتغال علمائها وخريجيها بنشرها لصارت اليوم غريبة في البلاد كالفارسية.

فإن كانت اللغة الأردية تزدهر وتنتشر اليوم فالفضل في ذلك يرجع إلى المدارس الإسلامية وخريجيها، فهم ينظمون الشعر فيها ويكتبون بها، ويترجمون إليها، ويصدرون المجلات والجرائد فيها، ويفتون فيها ويشرحون الكتاب والسنة لعامة الناس بها، مما زادها ازدهارًا وانتشارًا ووقارًا واعتبارًا.

و يجدر بالذكر أن هناك ثلاث مدارس فكرية تؤدِّي خدمات جُلى باللغة الأردية، إحداها دارالعلوم بديوبند، وما يتبعها من المدارس، و ثانيتها دارالعلوم

التابعة لندوة العلماء بلكناؤ وما يسير على نهجها من المدارس، و ثالثتها جامعة عليجراه الإسلامية وما يحذوها من المدارس والكليات. ولدارالعلوم بديوبند نصيب الأسد في خدمة اللغة الأردية، حيث تزيد مؤلفات علمائها على مؤلفات علماء المدرستين الأخريين.

جملة القول أننا إذا استعرضنا بتفصيل ما قامت به دارالعلوم من خدمات جليلة نحو اللغة الأردية -بجانب خدماتها الكبيرة في المجالات الأخرى - لاحتاج ذلك إلى كتاب ضخم.



الجامعة في مجال الدفاع عن الإسلام

لقد ميَّز الله عزَّ وجلَّ مشايخ الجامعة وعلماءها بالغيرة الشديدة على عقيدة الإسلام وشعائره وشرائعه، والغضب لله، وعدم الخوف فيه لومة لائم. وهذه الغيرة هي التي دفعتهم إلى إنشاء الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية التي تكون قلاعًا حصينةً للإسلام يرابطون منها على ثغوره، ويحاربون أعداءه.

إنهم قاموا بدور جنديٍّ نشيط ودَيْدَبَانٍ يقِظ في مجال الدفاع عن الإسلام والمرابطة على ثغوره، فكُلَّما حاولَ أعداؤه أن يهجموا عليه أو ينالوا منه أو يشوهوا صورته أو ينسبوا إليه ما ليس منه، أو يفتنوا المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، لاحقوهم و طاردوهم وفشَّلوا هجماتهم وأحبطوا مكايدهم.

لقد نشأت في الهند - ولاسيما بعد الاحتلال الإنجليزي- فرق وطوائف ضالة، وظهرت حملات وحركات هدَّامة، وقامت دعوات واتجاهات باطلة، كلُّها تتصدَّى للإسلام وتفتن المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وثقافتهم، فقاومها مشايخ الجامعة وأبناؤها مقاومة باسلة، و رَدُّوا عليهم ردًا مُفْحِمًا حتى أصبح الإسلام والمسلمون في مأمن من أضاليلهم وأباطيلهم.

إنهم كانوا يمثلون - في دفاعهم عن الإسلام وحماية المسلمين من الفتن- طائفةً من العلماء الذين قال فيهم سيِّدنا محمد رسول الله ﷺ : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين[1].

والفرق والحركات والحملات والدعوات المعادية للإسلام التي تصدَّوا لها، وحالوا دون نشاطاتها، وأنقذوا المسلمين من الوقوع في حبائلها، هي:

---

(١) مشكل الآثار للطحاوي، ٨/ ٢٧٣.

١- الحملة التنصيرية
٢- حركة الردة
٣- القاديانية
٤- الشيعة
٥- المبتدعة
٦- اللامذهبية
٧- العقلانيون
٨- نفاة الاحتجاج بالحديث

سنستعرض بشيء من التفصيل جهود الجامعة في دحض هذه الفرق والحركات والحملات والدعوات فيما يأتي من الصفحات.

***

(١) الحملة التنصيرية

لما تمَّ استيلاء الإنجليز على بلاد الهند قاموا – بجانب نهب ثرواتها وابتزاز أموالها ونقلها إلى إنجلترا – بتخطيط أمرين خطيرين ضد أهالي هذه البلاد:

أحدهما: تغريب التعليم في المدارس الهندية الرسمية.

وثانيهما: الدعوة إلى المسيحية وتنصير جميع سكانها من المسلمين والهندوس.

أما الأول فقد جاء اللورد «ميكالا» -أحد النواب في البرلمان البريطاني- بخطة تعليمية جديدة.. خطة تُنفَّذ في المدارس الهندية الرسمية، فتخرّج جيلا هندي اللون والنشأة، غربي الفكر والثقافة، يسخره الإنجليز لمصالحهم وأهدافهم، فيعمل في مكاتبهم الرسمية، ويكون ترجمانًا لهم في الشعب الهندي، ووسيطًا لنقل الحضارة الغربية إلى الهند[١].

وأما الثاني فقد أعلن أحد النواب البريطانيين عام ١٨٥٧م في البرلمان البريطاني صراحة:

«إنَّ الرب إنما أكرمنا بهذه السعادة باستعمار الهند، حتى نجعل راية سيدنا عيسى المسيح خفَّاقة في الهند من أقصاها إلى أقصاها، ويجب على كل مسيحي

---

(١)

Macaulay's "Minute Upon Indian Education"

"we must at present do our best to form a class who may be interpreters between us and the millions whom we govern; a class of persons, Indian in blood and colour,but English in taste, in opinions,in morals and in intellect."

"Education Records, part 1 (1781-1839). Superintendent, Govt. Printing Calcutta.

أن يجنِّد كلَّ طاقاته على إتمام العملية الجليلة المتمثّلة في تنصير الهند، ولا يجوز التقصير في ذلك»[1].

فبدأت الحملة التنصيرية على نطاق واسع، حيث أقيمت مؤسسات لطباعة الإنجيل ونشره في سكان البلاد، وانتشر القساوسة والمنصِّرون في طول البلاد وعرضها، يدعون عامة الناس إلى المسيحية حينًا، ويثيرون شبهات ضد الإسلام حينًا، ويدعون العلماء إلى المناظرة حينا آخر. وكانت الحكومة الهندية الإنجليزية وراءهم تحميهم وتُمِدُّهم بالمدَد والعُدَد.

هكذا جَنَّدوا كلَّ طاقاتهم وإمكانيَّاتهم لتحويل هذه البلاد الواسعة الأطراف مسيحية.

واجَهَ العلماء الربانِيُّون الغيارى هذه التحديات بالفراسة الإيمانية والغيرة الإسلامية، فشَدُّوا مِئزرهم لمقاومة الخطة التعليمية الجديدة، وقالوا: نضع خطة تعليمية إسلامية، وننصب لتنفيذها شبكة للمدارس الإسلامية في طول البلاد وعرضها تُخَرِّجُ جيلا هنديَّ اللون والنشأة، إسلاميَّ الفكر والثقافة.

فالمدارس والجامعات الإسلامية وعلى رأسها دارالعلوم بديوبند خرَّجت فوجًا من العلماء والدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي الذين حافظوا على الثقافة الإسلامية في هذه البلاد.

هكذا أقاموا سدًا منيعًا في وجه سيل التغريب العارم، وصانوا الشعب المسلم من أن يقع فريسة للمغربين ووسطاء الحضارة الغربية.

أما الجماعات التنصيرية والقساوسة الذين كانوا قد انتشروا في البلاد وقاموا بالدعوة إلى المسيحية في سكانها وبذروا بذور التشكيك في نفوسهم تجاه الإسلام، فقد قاومها علماء المسلمين بتأليف الكتب في الرد على المسيحية، وبمناظرة القساوسة والمنصِّرين وتبكيتهم وإفحامهم على رؤس الأشهاد، حتى

---

(١) علماء حق أور ان كے كارنامے للشيخ محمد ميان الديوبندي، ص: ٢٦.

ذهبت مخططاتهم أدراج الرياح.

ومن العلماء والمشايخ الذين قاموا بالنشاطات الميدانية والتأليفة الشيخ العلامة رحمة الله بن خليل الله الكيرانوي (١٢٣٣-١٣٠٨هـ) الذي تصدى للحملة التنصيرية الخطرة وقاومها، وبث روح المقاومة في المسلمين، والدفاع عن دينهم وعقيدتهم.

لقد كان الشيخ من النابغين في علوم الشريعة، وكان يتصدر مجلس التدريس والإفتاء في مدرسته في بلدة «كيرانه»، لكن ازدياد النفوذ التنصيري في الهند شغله عن مواصلة التدريس، فتفرغ للتأليف ومناظرة المنصِّرين والردعليهم.

فالمناظرة التي دارت بينه وبين القسيس فندر (Dr.CG Fander) في أكبرآباد (آكرا) يوم الاثنين: ١١/ رجب ١٢٧٠هـ= ١٠/ أبريل ١٨٥٤م، قد سار بها الركبان، واشتهرت في الآفاق.

تواعد الشيخ والقسيس فندر بعد مراسلات ومكاتبات للمناظرة في «خان عبد المسيح» بأكبر آباد في اليوم المذكور آنفا، والتي جرت بمحضر من رجال الحكومة وأعيان المدينة والحضور الذين كان بلغ عددهم ٥٠٠ شخص في اليوم الأول ونحو ١٠٠٠ شخص في اليوم الثاني[١].

جرت المناظرة بينه وبين القسيس فندر في موضوع النسخ والتحريف في الإنجيل، واستمرت يومين حتى ألجأ الشيخ - بسعة اطلاعه على كتب الميسحية وقوة استدلاله ونصاعة بيانه- القسيس فندر إلى الاعتراف بالتحريف في سبعة أوثمانية مواضع في الإنجيل، واختلاف اللفظ في أربعين ألف موضع منه[٢].

لقد لقي القساوسة ولاسيما القسيس فندر هزيمة نكراء، فاختفى بعد هذه المناظرة التي ظهرفيها الحق جليًا واضحًا.

---

(١) مناظرة الهند الكبرى للشيخ عبد الله الأكبرآبادي، ترجمة رفاعي الخولي: ص: ١٢٩، ١٣٠. ١٤٠.

(٢) محاكمة البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف للشيخ رحمة الله الكيرانوي، ص: ٤٨، ٤٩. ط: أكبرآباد، ١٢٧٠هـ= ١٨٥٤م.

قامت الحكومة الإنجليزية وقعدت إثر هذه الهزيمة المخزية، فأصدرت أمرها بإعدام الشيخ، وصادرت جميع أملاكه وباعتها بـ ١٤٢٠ روبية، ووعدت بمنح جائزة قدرها ألف روبية في ذلك الوقت لكل من يساعد الحكومة على الاهتداء إليه. وعُلِّقت صور قرار الحكومة على مدخل سبع عشرة مدينة من مدن الهند، فخرج الشيخ متنكرًا يقطع الصحارى والبحار حتى وصل مكة المكرمة في أول شهر شعبان ١٢٧٠هـ.

وفي هذه الفترة وصلت أخبار جهاد المسلمين ضد الإنجليز وقيام المناظرة مع القسيسين وشنق العلماء وغير ذلك من الأحوال المحزنة إلى مسامع الخليفة العثماني في إستانبول: السلطان عبد العزيز خان، كما أن القسيس فندر بعد انهزامه أرسلته القيادة المسيحية إلى تركيا لبث سمومه في شباب المسلمين في البلدان العربية وأشاع نصر المسيحية على الإسلام في شبه القارة الهندية. فاضطرب لذلك السلطان عبد العزيز خان، فأرسل إلى والي مكة يستطلع الخبر عن الحجاج القادمين من الهند.. فأخبروه عن وجود الشيخ في مكة المكرمة، فجاءته الأوامر بإرساله سريعًا إلى إستانبول بصفته ضيفًا سلطانيًا، فأكرمه السلطان إكرامًا بالغًا، وما إن سمع القسيس فندر بوصول الشيخ حتى اختفى من تركيا في ظلام الليل.

عقد السلطان مجلسًا عامًا من العلماء والوجهاء ورجال الحكومة التركية، وكلّف الشيخَ بيانَ أحوال المناظرة وانهزام السلطات المسيحية الدينية في هذا المجلس العالمي.

وهناك برغبة من علماء تركيا والسلطان قام الشيخ بتأليف كتابه العظيم: إظهار الحق في نقد الدين المسيحي ودعم حقية الإسلام والرسالة المحمدية، وبرهنَ على تحريف الإنجيل على أيدي العلماء المسيحيين، وسلامة القرآن، ومازال كتابه هذا مرجعًا للعلماء والباحثين. وقد أنعم عليه الخلفاء العثمانيون وسلاطين تركيا بالأوسمة والنياشين(١).

(١) مجلة المنهل الصادرة من جدة، العدد الممتاز (العدد: ١٦٧، السنة: ٥٥، المجلد: ٥٠ ربيع الآخر

كذلك جرت مناظرات ومباحثات بين الإمام محمد قاسم النانوتوي وبين القساوسة مرارًا. وكلما ناظروه رجعوا يجرون أذيال الهزيمة. فقد دارت مناظرة بينه وبين القسيس «تاراجند» في دهلي، وكان الإمام النانوتوي أيامئذ مقيمًا بمدينة «ميروت». بلغه أنَّ القساوسة انتشروا في مدينة دهلي يلقون خطبا عن المسيحية أمام الناس ويُضِلُّونهم؛ فبعث الشيخ تلاميذه إلى دهلي ليلقوا خطبًا و محاضرات أمام الناس، ويساعدوا من يناظر القساوسة من علماء المسلمين. ضرب القساوسة وعلماء المسلمين موعد المناظرة، فذهب الشيخ بنفسه وناظر القسيس «تاراجند» فأبكمه وأخرسه.

وأما مناظرة الإمام النانوتوي مع القس نولس فمعروفة جدًا، ففي عام ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م أقام المنشئ «بيارى لال» اجتماعًا باسم «معرض معرفة الذات الإلهية» على شاطئ نهر «غَرَّا» في قرية «جاندابور» في مديرية «شاهجهانفور» بولاية أترابراديش الهندية، وكان المنشئ بـ«يارى لال» يميل إلى المسيحية ويجالس القسيس «نولس» فعقد اجتماعًا بمشورته ومساعدته، ودعا إليه القساوسة وعلماء الهندوس وعلماء المسلمين للحوار بين الأديان. فأبلغ مسلمو مدينة «بريلى» والقرى المجاورة لها الشيخَ الخبر، ودعاه لحضور الاجتماع؛ فلبّى دعوتهم، وقد رافقه في سفره تلاميذه: الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ رحيم الله البجنوري، وغيرهم من علماء دهلي، أمثال الشيخ السيد أحمد علي الدهلوي، والشيخ أبوالمنصور الدهلوي. وحضر الاجتماع وشارك في الحوار، وألقى خطبةً بليغةً في الردِّ على التثليث والإشراك بالله، وإثبات التوحيد، وحاجة النبوة والرسالة؛ مما أدهش السامعين من الموافقين والمعارضين، واعترفوا له بالفضل وغزارة العلم وقوة البيان ومهارة الاستدلال. وبعد انتهاء الجلسة خلا بالقس «نولس» في خيمته، ودعاه إلى الإسلام، وقال له:

وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ= ديسمبر وينایر٨٩-١٩٨٨م) ص: ١٦٢-١٦٤.

«إن كنت في ريب من حقية الإسلام فادع الله ضارعًا أن يكشف لك الحق»[1].

ورجعَ من الاجتماع منصورًا مؤيدًا.

ثم أُعيد الاجتماع في السنة القادمة ١٢٩٤هـ، فحضره في نخبة من العلماء. ألقى الشيخ في الاجتماع خطبةً مؤثِّرةً في مسألة الوجود وإثبات التوحيد. وقد كان السامعون أثناء خطبته آذانًا مصغيةً وقلوبًا واعيةً وعيونًا شاخصةً. ثم ناقش التحريف في الإنجيل ودلَّلَ عليه، حتى أفحم القساوسة، فلاذوا بالفرار عن الاجتماع تاركين بعض كتبهم[2].

وكان القساوسة يقولون: «لو آمنّا بخطبةٍ لآمنا بهذه الخطبة التي كانت تأخذ بمجامع القلوب».

كما أن الشيخ أباالمنصور منصورعلي الدهلوي الذي كان معروفًا بـ «إمام المناظرين» و الذي كان حافظًا للإنجيل وصاحبَ أسلوب فريد في الحوار والمناظرة قد ناظر القساوسة والمنصِّرين مناظرات شتى.

ومن العلماء الذين قاموا بأعمال جليلة في مجال المناظرة مع المسيحيين والرد عليهم الشيخ محمد علي المونكيري - مؤسس دارالعلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ-، وله مؤلفات قيمة في هذا الموضوع[3].

أما المؤلفات التي ألَّفها مشايخ الجامعة وعلماؤها في نقد المسيحية والرد عليها فهي فيما يلي:

إظهار الحق للشيخ رحمة الله الكيرانوي (بالعربية) ، ومحاورات في الدين للإمام محمد قاسم النانوتوي (بالعربية) ، وحجة الإسلام للنانوتوي (بالعربية) ، وأحسن الحديث في إبطال التثليث للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (بالأردية) ، والإسلام والنصرانية للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (بالأردية) ، وبشائر

---

(١) محاورات في الدين ص: ٨٥.

(٢) محاوات في الدين، ص: ٢٠٠.

(٣) دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية لعبيد الله الأسعدي، ص: ٢٤٥.

النبيين للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (بالأردية) ، و بيغام محمدي (الرسالة المحمدية) للشيخ محمد علي المونكيري (بالأردية) ، و الإسلام والمسيحية للشيخ ثناء الله الأمرتسري (بالأردية) ، والتوحيد والتثليث وطوق النجاة للشيخ ثناء الله الأمرتسري (بالأردية) ، والتعاليم الإسلامية والأمم المسيحية للشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي (بالأردية) ، وسبيل السلام للدكتور مصطفى العلوي (بالأردية) ، وماهي النصرانية؟ للشيخ محمد تقي العثماني (بالأردية)

محاضرات في نقد المسيحية للشيخ نعمة الله الأعظمي (بالأردية).

ونظرًا إلى ازدياد نشاطات الجماعات التنصيرية قامت الجامعة بإنشاء قسم لدارسة المسيحية وتدريب الطلاب وإعداد الكتب في هذا الموضوع في مختلف اللغات.



(٢) حركة الردة

ما زال المسلمون في الهند يواجهون - منذ انقراض الحكم الإسلامي فيها- حملات وحركات معادية يقودها كهنة الهندوس وأحبارهم أو قادتهم ومفكروهم، فطورًا شنّوا حملة شرشة للتشهير بالإسلام وإثارة الشبهات ضده، وطورًا آخر قادوا حركة الردة للعودة بالمسلمين ذوي الأصول الهندوسية إلى الدين الهندوسي.

لاحق علماء الجامعة ومتخرجوها بكل جرأة وشجاعة هذه الحملات والحركات وفَشَّلوها وأنقذوا المسلمين من أخطارها وسلبياتها. فمن تلك الحركات «حركة آرية سماج» التي أنشأها البندت «دياننداسرسوتي» [1] والتي كان أهم أهدافها دعوة من أسلم من الهندوس إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق الديانة الهندوسية. طوَّف البندت في البلاد لنشر دعوته ورسالته، وألف كتابًا باسم «ستيارته بركاش» طعن فيه على الإسلام.

ففي إحدى زياراته نزل في مدينة «روركي» (Roorkee) بولاية «أترابراديش» سابقًا و«أتراكهند» حاليًّا بالهند، وتحدَّى علماء المسلمين واعترض

(١) «سوامي دياننند سرسوتي» أحد رجال الفكر في الديانة الهندوسية المشهورين، وصاحب المؤلفات المشهورة، ومؤسس حركة «آريه سماج» التي كان أهم أهدافها دعوة من أسلم من الهندوس إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق الديانة الهندوسية. جرت مناظرات ومحاورات بينه وبين العديد من علماء المسلمين لاسيما الشيخ محمد قاسم النانوتوي. ولد في قرية «موروي» من أعمال« أحمد آباد» بولاية «غوجرات» في الهند، عام ١٨٢٤م، واشتهرباسم «سوامي دياننند». ترك عبادة الأصنام، و قرأ «الفيدا» أحد الكتب المقدسة لدى الهندوس على «سوامي درجاننند» وطوّف في بلاد الهند كلها لنشر الديانة الهندوسية. أسَّسَ حركة «آريه سماج» عام ١٨٧٤م، وقضى ما بقي من أيام حياته في ترقيتها وتطويرها. مات في ٣٠/ أكتوبر عام ١٨٨٣م.

على الإسلام، فإذا قام عالم من علماء البلدة ليرد على اعتراضاته أبى أن يسمع منه الردود، وقال: لا أتحدث إلا إلى كبيركم. فأرسل أهالي البلدة خطابًا إلى الشيخ محمد قاسم يخبرونه بالخبر، فبعث الشيخ تلاميذه: الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ عبد العدل الفلتي، والشيخ منظور أحمد الجوالافوري ليردُّوا على اعتراضاته، ويناظروه إن رضي بالمناظرة. فلما وصلوا إليه وطلبوا منه أن يسمع ردود اعتراضاته منهم، أبى كلَّ الإباء، وقال: «لن أناظر إلا الشيخ محمد قاسم».

ومن الطريف أن الشيخ كان أيامئذ مصابًا بالمرض الشديد، وكان البندت على معرفة بمرضه، وأنه لا يستطيع أن يُسافر لإصابته بالمرض، فتحداه وبارزه مصرحًا باسمه. ألحّ البندت وبالغ في الإلحاح، فأبلغ مسلمو البلدة بكل ذلك الشيخ النانوتوي. فخرج الشيخ رغم ضعفه ونقاهته ومعه تلاميذه الأربعة الذين سبق ذكرهم، بالإضافة إلى الشيخ السيد محمد عابد الديوبندي، والحكيم مشتاق الديوبندي حتى وصل إلى روركي في أوائل شعبان ١٢٩٥هـ.

فجرت بينه وبين الشيخ مراسلة لتحديد موعد المناظرة، فلم يرض بالمناظرة على مرأى من الناس ومسمع منهم، وإنما رضي على مضض بالمناظرة في مقره على أن لايزيد عدد الحضور على مئتي شخص.

ومن عجيب المصادفة أن حاكم البلدة أصدر مرسومًا ينهى بموجبه عن عقد أي حوار ديني في حدود ثكنة «روركي». وكان مقر البندت في حدودها، فظفرالبندت بعذر، فأبى أن يناظر إباءً شديدًا. فقال الشيخ: فلنناظر خارج حدود الثكنة.. فلنخرج إلى فناء مصلى العيد نناظرفيه؛ لكن الباندت لم يرض بتاتًا، ولاذ بالفرار مستخفيًا.

بعث الشيخ تلاميذه الأربعة إلى السوق وإلى مجامع الناس ليردوا على ١١ اعتراضًا التي أطلقها البندت.

أما الشيخ فقد ألقى كلمةً في جموعٍ من النَّاس ثلاثةَ أيام متتالية، وحضر

لسماعها المسلمون والهندوس والنصارى والإنجليز المقيمون في «روركي» فكان الحضور لفيفًا من النَّاس. وبرهَنَ الشيخ على حقِّيَّة الإسلام بدلائل قاطعةٍ عاد لها المستمعون صامتين حيارى، وكان للكلمة عليهم تأثير بالغ، كما رَدَّ على اعتراضات البندت رُدودًا مفحمةً مقنعةً، وأما كلمته في موضوع التوحيد والرسالة فهي تفوق الوصف(١).

وقد قال الشيخ ذوالفقار علي الديوبندي في البندت وفراره من المناظرة:

«ولما أتى ديانند حَبْر الهنود وصِنْدِيْدُهم مُدَّعيًا حقِّيَّة معتقداته بأباطيله ومُزَخْرَفَاته، معترضًا على الإسلام بخُزَعْبِلاته وتُرَّهاته، قائلا: تعالَ ونزالِ، مناديًا بأعلى صوته هل من مبارز، وطالبًا للمناظرة بل المجادلة من كل غائب وبارز، نهض مولانا (محمد قاسم) ذابًّا عن حوزة الدين القويم معرة شبهات اللئيم، وغلَّق عليه سُدَدَ الخلاص، ففَكَّر وقَدَّر وأفلت وله حُصَاص، فقلت في ذلك(٢):

جاء متشدِّقًا ديانند زهوًا ... وفخورًا ومتبخترًا مختالا

وتباهى بزوره وتناهى ... بأباطيله وقال محالا

دعا للبراز كل نبيه ... مسلم حاز عظمة وجلالا

فتصدّى لردّهِ الأمجد الأو ... حد من قد أحاط سحرًا حلالا

قاسم الخير قاصم الضير طرًا ... من كسى الدين بهجة وجمالا

صاحب المشرب الهنيء وتحقيق ... فلا يقتدي بقيل وقالا

مرجع للرشاد قولًا وفعلا ... ملجأ للهدى مآلا وحالا

ثم لما أعيى السفيه احتيالُه ... ورأى فيه نكبة ووبالا

عند ذكر الشروط قال احتيالا ... فكذا هكذا وإلا فلا لا

ويله فرَّ مدبرًا لم يُعقِّب ... وكفى الله المؤمنين القتالا

---

(١) مقدمة ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام بقلم الشيخ فخرالحسن الكنكوهي، ص: ٢٧-٣٧.

(٢) الهدية السنية في ذكر المدرسة الديوبندية للشيخ ذو الفقار علي الديوبندي، ص: ٤.

وعلى سيد الأنام سلام ما تُثير الصبا سحابًا ثقالا

عاد الشيخ إلى ديوبند ثم إلى مسقط رأسه «نانوته» وألف كتابًا رد فيه على الاعتراضات التي أثارها البندت، وسماه «انتصار الإسلام» (ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام) وقبله نما (استقبال الكعبة معناه وحقيقته).

ثم توجَّه البندت إلى «ميروت» في ٣/ مايو ١٨٧٩م وألقى فيها عصا تجواله، وأعاد فيها الاعتراضات نفسها. أخبر مسلمو «ميروت» الشيخ بعد مقدمه بأيام، فوصل الشيخ ميروت في ١٠/ مايو ودعاه إلى المناظرة معه، فنأى البندت بجانبه عن المناظرة وخرج من «ميروت» مختفيًا.

ألقى الشيخ خطبًا في ميروت في الرد على اعتراضات الباندت، وقد جمعها تلميذه الشيخ عبد العلي الميروتي في رسالة تسمى «جواب تركي بتركي» (الجواب المفحم)[1].

لما بدأ المسلمون والهندوس كفاح تحرير البلاد، واجتمعت كلمتُهم بجهود حركة الخلافة والمؤتمر الوطني، وأصبحوا صفًّا واحدًا في وجه الحكومة الإنجليزية اعتبر الإنجليز وحدتهم وتضامنهم خطرًا على الحكومة الإنجليزية وبقائها في الهند، فلجؤوا إلى استخدام سلاح، طالما استخدموه لتحقيق مصالحهم وأهدافهم.. وهوسلاحهم المعروف: فرِّق تَسُد.

ففي عام ١٩٢٢م دعا الحاكم الإنجليزي لدى الهند «سوامي شردها نند» -أحد زعماء الهندوس المطالبين بالاستقلال، والمؤيدين لحركة الخلافة- وهو سجين، وكلَّمه سرًا، وأطلق سراحه، وما إن أفرج عنه حتى بدأ حركة رِدَّة للمسلمين. وحركته هذه كانت تعني أن المسلمين الذين ينحدرون من أصول هندوسية والذين كان قد أسلم آباؤهم تحت ضغط الأمراء والملوك المسلمين يجب أن يعودوا الآن إلى دين آبائهم: الهندوسية، فقد زال الضغط وذهبت حكومتهم.

(١) حجة الإسلام للإمام محمد قاسم النانوتوي، ص: ٣٦-٣٧.

هكذا قامت حركات هندوسية كانت تستهدف المسلمين المصابين بالجهل والأمية، وتحاول ردتهم إلى الديانة الهندوسية. واتخذت الحركات مناطق المسلمين التي فشا فيه الفقر والجهل والأمية مسرحًا لنشاطاتها، مثل: «متهرا»، و«آكرا»، و«إيته»، و«إتاوه»، و«كانفور»، و«فرخ آباد»، و«غورغاون»، و«مين فوري»، وما إليها. واستلفتت صحيفة «كيسري»الصادرة من لاهور انتباه الحركات إلى قبيلة «ملكانه راجفوت» الحديثة العهد بالإسلام التي يبلغ عدد أفرادها ٤٥٠٠٠٠ شخصًا، وردهم إلى الديانة الهندوسية [(١)].

اشتدت فتنة الردة هذه واستفحلت عام ١٣٤١هـ= ١٩٢٣م، مما أثار قلقًا شديدًا في أوساط المسلمين. فبذلت الجامعة جهودًا مكثفة لإخماد نارالفتنة، فطالبت في بداية الإمر المؤتمر الوطني أن يوقف بنفوذه الواسع وكلمته المسموعة المحاولات العدائية التي توقع النفور والكراهية والعداوة بين المسلمين والهندوس، غير أن هذا الطلب لم يعد بطائل.

فشمرت الجامعة عن ساق جدها- مع بعض الجمعيات والمنظمات الإسلامية- لإخماد نار الردة التي شبت في مناطق المسلمين البعيدة عن التعاليم الإسلامية. فاتخذت «آكرا» مقرًّا دعويًا لها انبث منه ٥٠ داعية في المناطق الموبوءة بالردة، وبذلوا جهودًا جبارة لتوعية المسلمين وتربيتهم، حتى عاد - بفضل الله أولًا وجهودهم ثانيًا- عدد لايحصى من المرتدين إلى حظيرة الإسلام، وناظروا دعاة الهندوسية مرة بعد أخرى فبكَّتُوهم وأفحموهم.

أما القبيلة المستهدفة خاصة فقد عرَّفوها بالإسلام وعقائده وشعائره، وبنوا في مناطقها مساجد، وأنشؤوا كتاتيب ومدارس إسلامية لتعليم أبنائها وتوجيهيم وإرشادهم، مما أقام سدًا في وجه سيل الردة العارم.

لقد أثمرت جهود هؤلاء الدعاة حيث تلقى أبناء هذه المناطق العلوم الشرعية في الجامعات والمدارس الإسلامية وتخرجوا فيها علماء ودعاة إلى

---

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب الرضوي ١/ ٢٦٢.

الإسلام، فشهدت بهم مناطقهم صحوة دينية.

كذلك منطقة «ميوات» المصابة بالجهل والأمية أصبحت- بتوفيق الله عزوجل أولًا وجهود الدعاة ومحاولاتهم ثانيًا- مصدرًا للدعاة إلى الله الذين انتشروا للدعوة في مشارق البلاد ومغاربها.

إلى جانب ذلك أن المجالس التشريعية والبرلمان الهندي كلما وافقت قبل الاستقلال وبعده على قوانين تُعَارض القوانين الإسلامية: مثل قانون شاردا [1]، وقانون التعقيم الإجباري [2]، وقانون النفقة بعد انقضاء العدة [3]، ومشروع بناء وترميم المساجد والمدارس الإسلامية، وما إلى ذلك، اعتبرت الجامعة والمنظمات والهيئات الإسلامية كلّ ذلك تدخُّلا في القوانين الشخصية للمسلمين وطالبتها بإلغاء القانون أو تعديله.

كما أوضحت الجامعة موقف الإسلام من إنشاد النشيد الوثني «وندى ماترم»، وممارسة «يوجا» للطلاب المسلمين في المدارس الرسمية.

هذا إلى أن مشايخ الجامعة نصبوا شبكة واسعة للمدارس والكتاتيب الإسلامية لتعليم الأجيال المسلمة وتربيتهم وتخريجهم في جانب، وفي جانب آخر ألفوا في اللغة الأردية واللغات المحلية كتبا ومؤلفات لاتحصى في العقيدة والثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والرد على الفرق الضالة والأفكار المنحرفة.

---

(١) قانون عُرف باسم راعيه: «رائ صاحب هر بلاس شاردا» الذي قدمه في المجلس التشريعي الإنجليزي، ووافق عليه المجلس في ٢٨/ سبتمبر ١٩٢٩م، والقانون يقضي بتحديد سن الزواج للبنات ١٤ عاما على الأقل، وللأبناء ١٨ عاما. ثم أدخل فيه التعديل، فحدد سن زواج البنات ١٨، والأبناء ٢١ عامًا.

(٢) فرضت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي حالة الطوارئ للتعقيم الإجباري في البلاد ٢٥/ يونيو ١٩٧٥م، واستمرت إلى أن سحبت ٢١/ مارس ١٩٧٧م.

(٣) قانون المطلقات الذي تم الموافقة عليه عام ١٩٨٦م، والذي يوجب نفقة المطلقة على الزوج حتى بعد انقضاء عدتها.

وجملة القول أن الجامعة قامت في ظروف وملابسات كانت البلاد تعِجُّ فيها بالحملات والحركات والفرق المعادية للإسلام، فلولا جهودها التعليمية والدعوية والتوجيهية لقضي على الإسلام وشعائره وتعاليمه في هذه البلاد، ولأصبح المسلمون أثرًا بعد عين.

وفيما يلي بعض كتبهم ومؤلفاتهم في العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي والردعلى الهندوسية باللغتين: الأردية والعربية:

ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام للإمام محمد قاسم النانوتوي (بالعربية) ، وقبله نما (استقبال الكعبة حقيقته ومعناه) للنانوتوي (بالأردية) ، وتقرير دلبزير (محاضرة قيمة) للنانوتوي (بالأردية) ، وجواب تركي بتركي (الجواب المفحم) للنانوتوي (بالأردية) ، وأحسن الكلام في أصول عقائد الإسلام للشيخ رحيم الله البجنوري (بالأردية) ، واسلامي عقائد (العقائد الإسلامية) للشيخ محمد عثمان الدربنجوي (باللغتين: الأردية والبنجالية) ، وحدوث المادة والروح للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (بالأردية) ، و علم الكلام للشيخ الكاندهلوي (بالأردية) ، وعقائد الإسلام للشيخ الكاندهلوي (بالأردية) ، والدين القيم للشيخ مناظر أحسن الكيلاني (بالأردية) ، وعقائد الإسلام للشيخ محمد طاهرالقاسمي (بالأردية).

❊ ❊ ❊

(٣) القاديانية

لقد شهدت الهند في تاريخها الطويل كثيرًا من الفِرَق الضالّة والدعوات الهدّامة والحركات المعادية للإسلام والمسلمين، ومن أشدِّها خطرًا على دينهم وعقيدتهم، وأعمِّها شرًّا، وأبعدها ضلالًا، وأحكمها تخطيطًا، وأكثرها اصطيادًا للسُذَّج من المسلمين في حبائلها فرقةُ القاديانية التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

تُنسَبُ هذه الفرقة إلى صاحبها المرزا غلام أحمد القادياني المتنبئ، وتُعرَفُ بالجماعة الأحمدية كذلك.

مؤسسها

وُلِدَ المرزا غلام أحمد القادياني عام ٤٠/ ١٨٣٩م في أسرة مسلمة إقطاعية بقرية «قاديان» من أعمال مديرية «غورداسفور» بولاية «بنجاب» في الهند، وأخذ العلوم العربية والإسلامية، واللغات الفارسية والعربية والإنجليزية من علماء عصره.

ثمَّ عمِلَ كاتبًا رسميًا في محكمة «سيالكوت» على راتب ضئيل، وذلك عام ١٨٦٤م. ولم تستمرَّ وظيفته هذه مدَّة طويلة، وإنما استقال منها وعاد إلى مسقط رأسه «قاديان» حيث ساعدَ أباه في المحاكمات العقيمة التي رفعها إلى المحكمة لاستعادة بعض إقطاعاته.

تحركاته ونشاطاته

بدأ المرزا غلام أحمد نشاطاته وتحركاته كداعية إلى الإسلام ومدافعٍ عنه ومناظر له، وكان ذلك العصر يموج بالفرق والنحل المختلفة من المسيحية والآرية والنيجرية وما إليها، والتي كانت تُثير شبهات ضدّ الإسلام، فكانت الظروف

تقتضي أن يهبَّ من العلماء من يُناظرها ويقاومها.

كما أنَّ منطقة «بنجاب» ما زالت منذ قديم الزمان مسرحًا للنصّابين والـمُشعوِذين من علماء السوء الذين يتخذون جماهير الناس من المنطقة فريسة طيِّعة لهم.

اغتنم المرزا غلام أحمد هذا الزمان والمكان، ونزل إلى الميدان داعيًا ومناظرًا، وسرعان ما استمال نفوس المسلمين إليه، وحصد إعجابهم وأصبح محبوبًا إليهم ومعروفًا في أوساطهم.

دعاويه

أعلنَ في مريديه ومؤيِّديه أنَّه سيؤلِّف كتابًا باسم «البراهين الأحمدية في إثبات حقيقة كتاب الله القرآن والنبوة المحمدية» يشتمل على ٣٠٠ برهان على حقية الإسلام، وأنه سيكون في ٥٠ مجلدًا، وطلب منهم المعونة المادية لطباعته وإخراجه.

وفعلًا ألف الكتاب، وصدرمنه ٤ أجزاء في الفترة ما بين ١٨٧٩-١٨٨٤م، وكان موضوع الكتابِ التدليلَ على حقية الإسلام والبرهنة عليها، فلقي إعجابًا وقبولًا في أوساط القرَّاء، وقد أشاد ت به بعض الصحف والمجلات إشادة كبيرة. بيد أن المؤلف ضمَّنه من إلهاماته وحواراته مع الله ونبوءاته ودعاويه الشيء الكثير.

ثم توالت كتبه ورسائله وإعلاناته التي كانت تشتمل على دعاويه المتنوعة، وقد تدرّج وتلوَّن في دعاويه تلوُّن الحرباء، وسلك في تمشية مرامه وتعمية كلامه مسلكَ الزنادقة والباطنية، فادَّعى أولا أنه: مجدّد، ومثيل للمسيح، ثم انتقل إلى أنه هو المهدي الموعود والمسيح المعهود، و أنه نبي لغوي أو ظلي أو بروزي، على معان اخترعها، ثم تحوَّل إلى أنه نبي غير تشريعي ورسول كذلك، ثم إلى أنه نبي تشريعي ورسول. وتحدى بالآيات، وجعل وحيه كالقرآن، وجعل يحاكي معجزات سائر الأنبياء، وخاتم الأنبياء أيضًا، فجعل مسجده «المسجد الأقصى» وقريته «مكة المسيح»، و جعل «لاهور» مدينته، وجعل لمسجده منارة سماها «منارة المسيح»، فحمل كلَّ ما يتعلق بعيسى – عليه السلام – على التأويل إلا المنارة، فقد بناها بالمال

الذي جمعه من أتباعه، وجعل مقبرة سمّاها «مقبرة الجنة» من دفن بها فهو من أهل الجنة، وسمى أزواجه «أمهات المؤمنين»، وأتباعه «أمته» وظلَّ يدعي الوحي والمعجزات، ويتنبَّأ بالنبوءات حتى مات عام ١٩٠٨م[١].

عوامل نشأة القاديانية

لماذا تنبّأ المرزا غلام أحمد؟ أ تنبّأ على هوى من نفسه وإلقاء من شيطانه، أم لعوامل سياسية دفعته إلى إتيان هذه الجرأة الوقحة التي لم يتجرأ عليها إلا المعدودون على الأصابع عبر التاريخ الإسلامي؟

مما يُقطع به أنه تنبَّأ على إيعازٍ من الحكومة الإنجليزية في الهند وإغراء منها. فعند ما غزا الإنجليز الهند واستولوا عليها ذاقوا من المسلمين مرارة الجهاد، ولا سيما في جهاد ١٨٥٧م.

ففكروا أنه لا بدَّ للسيطرة على الهند واستمرار حكمهم فيها من نسخ الجهاد، وهو لا ينسخ إلا بالوحي، والوحي لا ينزل إلا على النبي، فيجب أن يكون رجل يدعي النبوة، ونزول الوحي، ونسخ الجهاد.

وقع اختيارهم لهذا الغرض الهام على المرزا غلام أحمد، فعمِلَ عميلا لهم تحقيقًا لمرامهم. ولما كان يعرف جيدًا أنَّ ادعاء النبوة بعد سيدنا محمدخاتم النبيين – صلاة الله وسلامه عليه – جريمة لا يغتفرها المسلمون اتخذ طريقًا طويلًا للوصول إلى غايته المنشودة، فادَّعى في بداية أمره أنه مُلْهَم من الله ومحدَّث، ثم تدرج فادعى أنه مجدِّد، وأنه مثيل المسيح، ثم أنه هو المهدي والمسيح، ثم أنه هو النبي بالمعنى اللغوي والمجازي، وأنه هو نبي غير تشريعي، ثم أنه نبي تشريعي ورسول.

هكذا أبدى في نهاية أمره ما بدأه في أول أمره. ولو باح بما نواه في بداية الأمر لثار عليه المسلمون، وقضوا عليه قضاءً باتًا.

وقد عمل لصالح الحكومة الإنجليزية، حيث قال: إن الجهاد قد نسخ،

---

(١) نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ الأنور، ص: ١٩٥، ١٩٦.

وإن الحكومة الإنجليزية تفترض طاعتها؛ لأنها ظل الله في الأرض.

كما اعترف في بعض كتاباته أنَّ أسرته ساعدت الإنجليز بالعَدَد والعُدَد في ثورة١٨٥٧م، وأنَّ جماعته هذه شجرة غرستها يد الحكومة الإنجليزية.

ومما يؤيد كونه عميلًا للإنجليزأنه عندما كان يعمل كاتبًا في محكمة سيالكوت يأتي إليه الإنجليزذوو المناصب الهامة ويخلون به؛ فيعجب لذلك الموظفون. وقد ساعدته الحكومة الإنجليزية في كل مرحلة من مراحل مشواره، وبذلت لمن يقتدي به المال والمناصب، حتى أعلن عن نبوته.

ومن الحقائق المعروفة الآن أن الدول الغربية والكنائس تمول القاديانية والبهائية والماسونية وكثيرًا من المذا هب المنحرفة عن جادة الصواب، تموِّلها بالمال وتموِّل مؤامراتها وتضع أمامها كل التسهيلات [1].

فتاوى العلماء في الرد عليه

فلـمَّا صدرَ الجزء الأول من كتابه: «البراهين الأحمدية» و وصل إلى الأوساط العلمية، تفطَّنَ العلماء الراسخون لما يتضمّنه الكتاب وما يُضمِره صاحبه في أعماق نفسه من ادّعاء النُبُوَّة في مستقبل الأيام.

وَرَد المرزا غلام أحمد مدينة «لدهيانه» بعد صدور الجزء الأول من هذا الكتاب، فتصدَّى له علماؤها بالمعارضة، منهم الشيخ عبد الله اللدهيانوي ذهب إلى مقرَّه الذي كان حافلًا بمؤيديه ومريديه، فما إن رأه حتى قال لمن حوله: «لاتُبايعوه؛ فإنَّه مرتدٌّ وكافر، إنه لايدَّعي لنفسه التجديد، وإنما يدعي النبوة».

عجِب الحضورُ من مقالة الشيخ واندهشوا متسائلين: كيف رماه الشيخ بالردَّة والكفر، دونما حجة وبرهان؟. هنالك قام أخوه الشيخ محمد اللدهيانوي– جدُّ الشيخ حبيب الرحمن اللدهيانوي، وأستاذ الشيخ عبد الرحيم الرائفوري– بدراسة «البراهين الأحمدية» دراسة نقدية طوال الليل حتى أفتى في الصباح في ضوء

(١) جريدة الداعي، عدد خاص بختم النبوة، ٢٢/ ربيع الثاني١٤٠٧هـ=٢٢/ نوفمبر ١٩٨٦م.

كتاباته بأنه مرتَدٌّ وكافر، وهذا أول فتوى صدرت من مشايخ دارالعلوم وعلمائها.

كما أنَّ الفقيه والمحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي درسَ ما جاء في كتبه ومؤلفاته من دعوى كونه مجدِّدًا ومُلْهَمًا، مَهْدِيًّا ومَسِيْحًا مَوْعُودًا، ورَسُولًا نبيًا، فأفتى بسبع فتاوى تمشِّيًا مع دعاويه المتنوعة المتدرجة، وهي كلها تتلخص في أنَّ المرزا غلام أحمد فاسق ضال مضل كذاب دجَّال، لا يجوز الاجتماع به، وبمريديه وتلاميذه [1].

كذلك صدرت فتوى في شأن المرزا غلام أحمد من دارالعلوم عام ١٣٣١هـ، كتبها المفتي سهول أحمد، ووقَّع عليها شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري. ثم صدرت فتوى أخرى كتبها المفتي الأكبر المفتي عزيز الرحمن العثماني و وقَّع عليها كبار علماء الهند وذلك عام ١٣٣٦هـ. ثم أفتى كلٌّ من مدرسة مظاهر علوم بسهارنفور، ودارالعلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ.

كانت دعاويه وأقواله متضاربة ومتناقضة، فكان أمره غُمَّة على الناس، وموقفه غامضًا عليهم، فلمَّا صدرت هذه الفتاوى حصحص لهم الحقُّ، وانكشف عليهم ضلاله و زندقته.

مباهلته ومناظراته

كان الشيخ ثناء الله الأمرتسري- أحد أبناء دارالعلوم- دائم الاطلاع على نشاطات المرزا غلام أحمد لقرب مدينته أمرتسر من قاديان، وكان يُصدِرُ صحيفة «أهل الحديث» منها، فدرس الشيخ مؤلفاته وكتبه وانتقدها انتقادًا لاذِعًا، وكشفَ عن دجله وضلاله، حتى ضاق المرزا غلام أحمد به ذرعًا، ممَّا اضطُرَّ إلى أن تحدَّى الشيخ مباهلا في إعلانٍ أصدره في ٥/ أبريل ١٩٠٧م، وقد جاء في الإعلان:

«إن كنتُ مفتريًا وكذَّابًا -كما تصفني في صحيفتك في أكثر الأحيان-

---

(١) باقيات فتاوى رشيدية، ص: ٣٣-٣٨.

أموت في حياتك؛ لأنّي أعلم أن المفسد والكذّاب لا يطول عمره، وإنما يموت ذليلًا مهينًا في حياة ألدّ أعدائه، وموته خير من حياته، لئلا يُضِلَّ الناس.

«وإن لم أكن كذَّابًا ومفتريًا، وأتمتع بكلام الله والحديث معه، وأنا مسيح موعود فأرجو من الله عز وجلَّ أنّك لن تنجو من عقاب الله تبعًا لسنة الله في المكذبين. فإن لم ينزل العقاب بأيدي الناس، فالله يعاقبك بالطاعون إن شاء الله، وإن لم يُصبك الطاعون فأنا لست من الله».

لقد قرأ هذا الإعلانَ آلافٌ من الناس، وشاع بينهم وذاع، وأخذوا ينتظرون المصير بعده. فضح الله هذا المتنبئ وبرهنَ على كذبه- كما ادعى في إعلانه- حيث مات مصابًا بالهيضة بعد الإعلان بعامٍ في ٢٦/ مايو ١٩٠٨م.

أما الشيخ ثناء الله الأمرتسري فقد بقي بعد موته أربعين سنة حيًّا يُرزَق، يكشف عن مكره وخداعه، حتى توفي في ١٥/ مارس ١٩٤٨م[1].

لم تمتْ فتنة المتنبي بعد موته، وإنما هي باضت وفرَّخت، واستفحل شرُّها، فقد كان في حياته عدد لابأس به من أتباعه، فبعد موته خلَفَه خلفاؤه، فكانوا ينشرون الضلال في أوساط المسلمين بأساليب متنوعة.

هنالك قام مشايخ دارالعلوم وأساتذتها ومنسوبوها من العلماء المنتشرين في طول البلاد وعرضها وشدُّوا مآزرهم لمقاومة القاديانية وكشف عُوارها و وإبداء سوءتها بما أمكن لهم، فقد أفحموهم بالمباهلات والمناظرات والحوارات ميدانيًّا، وبالكتب و المؤلفات والرسائل علميًّا.

ومن مشايخ الدار و علمائها الذين قاموا بخدمات جليلة في مقاومة القاديانية ومناظرتها والتاليف ضدَّها العلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ محمد علي المونكيري، والشيخ أحمد حسن الأمروهوي، والشيخ حبيب الرحمن العثماني، والعلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ عبد السميع الأنصاري الديوبندي،

(١) دارالعلوم ديوبند احياء إسلام كي عظيم تحريك، ص: ٢٠٤- ٢٠٦ .

والشيخ محمد مسلم الديوبندي، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ أحمد علي اللاهوري، والشيخ حبيب الرحمن اللدهيانوي، والشيخ ثناء الله الأمرتسري، والمفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ بدر عالم الميروتي، والشيخ محمد على الجالندهري، والشيخ أبو الوفاء الشاهجانفوري، والشيخ نورمحمد التاندوي، ومن إليهم.

إلا أن العلامة محمد أنور شاه الكشميري له القدح المعلى في مقاومة هذه الفرقة الضالة، فقد كان شديد الحزن كثير الاهتمام لانتشار هذه الفرقة. قال العلامة:

«لما انتشرت هذه الفتنة العمياء كانت لا تأخذني نومة كمدًا واضطرابًا من هذه الرزية الدهماء، فأقلقني جدًا مخافة أن يقع بها ثلمة في الدين يعتاص سدادها، وغلبني الأرق والسهاد حتى مضت علي ستة أشهر كاملة في هذه الحالة المقلقة والمذيبة، حتى ألقى الله في روعي أن ستبيد شوكتها وتضعف صولتها»[1].

فركّزَ العلامة عنايته على القاديانية، فناظرهم بلسانه وقاومهم بقلمه، حيث ألف كتبًا قيمة كشفت عن دجل المرزا غلام أحمد ومكره وضلاله وزندقته، ومهدت السبيل للدول الإسلامية والمؤتمرات العالمية لاتخاذ القرار ضد القاديانية.

كما أشرك في هذه المهمة النبيلة- ملاحقة القاديانية ومطاردتها- مجموعة من أصحابه الأفاضل الذين مازالوا يضطلعون بها حتى اضْطَرُّوا مجلس الأمة الباكستاني على اتخاذ قرار يعتبر القاديانية أقلية غيرمسلمة.

استمرَّ علماء دارالعلوم في مباهلتهم ومناظراتهم، فتحدَّى بالمباهلة المفتي الأكبرُ كفايةُ الله الدهلوي رئيسُ جمعية علماء الهند المرزا محمود- الخليفة الثاني للمرزا غلام أحمد القادياني-؛ ولكنه لم يجرؤ أن يُجيبَ هذا التحدّي الصارخ، وظلَّ ساكتًا صامتًا.

ثمَّ أرادَ المرزا محمود أن يستلفت انتباه الناس إلى القاديانية، فدعا علماء دارالعلوم للمباهلة في إعلان نُشِر في صحيفة «الفضل» الصادرة من «قاديان» في

(١) نفحة العنبر، ص: ٢٠٤ .

١٣/ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ= ١٦/ يناير ١٩١٩م.

أجاب علماء دارالعلوم هذا التحدِّي، حيث قاموا بتعيين فضيلة الشيخ عبد السميع الانصاري الديوبندي- أحد أساتذة دارالعلوم- ممثِّلًا لهم للمراسلة في شأن المباهلة وتحديد شروطها. فجرت بين مُمَثِّل دارالعلوم والمرزا محمود مراسلات ومكاتبات واستمرَّت بضعة أَشْهُر، حتى أبلغه ممثل دارالعلوم بشروط المباهلة في إعلان نشره ١٨/ ربيع الأول ١٣٣٧هـ= ٢١/ يناير ١٩١٩م، وقد جاء فيه:

«نحن نحيطكم علمًا بأنّا نناظركم في نبوة المرزا أولًا على أعين الناس، فإن لم ينكشف الحق فنبتهل إلى الله ونجعل اللعنة على الكاذبين».

ولـمَّا كان إثبات نبوة المرزا غلام أحمد أصعب من تحصيل المستحيل وتحقيق الممتنع للقاديانيين لاذ المرزا محمود بالصمت، ولم يجترئ على التحدِّي بالمباهلة مرَّة أخرى.

ثـمَّ شـنَّ علـماء دارالعلـوم ومنسوبوها حملةً واسعةً للـرد عـلى القاديانيـة ومكافحتها في طول البلاد وعرضها، فحيثما نشر القاديانيون أضاليلهم وأباطيلهم لاحقهـم علماؤهـا وطـاردوهم، وعرَّفـوا عامَّـة المـسلمين بـضلالهم وزنـدقتهم، وأنقذوهم من الوقوع في فخّهم.

مناظرة «مونغير» بولاية بيهار

بلغ الشيخَ السيد محمد علي المـونغيري- مؤسس دارالعلوم التابعة لندوة العلـماء- أنَّ القاديـانيين أخـذوا يُمارسـون نـشاطاتهم في المنـاطق التابعـة لولايـة «بيهـار»، ويـصطادون الأغـرار مـن المـسلمين؛ فـنهض الـشيخ لمقـاومتهم، وأعـدّ تلاميـذه ومعارفـه ونـشرهم في المنـاطق لمكـافحتهم وتبكيـتهم. كـما ضرب الموعـد للمناظرة معهـم في مدينـة «مونغير» عـام ١٩١١م، أي بعد موت المـرزا غـلام أحمد بثلاث سنوات. استعدَّ الفريقان للمناظرة أيَّما استعداد، فقد حضر ٤٠ عالـمًا مـن كبار علـماء دارالعلوم ومنسوبيها بمـن فيهم العلامـة محمد أنـور شـاه الكشميري، والعلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ مرتضي حسن الجاندفوري. وأما من قبل

الفريق الثاني فقد كان الحكيم نور الدين البهيروي الخليفة الأول للمرزا غلام أحمد، وسرور شاه الكشميري، وروشن علي من دُعاة القاديانية.

التقى الجمعانِ في اليوم الموعود، فجعل الشيخ محمد علي المونغيري الشيخ مرتضى حسن الجاندفوري ممثلًا له في المناظرة، أما الشيخ محمد علي نفسه فقد خرّ راكعًا يتضرع إلى الله، وظلَّ كذلك حتى حقق الله النصر للمسلمين.

ألقى الشيخ مرتضى حسن كلمته القيِّمة في مجلس المناظرة، فلمَّا أنهى كلمته طلب الناس من مناظري القاديانيين بالإجابة، ففرُّوا من مجلس المناظرة قائلين: لا طاقة لنا اليوم بالإجابة.

هكذا انتهت المناظرة وحقق الله النصر للمسلمين.

لقد ألَّف الشيخ محمد علي المونغيري نحو ٥٠ كتابًا مابين صغير وكبير في الردّ على القاديانية، ونشرها على نطاق واسع في المناطق المهدَّدة بالقاديانية، وقد نُقِل بعضها إلى اللغات الأخرى، وهي كتب تنوب عن كتائب، فحيثما وصلت كفت شرَّ القاديانيين وفتنتهم.

حملة جديدة ضد القاديانية

مازال مشايخ دارالعلوم وعلماؤها وأبناؤها والمنتسبون إليها يُناظرون القاديانيين ويُحاورونهم ويتحدَّونهم ويُباهلونهم، ويؤلِّفون فيهم ويردُّون عليهم، حتى جاء عام ١٩٣٢م، فاقترب أوان اعتبار القاديانية فرقة غير مسلمة على مستوى البلاد؛ لأن القاديانيين يُمارسون نشاطاتهم في المجتمع الإسلامي ويستعملون الأسماء والمصطلحات الإسلامية، ويخدعون عامة المسلمين؛ فيختلط الحابل بالنابل ويصعب عليهم الفرق بين المسلم والقادياني، لذلك فقد كانت القاديانية في انتشار مستمر في أوساط المسلمين.

هنالك قام علماء الدار بشنِّ حملة جديدة لملاحقة القاديانية ومطاردتها، والحملة تعني أن يقوم العلماء بجولات واسعة في مدن ولاية «بنجاب» وماجاورها توعيةً للمسلمين وإشعارًا لهم بأخطار القاديانية. وقد قام بتخطيط الحملة العلامة

محمد أنور شاه الكشميري، والعلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، وقد أخذ العلامة الكشميري تلاميذه للمساهمة في الحملة مثل: فضيلة المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ بدرعالم الميروتي. كما أخذ العديد من علماء «بنجاب» للمشاركة في الحملة.

تنفيذًا للحملة قام هؤلاء بجولات واسعة في كل من: «لدهيانه»، و«أمرتسر»، و«راولبندي»، و«أيبت آباد»، ومانسهره»، و«هزاره»، و«كهوتا» من مدن ولاية «بنجاب»، وألقوا فيها كلماتهم عن القاديانية في عامة المسلمين، وردُّوا على ما كان يختلج في نفوس بعضهم من شكوك وشبهات.

وكان من الحملة أن يغزوا القاديانية في عقر دارها: قاديان، بأن يعقدوا اجتماعات وحفلات فيها لترشيد جماهير المسلمين، وفعلًا قاموا بعقد حفلات إصلاحية وتوجيهية في قاديان، حضرها العلامة محمد أنور شاه الكشميري، والمفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

فإن كانت هذه الحفلات والاجتماعات التي عُقِدتْ في قاديان للردِّ على القاديانية، عارًا على القاديانيين، وسُبَّة عليهم، فقد كانت مغامرة عجيبة من قبل علماء الدار ورمزًا بارزًا لاهتمامهم بالدفاع عن حوزة الدين.

أخذ القاديانيون يضعون المتاريس لمنع عقد الحفلات في قاديان، فطورًا استعانوا بالسلطات، وطورًا آخر أضرموا النار في المخيَّم، وطورًا ثالثا أرسلوا إلى علماء الدار خطابًا غُفْلا من الاسم يُهدِّدُونهم فيه بالقتل. وقد استمرّ عقدُها بضع سنوات.

كان علماء الدار يرصدون نشاطات القاديانيين وتحركاتهم في البلاد، فحيثما وجدوهم ينشرون سمومهم وأباطيلهم، ويفتنون الأغرار من المسلمين، لاحقوهم وطاردوهم، وأنقذوا المسلمين من براثنهم.

مناظرة مدينة «فيروزفور»

تناهت إليهم أنباء بأن القاديانيين يتمركزون في مدينة «فيروزفور» بولاية

«بنجاب»، ويتحدَّون جماهير المسلمين بالمناظرة، فقبل عدد من أغمار المسلمين تحديهم، ووافقوا -لعدم خبرتهم- على شروط تخدم مصالح القاديانيين، لا المسلمين.

بعث الشيخ حبيب الرحمن العثماني، والشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري، بأربعة مدرسين من دارالعلوم إلى «فيروزفور»، وهم الشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ بدر عالم الميروتي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والمفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي. فلمَّا وصلوا إليها وعرفوا أن القاديانيين اتفقوا بدهاء على شروط تنفعهم خلال المناظرة فكَّروا وقدّروا ولات ساعة تغييرالشروط. فرَضُوا على كره منهم بهذه الشروط.

ففي اليوم التالي بدأت المناظرة في الموعد المحدد، فإذا بالعلامة محمد أنورشاه الكشميري، والعلامة شبير أحمد العثماني قادمان صوب مجلس المناظرة. فلما رأى الشروط التي أُعمِل في تحديدها دهاء ومكر، قال العلامة: نعطيكم من الشروط ما تشتهون، ونحن مستعدُّون للمناظرة معكم دونما شروط.

بدأت المناظرة واستمرَّت ثلاثة أيام، وكان المناظرَ في اليوم الأول المفتيْ محمد شفيع العثماني الديوبندي الذي تناول موضوع ختم النبوة وأشبعه شرحًا وبحثًا وتنقيحًا، وأما في اليومين الثاني والثالث فقد كان المناظِرَينِ الشيخُ بدر عالم الميروتي، والشيخُ محمد إدريس الكاندهلوي اللذان بحثَا في مواضيع أخرى.

كان القاديانيونَ خلال المناظرات والمناقشات التي جرت ثلاثة أيام خُرْسًا بُكمًا، حتى أخذوا يطوون كشحهم عن المناقشة في الموضوع المحدَّد مُسَبَّقًا، وقد أمطر علماءُ المسلمين عليهم وابلًا من التساؤلات والاعتراضات حتى ضاقوا بها ذرعًا، ففرُّوا منهزمين في اليوم الثالث. وقد اعترف القاديانيون المثقفون بالثقافة العصرية أنهم لم يتمكَّنوا من إثبات دعاويهم، وأما علماء المسلمين فقد كانت مقالتهم معضَّدة بالأدلة والبراهين، ونافذة إلى أعماق القلوب.

وفي اليوم الرابع عُقدَ احتفال عامّ في المدينة، وعُرِضت فيها مداولات المناظرة أمام عامة المسلمين، وقد ألقى فيه كل من العلامة محمد أنور شاه

الكشميري، والعلامة شبيرأحمد العثماني خُطَبًا مؤثِّرة، مِمَّا تابَ كثيرمن القاديانيين من الردة، وعادوا إلى حظيرة الإسلام.

قرار محكمة «بهاولفور» في القاديانية

لا يكتمل تاريخ الجهاد المضني الدائب الذي قام به علماء الدار لمقاومة القاديانية إلا بذكر انتصارهم الباهر الذي حققوه في محكمة «بهاولفور».

حدث أنَّ «عائشة بنت إلهي بخش» من مدينة «أحمد فور» من أعمال ولاية «بهاولفور» قد تزوَّج منها عبد الرزاق، وبعد أيام ارتدَّ عبد الرزاق عن الإسلام واعتنق القاديانية. فرفعت عائشة قضيتها إلى المحكمة وطالبت بالتفريق بينها وبين زوجها، وذلك في ١٩٢٦م. وقد تناقلت المحاكمُ القضية ٧سنوات، حتى وصلت إلى البلاط الملكي في ولاية «بهاولفور»، فردَّه البلاط إلى المحكمة موصيًا إياها بأن تُتيحَ الطرفين فرصة يُقدِّمَان فيها شهادات علمائهما.

فلما رُدَّت القضية إلى المحكمة نشط الطرفان لجمع شهاداتهما. وصل عبد الرزاق القادياني إلى قاديان، حيث أخبر دعاة القاديانية بالأمر، فتحرَّكت آلياتها، وفتحت أبواب كنوزها لدعم هذه القضية التاريخية.

هذا، وقد كانت عائشةُ امرأة مسلمة من أسرة فقيرة، لا تستطيع أن تحتمل رسوم المحكمة، وتدعو العلماء المعروفين لإيراد الشهادات في قضيتها.

وقد شاء الله أن يتم ذلك كلُّه بسهولة؛ ذلك أن المسلمين في «بهاولفور» لما سمعوا بتصعيد القاديانيين نشاطاتهم أخذتهم الغيرة، فقالوا: أ تخسر مسلمة قضيتها؛ لأنها لا تملك المال؟ وأويفشل المسلمون في معركة ستكون فاصلة بين الحق والباطل؟ سيُسجِّل التاريخ أن المسلمين خسروا الإنصاف لإهمالهم وغفلتهم.

تقدّمت منظمة «مؤيد الإسلام» لمسلمي «بهاولفور» إلى المجال، وعقدت عزمها على خوض المعركة الفاصلة بين الحق والباطل، فوَعدت السيدة عائشة بدعم قضيتها وتوفير شهادات العلماء لها.

قامتِ المنظّمَة بشنٍّ هذه الحملة التي كانَ يرأسها الشيخ محمد حسين شيخ

جامعة «بهاولفور»، وإرسال الرسائل إلى كبار العلماء في الهند لتولي الدفاع في القضية، وأداء الشهادات فيها. ومن العلماء الذين دُعُوا لهذا الغرض العلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والمفتي محمد شفيع العثماني، والعلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ نجم الدين أستاذ بكلية أورنتل بـ «لاهور» ومن إليهم.

كما دعت المنظمة الخطيبَ المصقعَ الشيخ أبوالوفاء الشاهجهانفوري لإعداد ملفَّات القضية وتجنيد الطاقات للنجاح فيها، وقد أقام الشيخ لهذا الأمر المهم في «بهاولفور»سنة وستة أشهر. قام الشيخ بدور هامٍّ عند ما ناقشَ المحامين من القاديانيين لدى تقديمهم الأدلة مناقشةً أدهشت رجال القانون والمحامين، وجعلتهم يعترفون بفضله وذكائه.

كذلك دعت المنظّمَة كثيرًا من كبار العلماء المعروفين في الهند إلى «بهاولفور» حتى كان مجلس العلامة محمد أنور شاه الكشميري يضيق بالجالسين.

لقد احتلَّت القضية أهمّية قُصوى، فكانت أنظار المسلمين متجهة إليها، وقلوبهم مشغولة بها، حتى ذهب كثير من العلماء إلى «بهاولفور» تاركين أعمالهم وشواغلهم لدعم القضية ومساندتها، فازدانت سماء «بهاولفو» بكثير من شموس العلم والفضل والكمال في تلك الأيام.

أما العلامة محمد أنورشاه الكشميري فقد كان مريضًا في تلك الأيام، رغمَ ذلك فما إن وصله الخطابُ حتى قال لأصحابه: تأهَّبُوا للسفر إلى «بهاولفور»، ووصل هو بنفسه قبل موعد القضية بكثير، وأقام فيها أكثر من عشرين يومًا.

كانت القضية في محكمة القاضي أكبر خان. استنطق القاضي شهود الطرفين، فقدَّم المفتي محمد شفيع العثماني شهادته التي قُيِّدَتْ في ٦٠ صفحة، كما ألقى العلامة محمد أنور شاه الكشميري كلمته -كشهادة- التي استمرت خمسة أيام، والتي سجَّلها القاضي في ٦٠ صفحة، ونصب فيها الأدلة القاطعة والحجج الدامغة على ردّة غلام أحمد القادياني بخمسة وجوه:

١- ادِّعاؤه النبوة.

٢- ادِّعاؤه الشريعة.

٣- الإساءة إلى الأنبياء.

٤- إنكار المتواترات وضروريات الدين.

٥- سبُّ الأنبياء والطعن عليهم.

كذلك استنطق القاضي شهود الفريق الثاني، وناقشهم علماء المسلمين، وردُّوا عليهم. وقد كان مناط القضية: هل المرزا غلام أحمد وأتباعه مسلمون أم لا؟

لم يتمكن القاديانيون من إثبات أنفسهم مسلمين، ولم يستطيعوا الردَّ على تساؤلات علماء المسلمين.

فقضى القاضي للسيدة عائشة في ٧/ فبراير ١٩٣٥م بأنها على الحق في مطالبة فسخ النكاح؛ لأنها مسلمة، وأن القاديانيين ليسوا بمسلمين وفقًا للشريعة الإسلامية، ، ولا يجوز نكاح مسلمة من كافر، فلها أن تنكح زوجًا آخر.

لقد أثمرت جهود علماء المسلمين، حيث أصدرت محكمة ولاية «بهاولفور» قرارًا حاسمًا بكون القاديانيين فرقة غير مسلمة، فكان هذا اليوم يومًا مشهودًا في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند.

القاديانية أقلية غير مسلمة

ظلَّ إمام العصر العلامة محمد أنور شاه الكشميري يقاوم هذه الفرقة الضالّة بلسانه وقلمه مدى حياته، وأشرك أصحابه في حملته هذه، وفي أخريات أيام حياته ألقى كلمة في جامع ديوبند، وهومريض ضعيف، قال في كلمته:

«أنا أوصي تلاميذي وأصحابي أن لا يدَّخروا وُسْعًا لاستئصال شأفة هذه الفرقة الضالة».

وممَّن حضر هذه الكلمة من أصحابه العلامةُ محمد يوسف البنوري، و الشيخ أيوب رئيس دارالعلوم بـ«سرحد»، وقد نفذت الوصية في قلوب صاحِبَيه، و وقرت في قرارات نفوسهما، وفعلت فِعْلَها عند ما آن أوانُها.

كأنَّما قال العلامة لأصحابه: «ها هي ذي حياتي ستنتهي، ولم تنته مهمَّة المقاومة والقضاء على القاديانية، فأوَكِّل أصحابي بها ليُنْهوا ما بدأتُ به من المهمة الجليلة».

لقد صدّقَ أصحابُه ظنونَه وحقق آماله فيما استقبل من الأيام، وكان كما يقول المثل الأردي: «يبدأ الأب ويُنهي الابن»، فجهود أصحابه وتلاميذه هي التي صارت بالقاديانية إلى مصيرها الأخير في باكستان، وجعلت حكومتها تعتبر القاديانية فرقة غير مسلمة كالفرق الكافرة الأخرى التى لا صلة لها بالإسلام والمسلمين.

هذا وقد كان لقرار محكمة «بهاولفور» وجهود العلماء تأثير كبير على كل من ولاية «بنجاب»، و«أترابراديش»، و«بيهار»، و«أريسه»، فأصبح المسلمون فيها على وعي دينى كبير، وعلى معرفة بما هو خطر على دينهم وعقيدتهم، فلا يمكن لدعاة القاديانية اصطيادهم بسهولة.

توَجَّه دعاة القاديانية ونشطاؤها إلى المناطق المصابة بالجهل والأمية مثل: «كشمير»، و«بيشاور»، و«بورما»، و«رنغون»، وأخذوا ينشرون القاديانية فيها، فقام بملاحقتهم ومطاردتهم الخطيب المصقع أمير الشريعة عطاء الله شاه البخاري وأعضاء «مجلس أحرار إسلام».

هذا في جانب، وفي جانب آخر اشتغل كثير من العلماء بكفاح تحرير البلاد ومطاردة الإنجليز الغاشمين منها، وقلَّت عنايتهم بمكافحة القاديانية. أما رجال القاديانية ودعاتها فما زالوا يكثفون جهودهم ويخططون لنشرها وتوسيع رقعتها، وتصعيد نفوذها في الأوساط الحكومية، ولما كانت القاديانية غراسًا خبيثًا غرسته الحكومة الإنجليزية في الهند ساعدتها على تحقيق مطامعها كلَّ المساعدة.

جاء عام ١٩٤٧م واستقلت فيه الهند من أيدي الإنجليز، وانقسمت البلاد إلى قطرين: الهند وباكستان، واستغلَّ رجال القاديانية هذه الفرصة، ورأوا أن مطامعهم وأحلامهم ستتحقق في الدولة الناشئة، فانتقل ثقلهم من قاديان بالهند

إلى باكستان، حيث قاموا بشراء قطعة كبيرة من الأرض بالقرب من «جنيوت» بباكستان، وأنشؤوا عليها مدينة، سموها «ربوة»، بنوا فيها دارالخلافة، والمباني السكنية، والمدارس، والكليات، وأسكنوا فيها من كان تبقى من دعاتها في الهند، ولم يسمحوا لغير القادياني بشراء الأرض والإقامة فيها. وهي أكبر مركز للقاديانية.

كما نجحوا في إيصالهم عددًا كبيرًا من القاديانيين إلى المناصب الهامة في الدولة الجديدة، فأمين السر لرئيس الدولة، ووزير الخارجية ظفر الله خان، ونحو ١٧ قائدًا في الجيش كانوا من القاديانيين، كما كان عدد كبير منهم في المكاتب والدوائر الحكومية.

كلُّ ذلك جعلهم يحلُمون بأن يستولوا على الحكومة، أو على الأقل أن يقيموا حكومة تكون رهن إشارتهم.

استشعر العلماء ازدياد نفوذ القاديانيين في الحكومة، و خطرهم على الدولة الجديدة، فقاموا بشن حركة ضد وزير الخارجية ظفر الله خان الذي كان ينشر القاديانية في الدول الإسلامية، وذلك عام١٩٥٣م، وطالبوا بفصله من منصبه، غير أنَّ حركتهم هذه باءت بالفشل، ولم تلقَ تأييدًا من داخل البلاد وخارجها، لجهل الناس بخطر القاديانية على البلاد، وقد ذهب ضحيتها نحو ١٠٠٠٠ مسلم.

لقد هزَّت هذه الأوضاع علماء المسلمين، وأدركوا النفوذ القوي الذي يتمتع به القاديانيون في البلاد، وأنهم لا يضرهم محاولات غير منتظمة، بل الحاجة ماسة إلى محاولات جادة موحدة، وجهود مكثفة منتظمة.

فاجتمع عدد من العلماء- وفيهم بعض أصحاب إمام العصر العلامة محمد أنورشاه الكشميري- في «ملتان»، وقاموا بإنشاء «مجلس صيانة ختم النبوة» لجمع جهودهم وتفعيليها ضدَّ القاديانية، وأسلموا قيادها إلى أمير الشريعة عطاء الله شاه البخاري، وذلك في ١٣/ ديسمبر ١٩٥٤م.

ثم تولى قيادة «مجلس ختم النبوة» العلامة محمد يوسف البنوري صاحب

إمام العصر العلامة محمد أنور شاه الكشميري، وكان يعي وصية أستاذه، ويحمل في صدره همه تجاه انتشار القاديانية، وقد جعل استئصال شأفتها أهمَّ هدفه وأقصى غايته، فعمل لهذا الغرض على الصعيدين المحلي والدولي. أما الصعيد الدولي فكلَّما زار بلاد الحرمين، والدول الإسلامية، أوحضر المؤتمرات والندوات في أي جزء من أجزاء العالم الإسلامي، التقى برؤساء وقادة الدول الإسلامية يُخبرهم بازدياد نفوذ القاديانيين في باكستان وخطرهم عليها، كما أرسل إليهم رسائل يُطلعهم على خطرالقاديانية ومخططاتها الخبيثة، ويرجوهم أن ينبهوا الحكومة الباكستانية عليها.

وأما الصعيد المحلِّي فقد قام بتكوين «مجلس العمل» التابع لمجلس «صيانة ختم النبوة» الذي انضمَّ إلي لوائه عدد كبير من كبار علماء باكستان، وأعضاء مجلس الأمة الباكستاني.

بدأ رئيس «مجلس العمل» وأعضاؤه نشاطاتهم وتحركاتهم، فقاموا بعقد حفلات واجتماعات، وشن حملات توعية، ودعوة إضراب عن العمل، من أقصى البلاد إلى أقصاها، ومن شرقها إلى غربها، حتى تكوَّن الرأي العام، وتكهرب الجوّ، لعرض قضية القاديانية في مجلس الأمة.

لقد بذل الأعضاء مجهودات مضنية ومحاولات مكثفة للضغط على الحكومة، فعقدوا لقاءات ولقاءات وجلسات وجلسات مع رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو حتى وافق على عرض قضية القاديانية في مجلس الأمة، وإدخال التعديلات في الدستور تجاهها، واعتبارها أقلية غير مسلمة.

عُرضت القضية في مجلس الأمة والمجلس النيابي، ودعي إليه رئيس القاديانية وخليفتهم مرزا ناصر أحمد، فألقى ما دوَّنه في كتاب ذبًّا عن دينهم، وتنزيهًا لساحتهم. ولما ألقى مرزا ناصر أحمد ما ألفه- وقد أعطي الحرية التامة في الذب عن عقيدته- قام العلماء وعلى رأسهم فضيلة المفتي محمود عضو مجلس الأمة بمناقشة الموضوع، حتى استمرت المناقشة عدة أيام في ثلاثين ساعة، فظهرعجز الخليفة ناصر أحمد عن الأجوبة، وانكشف النقاب في ضمن الأسئلة

والأجوبة عن دخائل هذه الفتنة، وفضحه الله على رؤس الأشهاد، وظهر جهله وكفره وزيغه القويم، وكفرُ هذه الطائفة أمامَ كل عضو من أعضاء مجلس الأمة كالشمس في رائعة النهار، وقد بلغ عدد الجروح القاسية إلى ألف جرح.

وبالجملة قام أعضاء مجلس الأمة بالنقد والجرح، فقام نخبة من أهل العلم مع مساعدة كبار أهل العلم من أعضاء المجلس النيابي، فألفوا كتابًا في أسرع وقت ممكن في بيان موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، فقرئ الكتاب كله في مجلس الأمة، فاندهش أعضاء المجلس لما علموا من طامات هذه الفرقة الملعونة الباغية، وتبين كفرهم كصديع الفجر بحيث لا يحوم حوله ريبة، ولايحتاج إلى البراعة في العلم والفقه؛ بل كل من يؤمن بالله ورسوله يدرك كفرهم وخروجهم عن الإسلام، وبغيهم على ملة خاتم النبيين ودين الإسلام، وحصحص الحق لكل ذي عينين، فاتخذوا قرارًا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة ووضعهم في قائمة الأقليات الغير الإسلامية متفقا بين أعضاء مجلس الأمة ورئيسهم والوزراء كلهم ورئيس الوزراء بهوتو، ولم يتخلف أحد منهم عن هذا القرار، وعسى أن لا يكون لمثل هذا الاتفاق نظير في قرارات مجلس الأمة.

وقد أصبح ذلك اليوم: ٧/ سبتمبر ١٩٧٤م يومًا مشهودًا في تاريخ باكستان، لم يسبق له مثيل [١].

لقد سُرَّ المسلمون في جميع أنحاء العالم بهذا القرار التاريخي لمجلس الأمة، وهنَّأ بعضهم بعضًا، ونَوَّهوا بالمجهودات التي بذلها علماء المسلمين ولاسيما العلامة محمد يوسف البنوري وزملاؤه. ولولا جهودهم وجهادهم لما تَحَقَّقَ هذا الانتصار العظيم تجاه القاديانية.

وممن اشتركوا في حركة مجلس صيانة ختم النبوة من العلماء: الشاه عطاء الله البخاري، والسيد محمد يوسف البنوري، وفضيلة المفتي محمود، والشيخ محمد حيات، والشيخ محمد علي الجالندهري، والشيخ خير محمد الجالندهري، والقاضي

---

(١) موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، ص: ١١، ١٢، ط: دار قتيبة، بيروت.

إحسان أحمد الشجاع آبادي، والشيخ محمد يوسف اللدهيانوي، والشيخ منظور أحمد الجنيوتي، ومن إليهم.

مؤتمر المنظمات الإسلامية بمكة المكرمة

لقد نتج مما بذله علماء دارالعلوم وأبناؤها ولاسيما إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري وأصحابه من محاولات جادّة بشتى الوسائل من المناظرة والمجادلة والتأليف وبث الوعي وإيقاظ الشعور في عامة المسلمين وخاصتهم أن توجهت عناية المنظمات الإسلامية في العالم الإسلامي إلى القاديانية، فعقدت مؤتمرها العالمي في مكة المكرمة تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي، وذلك في ٦-١٠/ أبريل عام ١٩٧٤م، وقد حضره وفود ١٤٠ منظمة وجمعية إسلامية عالمية، واتفقت آراؤهم على أن القاديانية حركة هدّامة ضدَّ الإسلام والعالم الإسلامي، مع أنها تزعم أنها فرقة من الفرق الإسلامية.

انعقادمؤتمر صيانة ختم النبوة العالمي بدارالعلوم

لما أصدر الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق الحكم بتوقيف جميع إجراءات القاديانية في باكستان طار رئيس القاديانية آنذاك المرزا طاهر من باكستان إلى لندن، وعاد كثير من القاديانيين إلى الهند، وبدؤوا يمارسون نشاطاتهم فيها مرة أخرى، واختاروا لذلك المناطق التي يعيش فيها المسلمون بعيدًا عن الدين وشعائره.

فنظرًا إلى عودة دعاة القاديانية ونشطائها إلى الهند، ونشاطاتهم المتصاعدة قرَّرمشايخ دارالعلوم وعلماؤها عقد مؤتمرعالمي في رحاب الدار لدراسة قضية القاديانية وسبل مكافحتها، وتوعية المسلمين بأخطارها وأضرارها.

فعقدُوا مؤتمر صيانة ختم النبوة في ٢٩-٣٠/ أكتوبر عام ١٩٨٦م، حضره كبار العلماء والدعاة والمفكرين في الهند وخارجها، أخص منهم بالذكر معالي الدكتور محمد عبد الله عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

آنذاك، وسكرتيره الحافظ محمد محمود من المملكة العربية السعودية؛ والشيخ محمد باسل الرفاعي من الإمارات العربية المتحدة؛ والشيخ محمد مالك الكاندهلوي من باكستان؛ والشيخ فريد الدين مسعود من بنجلاديش؛ والشيخ أسعد المدني، والمفكر الإسلامي الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ عبد الحليم الجون فوري، والمفتي أبو القاسم النعماني، والمفتي منظور أحمد الكانبوري و كثير من كبارالعلماء من داخل البلاد.

ورأس جلسته الأخيرة معالي الدكتور محمد عبد الله عمر نصيف، وقال في كلمته التي ألقاها في نهاية الجلسة:

«يسرني أن نستجيب لدعوة دارالعلوم بديوبند بالمشاركة في هذا المؤتمر الهام الذي يهتمُّ بتأكيد ختم النبوة، وأن الرسول ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين؛ لأنه أصل أساسي من أصول الدين».

وأضاف قائلًا:

«وقد أحسنت الجامعة صُنْعًا بعقد مثل هذا اللقاء؛ لأنَّ نشاط القاديانيين وغيرهم ممن يشككون في ختم النبوة وينتشرون في شبه القارة الهندية بنشاط، ويبثون سمومهم الفاسدة في كل مكان لايزال مستمرًّا، فلابدَّ لنا أن نبصِّر أنفسنا وإخواننا بأضرار مثل هذه الدعوات الباطلة سواء هنا أو في غير هذا المكان».

وقد تمخض المؤتمر عن قرارات هامة، منها:

(١)

(الف) تشكيل «هيئة صيانة ختم النبوة» لعموم الهند.

(ب) وانتخاب أعضائها من جميع أنحاء الهند.

(ج) تشكيل لجنة تضم ٩ أو ١١ عضوًا تُحضِّر مشروع أصول ومناهج للهيئة المركزية، وإعطاؤها السلطة الكاملة في إقامة فروع لها في أطراف البلد بغية دفع عجلة العمل إلى الأمام بسرعة وقوة مطلوبتين.. ويكون مقراللجنة الموقت دارالعلوم بديوبند (الهند).

(د) المؤتمر يرجو الجامعة الإسلامية دار العلوم- ديوبند وأعضاءها أن يتكرموا بالإشراف على هيئة صيانة ختم النبوة، ويقدموا لها كل مساعدة علمية ودعوية.

(٢) أنَّ هذا المؤتمر يرى من الواجب أن يلفت نظر الحكومة الهندية إلى أن علماء الهند وجميع علماء العالم وجميع الأمة الإسلامية أجمعوا على أن جميع من يتبعون المرزا غلام أحمد القادياني، والذين يسمون أنفسم قاديانيين وأحمديين ولاهوريين وما إلى ذلك كفرة مرتدون من أجل اتباعهم متنبئًا ادعى النبوة كاذبًا، وأنهم أقلية مستقلة لا يربطهم بالمسلمين صلة ما، وأن كثيرًا من الحكومات الإسلامية قبلت إجماع الأمة هذا قانونًا لها، ونفذّته في بلادها.

ولذلك فإنه يطالب الحكومة الهندية أن تحترم مشاعر المسلمين الدينية وإجماع العالم الإسلامي هذا، وأن تعتبر القاديانيين أقلية على حدة من المسلمين، وأن لا تشركهم في شؤون المسلمين وحقوقهم الخاصة [1].

إنشاء هيئة صيانة ختم النبوة

وتجسيدًا للقرار الأول للمؤتمر تم تشكيل هيئة صيانة ختم النبوة، واختيرَ الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري رئيس الجامعة رئيسًا لها، والشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري أمين عام لها، والشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري نائب أمين له. كما تمَّ اختيار ٢٣ عضوًا من كبار الشخصيات في الهند لمجلسها التنفيذي.

فالهيئة تعمل جاهدة منذ أول يومها، فهي تقيم دورات تدريبية في المناطق التي يُمارِس فيها القاديانيون نشاطاتهم إشعارًا للمسلمين بأخطارهم وأضرارهم. فقد أقامت دورة تدريبية تحت رعاية الشيخ محمد إسماعيل الكتكي، وذلك في ١٩٨٨م. وقد استغرقت الدورة عشرة أيام، تلقّى خلالها كثير من المسلمين دروس مكافحة القاديانية ومحاربتها.

---

(١) جريدة الداعي، عدد خاص بختم النبوة، ٢٢/ ربيع الثاني١٤٠٧هـ=٢٢/ نوفمبر ١٩٨٦م.

كما عقدت الهيئة الدورة الثانية عام ١٩٩٠م تحت رئاسة الشيخ منظور أحمد الجنيوتي.

والهيئة ترصد نشاطات القاديانيين وتحركاتها، وحيثما علمت بنشاطاتهم في البلاد بادرت إلى مقاومتها وإنقاذ المسلمين من براثنها.

ومما يجدر بالذكر أن دارالعلوم قد نظّمت تزويد طلاب التخصصات في الجامعة بالمعلومات اللازمة عن القاديانية، وذلك عن طريق المحاضرات التي يُلقيها أحد الأساتذة في موضوع القاديانية وأساليب مقاومتها.

وأما مؤلفات علماء ديوبند في الرد على القاديانية فقد ألفوا في الرد على هذه الفرقة الضالة من الكتب ما لم يؤلفوا في أي فرقة أخرى، فقد بلغ عددها إلى أكثر من ٨٠ كتابًا ما بين صغير وكبير، وهي باللغات الثلاث: العربية، والأردية، والفارسية.

وأما مؤلفات إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري مثل: عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام؛ وإكفار الملحدين في ضروريات الدين؛ وخاتم النبيين؛ والتصريح بما تواتر في نزول المسيح، فقد قامت بدور بارز في التعريف بحقيقة القاديانية ومعتقداتها وأباطيلها في العالم الإسلامي، كما قام أصحابه بخدمات جليلة مشكورة في مقاومتها واستئصال شأفتها.

***

(٤) الشيعة

لم يزل ملوك وولاة معظم الحكومات الإسلامية في الهند بما فيها الحكومة المغولية يتمذهبون بمذهب أهل السنة والجماعة، وقد قامت إمارات ودويلات للشيعة في بعض أجزاء من البلاد، أجدرها بالذكر الحكومة البهمنية (١٣٤٧-١٥٢٧م) وحكومة «أودها» (١٧٢٢-١٨٥٨م) ، وإمارة «رامفور».

تاريخ علاقات ملوك الهند بإيران يرجع إلى عهد «همايون»، حيث هزمه شيرشاه السوري، فلجأ إلى إيران، وساعدته الحكومة الصفوية في استعادة الحكم من يدي شيرشاه، فمنذ ذلك الحين قامت العلاقات بين الملوك المغول وبين حكومة إيران، ثم تتابع الشيعة إلى الهند على عهد «أكبر»، وعهد «جهانكير». وفي عهد «جهانكير» تولَّوا مناصب هامة في الحكومة المغولية، ونالوا إقطاعات، وأصبحوا أصحاب نفوذ وسلطة، وذلك بفضل الملكة نورجهان زوج «جهانكير».

وقد ازدادَ نفوذُهم وتدخُّلهم في الحكومة المغولية ولاسيما بعد وفاة الملك أورنك زيب عالمكير، حتى أصبح «سادات بارها» (إحدى طوائف الشيعة) يَعزِلون ملكا وينصبون آخر؛ فلُقِّبوا بـ «صُنَّاع الملوك».

لقد كان الشيعة في الهند يقومون بدور الطابور الخامس، فقد مالؤوا الإنجليز وظاهروهم في إسقاط الحكومات الإسلامية، مثل: حكومة سلطان «تيبو»، وحكومة سراج الدولة، أو إضعافها مثل: دعوتهم المرهة لغزو الحكومة المغولية في دهلي للسيطرة عليها، وإخراج بعض مناطقها منها وإتاحة الإنجليز فرصة الاستيلاء عليها، وما إلى ذلك.

وقد بلغ من نفوذهم وقوتهم أنه لم يكن أحد يستطيع أن يعارضهم أو ينبس ببنت شفة ضدهم، فإذا تجرأ أحد على ذلك ذاق مرارة عذابهم، وقد حدث

ذلك مع الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، حيث خلعوا يديه، لئلا يؤلِّف أيَّ كتاب ضدهم، فقد كان ألف «إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء»، و«قرة العينين في تفضيل الشيخين»، ونَفَوا من دهلي ابنَيه: الشاه عبد العزيز الدهلوي المتوفى سنة (١٢٣٩هـ)، والشاه رفيع الدين الدهلوي المتوفى سنة (١٢٣٣هـ)، وآذوهما إيذاءً شديدًا، كما قتلوا الشيخ مرزا مظهر جان جانان سنة (١١٩٥هـ)، وذلك عقابًا على ما قالوا فيهم أو ألَّفوا ضِدَّهم.

ومما يُقضى منه العجب أنّ الشيعة مازال عددهم أقل بكثير من عدد أهل السنة والجماعة في البلاد، إلا أنهم استطاعوا بمكرودهاء أن يغرسوا في قلوب أهل السنة ذوي الكثرة الكاثرة معتقداتهم الباطلة وينشروا في مجتمعهم طقوسهم الدينية.

ومن عقائد الشيعة وأعمالهم وطقوسهم التي يمارسونها في الهند صُنع الضرائح القرطاسية[1] وتعظيمها ووضعها في البيوت وفي أماكن خاصة لها، وتقديم النذورلها. ومن طقوسهم أنهم يخرجون بها في موكب من الناس حاملين على رؤسهم أو على أكتافهم ويطوفون بها في قريتهم أو مدينتهم، فإذا انتهى المطاف يدفنونها في مكان خاص يسمونه «كربلاء».

ويحتفلون بشهرالمحرم، ويعتبرونه شهر الحزن- لمقتل حسين بن علي رضي الله عنه فيه- فلايتزوجون فيه، ويذكرن مقتل الحسين، ويقيمون المناحة، ويعقدون مجلس المراثي، وينحون باللعنة على الصحابة ويطعنون عليهم، ويدعون عليًا بالإمام وعليه السلام، وكذلك الحسين ابنه، ويعتقدون بأن عليا وصي الرسول ﷺ، ويفضلونه على الخلفاء الثلاثة، ويطعنون عليهم، وإذا مرض أحد يستشفون بذكر الخمسة قائلين:

لي خمسة أطفئ بها حر الوباء الحاطمه
المصطفى والمرتضى وابنا هما والفاطمة

---

(١) يصنع الشيعة من القرطاس والعود ما يشبه ضريح حسين بن علي- رضي الله عنه- ويعظمونه ويرفعونه على الرؤس، وتسمى«تعزية».

معظم هذه العقائد والأعمال قد تسربت إلى المجتمع الهندي المسلم، وتجذَّرت فيه، فكان أهل السنة يمارسون هذه الأعمال مثلما يمارسها الشيعة، بل ربما يفوقونهم في ممارستها في نشاط ورغبة.

وقد استخدم الشيعة أساليب من الرغب والرهب لنشر معتقداتهم و طقوسهم في المجتمع المسلم، فكانوا يُرَغِّبُون أهل السنة في ذلك بوقف الأراضي للحسينيات والمصطبات التي توضع عليها الضرائح. كما كان السراة والإقطاعيون من أهل السنة يمارسون طقوس الشيعة هذه، أو يتظاهرون بكونهم من الشيعة حفاظًا على إقطاعاتهم وأراضيهم.

ومن العجب أن أهل السنة من المسلمين كانوا يمارسون طقوس الشيعة وأعمالهم ولا يشعرون بأنها طقوس وثنية؛ بل يحسبونها جزءًا من الشعائر الإسلامية، ويعتزُّون بها ويعضُّون عليها بالنواجذ.

قد انصبغ المجتمع الهندي المسلم كله بصبغة الشيعة، وجرى منه الطقوس الشيعية مجرى الدم. فكان يجري على ألسنة عامة أهل السنة من غير شعور منهم «يا علي» إذا حَزَبَ الأمرُ وجَدّ الجدُّ، ويُسمى الأولاد: بـ بنده حسن (عبد حسن) ومولى علي (عبد علي) ، ويُذكرعلي رضي الله عنه بالإمام وعليه السلام، كما يُذكرا لأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما إلى ذلك.

بدء حملة الإصلاح

لقد رأى الإمام ولي الله الدهلوي انتشار المعتقدات الشيعية في المجتمع الهندي المسلم، وخطرها على عقائد أهل السنة من المسلمين، فبدأ حملة الإصلاح، حيث ألَّف «إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء» و«قرة العينين في تفضيل الشيخين» وأشبع فيهما قضية الخلافة وأحقِّيَّتها، وتفضيل الشيخين على غير هما من الصحابة بحثًا وتحقيقًا.

كما ألَّف نجلُه الشاه عبد العزيز الدهلوي «التحفة الاثناعشرية»، فهو كتاب قيم في موضوعه، لم يؤلف مثله في الرد على الشيعة. وقد قوَّض هذا الكتاب

بُنيان المذهب الشيعي وأسقط دعائمه.

ألف المؤلفون من الشيعة كتبًا شتى للردّ على هذا الكتاب العظيم؛ ولكنها لم ترتق إلى المستوى العلمي المطلوب، وأدرك المؤلفون أنفسهم بأنهم لم يتمكنوا من الردَّ عليه ردًّا كافيًا وافيًا.

وقد لقيت أسرة الإمام ولي الله ولا سيما نجله الشاه عبد العزيز أذى كثيرًا من الشيعة لقاءَ مؤلفاتهم عن الشيعة.

الإمام محمد قاسم النانوتوي وجهوده في الرد على الشيعة

ثم قام الإمام محمد قاسم النانوتوي بتأليف الكتب في الرد على معتقدات الشيعة، مثل: «هدية الشيعة»، و«الأسولة الخاملة»، و«أجوبة الأربعين» وأرسل الرسائل العلمية إلى من سأله عن الشيعة وعقائدهم وطقوسهم يرد فيها على معتقداتهم الباطلة وتقاليدهم الوثنية.

وقد أسهم الإمام بنفسه في حملة الإصلاح هذه، فقد كان تقليد وضع الضريح القرطاسي في بيوت أهل السنة من المسلمين ومساجدهم متَّبَعًا على عهده، وقد منع أحد تلاميذه من وضعه في مسجد في حي «محل» في ديوبند، فغضب عليه الناس من أهل السنة، وأصبحوا ضّده، فوقف بجانبه الإمام وأيّده قائلا: لن أسمح بممارسة هذا التقليد الشيعي أو أقتل. فلما رأى الناس جدّ الإمام وافقوه في رأيه وتركوا تقليد وضع الضريح في البيوت والمساجد للأبد.

وقد وُجِّه إليه أسئلة كثيرة فيما يتعلق بمعتقدات الشيعة وتقاليدهم السائدة في المجتمع الهندي، فأجاب على كلّ ذلك في صراحة ووضوح.

سُئل عن إيمان الشيعة وكفرهم، فأجابَ بالفارسية:

«شيعه وخوارج وغيرهم وأهل بدعت وأهواء نه مؤمن أند نه كافر، وهم مؤمن أند، وهم كافر، الغرض قسم ديگر أند».

أي: الشيعة والخوارج ومن إليهم، وأهل البدعة والأهواء ليسوا مؤمنين، ولا كافرين. وهم مؤمنون وكافرون كذلك. وجملة القول أنهم من النوع الآخر.

ثـم بـيَّن هـذا الإجمال بـأنهم ليـسوا مـن جماعـة المـسلمين؛ لأنهـم لا يتبعـون الكتاب والسنة[كما هو المطلوب منهم]، وليسوا من جماعة الكفار؛ لأنهم يقولـون بالتوحيـد والنبـوة، ولا يكـذِّبون الكتـاب والـسنة، وينطقـون بالـشهادة، ويـؤدُّون الـصلاة والزكاة والصوم والحج. وبجانب ذلك يعتقدون عقائد باطلة، ويتَّبعون أهواءهم، ممَّا يحول دون اتِّباعهم سواء السبيل.

الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وجهوده في الرد على الشيعة

كما قام العلامة المحدث رشيد أحمد الكنكوهي بالردّ على الشيعة، حيث ألف كتابه هداية الشيعة، وأفتى عن مئات الأسئلة التي وُجِّهت إليه عن الشيعة وأعمالهم لاسيما الضريح القرطاسي والاحتفال بشهر المحرم، أفتى عن كل ذلك في ضوء الكتاب والسنة دونما لينٍ وهوادةٍ.

فمثلا: سُئل: هل يجوز حضورُ الضرائح القرطاسية للتفرج؟، بينما يقول بعض الناس: لا بأس بمشاهدة الضرائح؛ لأنها كمشاهدة صورة الكعبة المشرفة التي يأتي بها الحجاج والمعتمرون، فما هو الحكم الشرعي في هذه المسألة ؟.

فأجاب: أنَّ الضريح القرطاسي وثن، وأما صورة الكعبة فمثل صورة البيت لا يعبدها أحد من الناس، فإن عبدها كُفِّرَ.

وكذلك سُئِلَ: ما هو الحكم الشرعي في اعتقاد يوم عاشوراء يوم مقتل حسين بن علي رضي الله عنه، وإقامة المناحة فيه، وعقد مجالس ذكر مقتله، وحكاية قصة مقتله، وإهداء الثواب والتصدق بالمال، والتبرك بما يُطبخُ فيه ويُوَزَّع من الطعام؟.

فأجاب: لا يجوز ذِكر مقتل الحسين في العشر من المحرم تَشَبُّهًا بالروافض، وأما إقامة المناحة فحرام، وأما حكاية ما لا يطابق الواقع فحرام على الإطلاق، و تحديد أيام للتصدق معتقدًا زيادة الأجر فيها بدعة وضلالة، وكذا تحديد الطعام بيوم باطل[1] .

(١) دارالعلوم: إحياء اسلام كي عظيم تحريك لأسير الأدروي، ص: ٢٩٦-٣٤٩، ط: دارالمؤلفين،

وسئل: أ كَفَرَةٌ الروافض أي الشيعة أم فَسَقة؟

أجاب: في المسألة اختلاف العلماء، والأرجح عندي كفر الروافض الهنود[(١)].

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وجهوده في الردّ على الشيعة

وقد تَبِعَهما في ملاحقة الشيعة والرد عليهم الشيخ خليل أحمد السهارنفوري المتوفى سنة ١٣٤٦هـ صاحب «بذل المجهود في حل أبي داود»، فأيام كان الشيخُ يَعملُ مدرسًا في مدينة «بهاولفور» ظهرَ كتابٌ لرافضي وهو «فرزند حسين» في مسألة الخلافة، وقد طعن فيه على الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، فطلب الناس من الشيخ أن يردّ عليه.

فتناول الشيخ كتابه بالدراسة والانتقاد، وألف في الرد عليه كتابًا ضخمًا أسماه «هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد» في نحو ٩٠٠ صفحة.

ثم درسَ مذهب الشيعة دراسة واسعة وألف كتابًا سماه «مطرقة الكرامة». كما ناظر علماء الشيعة مناظرات عديدة أشهرها مناظرة مدينة «أمروهه». بينما كان الشيخ خليل أحمد في المناظرة فيها إذ تُوُفِّي شيخ الهند محمود حسن الديوبندي في دهلي ونُقِلَ جثمانُه إلى ديوبند، حيثُ صُلِّيَ عليه ودُفِنَ. رغم ذلك لم يُغادر الشيخ إلى ديوبند، و إنما مكث في مدينة «أمروهه» بعد إسكاتهم وإفحامهم، لئلا يقول الناس: إنه فرَّ من المناظرة يجُرُّ أذيال الهزيمة.

الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي وجهوده في مقاومة الشيعة

ثم قام العلامة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي المتوفى سنة (١٣٨١هـ) المعروف في شبه القارة الهندية بـ«إمام أهل السنة والجماعة» بشنّ حملة واسعة للردّعلى الشيعة بأساليب متنوعة من المناظرة والتأليف وإصدار المجلة الشهرية.

ديوبند، مارس ٢٠٠٨م.

(١) باقيات فتاوى رشيدية للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، جمع وترتيب: الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي، ص: ١٩ الطبعة الأولى (١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م) أكاديمية مفتي إلهي بخش كاندهله، مظفر نغر، يوبي، الهند.

لم تُنجب الهند عالـمًا أوسع علمًا بالمذهب الشيعي، وأشمل دراسة له، وأكثر اطلاعًا على مصادره منه بعد الشاه عبد العزيز الدهلوي.

لقد درس الموضوع من مصادره، واشتغل به نحو نصف قرن، و وقف له حياته، وترك كتبًا ومؤلفات قيمة في الموضوع، لا يستغني عنها من يتصدى للرد عليه بعده.

بدأ العلامة حركته الواسعة في الردِّ على الشيعة من مدينة « لكناء» عاصمة الشيعة الحكومية والدينية في هذه البلاد، حيث ناظر «مقبول أحمد الشيعي» فسكَّته وبكَّته بأدلة لم يُحِرْ لها جوابًا.

لقد درس مصادر الشيعة دراسة واسعة، فتوصّل إلى أن الشيعة لا يؤمنون بالقرآن، وبالتالي لايؤمنون بنبوة محمد ﷺ وكونه خاتم النبيين، وتوفرت لديه أدلة قاطعة من كتبهم الموثوق بها على هذين الأمرين، فسأل: إن كانوا لايؤمنون بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ، فأي متسع لهم في الإسلام؟.

ظل يُقاوم الشيعة نحو نصف قرن، وناظر علماء الشيعة في مختلف مدن البلاد، فكلما ناظرهم كشف عُوارهم وأبدى سوأتهم وفضحهم على رؤس الأشهاد. وقد ساعده في هذا الأمر كتب الشيعة ومصادرهم التي يخفونها على ذوي العلم كالمال المسروق.

ومن أعماله الجليلة أنه أنشأ صحيفة «النجم » الأسبوعية من مدينة «لكناؤ»، ليستكمل بها حملته التي شنَّها ضِدَّ الشيعة، فكانت الصحيفة تثير القضايا والمسائل التي كانت تكون ذات صلة بالشيعة. لذلك كان قراؤها من الشيعة أكثر من أهل السنة والجماعة. وكان للصحيفة صدى وتأثير في الأوساط الشيعية. ويمكن معرفة مدى تأثيرها أن الصحيفة نشرت بحثا في موضوع «العصمة»، فقرأه أحد الموظفين الرسميين من الشيعة، وأعجب به أشدَّ الإعجاب. فقال لعلمائه: أجيبوا عن بحث العصمة الذي نُشِرَ في صحيفة «النجم» إجابة مقنعة، وإلا أعتنق مذهب أهل السنة والجماعة.

لقد كتب في مقاومة الشيعة والرد عليهم أكثر من عشرين ألف صفحة، وترك كتبًا قيمة في الموضوع لا غنى عنها للباحثين في موضوع الشيعة، وناظر علماءهم مناظرات كثيرة تسع مداولاتها ونشاطاتها مئات من الصفحات. وظلت جهوده هذه مستمرة حوالي نصف قرن.

هكذا أقام سدًا منيعًا في وجه التيار الشيعي في هذه البلاد، وأنقذ كثيرًا ممن تورطوا في حبائل الشيعة، وأرشد الذين كانوا يمارسون طقوسهم عن جهل إلى الصراط المستقيم.

ومن أهم مؤلفاته «سيرة الخلفاء الراشدين» و «الموسوية» و«القول المحكم» و«آيات محكمات» و«قاتلان حسين كي خانه تلاشي» (قتلة الحسين في محكمة التفتيش) و« تحريف كي خانه ساز حقيقت كا جواب» (الإجابة عن حقيقة التحريف المصطنعة) و« تنبيه الحائرين» و«أبو الأيمة كي تعليم» (موقف علي من الخلفاء الثلاثة) ، و« تحقيق آل وأهل بيت» و«نصرت غيبية» و«قاطع اللسان» و«شرح حديث الثقلين» و«مئتا مسألة فيما يتعلق بالمذهب الشيعي» وما إلى تلك.

كما أسلفت أنَّ مدينة «لكناؤ» ظلَّت عاصمة الحكومة الشيعية منذ قرون، وازدهر فيها المذهب الشيعي، لذلك فقد كانت أجواؤها غير مؤاتية؛ بل مسمومة للمسلمين من أهل السنة والجماعة. كان الشيعة حرقوا فيها تمثال عمربن الخطاب رضي الله عنه، وحظروا ذكر الخلفاء الراشدين والصحابة علنًا وإنشاد قصيدة في مديحهم في «لكناؤ» حظرًا قانونيًا، فلما انقرضت فيها حكومتهم، وقامت الحكومة الإنجليزية أقرَّت هذا القانون متعللة بالإخلال بالأمن.

تحدَّى الشيخ عبد الشكور هذا القانون، وساعده وأيّده الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عطاء الله شاه البخاري، وقال الشيخ المدني: إن مديح الصحابة وذكرهم حق لنا من الحقوق الدينية، لا يجوز الحظر عليه، ولن نتخلى عنه. ثم دعا المسلمين من أهل السنة إلى حركة التمرد على الحظر، وذلك عام ١٩٣٨م، ثم أدخل بعض تعديلات في القانون.

موقف علماء ديوبند من الثورة الإيرانية

ولما قامت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م على يد المدعو آية الله روح الله الخميني الذي كان يزعم أنه نائب إمام الشيعة الثاني عشر الغائب، والذي نجح لعوامل سياسية واجتماعية في القضاء على إمبراطورية الشاه محمد رضا بهلوي، ودعاها «ثورة إسلامية» وطبّل لها كثيرًا أعجب بها الشباب الإسلامي المتحمس، حتى من غير الشيعة، و أيَّدها بعض الجهات الإسلامية السنية في شبه القارة الهندية عن طريق كتبها وكتاباتها؛ لأنها أسكرها هتاف «الحكم الإسلامي» و «الحكومة الإسلامية».

بينما كان الخميني قد صرّح في كتبه الفارسية والعربية بمعتقداته المتعارضة مع الإسلام على طول الخط وعرضه وأفكاره المسمومة فيما يتعلق بالصحابة والقرآن.

هنالك قام الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله وألف كتابًا بالأرية سماه «إيراني انقلاب خميني اور شيعيت» (الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام) كشف فيه الغبار عن حقيقة الثورة الإيرانية، ورجلها المريض الخميني وأفكاره المتصادمة مع الإسلام وثوابته.

كما ألف الشيخ نور عالم خليل الأميني (رئيس تحرير مجلة الداعي وأستاذ الأدب العربي بالجامعة سابقًا) كتابه المعروف: «الصحابة ومكانتهم في الإسلام» بين فيها مكانة الصحابة في الكتاب والسنة وفي طبقات الأمة الإسلامية وجهودهم وجهادهم في تبليغ الدين إلى الأجيال القادمة.

بعد أمثال هذه المؤلفات أدركت الجهات الإسلامية - بالإضافة إلى الشباب المسلم المتحمس- خطأها الفادح في تأييد الثورة الإيرانية واعتبارها إسلامية.

جملة القول أنه أثمرت جهود هؤلاء العلماء المخلصين والدعاة والمصلحين، وفَعَلت فعلها في المجتمع الهندي المسلم، إلا أن العقائد الباطلة والتقاليد الوثنية التي كانت قد تسربت إليه من الفرق الضالة لاسيما الشيعة لم تَزُل بعدُ تمامًا.

فلـمَّا تخرّج جيشٌ عرمرمٌ من العلماء والدعاة والمصلحين من دارالعلوم بديوبند، وغيرها من المدارس الإسلامية المتبعة لها وقاموا بإلقاء المحاضرات الدينية في عامة المسلمين، وتوزيع الكتب الدينية فيهم، وتوفيرالتعليم الديني

لأولادهم، عادت الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها، حيث عرف جماهير المسلمين الحق من الباطل، والصحيح من الخطأ، فهجروا التقاليد الوثنية والعادات الباطلة، وتابوا إلى الله.

هذا وما زالت الجامعة -ولا تزال- ترصُد نشاطات الفرق الضالة وتحركاتها ولا تغفل عنها لحظة؛ لذلك فتُزَوِّدُ الطلاب في أقسام التخصصات بالمعلومات اللازمة عن الفرق الضالة، وذلك عن طرق إلقاء المحاضرات عليهم عن الفرق. ومن تلك الفرق الشيعةُ التي يتم إلقاء المحاضرة فيها.

مؤلفات مشايخ الجامعة وعلمائها في الرد على الشيعة

وأما مؤلفات علماء الجامعة في مقاومة الشيعة والرد عليهم فأهمها: «هدية الشيعة» للإمام محمد قاسم النانوتوي، و«الأجوبة الكاملة في الأسئلة الخاملة» للنانوتوي، و«أجوبة أربعين» للنانوتوي، و«هداية الشيعة» للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و«هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد» للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، و«مطرقة الكرامة في مرآة الإمامة» للسهارنفوري، و«إظهار الحقيقة»، و«إبطال أصول الشيعة»، و«الكافي للاعتقاد الصافي»، و«المنار»: رسائل السنة والشيعة، هي كلها للشيخ رحيم الله البجنوري، و«سيرة الخلفاء الراشدين» للشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي، و« الموسوية» للكنوي، و« القول المحكم» للكنوي، و« آيات محكمات» للكنوي، و«قاتلان حسين كي خانه تلاشي» (قتلة الحسين في محكمة التفتيش) للكنوي، و«إرشاد الثقلين» للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، و«دفع المجادلة عن آيات المباهلة» للأعظمي، و« إيراني انقلاب خميني اور شيعيت» (الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام) للشيخ محمد منظور النعماني، و«صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ» للشيخ أبي الحسن علي الندوي، و«حضرت معاوية أور تاريخي حقائق» (سيدنا معاوية والحقائق التاريخية) للشيخ المفتي محمد تقي العثماني.

***

(٥) المبتدعة

صنوف البدع والتقاليد في المجتمع الهندي

ظلَّ المجتمع الهندي المسلم عمومًا قبل الجهود الإصلاحية والدعوية طافحًا بصنوف من البدع والخرافات والتقاليد الوثنية والعادات الجاهلية؛ فأولياء الله الصالحون لهم التصرف في شؤون الناس، وقضاءُ الحاجاتِ. وتُقدَّم لهم النذور والقرابين، ويُحتَفَل بالأيام ذات الصلة بمواليدهم ووفَياتهم، وتُشَدُّ الرحال إلى قبورهم؛ لأنَّ زيارتها تَعْدِلُ الحج، وتُغطَّى بالأردية المُطرَّزة، وتُنثر عليها الأزاهير، ويجتمع الناس- رجالًا ونساءً- مختلطين حولها، يطوفون بها، ويسجُدون لها، ويسألون أصحابها الحوائج.

ويُعقد مجلسُ ميلادِ الرسول ﷺ يُنشد فيه مديح الرسول ﷺ، ويقوم من حضر- إذا ذُكِرَ اسمه ﷺ- إكرامًا له؛ لأنه ﷺ يحضر المجلس في زعمهم، و يعلم الغيب والشهادة.

وتُمارسُ تقاليد جاهلية لا تحصى بمناسبة الزَّواج والأفراح والأحزان. وإذا مات أحد فلايجوز لزوجته أن تنكح زوجًا آخر شأنَ النساء الهندوسيات المتوفى عنهن أزواجُهنَّ.

هذه وما إليها من التقاليد والخرافات كانت شائعة ومتوارثة في معظم قطاعات المجتمع الهندي المسلم.

أسباب البدع والتقاليد

ويرجِع وجود هذه البدع والتقاليد في المجتمع إلى الأسباب الآتية:

١- أن المسلمين كما تركوا أثرًا كبيرًا على سكان الهند من الهندوس وأنماط

حياتهم وأساليب عيشهم، كذلك تأثروا هم أنفسهم بهم في حياتهم الدينية والاجتماعية بحكم مساكنتهم وجوارهم وفقًا للتفاعل الاجتماعي.

٢- أنَّ المشايخ وعباد الله الصالحين قاموا بمهة الدعوة الإسلامية في الهند، فدخل الناس أفواجًا في دين الله على أيديهم، ولم يَتلقَّ الحديثو العهد بالإسلام تربية إسلامية، فبقي فيهم كثيرمن تقاليد دينهم القديم وثقافتهم القديمة، وظلوا يمارسون تلك التقاليد حتى بعد اعتناق الإسلام.

٣- وأنَّ معظم المسلمين في الهند أسلموا على أيدي المشايخ الربانيين ورجال التزكية والإحسان، فأكرموهم غاية الإكرام، وعظَّموهم أشدَّ التعظيم حتى تخطوا بهم إلى حدود الإلهية، واعتقدوا لهم حق التصرف والتأثير في شؤون الناس ومعاملاتهم، فنشأت فيهم بدع وخرافات و تقاليد لا تُحصى فيما يتعلق بمواليدهم ووفياتهم وقبورهم.

ثم إنَّ الملوك المسلمين قاموا ببناء القباب على قبورهم، ووقفوا لها الأراضي، ممَّا جَعَلها مزَارًا لعامَّة الناسِ في جانبٍ، ومصدر عيشٍ رغيدٍ لكثيرمن الأسر المسلمة التي تتولى الإشراف عليها.

٤- أنَّ كثيرًا من علماء السُّوء و المشايخ المحترفين استغلُّوا التقاليد والخرافات والجهل والأمِّية في المجتمع، فلم ينكروا عليها؛ بل أقرّوها و أيَّدوها وحافظوا على بقائها نيلًا للمكاسب المادِّية، وقد بلغ بهم التلاعب بالدين أنهم يُعفون الناس من الصلاة، ومن الصوم لقاء مبلغ أو طعام.

٥- أنَّ عددًا من الطقوس الوثنية في المجتمع الهندي كان مصدرها وجود الشيعة ودويلاتهم وأمرائهم وحكامهم الذين كانوا يستخدمون أساليب شتى لنشرا لمذهب الشيعي في هذه البلاد، فكان المسلمون السُّذج من أهل السنة والجماعة يُمارسون طقوس الشيعة وتقاليدهم من حيث لا يشعرون.

٦- وأنَّ فُشو الأمية، وقلة نسبة التعليم، والبعد عن الدين في المجتمع من أهم أسباب وجود وانتشار البدع والخرافات في المجتمع الهندي. لذلك فقد نرى

أنه عند ما انتشر التعليم في المجتمع قلَّت البدع و الخرافات وعاد كثير من الناس إلى الدين الصحيح.

حركة إصلاح المجتمع

بدأ الإمام ولي الله الدهلوي حركة إصلاح المجتمع وتطهيره من التقاليد الوثنية والعادات الجاهلية، فانتقدها انتقادًا شديدًا، وأنكر على علماء السوء والمشايخ المحترفين تأييدهم إياها، حتى شبَّههم بعلماء اليهود الذين كانوا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا.

ثم تقدَّم الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي بهذه الحركة، حيث ألَّفَ كتابيه: «تقوية الإيمان» و«الصراط المستقيم» في انتقاد البدع والتقاليد الجاهلية السائدة في المجتمع، فكان هذا الكتاب حربًا شعواء على البدع ومؤيديها من العلماء المحترفين.

كما ألقى خطبًا حماسيةً ساحرةً في إنكار البدع، وإصلاح المجتمع، وإرشاد الناس، وانتقاد علماء السوء، فهدى الله بها كثيرًا من الناس إلى الصراط المستقيم.

لقد أثارت جهود الشيخ حفيظةَ علماء السوء وسخطهم؛ لأنهم خافوا على مطامعهم المادِّية التي كانوا يُحصِّلونها باستغلال البدع والعادات الجاهلية في المجتمع. فرموه بالكفر، واستعانوا بالأمراء على فرض الحظر على إلقائه الخطاب في جامع دهلي، وحاولوا محاولات شتى لاغتياله.

حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

ثم بدأ السيد أحمد بن عرفان الشهيد (المستشهد سنة ١٢٤٦هـ) وصاحباه الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي جولته الإصلاحية والدعوية والجهادية، فزار السيد وصاحباه كثيرًا من مدن الهند وقراها يدعون الناس إلى الله، والتمسك بالسنة، وأداء الفرائض، وهجر البدع والخرافات، واجتناب النواهي والمنكرات. فكان الشيخ إسماعيل، والشيخ عبد الحي يقومان بالوعظ والإرشاد والإصلاح، فتاب على يده خلق لا يُحصي عددَهم إلا الله،

وتابوا عن الشرك، وعادات الجاهلية، وشعائر الوثنية، وبايعوا على الجهاد في الله.

كانت هذه الحركة موفقة جدًا، فنفع الله بها خلقًا يبلغ عددهم إلى الألوف. وانتهت الحركة بشهادة الإمامين: الشيخ السيد أحمد الرائ بريلوي، والشيخ محمد إسماعيل الدهلوي في بالاكوت سنة ١٢٤٦هـ [١].

جهود مشايخ ديوبند الإصلاحية والدعوية

ثم تقدَّم إلى المجالِ مشايخ ديوبند وعلماؤها- ورَثة أسرة الإمام ولي الله الدهلوي في العلم والدعوة والإصلاح والتوجيه- وقاموا - إلى مقاومة الفرق الضالة- بقيادة الحركة الإصلاحية والدعوية التي فجَّرها السيد أحمد بن عرفان الشهيد الرائ بريلوي والشيخ محمد إسماعيل الدهلوي لمحاربة البدع والخرافات والتقاليد الجاهلية والعادات الوثنية السائدة في المجتمع الهندي. وذلك بما يلي:

١- أنَّهم درسوا أنَّ وجود البدع والخرافات في المجتمع الهندي مرجِعُه الجهلُ بالدين، والبعدُ عن التعليم، وفُشُوُّ الأمِّية فيه، فإذا عرف الناس الدين، وانتشر التعليم في المجتمع تزول البدع والخرافات بشكل عفوي.

فقاموا بإنشاء دارالعلوم بديوبند، والجامعات والمدارس و الكتاتيب الإسلامية نشرًا للعلم الشرعي وتعميمًا للثقافة الإسلامية في المجتمع؛ فهي الآن تخرِّج فوجًا من العلماء سنويًا يقومون ببثِّ الوعي الديني ومحو الأمِّية في المجتمع الهندي.

٢- وأنَّهم أنشؤوا الزوايا للتزكية والتربية الإسلامية، منها زاوية الشيخ فضل رحمن الكنج مرادآبادي، وزاوية الشيخ عبد الرحيم الرائفوري، وزاوية الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و زاوية الشيخ أشرف علي التهانوي، فلهذه الزوايا دور كبير في إصلاح المجتمع، حيث إن كثيرًا من الناس- بفضل انتشار الوعي الديني- تركوا الحياة الحافلة بالبدع والخرافات، وعمدوا إلى الزوايا لتزكية

---

(١) إذا هبت ريح الإيمان، للشيخ أبي الحسن على الندوي، ص: ١٣-١٨.

نفوسهم وتهذيب أخلاقهم، فتلقوا فيها التربية الإسلامية، وعادوا يعيشون الحياة الإسلامية.

٣- وأنّهم قاموا عن طريق دور الفقه والإفتاء ببيان الحكم الشرعي في التقاليد والعادات السائدة في المجتمع، والإنكار عليها دونما لين وهوادة. فهذا الفقيه المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي يُجيب على ما يرد إليه من الأسئلة عن القبر وزيارته وتقبيله والاستعانة بصاحبه وما إليه في ضوء الكتاب والسنة، ولا يأخذه في الله لومة لائم.

فقد سُئل ما هو الحكم الشرعي في زيارة القبور وتقبيلها؟.

فأجاب بأن تقبيل القبور حرام، وهو عبادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وسئل هل يجوز دعاء أصحاب القبور؟.

فأجاب بأن من دعا أصحاب القبور بأن يقضوا له الحاجة فهذا حرام وإشراك بالله، وأما أن يدعوا الله له فهذا أمر مختلف فيه بين القائلين بسماع الموتى وعدمه، وإني لا أقضي بين المسائل المختلف فيها، وإنما أختار الأحوط [أُوْثِرُ عدم الجواز].

وكذلك سئل: ما هو الحكم الشرعي في إطعام المساكين في أيام محدَّدة من ربيع الأول، والمحرام الحرام، والشهور الأخرى ذات الصلة بمواليد ووفيات المشايخ والصالحين؟ وهل يجوز أكل هذا الطعام أم لا؟.

فأفتى بأنَّ تحديد الأيام هذا بدعة وضلالة، وأما الطعام – إن كان المطعم ينوي إهداء الثواب للمشايخ- فأكله مباح. وإن كان يطعم باسم المشايخ – دون أن ينوي إهداء الثواب لهم- فأكله حرام ويأتي ضمن «ما أهل به لغيرالله». وأمثال هذه المعتقدات تؤدي إلى الكفر.

وكما سئل: ما هو الحكم الشرعي فيما يجتمع القراء والأقارب والمعارف في اليوم الثالث بعد وفاة الرجل، ويقرؤون سورًا وآيات معينة من القرآن، ثم يدعون رافعي أيديهم يُهدون للميت ثواب ما قرؤوا. بعد ذلك يعطي أهل الميت القُرَّاء

كمية من الحبوب ؟

أجاب: بأن الاجتماع للميت في اليوم الثالث تشبه بالهندوس؛ لأنه عادة متّبَعة لديهم، فهو حرام لقوله عليه السلام: «من تشبَّه بقوم فهو منهم»، وأما تحديد اليوم الثالث فبدعة لا أصل له في الشريعة، وأما القرَّاء فهم يقرؤون القرآن طمعًا في المال. وأهل الميت يعرفون ما يعطونهم من الأجرة، كما يعرفون هم أنفسهم- القراء- ما ينالونه، فما قرئ من القرآن كسبًا للأجرة فلا ثواب عليه للقارئ، ولا للميت. فهذا تصرف باطل وتعامل حرام. وهذا ليس تصرفًا يُثَابُ عليه، وإنما هو معصية، ولا ثواب فيه للميت. ويأثم كل من معطي الأجرة وآخذها.

ومن التقاليد المتبعة في الهند أنه يُعْقد مجلسُ ميلاد في البيوت مرتين أو ثلاثًا أو أكثر في سنة، وللمجلس آداب وطقوس خاصة تمارس فيه، فسُئل عن عقد هذا المجلس، فأبان مشايخ ديوبند الحكم الشرعي له في فتوى وقَّع عليها الشيخ الكنكوهي وأضاف:

إن مجلس الميلاد السائد في هذه الأيام بدعة، ومكروه كراهةَ تحريم؛ لأنه يداخله أمور مكروهة، وأما القيام فيه لما فيه من خصوصية فبدعة، وأما إنشاد المُرْد المدائح النبوية فمكروه لأنه مثير للفتنة، وقراءة الفاتحة بشكل متبع بدعة، إلى كونها تشبُّهًا بالهندوس؛ لذلك فهومحظور، وأما إهداء الثواب بدون هذا الشكل فجائز، وأما تحديد اليوم الثالث أوالعاشر أوالأربعين فمن تقاليد الهندوس. وإهداء الثواب من غير تحديد يوم وتشبه بقوم آخرين جائز.

كذلك وقّع الشيخ الكنكوهي على فتوى صادرة من عدد من العلماء الهنود يحرم فيها الاستمداد بالقبور.

وقال في زيارة قبور المشايخ:

«إن زيارة الناس قبور المشايخ، وضربهم آباط الإبل إليها من أماكن نائية، وتحمل مشاق السفر في سبيل الوصول إليها مما يؤدّي بهم إلى ظلمات الشرك، ويقرِّبهم إلى غضب الرحمن. فهم يعتبرون هذا السفر كالحج بل أفضل منه، ويُحرِمون

بلباس الإحرام، ويأخذون أنفسهم بأمور يُراعونها في السفر. وجملة القول أن السفر إلى قبور المشايخ ينفعُ نقيّ السرائر بعضَ النفع، إلا أنه يضر عامة الناس ضررًا لايُوصف. فعلى عامة الناس وخاصتهم أن يجتنبوا هذا السفر كلَّ الاجتناب»[1].

هذا إلى أن مشايخ ديوبند ومتخرجيها ألفوا كتبًا شتى في إنكار البدع والخرافات مثل: «تحذير الناس» للإمام محمد قاسم النانوتوي، و«براهين قاطعة» للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، و«حفظ الإيمان»، و« إصلاح الرسوم» للشيخ أشرف علي التهانوي، وما إليها.

فذلكة الكلام أن مشايخ ديوبند تتبعوا جميع التقاليد الوثنية والعادات الجاهلية الضاربة الجذور في المجتمع الهندي وبيَّنوا حكمها في ضوء الكتاب والسنة، ولم تأخذهم رأفة في دين الله، مهما يجلب لهم ذلك استياء وغضبًا من عامة الناس وخاصتهم.

رميهم بالوهابية

هذا وقد غاظت حركتهم الإصلاحية والتوجيهية هذه مجموعة من العلماء، وهم علماء السوء الذين كانوا يريدون أن يكون المجتمع غارقًا في أوحال الخرافات والتقاليد التي لم ينزل الله بها من سلطان، ليجعلوا عامة الناس فريسةً طيَّعةً لتحقيق أطماعهم المادية. لم يكن بوسع هؤلاء أن يُدعِّموا هذه البدع والخرافات بالأدلة الشرعية؛ لأنَّ بطلانها كان ظاهرًا. إلا أنهم استخدموا سلاحًا آخر لمحاربة هولاء الدعاة والمصلحين، وهو سلاح الدعاية الكاذبة والتشهير بهم والافتراء عليهم حتى يعودوا غير موثوق بهم في نظر عامة المسلمين، فتتبخَّر جهودهم ومحاولاتهم للإصلاح والإرشاد والتوجيه.

رموهم بالوهابية – لتشابه حركتهم بحركة مُجدِّد الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نشر عقيدة التوحيد المتوارثة عن السلف وإنكار البدع

(١) فتاوى رشيدية كامل ص: ١٨٣ هامش ٢ ص ١٦٩.

والخرافات- شأنَ الإنجليز الذين طالما جرَّبوا هذا السلاح ضدَّ أعدائه، وأشاعوا ضدَّهم بأنهم يحاربون الضرائح القرطاسية، ويهدمون المصطبَّات التي توضع عليها الضرائح، ويُحرَّقون الأعلام التي تُرفع في المحرم، وينهون عن الدعاء لدى مقابر المشايخ وأولياء الله، وإنارتها بالشموع، وعقد مجلس الميلاد؛ لذلك فهؤلاء – في زعم المبتدعين- وهابيون وكفرة مرتدون، يجب على المسلمين تكفيرهم، ومن لم يُكفِّرهم فهو كافر، وهم أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي الذي كان قد خرج لهدم القبة الخضراء على قبر النبي ﷺ؛ فهو وأتباعه كفرة مرتدون.

وهبَّ منهم عالم وهو الشيخ عبد السميع الرامفوري وألَّف كتابا باسم «أنوار ساطعة» أيَّد فيه مسلك أهل البدع والأهواء، وهو أول كتاب أُلِّف في مناصرة البدع والخرافات وتأييدها. وقد قام الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بالرد عليه في كتاب أسماه «البراهين القاطعة»، وأشبع فيه موضوع السنة والبدعة بحثًا وتنقيحًا.

حركة التكفير يقودها أحمد رضا خان البريلوي

ثم قام أحمد رضا خان البريلوي المتوفى١٣٤٠هـ رأس أهل البدع والأهواء، وبتر نصوصًا من كتب كلٍ من الإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ أشرف علي التهانوي، و حملها على معانٍ لم يردها أصحابها واستنبط منها عقائد باطلة من إنكار ختم النبوة، وإمكان كذب الله عزَّوجل، وعلم إبليس اللعين أكثرمن علم سيدنا محمد ﷺ، وما إلى ذلك.

والطريف أنه قرن نصوص كتب المرزا غلام أحمد القادياني ومعتقداته الباطلة إلى نصوص هؤلاء المشايخ، ممَّا قوَّى دعواه. فكفَّرهم جميعا في كتاب سماه «المعتمد المستند» وذلك عام ١٣٢٠م.

ثم نقل تلك النصوص إلى العربية، وسافرإلى الحجاز سنة ١٣٢٤هـ واستفتى علماء الحرمين الشريفين عن أصحاب هذه العقائد.

ولما كانت العقائد التي عزاها الرجل إليهم باطلة أفتى علماء الحرمين

بتكفيرهم، ثم عاد إلى الهند ونشر تلك الفتوى في كتاب سماه «حسام الحرمين».

وبعد ما عاد إلى الهند اطَّلع علماء الحرمين على دجل وخداع الرجل في حمل نصوص المشايخ على غير محاملها واستنباط العقائد الباطلة منها، فاستوضحوا المشايخ بأسئلة عن تلك العقائد، فكتب الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إجابات على تلك الأسئلة، وأوضح أنهم يعتقدون بنفس عقائد أهل السنة والجماعة، وسمى هذه الإجابات «المهند على المفند».

كما ألّف شيخ الإسلام حسين أحمد المدني كتابه المعروف بـ«الشهاب الثاقب» كشف فيه الستار عن خيانة أحمد رضا خان وافترائه.

وقد بيَّن كلٌّ من هؤلاء المشايخ المستهدفين في كتاباتهم أنهم براء من تلك العقائد، ويكفِّرون من يعتقد بها، وأنها لم تخطر لهم على بال بَلْهَ الاعتقادَ بها.

ونتيجةً لمحاولة الرجل الماكرة الخبيثة أصبح أهل الأهواء والمبتدعون فرقة تسمى «البريلوية»أو «الرضاخانية»، وهم يُكفّرون مشايخ ديوبند وعلماءها ومنسوبيها، ويُكفِّرون من لا يُكفِّرهم، ويخلعون الشرعية على جميع البدع والخرافات والعادات السائدة في المجتمع.

وقد شرح مشايخ ديوبند نصوصهم، وبينوا معانيها غيرمرة وأوضحوا عقائدهم حتى يتبين الحق للناس، كما ناظروهم مناظرة تلو مناظرة على رؤوس الأشهاد ليحقوا الحق ويبطلوا الباطل، إلا أنهم- المتبدعين- لم يكفُّوا عن تكفيرعلماء ديوبند، ولم يُقْلِعوا عن ممارسة البدع واتباع الأهواء مكابرة وعنادًا [١].

ومن مشايخ ديوبند وعلمائهم الذين ناظروهم الشيخُ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ أسعد الله الرامفوري، والمفتي محمود حسن الكنكوهي، والشيخ أبو الوفاء الشاهجهانفوري، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ إسماعيل السنبهلي،

(١) دارالعلوم ديوبند احياء اسلام كي عظيم تحريك، ص: ٣٥١-٤٣٥.

والشيخ نور محمد التاندوي، والشيخ إرشاد أحمد الفيض آبادي، ومن إليهم. كما ألفوا في هذا الموضوع كتبًا كثيرة بلغ عددها حوالي ٨٠ كتابًا، أخص منهم بالذكر الشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ نور محمد التاندوي، والشيخ سرفراز خان صفدر، ومن إليهم.



(٦) اللامذهبية

مازال مُعْظَم الملوك والأمراء والحكومات الإسلامية في الهند منذ الفتح الإسلامي يَتَمَذْهَبُون بالمذهب الحنفي، فيُنْصَب القضاة وأصحاب الفتيا في المحاكم وِفْقَه، وتجري المعاملات والأقضية في ضوئه، ويُدَرَّس في المدارس كتبُه، حتى قام بعض الملوك المسلمين بتدوين كتب الفتاوى كـ«الفتاوى الهندية»، و«الفتاوى التاتارخانية» في الفقه الحنفي ليتخذوها دستورًا لحكومتهم.

وكذلك أهالي الهند المسلمون ظلُّوا يعملون بالمذهب الحنفي وفقًا للقول السائر: الناس على دين ملوكهم، ولم يَعْهَدُوا مذهبًا آخر، اللّهم إلا المذهب الشافعي في جنوب الهند، فكانوا – الأحناف والشوافع – إخوانًا متحابِّين، لم تكن بينهم خلافات وإحَن مذهبية.

لم يشهد التاريخ الإسلامي في الهند فيما قبل الاحتلال الإنجليزي أنَّ عالمًا من العلماء نبذ التقليد، أو طعنَ على إمام من الأئمة الأربعة، أو أثارَ مسائل خلافية تؤدِّي إلى الافتراق بين المسلمين.

قال الشيخ النواب صديق حسن خان القنوجي البوفالي أحد كبار علماء اللامذهبية:

«...إنَّ أحوال المسلمين في الهند منذ أن اعتنق أهلها الإسلام حتى يومنا هذا هم يتّبِعُون الإمام أبا حنيفة؛ لأنّ الناس على دين ملوكهم، يُحِبُّونهم ويختارون طرقهم ومسلكهم. والملوك والأمراء والقضاة كلهم كانوا على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة»[١].

---

(١) ترجمان الوهابية، ص: ١٠

ما زالت الحال كذلك حتى سقوط الحكومة الإسلامية المغولية على أيدي الإنجليز، فأقاموا حكومتهم على أنقاضها، و جعلوا أهلها شيعًا وطوائف، يُنعِمون على من يُوَاليهم ويخدم مصالحهم، ويَصُبُّون سوط العذا ب على من يعاديهم ويحاربهم. ومن الطوائف التي نشأت خلال حكمهم في الهند «اللامذهبية».

نشأة اللامذهبية

فيما يغلب على الظن أن اتجاه التحرر من التقليد والطعن على سلف الأمة وأئمتها العظام قد نشأ بعد شهادة الإمامين الشهيدين: الإمام أحمد بن عرفان الرائ بريلوي، والإمام إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي في معركة «بالا كوت» عام ١٢٤٦هـ، وصاحب هذا الاتجاه هو عبد الحق بن فضل الله البنارسي المتوفى سنة ١٢٧٦هـ الذي كان في قافلة الإمام أحمد بن عرفان في سفره إلى الحجاز، فطرد منها لشذوذه في الآراء والاتجاهات.

قال الشيخ عبد الحي الحسني:

«... ثم سافر إلى الحجاز في ركب السيد الإمام أحمد بن عرفان البريلوي، فلما وصل إلى المدينة المنوَّرة بعد الحج تكلم في بعض المسائل الخلافية على عادته، وتفوَّه في حق المجتهدين، ورمى بالضلال أصحاب المذاهب الأخرمن الأحناف والشافعية، وكان إذ ذاك الشيخ محمد سعيد الأسلمي بالمدينة المنوَّرة فوشى به إلى القاضي فلمّا علمَ ذلك عبد الحق خرج من المدينة مختفيًا وذهب إلى الجزيرة... كان عبد الحق لا يتقيَّد بمذهب ولا يُقلِّد أحدًا في شيء من أمور دينية، بل يعمل بنصوص الكتاب والسنة، ويجتهد برأيه، ولذلك جرت بينه و بين الأحناف مباحثات كثيرة في الاجتهاد والتقليد، ومن مصنَّفاته «الدُّر الفريد» في المنع عن التقليد»[1].

هو أول من سعى في نشر هذا الاتجاه وترويجه في منطقة «بنارس».

---

(١) نزهة الخواطر، ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠.

قال الشيخ عبد الخالق المتوفى سنة ١٢٤٧هـ:

«إن مؤسس هذه الفرقة الجديدة -فرقة غيرمقلدة- هو عبد الحق البنارسي الذي يقيم منذ أيام في «بنارس». وقد خلعه عن البيعة وطرده من الجماعة أميرُ المؤمنين- السيد أحمد الشهيد- نظرًا إلى أعماله الشنيعة ومعتقداته القبيحة. وأفتى علماء الحرمين بقتله، ولكنه هرب من هناك مختفيًا» [1].

نشرالرَّجُل أفكاره واتجاهاته من التحرر من التقليد، وعدم التقيد بمذهب من المذاهب، والطعن على الأئمة بعد شهادة الإمام أحمد بن عرفان عام ١٢٤٦هـ، وادَّعى أنه خليفته. فقام خلفاء الإمام وأصحابه باستفتاء علماء الحرمين الشريفين عنه، فأفتوا بأنه ضالٌّ ومضِلٌّ، ثم وقّع عليها خلفاء الإمام وأصحابه.

ثم أفتى كلٌّ من الشيخ إسحاق الدهلوي المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، والشيخ المفتي صدر الدين آزرده المتوفى سنة ١٢٨٥هـ، والشيخ عبد الخالق المتوفى ١٢٤٧هـ بضلال أصحاب هذا الاتجاه. وقد نُشِرت هذه الفتوى مقرونة بفتوى علماء الحرمين سنة ١٢٥٤هـ.

كان عبد الحق هذا رافضيًا تسلَّل إلى صفوف المسلمين لإيقاع الوقيعة والافتراق بينهم، ونشر الاتجاهات الهدّامة فيهم، وقد اعترف بتشيعه ورفضه للمقرئ عبد الرحمن الفاني فتي، يقول المقرئ:

لقد أخرج عبد الحق آلافًا من أهل السنة والجماعة – بحيلة العمل بالحديث- من ربقة التقليد... وقد اعترف لي بأن عائشة – رضي الله عنها- ارتدَّت لمحاربتها عليًّا – رضي الله عنه- فلو ماتت بدون توبة ماتت كافرة. العياذ بالله.

وأضاف قائلًا: «إنَّ الصحابة كانوا قد حفظوا الأحاديث خُماسَ، وأنا حفظت جميع الأحاديث، وإن علمي أكبرمن علمهم».

«وبعد مدة قابل هذا الرافضي رافضيًا آخر كان موظفًا في ديوان الأمير في

(١) الحركة السلفية في شبه القارة الهندية، ص: ٣٤- ٣٥.

«بنارس»، وهو الشيخ غلشن علي، وهمس إلى أذنه قائلا: «أنا شيعي وكنت اخترت التقية، والآن أعلن شيعتي، وعملت عملًا لم يعمل عبد الله بن سبا متقنعًا بقناع العمل بالحديث. وقد أخرجت ألوفًا من مقلدي المذهب من قيد التقليد. والآن سهل لهم أن يتحوَّلُوا إلى التشيع. فالشيخ غلشن علي وظَّفه على راتب شهري قدره ثلاثون روبية عوضًا عن هذه الخدمة الجليلة»[(١)].

أخذ هذا الاتجاه ينتشر رويدًا رويدًا في المسلمين، فاعتنقه بعضهم، حتى أصبحوا شرذمة قليلة، ولم يكونوا يُعرفون في بداية أمرهم باسم خاص. ثم تسمَّوا بعدد من الأسماء، مثل: «المحمدي» و«الأثري» وفي الأخير«أهل الحديث» الذي حصلوا عليه من الحكومة الإنجليزية. وبعد اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية واتصال حبالهم بها تسلَّف بعضهم، ونسبوا أنفسهم إلى السلفية.

ومن العجب أنَّ الفرق التي ظهرت في تاريخ المسلمين سَمَّتها بأنفسها بالأسماء وعُرِفَت بها فيهم، وأما هذه الشرذمة فقد حصلت لنفسها- بعد جهد جهيد- على الموافقة على اسم «أهل الحديث» من الحكومة الكافرة!!.

والحق أنهم ليسوا بأهل الحديث بالمعنى المعروف في الماضي، وإنما استعاروا هذا الاسم لأنفسهم ليخدعوا به المسلمين، فجُلُّ تركيزهم على تخليص مقلدة المذهب الحنفي من قيد التقليد، والطعن على الإمام أبي حنيفة وأتباعه، وإثارة المسائل الخلافية الفرعية، وإحداث البلبلة الفكرية في المسلمين، وشق عصاهم. فهم باسم «اللامذهبية» أحقّ منهم بأهل الحديث.

أشهرعلمائها

لقد عمِل على نشر اللامذهبية ثلاثة من كبار علمائها، وكان لهم علاقات وثيقة مع الإنجليز، فحصلوا من الحكومة الإنجليزية على الألقاب و الامتيازات والإقطاعات.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٥-٣٦.

أحدهم النواب صديق حسن خان القنوجي البوفالي أحد أئمة اللامذهبية وأقطابها، يلقِّبه اللامذهبيون بـ «إمام السنة، وخاتم المحدثين، ومجدد الهند». ولد ١٩/ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨هـ في خؤولته بمدينة «بريلي» بولاية «أترابراديش»، وبعد ما تلقّى الدراسة الابتدائية والمتوسطة من مختلف الأساتذة أخذ الدراسات العليا عن الشيخ المفتي صدر الدين آزرده، والشيخ عبد الحق البنارسي مؤسس اللامذهبية.

كان من أسرة فقيرة، يعيش عيشًا ضنكا، وقد شرفته الأميرة شاهجهان بيغم رئيسة إمارة «بوفال» بزَواجها منه، وقد كانت أرملت في شرخ شبابها، وكان هذا الزواج بمباركة وموافقة ومشورة الحكومة الإنجليزية.

فبعد هذا الزواج طاب عيشه، وعَلَت مكانته، وازداد نفوذه.

كان يرفض التقليد، ولا يرى الاحتجاج بأقوال الصحابة في تفسيرالقرآن، بَلْهَ أقوال الأئمة الأربعة. «وكان له سوء الظن بأئمة الفقه والتصوف لا سيما الإمام أبي حنيفة».

وكان يقول: منهجنا العملُ بما تقتضي أدلة الكتاب والسنة، ولا نعمل بآراء من تقدم من العلماء والمجتهدين[1].

وقد أكّد ولاءه ووفاءه للإنجليز، وعدم جواز الجهاد ضدّهم حيث قال:

«وقد ظهرت لنا بعد البحث والتحقيق، أنه ليس هناك فرقة أشد إخلاصًا وولاءً وطلبًا للأمن والسلام، وراحةً لرعايا الدولة، من تلك الفرقة التي تدَّعي لنفسها لقب «أهل السنة والحديث» وليسوا مقلدين لمذهب خاص».

وقال:

«لايجوز للمسلمين أن يعارضوا الدولة الإنجليزية، وأن يشكوا في كونها[الهند] دارًا للإسلام».

---

(١) المحاضرة الأولى في الرد على اللامذهبية، ص: ٢٥.

و أضاف قائلا:

«إن الحرب التي وقعت عام ١٨٥٧م لم تكن حربًا شرعيًا ولا جهادًا شرعيًا. وكيف يكون الجهاد الشرعي؟ إن الأمن والسلام اللذين كانا متوفرين في ظل حكومة بريطانيا، فقد وقع فيهما خلل كبير»[١].

واجتهد بنفسه فاستنبط مسائل تعارض الكتاب والسنة، فمنها ما يلي:

١- المني، والخمر، والميتة، والكلب، والخنزير، وبول الحيوانات كلها طاهر.

٢- تصح صلاة المرأة دون أن تستر عورتها.

٣- لا ربا فيما عدا الأشياء الستة.

٤- يجوز أكل صيد مات بإطلاق رصاصة البندقية عليه.

٥- يكفي التضحية بشاة عن بيت واحد، مهما كان يشتمل على مئة رجل[٢].

توفي ٢٩/ جمادى الآخرة ١٣٠٧هـ.

ثانيهم الشيخ ميان نذير حسين السورج كرهي الدهلوي وُلِدَ بقرية «سورج كره» بمديرية «مونغير» بولاية «بيهار» سنة ١٢٢٠هـ، وهو من كبار علمائها، يلقِّبه اللامذهبيون بـ«شيخ الكل في الكل»، وقد بذل في نشر اللامذهبية ٧٥ عامًا من عمره، وتلمذ عليه عدد كبير من علماء اللامذهبية[٣]. وهو أول من نادى برفض التقليد في «دهلي» وما حولها، وقاد حركة التحرير من تقليد أئمة المذاهب، وزرع هذه الشجرة الخبيثة، وسقاها بماء الحقد والكراهية، وشجّع تلاميذه على تعهدها ورعايتها بمباركة من الاستعمار. وأنكر حجية أقوال الصحابة وأفعالهم، وأنكر من الدلائل الشرعية الإجماع والقياس. وأنكر معجزات الرسول

(١) الحركة السلفية في شبه القارة الهندية، ص: ٢٤-٢٥.

(٢) المحاضرة الأولى في الرد على اللامذهبية، ص: ٢٦.

(٣) المحاضرة الأولى في الرد على اللامذهبية، ص: ٢٩

ﷺ بإنكار حجية أخبار الآحاد، وكان لا يرى الجهاد ضد الإنجليز في الهند بل كان يواليهم ويلقي إليهم بالمودة[1].

فلما بلغ الظلم والاضطهاد من الإنجليز منتهاه عام ١٨٥٧م أفتى عدد من علماء «دهلى» بالجهاد ضدَّ الإنجليز، ووقّعوا على الفتوى، أما الشيخ نذير حسين فقد امتنع عن التوقيع عليها.

وقد أخذ بعض الإفرنجيات المصابات بالجروح أيام ثورة عام ١٨٥٧م إلى منزله وقام بتمريضهنَّ... ثم لما استتب الأمن أعادهن إلى معسكر الإنجليز، فبناءً على ذلك نال هو وأصحابه وثيقة الأمان من الحكومة الإنجليزية[2]. وتوفي سنة ١٣٣٠هـ.

وثالثهم الشيخ محمد حسين البتالوي ولد سنة ١٢٥٦هـ، وهوأحد تلاميذ الشيخ ميان نذير حسين الدهلوي، وقد لازمه و قرأ عليه المشكاة والصحاح الستة وصحبه مدة طويلة. ومن كبارعلماء اللامذهبية المعروفين. نشر-عن طريق صحيفته« إشاعة السنة» التي كان يصدرها- اللامذهبية، وهو الذي حَصَّل الموافقة على اسم «أهل الحديث» لشرذمته من الإنجليز، كان شديد التعصب لفئته، «يرد على كل من يخالفه فأفرط في ذلك وجاوزعن حد القصد والاعتدال، وشدد النكير على مقلدي المذاهب الأربعة لاسيما الأحناف، وتعصب في ذلك تعصبًا غير محمودٍ، فثارت به الفتن»[3].

وقد فاق في ولائه للإنجليز ووفائه لهم سلفه الراحل من الشيخ صديق حسن خان، والشيخ نذير حسين، حيث ألف رسالة في نسخ الجهاد باسم «الاقتصاد في مسائل الجهاد» قال فيه:

«إن الهند دار الإسلام؛ فلا يجوز الجهاد فيها، بل لايجوز الجهاد في العالم كله

---

(١) الحركة السلفية في شبه القارة الهندية، ص: ٣٤-٤٠.

(٢) المحاضرة الأولى في الرد على اللامذهبية، ص: ٣١.

(٣) نزهة الخواطر، ٧/ ٧٢٨.

في هذه الأيام».

فكافأه الإنجليز على ذلك بالإقطاع [١].

من معتقداتها ومسائلها الفقهية

١- أفعال الصحابة لا تنتهض للاحتجاج بها.

٢- اجتهاد الصحابي ليس بحجة على الأمة.

٣- إجماع أصحاب الرسول ﷺ ليس بحجة.

٤- سنة الخلفاء الراشدين لا تصلح للعمل بها.

٥- القياس ليس بشيء.

٦- نكاح المتعة حلال.

٧- لا أفضلية للشيخين.

٨- إنكار ثبوت المعجزات بخبر الآحاد.

٩- القرآن ليس معجزة مستمرة.

١٠- الأحاديث المرسلة، والمنقطعة، والحسان، والصحاح، والضعاف غير مقبولة.

١١- الثواب لا يصل إلى أرواح الموتى.

١٢- حادثة الإفك كذبة كبرى.

١٣- كان بعض أصحاب الرسول ﷺ فسقة.

١٤- رفض التقليد واعتباره كفرًا وشركا. [٢]

وتلك غيض من فيض من معتقدات ومسائل علماء اللامذهبية التي هي متفرقة في كتبهم.

---

(١) المحاضرة الأولى في الرد على اللامذهبية، ص: ٣١-٣٢.

(٢) الحركة السلفية في شبه القارة الهندية، ص: ١٢٠- ١٢١.

نشاطاتها

لقد نشأت حركة اللامذهبية وتطورَّت تطوُّرًا مدهشًا إبَّان الحكم الإنجليزي في الهند؛ وذلك لأن الإنجليز كانوا يرعونها ويستخدمونها وسيلة للتفريق بين المسلمين. فلما بدأ كفاح استقلال البلاد اضمَحلَّت وفترت؛ لأنَّها حُرِمَت عناية أوليائها: الأنجليز. ثم إنه لما تمّ اكتشاف البترول في المملكة، واتصلت حبال اللامذهبية بها تقمّصت «السلفية المصطنعة» حصولًا على المال والمادة.

وولّى أبناؤها وأتباعها وجوههم شطر المملكة، وأقنعوا أصحاب الخير والنفوذ فيها بأن مسلمي شبه القارة الهندية كلهم- ما عدا أتباع السلفية المصطنعة- في بدعة وضلال [١]، فلا بدّ من إنقاذهم منه، فابتزوا ثرواتهم وأفرغوا جيوبهم باسم «الدعوة إلى الله» أو«إصلاح العقيدة». وما دعوتهم إلا تحرير المسلم الحنفي من قيد التقليد. كما قال أحد [٢] علماء اللا مذهبية المعاصرين في خطاب وجهه إلى بعض إخوانه في الهند:

«والله إن دعوة المسلم الحنفي إلى الصراط المستقيم- السلفية- أهم عندي من دعوة الكافر إلى الإسلام» [٣].

و لهذا الغرض النبيل السامي يقيمون المدارس والجامعات في الهند، كما صرَّح العالم المذكور أعلاه في الخطاب نفسه: «أن الهدف الأساسي من تأسيس جامعة ابن تيمية [في بيهار بالهند] هو القضاء على الجرثومة الحنفية النجسة» [٤].

ومن نشاطاتهم المباركة في المملكة تشويه صورة مشايخ دارالعلوم بديوبند

---

(١) كما اعترف المدعو محمد لقمان السلفي الجنبارني باحث فتاوى ومدير إدارة الترجمة بمكتب سماحة المفتي العام للمملكة في خطابه المرسل إلى محمد أرشد السلفي: حيث جاء فيه: «إني أقنعت الحكومة السعودية جيدًا أن جميع الفرق في الهند وباكستان على الزيغ والضلال ما عدا الجماعة السلفية».

(٢) وهو محمد لقمان السلفي الجنباري المذكور.

(٣) الحركة السلفية في شبه القارة الهندية، ص: ١٨٤-١٨٥.

(٤) المصدر نفسه.

وعلمائها وعدهم في عداد الفرق الضالة، وذلك إما باستخدام النفوذ في أوساط المملكة، وإما بتأليف الكتب مثل «الديوبندية»(١) و«هل علماء ديوبند من أهل السنة والجماعة؟». تتجلى في هذه الكتب عداوتُهم الشديدة لعلماء ديوبند، حيث قاموا فيها بتتبع زلّاتهم وسقطاتهم، وما جاء في كتب التراجم والمجالس من قصص وروايات، ورؤى ومنامات، أو جمعوا نقولًا غير أمينة مما جاء في كتب معارضيهم من القبوريين والبريلوين، واعتبروا كلّ ذلك عقائد لهم.

وقد نبذوا الأمانة العلمية وراء ظهورهم، حيث لم يتصفَّحوا لمعرفة عقائد علماء ديوبند ما ألَّفوه من الكتب في العقيدة والتفسير والحديث، وما أصدروا من فتاوى بلغت مجلدات ضخمة، تركوا هذه المصادر الأولية كلها، واعتمدوا على ما لا يُعتبر مصادر في الموضوع، وعلى المصادر الثانوية غير الموثوق بها، وذلك ليس عن جهل، وإنما عن عمد، ونسبوا إليهم من العقائد والمواقف ما هم منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ملاحقة علماء ديوبند اللامذهبية

فلما أثار علماء اللامذهبية في فجر عهدها المسائل الفقهية من قراءة الفاتحة خلف الإمام، ورفع اليدين، والجهر بآمين، وعدد ركعات التراويح، وصلاة الجمعة في القرى، وما إليها قام كل من الإمام محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمود حسن الديوبندي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ أشرف علي التهانوي بتأليف الكتب في هذه المسائل وإشباعها بحثًا وتحقيقا.

ثم إنه لما انتعشت اللامذهبية بعد اكتشاف البترول، وجرى في عروقها الدم من أنابيبه أخذت تتراقص متفاخرة بأن أتباعها على الحق، ومن عداهم على الباطل هبَّ علماء ديوبند لمكافحتها فألَّف المحدث الكبير حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ سرفراز صفدر، والشيخ أبو بكر الغازيفوري كتبًا في الردِّ عليها.

---

(١) انظر للتعليق على كتاب الديوبندية كتابَ «وجه جديد للسلفية» للشيخ بدر الحسن القاسمي.

كما عقدت «جميعة علماء الهند» برعاية رئيسها السابق الشيخ أسعد المدني مؤتمر صيانة السنة عام ٢٠٠١م لمكافحة هذه الفرقة، ونشاطاتها الخبيثة على حساب المملكة العربية السعودية، وإخطار المملكة بها.

ثم عقدت الجامعة مؤتمرًا باسم صيانة السنَّة في ١٣/ فبراير ٢٠١٣م، حضره مديرو الجامعات والمدارس الإسلامية من شتى أنحاء البلاد، فناقشوا وتبادلوا الآراء فيه في أساليب مكافحة هذه الفرقة التي تضلِّل من سواها من المسلمين وتوقع الفُرقَة والاضطراب فيهم. وتمخض المؤتمر عن قرارات هامة في الموضوع، منها إرسال الوفد إلى المملكة لإعلامها بأعمال وتحركات متبعي هذه الفرقة.

وفعلًا زار المملكةَ يوم الجمعة: ٢٥/ شعبان ١٤٣٤هـ = ٥/ يوليو ٢٠١٣م وفد مكوَّن من كل من رئيس الجامعة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني، والشيخ أرشد المدني، والشيخ نور عالم خليل الأميني، والشيخ محمد راشد الأعظمي، والشيخ محمد عارف جميل الأعظمي. والتقى بالمفتي العام للمملكة ووزير الشؤون الدينية، وآخرين من رجال الحكومة، و قدَّم المذكرة إليهم، وتكلم معهم في الموضوع.

***

(٧) العقلانيون

شهدت أوربا في القرن الثامن عشر الميلاديّ انقلابًا معرفيًّا وصناعيًّا، مما ترك آثارًا إيجابيةً على جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في جانب، وأثار ضجَّةً كبيرةً في الأوساط الدينية في جانب آخر. كان هذا الانقلاب قد حدث نتيجةً للخروج على المسيحية؛ لأنَّها كانت عقبةً كؤودًا في سبيل العلم وتقدُّمه، فأخرجها- المسيحية- الانقلابيُّون من الحياة الاجتماعية الصائحة الصاخبة، وحصروها في قعرالكنائس والحياة الشخصية، واستبدلوا بها العلمانيَّة (فصل الدين عن الدولة) والعقلانيَّة.

ثم وصل هذا الانقلاب المعرفي بخيره وشره إلى الأقطار الإسلامية على أيدي المستعمرين حيث انبهر به طائفة من المسلمين، فأخذوا العقلانية والعلمانية وحاولوا ترويجهما وإشاعتهما في الأقطار الإسلامية، ووقفوا من الإسلام وتعاليمه وِقفَة الانقلابيين من المسيحية في أوروبا.

من هنا نشأ العقلانيُّون في الأقطار الإسلامية الذين فسَّروا الإسلام تفسيرًا عقليًا، وحرَّفوا من نصوص القرآن والحديث ما يُعارِضُ العقل- في زعمهم-، فأنكروا الملائكة، والوحي، والجنَّة، والنار، وعذاب القبر، والمعجزات، وما إليها. وقد عُرِف هؤلاء العقلانيُّون بالنيجريِّين أو المعتزلة الجديدة.

هذا وقد أدرك الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ بفراسته الإيمانية ما سيأتي به الزمان من العقلانية، فألف كتابه الفذَّ المعروف بـ «حجة الله البالغة» الذي عرض فيه الشريعة الإسلامية في الثوب العقلي المقنع. ثم تقدم بهذه الحركة أبناءُ مدرسته الفكرية إلى الأمام، فقام الإمام محمد قاسم النانوتوي وألف كتبًا هامَّةً بالأسلوب العقلي الرصين، ثم تبعه شيخ الإسلام العلامة شبير أحمد

العثماني، والشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي الذين عرضوا الإسلام وتعاليمه عرضًا عقليًا.

١- آراء السيد أحمد خان

من هؤلاء العقلانيِّين في الهند السيدُ أحمد خان المتوفى عام ١٨٩٨م مؤسِّسُ «جامعة علي جراه الإسلامية» الذي نفى الملائكة والجنة والنار والمعجزات، وألَّف تفسيرًا للقرآن ملأه تأويلًا وتحريفًا شأن الإسماعيلية من الشيعة.

فقام بدحض بعض انحرافاته الإمامُ محمد قاسم النانوتوي في كتابه: «العقيدة الإسلامية: شبهات وردود»، وصاحبه الشيخ فخر الحسن الكنكوهي في بعض رسائله، كما ردَّ على شيء من أفكاره أحد العلماء المعاصرين الشيخ المفتي محمد تقي العثماني في كتابه: «علوم القرآن».

٢- آراء واتجاهات عناية الله مشرقي

ومن العقلانيين والملاحدة والزنادقة في القرن العشرين عناية الله مشرقي (١٨٨٨ - ١٩٦٣م) صاحب حركة «خاكسار» التي قادها ترويجًا لأفكاره، وحصولًا على الغلبة والسلطة، وتجسيدًا للإسلام الذي يدعيه. كان يُصدر جريدة «الإصلاح» ينشر فيها آراءه وأفكاره. ألَّف عدَّة كُتُبٍ، وهي «التذكرة» بالعربية، و«إشارات»، و«قول فيصل»، و« مولوي كا غلط مذهب» (دين الشيخ الباطل).

تتلخص أفكاره وآراؤه فيما يلي:

١- العقائد ليست بشيء، فليعتقد من يشاء ما يشاء، فذلك لا يضُرُّ الإسلام والإيمان.

٢- كلمة الشهادة والأقوال والإقرار بالدين ليست بشيء.

٣- أركان الإسلام من الصلاة والصوم و الحج والزكاة ليست عباداتٍ مقصودةً، إنما المقصود روحها، وهي السلطة والغلبة والقوة في الدنيا.

٤- لا إيمان ولا إسلام ولا صلاة ولا صوم لمن لايجاهد حصولًا للسلطة و

الغلبة في الدنيا.

٥- الإيمان والإسلام والتوحيد والعبادات عبارة عن عمل خاص، وهو حصول السلطة والغلبة و القوة في الدنيا.

٦- من نال السطلة والغلبة والقوة في الدنيا نال الجنة في الآخرة، ومن حُرِم نعمة السلطة والغلبة والقوة في الدنيا فقد حرم في الآخرة.

٧- الإسلام ليس سفينةَ النجاة؛ بل كل من يعمل بدين من الأديان فهوينال الجنة في الآخرة.

٨- الأمم الأوروبية من المسيحيين الإنجليز وغيرهم مؤمنون متَّقون وصلحاء وأبرار ينالون الجنة في الآخرة.

٩- الوثنيون الذين يعبدون ثلاث مئة مليون صنم ووثن موحِّدون ومؤمنون صادقون.

١٠- بما أن المسلمين كلَّهم في العصر الراهن لا يُعِدُّون إعدادًا عسكريًّا فهم مشركون أصحاب النَّار.

١١- الأحناف والشوافع والمقلِّدة وغيرهم كلُّهم أصحاب النار.

١٢- بقيت الأمة المحمدية على الإسلام الصحيح ثلاثين سنة، ثم خرج قسط كبير من الإسلام والقرآن من قلوبهم[(١)].

فلما انتشرت آراء مشرقي بين المسلمين في الهند جاءت استفتاءات إلى دارالإفتاء بالجامعة وكثُرت، فنهض المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، وأرسل خطابًا إلى مشرقي يستفسره رأسًا عن آرائه وأفكاره نُصحًا له وإقامةً للحجة عليه، فتبادلا الخطابات، ولكن ذلك لم يَعُد بطائل؛ لأنه لم يُجِبْ عن أسئلته التي سأله، وإنما أحال إلى جريدته «الإصلاح» و مؤلفاته.

---

(١) الإرشاد إلى بعض أحكام الإلحاد لفضيلة المفتي محمد شفيع العثماني الديوبندي، ط: دار الإشاعة ديوبند، ١٩٣٩م.

درسَ فضيلة المفتي كتبه، وجمع نصوصها التي تدل دلالة صارخة على إلحاده وزندقته في كتاب سماه «الإرشاد إلى بعض أحكام الإلحاد»، كما ألَّف الشيخ بهاء الحق القاسمي الأمرتسري كتابه «خاكساري فتنة» (خطر الحركة الخاكسارية).

وقد وُجِّه استفتاء عن معتقدات مشرقي وحركته إلى فضيلة المفتي كفاية الله الدهلوي رئيس جمعية علماء الهند سابقًا، فأفتى بأنَّ صاحب مثل هذه الأفكار والآراء التي جاءت في كتبه ليس داعية من دعاة الإسلام، وإنما هو عدو من أعدائه، ومن استحسنه وانضم إلى جماعته فهو كذلك[1].

٣- آراء ومعتقدات غلام أحمد برويز

ومنهم غلام أحمد برويز المتوفى عام ١٩٨٥م الذي تبعهم وفاقَهم في الإلحاد والزندقة وتحريف نصوص القرآن عن مواضعها، وإنكار ما ثبت من الدين ضرورة. وقد جاءت أفكاره ومعتقداته في كتبه: «معارف القرآن»، و«إسلامي نظام»، و«قرآني نظام ربوبيت»، و«مقام حديث»، و مجلة «طلوع إسلام»، و«رسائل إلى سليم»«، و«لغات القرآن»، و«قرآنی فیصلے».

وأهم أفكاره ومعتقداته فيما يلي:

١- إنَّ جميع ما ورد في القرآن الكريم من الصدقات والتوريث وما إلى ذلك من الأحكام المالية، كلُّ ذلك موقت تدريجي، إنما يتدرج به إلى دور مستقل يُسمِّيه «نظام الربوبية» فإذا جاء ذلك الوقت تنتهي هذه الأحكام؛ لأنها كانت موقتة غير مستقلة.

٢- إنَّ رسول الله ﷺ والذين معه استنبطوا من القرآن أحكامًا فكانت شريعة، وهكذا كلُّ من جاء بعده من أعضاء شورائية لحكومة مركزية، لهم أن يستنبطوا أحكامًا من القرآن، فتكون تلك الأحكام شريعة ذلك العصر، ليسوا مكلفين بتلك الشريعة السابقة، ثم لا

(١) خاكساري فتنه للشيخ بهاء الحق القاسمي الأمرتسري، ص: ٥٥، ط: أمرتسر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

تختص تلك بباب واحد؛ بل العبادات، والمعاملات، والأخلاق كلها يجري في ذلك، ومن أجل ذلك لم يُعين القرآن تفصيلات العبادة.

قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٣- أن المراد من إطاعة الله ورسوله هو إطاعة «مركز الملة»أي الحكومة المركزية. والمراد بـ «أولي الأمر» الجمعيات التي تنعقد تحتها. فالحكومة المركزية تستقل بالتشريع، وليس المراد بإطاعة الله إطاعة كتابه القرآن الكريم، ولا بإطاعة الرسول إطاعة أحاديثه، فكل حكومة مركزية قامت بعد عهد الرسالة منصبها منصب الرسول، فإطاعة الله والرسول، إنما هي إطاعة تلك الحكومة. والرسول كان مطاعًا من جهة أنه كان أميرًا وإمامًا للحكومة المركزية، والحكومة المركزية هي المطاعة.

٤- قد صرَّح القرآن الكريم بأنَّه لا يستحق الرسول أن يكون مُطاعًا، وليس له أن يأمرهم بإطاعته، وليس المراد من إطاعة الله وإطاعة رسوله إلا إطاعة «مركز نظام الملة[الحكومة المركزية]» ينفذ أحكام القرآن فقط.

٥- المراد بالملائكة القُوى المودعة الكائنات، ومعنى الإيمان بها أن يسخِّرها الإنسان، ويذعن الإنسان تلك القوى. معنى سجود الملائكة لآدم أن تلك القوى قد سخَّرها الإنسان، وليس المراد بآدم شخص خاص، وإنما أريد به الإنسان، وآدم وحوَّاء عبارة عن زوجين للنسل الإنساني. وقصتهما حكاية تمثيلية للمعاشرة الإنسانية.

٦- ليس المراد بالجنَّة والنار أمكنة خاصة؛ بل هي كيفيات للإنسان.

٧- الصلاة التي يُصليها المسلمون أخذوها من المجوس، وليست هي مرادة في القرآن، والقرآن إنما أمربإقامة الصلاة، وإقامة الصلاة هي إقامة أسس إصلاح الأفراد على وفق ما يقتضيه النظام.

٨- كُلُّ من كان نائبًا عن الرسول له أن يُغيِّر صورة الصلاة المعروفة، على ما يقتضيه ذلك العصر.

٩- لم يذكر فى القرآن غير صلاة الفجر و صلاة العشاء، فلم يثبت الاجتماع في عهد النبوة إلا في هذين الوقتين.

١٠- الزكاة كلُّ جِباية مالية تكون من جهة الحكومة، فإذا لم تكن حكومة إسلامية لم تجب الزكاة. وصدقة الفطر وغيرها من الصدقات إنما هي جبايات وقتية يلزمها الحكومة لحاجات خاصة، ونوائب واردة.

١١- ليس الحج عنده عبادة خاصة، وإنما هي مؤتمر عالمي، ويستهزئ بجعله عبادة في كتابه معارف القرآن.

١٢- الأضحية حقيقتها ذبح الحيوانات للذين يشتركون في ذلك المؤتمرالعالمي، وليست عبادة خاصة في غير ذلك المؤتمر.

١٣- لم يصدر من النبي معجزة غير القرآن.

١٤- الدين الإسلامي الرائج بين الأمة الإسلامية اليوم ليس دين القرآن؛ بل هو مركب مما راج بين المجوسيين، ومن رسوم اليهود، وتصوف النصارى وأفلاطون.

١٥- تدوين الروايات الحديثية إنما هي أول مكيدة ضدَّ الإسلام، فأورثت عقيدة في المسلمين بأن مع القرآن الكريم وحيًا آخر. الذي يسمونه الوحي غير المتلو كلُّه أكاذيب ومفتريات.

١٦- صحيح البخاري و الصحيح لـمسلم ومسند أحـمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي من الكتب الموثوق بها عندهم، هذه الكتب ما دامت معتبرة عندهم في أصول الدين لم يكن للأمة الإسلامية أن تخرج من كبوتها، وهذه مكيدة عجمية انتقم بها من الإسلام.

هذه وما إليها من المعتقدات والآراء مبثوثة في كتبه ورسائله ومجلته. فنظرًا إليها أفتى علماء المسلمين في الهند وباكستان على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفكرية بإلحاده وزندقته، وبالتالي خروجه من الإسلام.

وقد صدرت من دارالعلوم بديوبند فتوى بتكفيره وقَّع عليها ثمانية رجال الإفتاء والعلماء ومدرسي الجامعة، من بينهم المفتي مهدي حسن، والشيخ فخرالدين، والشيخ جميل أحمد، و الشيخ نصير أحمد، ومن إليهم.

وقد جُمعت هذه الفتاوى كلها في كتاب سُمِّي بـ «پرويزکے بارے ميں علماء كا متفقه فيصله» (فتاوى العلماء في تكفير برويز) [1].

٤- الأستاذ أبو الأعلى المودودي: انحرافه وشذوذه

لقد بدأت حركات سياسية ودينية في أواخر عهد الحكم الإنجليزي في الهند، طوت بساطَه منها وقضت عليه. ورفعت بعضُ الحركات الإسلامية نداءها لإقامة حكم إسلاميّ في الهند، فارتفعت له الأنظار واشرأبَّت الأعناق واستحسنه الناس.

فمن الحركات التي رفعت هذا النداءَ ونالت إعجابَ الناس حركةُ الأستاذ أبو الأعلى المودودي الذي نشر بقلمه السيَّال و أسلوبه القويّ وموهبته الكتابية دعوتَه وأفكاره بين الناس؛ فحصد إعجابهم وثناءهم، وأصبح المعجبون به من العلماء وعامة الناس أساسًا لجماعته: الجماعة الإسلامية التي تم تشكيلها عام ١٩٤١م.

---

(١) انظر للاستزادة « پرويزکے بارے ميں علماء كا متفقه فيصله» (فتاوى العلماء في تكفير برويز) . ط: شعبه تصنيف، مدرسة عربية نيو تاؤن كراتشي.

مولده وتعليمه

وُلِدَ الأستاذُ المودوديُّ عام ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٣م في مدينة «أورنغ آباد» بولاية «مهاراشترا» بالهند، وتوفي عام ١٩٧٩م. كان من أسرة مثقَّفة متديِّنة ينتهي نسبُها إلى المصلح الكبير الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري المتوفى عام ١٢٣٦م وكان أبوه محاميًا يمتهن المحاماة في مدينة «أورنغ آباد».

تلقَّى مبادئ العربية في بيته، ووصل إلى المرحلة الثانوية من التعليم المدني، ثم دخل معهدًا بـ«حيدر آباد» لأخذ مبادئ التعليم الديني مع شيء من التعليم المدني، ولم يستمرَّ فيه؛ لأن والده الذي كان يُمارسُ المحاماة بمدينة «بوفال» أُصِيْبَ بالشلل والفالج، وبقي مريضًا نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله [(١)]..

لذلك فقد اضْطُرَّ إلى ترك التعليم، وكسب لقمة العيش. وقد حاول تعلُّم اللغتين: العربية والإنجليزية خلال إقامته بمدينة «دهلي»، فألَمَّ بهما، فكان يعرفهما فهمًا لا تكلمًا ولا خطابة ولا كتابة. أما اللغة الأردية فكان فيها أديبا سيَّال القلم ذا قدرة فائقة على التعبير، متمكنًا من تحليل الأفكار، وذا أسلوب فريد يسحر الألباب و يأخذ بمجامع القلوب.

وبما أنَّه لم يتلقَّ العلوم الإسلامية من الأساتذة والمدرسين، وإنَّما درسها دراسةً حرةً، كان حظُّه منها ضئيلًا جدًا، ولم يكن له رسوخ في العلم، كالذي يحظى به العلماءُ الذين يتلقَّونها - العلوم الإسلامية - من مهرة الأساتذة وجهابذة المدرسين.

نشاطاته وأعماله

لم يتمكَّن من إكمال دراسته كما أسلفتُ، واضْطُرَّ إلى كسب القوت، فحار في مذاهب الرزق واضطرب. ولمَّا كان الله تعالى أودعه موهبة الكتابة وقدرة التعبير وملكة الإنشاء في اللغة الأردية اتَّخذ قلمه وسيلةً لكسب المعاش؛ فعمل

(١) انظر للاستزادة: محاضرات في الرد على المودودي للشيخ عبد الخالق السنبهلي.

كاتبًا ورئيسَ تحرير في مختلف الجرائد والمجلات حتى انتهى به الأمر إلى إنشاء جريدة شهرية باسم «ترجمان القرآن» سنة ١٩٣٣م.

وخلال عمله في الصحافة صَحِبَ أحد كبار ملاحدة الكُتّاب وتأثر بصحبته، وهو نياز فتحفوري (١٨٨٢-١٩٦٦م) الذي استهزأ بالجنة والنار، فأفتى العلماء بخروجه عن الإسلام لكفره الصريح، فتاب وأناب مدة، ثم ارتدَّ وأصرَّ على كفره البواح.

ولما نُشِرتْ مقالات الأستاذ المودودي وبحوثه وظهرت بعض مؤلفاته في المواضيع الإسلامية بقلمه السيَّال وإنشائه البليغ أُعجِبَ به الناس، وأخذوا يُثنون على صِياغته وبراعته، وظهرت كلمات الثناء والتقدير من أمثال المحقق الفاضل مناظر أحسن الكيلاني، والمؤرخ الكبير الشيخ السيد سليمان الندوي، والكاتب الأردي المعروف عبد الماجد الدريابادي، فاندفع الشباب إلى قراءة بحوثه ومقالاته، واعترفوا بفضله ومهارته، فاشتهر في البلاد وأُشِيْرَ إليه بالبنان.

تأسيس الجماعة الإسلامية

فلما ذاع صيته وارتفع ذكره وبلغ المعجبون به في طول البلاد وعرضها عددًا لا بأس به قام بتأسيس جماعة باسم «الجماعة الإسلامية» بمساعدة رِفَاقه الأربعة: الشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ أبي الحسن علي الندوي، والشيخ مسعود عالم الندوي، والشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وذلك سنة ١٣٦٠هـ =١٩٤١م. وكان الغرض من تأسيس الجماعة إقامة الحكومة الإلهية في الدنيا ونيل رضا الله تعالى في الآخرة.

شذوذه وانحرافه

لقد تنبَّه أهلُ العلم وأرباب الفضل والكمال إلى ما تتضمَّنُ كتبه ومقالاته وبحوثه من شذوذ وانحرافات، ثم ظهر دستور الجماعة الإسلامية الذي ينص بنده السادس على أنه ليس أحد سوى الله ورسوله مقياسًا للحق، ولا متساميًا عن الانتقاد،

ولا مطاعًا بالعبودية الذهنية، فنفى الإجماع، والاحتجاج بآثار الصحابة -رضي الله عنهم-، والاهتداء بهدي مَنْ سوى رسول الله ﷺ من الأنبياء والمرسلين.

انطلاقًا من هذا المبدأ نفى إجماع الصحابة -رضي الله عنهم-، والاحتجاج بآثارهم، وطعن عليهم فقال: إنّهم فشلوا في إقامة النظام الإسلامي الخالص، ولم يبقوا على منهاج النبوة، وكانت فيهم رواسبُ الجاهلية. وقارفَ عثمانُ بن عفان رضي الله عنه أخطاءً، وكانت في سيرة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وسلوكه بقايا من الجاهلية، وآثرأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص المصلحة على إقامة الدين.

بل انتقد الأنبياء بما لا يليق بشأنهم، فقال: العصمة للأنبياء ليست من لوازم ذواتهم؛ ولكن الله يحفظهم من الخطايا والزلّات لأجل قيامهم بفرائض النبوة، ولو رفع الله منهم هذا الحفظ لساعة لكانوا مثل عامة الناس في الخطأ والزلات.. ومن لطيف التدبيرأنَّ الله يرفع منهم هذه الخاصية لكي يصدر عنهم بعض الزلات، ويريد الله ذلك منهم لكي يظهر أنهم بشر وليسوا آلهة[1].

وقال: إنَّ الأنبياء ليسوا محفوظين عن شر النفس، وإنَّ داود -عليه السلام- كان خاطئًا، وإنَّ يونس عليه السلام وقع منه تقصير في أداء فريضة النبوة، وإنَّ موسى -عليه السلام- كانَ عجولًا، وإن آدم -عليه السلام- وقع في هُوَّة المعصية لأجل غلبة الحرص عليه[2].

ومن آرائه أنَّ المصطحات الشرعية: الله، والرب، والعبادة، والدين، قد خفيت معانيها على الأمة، وتغيرت عمَّا كانت عليه، فقد صرَّح في كتابه «أربعة مصطلحات أساسية للقرآن» بأنَّ الإله، والربَّ، والعبادة، والدين أربعة مصطلحات أساسية للقرآن، من عرفها عرف القرآن، ومن لم يعرفها لم يعرف القرآن، ولم يعرف التوحيد، ولم يعرف الشرك، ولم يعرف أنَّ العبادة لله وحده،

---

(١) الأستاذ المودودي، ص: ٢٣.

(٢) الأستاذ المودودي، ص: ٢٣.

فمن خفيت عليه هذه المصطلحات خفيَ عليه فهمُ القرآن وإن كان مؤمنًا، ومع كونه مؤمنًا يكون ناقص العقيدة والعمل...وقد وقع تغير في معاني هذه المصطلحات عن فهمها في عهد النزول، وانحازت هذه المعاني الوسيعة إلى معانٍ ضيَّقةٍ محدودةٍ مبهمةٍ، وذلك لأمرين:

١- لقلَّة ذوق العربية.

٢- ولكون المسلمين وُلدوا في الإسلام، ولم يعرفوا تلك المعاني المستعملة في الكفار في عهد نزول القرآن؛ فخفيت على أئمة اللغة وأرباب التفسير تلك المصطلحات بمعانيها المستعملة في عهد النزول، وفهم هؤلاء ما كان يفهمه المسلمون... والواقع أنه لخفاء هذه المعاني خفي على الناس ثلاثة أرباع الدين؛ بل خفيت عليهم روح الإسلام الحقيقية، ومن أجل ذلك ترى نقصًا في عقائدهم وأعمالهم[(١)].

ومن أفدح أخطائه أنه جعل الهدف الأساسي من الشرائع الإلهية إقامة الحكومة الإلهية، فقلب الوسيلة غاية والغاية وسيلة، فالصلاة غايتها عنده التدريب العسكري، والزكاة هدفها الضرائب، والصوم غرضه الإعداد العسكري، والحج مقصده المؤتمر العالمي، والأركان الأربعة من الإسلام غايتها الدورة التدريبية.

واستنتج من ذلك أن المؤمنين بل الأنبياء الذين لم يتمكنوا من إقامة الحكومة الإلهية كانوا أناسًا فاشلين، وأنبياء فاشلين.

وقال في خطباته: إنَّ هذه العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج فرضها الله عليكم، وجعلها من أركان الإسلام، شأنها ليست كعبادات المذاهب الأخرى، إذا قُمتُم بها فرغت ذِمَّتُكم ورضي الله بها عنكم؛ بل فُرِضَتْ هذه العباداتُ إعدادًا لمقصد عظيم وأمر جليل...إنَّ الغرض أن يخرج المرء من سلطة

(١) الأستاذ المودودي، ص: ١٦.

الإنسان، ويدخل تحت سلطان الله الأحد، والجهاد هو بذل النفس والجهد التام لهذا الغرض، والصلاة و الصيام والحج والزكاة للإعداد لهذا الغرض الوحيد[١].

وقال: إنّ المقصد الحقيقي من الدين هو الإمارة الصالحة، وصرَّح بأنَّه ليس هناك أيُّ عمل موصل إلى رضائه تعالى بعد الغفلة عن هذا الغرض... وحصول هذا الغرض يتوقف على قوة اجتماعية فمن أخلَّ بها ارتكب جريمة عظيمة لا يمحوها الإقرار بالتوحيد وإقامة الصلاة.[٢].

وقال: إنَّ عثمان -رضي الله عنه- استخدم الطلقاء في مناصب سامية من الحكومة والقيادة، وهؤلاء الطلقاء دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، وهؤلاء وإن كانوا ماهرين في سياسة غير دينيَّة وأمور إدارية؛ ولكنهم ما كانوا يستحقون ذلك لأجل عدم كفاءتهم في قيادة أخلاقية، أي أنَّ أنفسهم لم تتزكَّ بصحبة الرسول الطويلة، فبقيت فيهم بقية من الجاهلية. وقد صرَّح بذلك في مواضع من كتابه: «الخلافة والملوكية» وفي رسائله وكتبه، وفي مجلَّته بأساليب شتى[٣].

وألَّف تفسيرًا للقرآن سمّاه «تفهيم القرآن» تدليلًا على دعاويه وآرائه، فقال: إنه يكفي لفهم القرآن اللغةُ والعقلُ، والمفسِّر للقرآن في غنىً عن هذه التفاسير. والأحاديث وصلت من رجال إلى رجال، ومن رواة إلى رواة، وتلاعبت بهم الآراء والأفكار والنزعات، ولا يُطمأنُّ إليهم ولا إلى جرحهم وتوثيقهم. وصحيح البخاري فيه أحاديث ساقطة، وأنكر وجود السماوات على ما يفهمه المسلمون وينطق بها الأحاديث، وأنكر رفع الطور على رؤوس اليهود، وأنكر الحور وقاصرات الطرف، وادَّعى أنَّ بنات الكفار وبنات المسلمين الذين لم يستحقُّوا دخول الجنة بناتهم تكون حورًا عينًا تخدم أهل الجنة، وأنَّ حديث أنس في الصحيح في بيان ما أعطى النبي ﷺ من القوة غلط. وهكذا ردَّ الأحاديث

(١) الأستاذ المودودي، ص: ٢٤.

(٢) الأستاذ المودودي، ص: ٢٤.

(٣) الأستاذ المودودي، ص: ٣٠.

الصحيحة برأيه وفهمه العليل [1].

الرد على أفكاره ونظرياته

من نظر في كتب الأستاذ المودودي نظرة إنصاف وانتقاد وجد في أفكاره وآرائه صدى لأفكار المعتزلة والخوارج والشيعة، فقد يُحَكِّم العقل مقابل النقل كالمعتزلة، ويجعل الغاية القصوى من الدين إقامة الحكومة شأنَ الخوارج، ويطعن على الصحابة -رضي الله عنهم- مثلَ الشيعة.

وقال العلامة محمد يوسف البنوري: «... دعت الحال إلى أن أنادي على رؤوس الأشهاد أنَّ الرجل زائغ ضالٌّ مضلٌّ، في كتبه ورسائله طامَّات، منها ما يُوجِب الفسق، ومنها ما يُوجِب الابتداع في الدين، ومنها ما يُوجب الإلحاد، ومنها ما يُوجب ما أسكت عنه، وفي بعضها دلالة على جهله بالدين وغباوته على اليقين، وتضاربٌ وتهافتٌ في بياناته وكتاباته، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا، فهذا الحط من جهود السلف الصالحين والمؤاخذة عليهم يدل على إعجاب في رأيه ما لا يُتحمَّل، وكبر له في سجيته ما لا يُستساغ» [2].

ونظرًا إلى انحرافات وتناقُضات في فكر الأستاذ المودودي ترك الجماعةَ الإسلاميةَ اثنان من أساطينها الأربعة بعد تأسيسها بنحو ستة أشهر، وهما الشيخ محمد منظور النعماني، و الشيخ أبو الحسن علي الندوي، والثالث بعد برهة من الزمان وهو الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، والرابع وهو الشيخ مسعود عالم الندوي قد توفي بعد قليل من الزمان.

وأوَّل من قام بالردّ على أفكاره الشيخُ مناظِر أحسن الكيلاني، فكتب مقالة في جريدة «صدق جديد» بعنوان «الخارجية الجديدة»، ثم تنبَّه صاحبُ جريدة «الصدق» فقام هو الآخر بالردّ عليه، ثم السيد سليمان الندوي، ثم شيخ الإسلام حسين أحمد المدني رئيس هيئة التدريس بالجامعة وشيخ الحديث بها، فقد تناول

(١) الأستاذ المودودي، ص: ٣٤.

(٢) الأستاذ المودودي، ص: ١٥.

دستور الجماعة الإسلامية بالنقد و التحليل، وكشف ما فيه من انحراف وشذوذ، و ما يؤدي إليه من الحط من كرامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك في رسالة نَقلها كاتب هذه السطور إلى العربية بعنوان «الصحابة ماذا ينبغي أن نعتقد عنهم؟».

كما ردَّ على آرائه المنحرفة كلٌّ من الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة الأسبق، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والعلامة محمد يوسف البنوري، والشيخ المفتي محمد ظفير الدين المفتاحي المفتي بالجامعة، ومن إليهم.

والكتب التي قام مشايخ الجامعة وعلماؤها بتأليفها تفنيدًا لآرائه وأفكاره قد بلغ نحو ٤٠ كتابًا.

وقد أصدرت الجامعة فتوى في الأستاذ المودودي وجماعته، جاء فيها: «يجب على المسلمين أن يجتنبوا «الجماعة الإسلامية»، فإن المشاركة فيها سم قاتل، وعلى المسلمين أن يكفوا عن المشاركة فيها لكيلا يضلوا، وضرر الجماعة أكثر من النفع، فلا يَحِلُّ شرعًا الإسهام فيها، وكلُّ من أيَّدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثمًا ويكون داعيًا للإثم والمعصية بدل أن يكون مُثابًا، ومن كان منهم إمامًا في مسجد فتكره الصلاة وراءه»[1].

٥- نفاة الاحتجاج بالحديث

ومن الاتجاهات المناهضة للإسلام التي نشأت في القرن العشرين الميلادي اتجاهُ نفي الاحتجاج بالحديث وإنكار كونه مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي، وقد سمَّى أصحابُ هذا الاتجاه أنفسهم بـ «أهل القرآن» وخدعوا به عامة المسلمين لينشروا آراءهم ونظرياتهم المنحرفة في المجتمع الإسلامي.

وأصحاب هذا الاتجاه طائفة من الإباحيين غرضُهم أن يجعلوا الإسلام دينًا نظريًّا لا صلة له بالحياة العملية.

---

(١) الأستاذ المودودي، ص: ٣٦.

ولاشك أنه قد أُجْمِلَ كثيرٌ من الأحكام في القرآن، وجاء تفسيرها في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأن تبيين ما أُجْمِلَ في القرآن كان من وظيفة النبي ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فهؤلاء الإباحيُّون أدركوا أنّه لا سبيل إلى التحرُّر من الإسلام في الحياة العملية واتباع الأهواء وتحقيق رغبات النفس إلا بإنكار كون الحديث مصدرًا من مصادر التشريع، فأنكروا الاحتجاج به. وسَمَّوا أنفسهم بـ «أهل القرآن» ليخفوا إلحادهم وزندقتهم من عامة المسلمين. وقد وقع بعض المسلمين السذُّج في حبائلهم مخدوعين بهذا الاسم الجميل البرَّاق: «أهل القرآن».

ومن نُفَاة الاحتجاج بالحديث المعروفين في شبه القارة الهندية عبدُ الله الجكرالوي المتوفى عام ١٩٣٠م وأسلم الجيراج فوري (١٨٨٢-١٩٥٦م)، ومن إليهما، الذين قاموا بالتشكيك في التراث الحديثي العظيم شأنَ المستشرقين من اليهود والنصارى، ونَفَوا جهود وتضحيات الصحابة والسلف الصالح لصيانة الدين ونقله إلى الأجيال القادمة كاملًا غير منقوص.

وقد استلفت هذا الاتجاهُ الهدّامُ انتباهَ مشايخ الجامعة وعلمائها، فقاموا بتفنيد دعاوي أصحابه علميًّا وتاريخيًّا، وكشفوا عن حقيقتهم لعامة المسلمين بأنهم ليسوا بأهل القرآن ولا عاملين به، إنَّما هم تلاميذ المستشرقين ينشرون آراءهم ونظريَّاتهم في المجتمع الإسلامي.

وألَّف في هذا الموضوع كلٌّ من المحدث الكبير حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والشيخ محمد يوسف اللدهيانوي، والشيخ ولي حسن التونكي، والشيخ محمد رفيع العثماني، والشيخ محمد تقي العثماني، ومن إليهم.

❊ ❊ ❊

الجامعة في مجال الإصلاح والتزكية والدعوة الإسلامية

لقد تبنّى مشايخ دارالعلوم وأبناؤها - بجانب تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم وإعدادهم لحمل لواء الإسلام- أساليب شتّى وطرقًا مختلفة لإصلاح عامة المسلمين وإرشادهم وتوجيههم وتزكيتهم، وهي فيما يلي:

١- قسم الدعوة والإرشاد والتوجيه

لـمَّا قامت منظمة «آريه سماج» الهندوسية بدعوة المسلمين إلى الديانة الهندوسية في مختلف مناطق البلاد، وذلك في أوائل القرن العشرين أنشأت دارالعلوم قسمًا للدعوة والإرشاد والتوجيه، وبعثت منه الدعاة إلى المناطق المصابة بهذه الدعوة الهدّامة. فبذلوا جهودًا جبّارةً لإنقاذ المسلمين من هذه الفتنة العمياء و العودة بمن ارتدُّوا إلى حظيرة الإسلام.

ثم وسَّع القسم نطاقه، فبعث -ولايزال - الدعاة إلى مختلف أرجاء البلاد لممارسة مهمَّة الدعوة الإسلامية، وملاحقة الدعوات الهدّامة، ومناظرة أصحاب الأهواء والفرق الضالة.

وقد عمل من على منبر هذا القسم عدد كبير من الدعاة والمصلحين، أشهرهم: الشيخ أبو الوفاء الشاهجهانفوري، والشيخ حامد الأنصاري الغازي، والشيخ خليق أحمد السردهنوي، والشيخ عزير أحمد القاسمي، والشيخ هادي حسن، والشيخ معظم علي النجيب آبادي، والشيخ يونس البغروي، والشيخ عتيق الرحمن الآروي، والشيخ السيد سيف الله الهاشمي، والشيخ عبد السميع الغونـدوي، والشيخ السيد إرشاد أحمد الفيض آبادي، ومن إليهم.

فلعلماء دارالعلوم ودعاتها نشاطات دعوية مستمرَّة، فلا يخلو مؤتمر أو اجتماع منهم؛ بل هم الذين يتزعمون مهمة الدعوة الإسلامية في هذه البلاد.

٢- إعداد الكتب و المؤلفات

إنّهم قاموا بإعداد الكتب والمؤلَّفات والكتيِّبات، وإصدار الجرائد والمجلَّات لتعريف عامة المسلمين بعقيدة الإسلام وتعاليمه وشعائره، وتوجيههم توجيهًا دينيًّا في مختلف مجالات الحياة.

فما صدر عن أقلامهم، وما جادت به قرائحهم من الكتب القيِّمة في موضوع الإصلاح والتوجيه يشغَل ركنًا كبيرًا من المكتبة الإسلامية العامرة، وقد نفعت المسلمين نفعًا كبيرًا، حيث لايكاد يخلو بيت متديِّن من بيوتاتهم من هذه المؤلَّفات والكتيِّبات، فهي لهم خيرمعلِّم للدين وأحكامه في مختلف المناسبات والأوقات، وخير موجِّه لهم في بيتهم، يرجعون إليها إذا مسَّتْ الضرورة في شأن من شؤون الدين.

كذلك قاموا بتأليف الكتب لإصلاح ما فسد من المجتمع، وإزاحة ما دخله من تقاليد غير إسلامية، فبفضل هذه الكتب والمؤلَّفات عرف كثير من الناس الدينَ وأحكامه ومسائله، وتيسَّر لهم العمل بها دونما كلفة.

كان ذلك كحملة إصلاحٍ وتوجيهٍ، اضطلع بها كثير من مشايخ الجامعة وعلمائها، على رأسهم حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، و الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي، والمقرئ محمد طيب القاسمي رئيس الجامعة سابقًا، وغيرهم ممن يصعُب استقصاؤهم.

٣- إلقاء الخطابات والمحاضرات الدينية

هذا إلى أنهم ظلُّوا – ولايزالون- على اتصال دائم بعامة المسلمين، يرعونهم رعاية دينية، حيث يزورونهم في قراهم ومدنهم رغبة في إصلاحهم وإرشادهم، ويعقدون معهم اللقاءات، ويُلقون فيهم المحاضرات الدينية التي يحضرها آلاف مؤلفة من المستمعين.

وهذه المحاضرات والمواعظ تؤثُّر على المستمعين تأثيرًا كبيرًا، حيث تذرف لها عيونهم، وتقشعرُّ لها جلودهم، ويندَمون على ماضي حياتهم، ويعزمون

على الإقلاع عن المعاصي في مستقبل أيامهم.

وقد قام – ولايزالون يقومون –كثيرمن المشايخ والعلماء والدعاة من أبناء الجامعة بهذا النوع من الإصلاح والإرشاد الديني، في طليعتهم حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، و الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ مرتضى حسن الجاندفوري، والشيخ أبو الوفاء الشاهجهانفوري، والشيخ محمد إرشاد أحمد الفيض آبادي وغيرهم.

وقد جُمِعَتْ هذه الخطب والمحاضرات الدينية فبلغت مجلدات ضخمة، مثل: خطبات حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وخطبات حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي، وإصلاحي خطبات لفضيلة المفتي محمد تقي العثماني، وما إليها.

ولهذه الخطب والمحاضرات الدينية حتى بعد جمعها وتدوينها تأثيروقوة يلمسها كل من يقرؤها، وذلك أنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب.

٤- الزوايا

إنَّ التزكية هي شبعة من شعب الدين، ومهمَّة من مهمَّات النبوة، وركن من أركانها الأربعة التي بُعث الرسول ﷺ لتحقيقها وتكميلها، وقد وردت هذه الأركان الأربعة في الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والتزكية عبارة عن تخلية النفوس عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، وتربيتها على الصفات الإيمانية والأخلاق الفاضلة، وتزهيدها في حطام الدنيا، وترغيبها في نعيم الآخرة.

لقد زكَّى الرسول ﷺ أصحابه أحسنَ تزكية، وربَّاهم أحسنَ تربية، فجعل منهم أمة أعمق إيمانًا، وأبرَّ قلوبًا، وأسمى خُلُقًا، وأحسن سيرة، وأصفى سريرة، لم يسبِق لها مثيل في التاريخ.

بهولاء الأفراد الأفذاذ المزكّاة نفوسُهم، الصافية سرائرُهم، المرضيَّة

سيرتُهم، السامية أخلاقُهم تكوَّن المجتمع المثالي الأول، وقامت الحكومة الإسلامية العادلة التي لم يُوجَد لها نظير في تاريخ الدول والحكومات.

فالتزكية مقصد من مقاصد النبوة، وورثة الأنبياء مطالبون باختيارها واستعمالها، وفعلًا قد اختارها العلماء في كل عصر، وتوارثوا طُرقها ومناهجها كابرًا عن كابر، وانتفع بها خلق كثير.

وهناك مطلب شرعيٌّ آخر، وهو الإحسان الذي ورد شرحه في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ومطلوب من المسلم أن يكون عليه لدى أداء عبادة الله وطاعته، وممارسة أعمال الدين وأحكامه.

فالتزكية والإحسان كلاهما من مطالب الدين، و مقاصد الشريعة، نسمِّيهما بالطريقة، أو التصوُّف، أو فقه الباطن على حد تعبير أحد كبارالعلماء المعاصرين.

فإن كانت الشريعة عبارة عن عقائد، وعبادات، وأحكام، وأدعية وأذكار، وتسبيح وابتهال، فالطريقة عبارة عن الاستحضار والاحتساب، والكيفيات التي تصاحب أداء هذه الأعمال.

هذا، وقد كان لمشايخ الجامعة وعلما ئها نصيب أكبر من هذا الفن كذلك، فقد كانوا - إلى جانب براعتهم في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وما إليها - أولي النسبة الباطنيَّة والصلة الروحيَّة وأصحاب نفوس مزكَّاة، وقلوب ملئية بصفات الإحسان والاستحضار والاحتساب، وزاهدة في حطام الدنيا، ومقبلة على الآخرة.

وقد تناولوا هذا الفن بالتنقيح والتعديل في ضوء الكتاب والسنة، وأزالوا ما تسرَّب إليه من خرافات وأباطيل، حتى جعلوه فنًا إسلاميًّا بحتًا يتلخَّص في اتِّباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام لا غيرُ.

وقد سخروا هذا الفن واستعملوه خير استعمالٍ، وأقاموا له الزوايا، ليقوموا فيها بتربية عامة المسلمين على صفات الإيمان والإحسان، و تخليتهم عن الرذائل من الحسد والحقد والرياء، والتكاسل في العبادات، والتكالب على زخارف الدنيا،

والتغافل عن الآخرة، وتحليَّتهم بالفضائل من الخشية والتقوى، والزهد في الدنيا، و الرغبة في الآخرة، وإكثار الذكر واتباع السنة، والعمل بأحكام الشريعة.

والزوايا التي أقاموها في طول البلاد وعرضها كثيرة، أشهرها زاوية المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي بـ « كنكوه »، وزاوية الشيخ أشرف علي التهانوي بـ « تهانه بهون»، وزاوية الشيخ عبد القادر الرائفوري بـ « رائى فور »، وزاوية الشيخ محمد علي المونغيري بـ « مونغير »... وما إلى تلك.

وكانت عامرة بعامة المسلمين المتوافدين من قاصي البلاد ودانيها الذين يتلقَّون فيها التربية والتزكية والإحسان على أيدي المشايخ وتحت رعايتهم، فإذا بحياتهم قد تتبدَّل غيرها، فإيمان وإحسان، واستحضار واحتساب، ومحافظة على الصلوات، واتباع للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، وهجر للمناهي والمنكرات، ولهج بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، وإذا بكل شيء في الحياة وفق الأحكام الإسلامية.

وكانت هذه الزوايا بمثابة مستشفيات روحية يقصدها المصابون بالأدواء النفسيَّة، و الأسقام الباطنيَّة، ويتلقَّون فيها العلاج الروحيّ، ويعودون إلى بيوتهم سالمين مُعَافين.

هذا، ولهذه الزوايا جانب مهمٌّ آخر، لا يُستَهان به، وهو جانبها العلميّ والدراسيّ، فقد يستغرب القارئ إذا علم أنَّ هذه الزوايا لم تكن مجرَّد مراكز تربوية يرد إليها الناس ويصدرون عنها بعد قضاء وطرهم، وإنَّما كانت – بجانب ذلك – مدارس حديثية ومجامع علمية أنجزت فيها أعمال علمية هامَّة، فقد كان المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي يدرس في زاويته بـ « كنكوه » لطلبة الحديث صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وغيرها، وفيها دُوِّنَتْ أماليه لكتب الحديث، مثل لامع الدراري على صحيح البخاري، و الكوكب الدري على سنن الترمذي، والفتاوى الرشيدية.

وأما زاوية الشيخ أشرف علي التهانوي بـ «تهانه بهون» فقد ألَّف فيها من

الكتب ما يربو على ألف كتاب، أشهرها: تفسير بيان القرآن في مجلدين، وأحكام القرآن في ثمانية مجلدات، و إعلاء السنن في ١٨ مجلدًا، و إمداد الفتاوى في٦ مجلدات، وبهشتي زيور (حيلة الجنة).

وأما الشيخ عبد القادر الرائ فوري فقد كان في زاويته بـ«رائى فور» مهتمًا بتربية المتوافدين وتزكيتهم، ومتابعًا للحركات الهدَّامة في عصره، فقد كان كثيرا لانتقاد للقاديانية معنيًّا بمكافحتها، فهو الذي اقترح على العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان يختلف إلى زاويته لتلقي التربية الروحية، أن يؤلف كتابًا بالعربية عن فرقة القاديانية يُعرِّف الأقطار العربية والإسلامية بخطر هذه الفرقة الضالة وأضاليلها، وفِعلًا قام العلامة بتأليف كتاب باسم «القادياني والقاديانية» وعرَّف العالم الإسلاميّ بحقيقة هذه الفرقة وصاحبها المتنبِّي.

كما أنَّ زاوية الشيخ محمد علي المونغيري بـ« مونغير » قد تحولَّت إلى مركز دراسي عندما غزت القاديانية مدن ولاية « بيهار» وقُراها تُعَدُّ فيه الكتب والمؤلفات والرسائل ردًّا على هذه الفرقة الضالة وإنقاذًا للمسلمين السُّذَّج من حبائلها.

على كلٍّ، فقد تخرَّج من هذه الزوايا مئاتُ آلاف من الناس في التزكية والإحسان، ولها خدمات تربوية وعلمية عظيمة يحتاج استعراضها إلى مجلدات ضخمة وأسفاركبيرة.

٥- جماعة الدعوة والتبليغ

والآن نعطف بقارئنا إلى حركة إصلاحية عالمية، فجَّرها أحدُ خرِّيجي الجامعة، وهذه الحركة تُعْرف بـ« جماعة الدعوة والتبليغ»، يتلخَّص دعوتُها في أن يصل الداعية والمصلح إلى كل فرد من أفراد المجتمع، ويلقِّنه كلمة التوحيد ومعناها، ويُعلِّمه الصلاة، والأذكار والأدعية، وما يحتاح إليه من مسائل الدين، ويحرِّضه على بذل الوقت والمال في سبيل تعلم الدين.

كيف بدأت هذه الحركة ؟، ومن فجَّرها؟ وكيف تطوَّرت وتوسَّعت؟

حتى أصبحت عالمية؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج إلى تفصيل.

صاحب الحركة هو الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وُلد في قرية « كاندهله » سنة ١٣٠٣هـ، وكان ينحدر من أسرة كريمة عريقة في العلم والدين والورع والتقوى، أنجبت كثيرًا من العلماء والمحدثين مثل: المفتي إلهي بخش الكاندهلوي، والشيخ محمد يحيي الكاندهلوي، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وتعلَّم في مدرسة مظاهر علوم بـ«سهارنفور»، ودرس صحيح البخاري والترمذي على شيخ الهند محمود حسن الديوبندي في دارالعلوم بديوبند، حتى تخرَّج عليه.كما تخرَّج في التزكية والإحسان على الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.

بدأ حياته العملية مدرسًا في مدرسة مظاهر علوم. وكان أبوه الشيخ محمد إسماعيل يُدرِّس في مسجد بقرية «نظام الدين» بـ«دهلي»، وكان يختلف إلى منطقة «ميوات» القريبة من دهلي يدعو أهلها إلى الدين ويعلمهم أعماله اللازمة. فلما تُوفِّي أبوه توجَّه على أمر من شيخه خليل أحمد السهارنفوري إلى المسجد، وخلف فيه أباه وتولّى فيه مهامَّ التدريس والدعوة.

كان الداعية محمد إلياس كثير الاختلاف إلى منطقة «ميوات» شأنَ أبيه، وذلك للأغراض الدعوية والتعليمية.

ومنطقة «ميوات» يسكنُها قبيلة «مِيُو» وهي قبيلة مسلمة اسميًّا، عدد أفرادها يبلغ نحو أربعة ملايين نسمة، تتسمى بأ سماء هندوسية مثل: «ماتا سنغ»، و «برهلاد سنغ»، و «بهيم سنغ»... وتتزيَّأ بالأزياء الهندوسية، و تُمارس الأعمال الشركية، وتُقدِّم القرابين للأصنام والآلهة شأنَ الهندوس. كما تحتفل بالمناسبات الإسلامية مثل الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتتعبَّد بزيارة قبور أولياء الله، وقد عُرِفت بالأعمال الإجرامية من القتل والنهب والسرقة وشنّ الغارة.

وأمَّا حالتها الاقتصادية فهي تعيش على الزراعة، ورعي الغنم والبقر،

والعمل بالأجرة.

لقد صبَّ صاحبُنا الداعية جهودَه على هذه القبيلة القريبة من الكفر البعيدة عن الإيمان، وجعل دعوتَها إلى الدين وتعليمها ضروراته همَّه الوحيد وشُغلَه الشاغل، فكان يأخذ أفرادها إلى مسجده يعلِّمُهم كلمة التوحيد و الصلاة والأدعية... وأحيانًا كان يأخذ العاملين بالأجرة من القبيلة إلى المسجد يُوقفهم فيه طول النهار يُعلَّمهم الدين..فإذا أمسى المساء دفع إليهم الأجرة، وأعادهم إلى قراهم.

هكذا بدأ مهمَّته الدعوية، ثم توسَّع فيها، فأنشأ الكتاتيب الإسلامية في المنطقة، ورغَّبهم في إدخال أولادهم فيها، واستدعى كبارهم إلى مسجده لتعليم الدين.

لقد نفخ الداعية في أفراد القبيلة الروح الدينية، وأثار فيهم الشعوربأنَّهم بعيدون عن الإسلام، ولايعرفونه، وهم في حاجة إلى معرفته، فعقدوا اجتماعًا كبيرًا تحت رعاية الداعية، وذلك في ٢/ أغسطس ١٩٢٤م بقرية « نوح » التابعة لمديرية «غور غاون» حضره وجوه القبيلة وأعيانها، ووافقوا على القرارات الآتية:

١- تعلّم كلمة التوحيد.

٢- تعلّم الصلاة.

٣- تعلّم الدين ونشره.

٤- التزيي بالزيّ الإسلامي.

٥- تبنِّي التقاليد الإسلامية وتجنُّب الأعمال الوثنية.

٦- احتجاب النساء.

٧- الزواج على الطريقة الإسلامية.

٨- لبس النساء الزيّ الإسلامي.

٩- العضُّ على العقيدة الإسلامية بالنواجذ، وعدم التديُّن بالأديان الأخرى.

١٠- حضور الوجوه والأعيان الاجتماعَ الدينيّ الدوريّ.

١١- إفراغ الوسع لنشر الدين وتبليغه.

كان لهذا الاجتماع آثار إيجابية مثمرة على المستقبل الديني لهذه القبيلة وعلى مستقبل الحركة، فأخذوا يعملون بما وافقوا عليه في الاجتماع، فإذا بموجة دينية غمرت المنطقة: فمجتمع إسلامي، وزيّ إسلامي، ورغبة في تعاليم الإسلام، وتفان في سبيله.

ثم أعيد عقد الاجتماع العام القادم ١٩٢٥هـ، الذي حضره حشود غفيرة من الناس، كما شرَّفه بحضوره الشيخ خليل أحمد السهارنفوري -صاحب بذل المجهود في شرح أبي داود- وقد أعلن الداعية عن ستة مبادئ بسيطة لهذه الحركة، وهي خلاصة الدين، ولبُّ لباب الشريعة، وهي:

١- تعليم كلمة التوحيد.
٢- تعليم الصلاة.
٣- تحصيل العلم والذكر.
٤- إكرام المسلم.
٥- تصحيح النية.
٦- بذل الوقت.

هذه المبادئ هي دستور الجماعة التي تسير عليه حتى الآن.

لقد هبَّت ريح الإيمان في المنطقة بعد الاجتماع الثاني، وثارت في أهلها الروحُ الإسلامية: فهبُّوا لتعلم الدين وتعليمه، واستعدُّوا لبذل المال والوقت في سبيله، وأخذوا يهتمُّون بالصلاة على أوقاتها، حتى إنَّ رعاة الشاء والغنم في الصحراء إذا حان موعد الصلاة يجتمعون في مكان ويؤذِّنون ثم يصلون بالجماعة، وبعد الانتهاء من الصلاة يرجعون إلى رعي غنمهم وشياههم.

ثم تطوَّرت الحركة واتَّسع نطاقها، فأراد الداعية أن يستخدم عاطفتهم الدينية، ويجرِّب هذا الأسلوب الدعوي الجديد الذي نجحت تجربته فيهم، على غيرهم من المسلمين الجاهلين بالدين، فبعث وفود الدعوة إلى المناطق النائية في البلاد يتحمَّلون نفقاتهم بأنفسهم ويدعون الناس في ضوء المبادئ الستة،

فاستجاب الناس للدعوة و نصروها.

لقد عقدت الحركة اجتماعاتها الكبرى في مختلف مدن البلاد، وانتفع الناس بما ألقي فيها من محاضرات دينية، وتعلَّموا أسلوب الدعوة، ثم خرج كثيرمنهم دعاة إلى مختلف المدن والقرى والأرياف. لقيت الحركة تأييدًا من كبارعلماء الهند من المدارس الكبرى مثل: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ حسين أحمد المدني، والمفتي الأكبر الشيخ كفاية الله الدهلوي، والشيخ عبد القادر الرائى فوري، والشيخ أبي الحسن علي الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني.

رأى الداعية ثمار غِراسه بأمٍّ عينيه، فقد انتشرت الدعوة على مستوى البلاد، و استجيبت من أهلها، غيرأنه كان حلمه فوق ذلك، وهو أن تخرج الدعوة من الهند إلى الأقطارالأخرى، وتعمَّ العالم كلَّه.

لم يتحقَّق هذا الحلم في حياته، فقد تُوُفِّي في ٢١/ رجب ١٣٦٣هـ = ١٣/ يوليو ١٩٤٤م، وخلفه نجله الداعية محمد يوسف الكاندهلوي-صاحب حياة الصحابة- في مهمَّة الدعوة، وقام بتوسيع نطاقها في البلاد.

لقد شبَّتْ الدعوة عن طوقها، وحان أن يتحقَّق حلم مؤسسها، فبعث الداعية محمد يوسف أول وفد للدعوة إلى باكستان، ثم أخذت الوفود تفد إليها تترى، وزارها الداعية نفسه أربع أو خمس زياراتٍ، حتى انتشرت الدعوة فيها وأقيمت اجتماعات دعوية كبيرة في مختلف مدنها، وبُعِثتْ الوفود منها إلى الكويت وتركيا.

ثم بُعثِت الوفود إلى المملكة العربية السعودية مكونةً من العلماء مثل: الشيخ أبي الحسن علي الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني، والشيخ عبيد الله البلياوي وغيرهم، وقد قامت أسرة شيخ الإسلام حسين أحمد المدني بالمدينة المنورة باستضافة هذه الوفود، وساعدتها في مهمَّتها الدعوية.

قام هؤلاء العلماء ولاسيما الشيخ أبو الحسن علي الندوي بالتعريف بالدعوة ومنهجها وأسلوب عملها بين السادة العرب، والحجاج القادمين من مختلف البلاد، وبُعِثت الوفود إلى كلٍّ من تركيا، ومصر، وسورية، وفلسطين، واليمن، والعراق، كما

بُعِثت إلى أفغانستان، وأندونيسيا، وملايا، وبورما، وما إليها، وتبادلت الوفود حتى أصبحت الدعوة مستجابةً ومعروفةً في بلاد العالم الإسلامي.

ظلَّتْ الدعوة في نشاط مستمر وحركة دائبة، حتى وصلت وفودها إلى أوروبا، حيث واجهوا مشكلات شتى، ففي بداية الأمر نظرالناس إلى الدعاة والدعوة شزرًا، وما زالوا يبذلون جهودهم حتى تغلَّبوا على المشكلات، ونشروها بين أهلها، وحقَّقوا نجاحًا باهرًا.

واصلت الدعوة سيرها حتى وصلت وفودها إلى أمريكا كذلك، وواجهوا فيها من المشكلات أكثر مما واجهوا في أوروبا، إلا أنَّهم لم يبرحوا يدأبون ويدأبون حتى ذلَّلوا الصعاب وعبَّدوا الطريق لنشر الدعوة فيها.

على كلٍّ، فقد وصلت الدعوة إلى أقصى أنحاء المعمورة، ووجدت في كل مكان من يستجيبها وينصرها ويؤيِّدها، وذلك لأنها حاجة الوقت، وطلبة عامة المسلمين، وضرورة من ضروراتهم الدينية.

إنَّا لا نعرف حركة من الحركات المعاصرة نفعت عامة المسلمين وتركت عليهم آثارًا طيبة هامة ما نفعت وتركت آثارها هذه الحركة؛ فكم عرفوا عن طريقها الإسلام وعادوا إلى حظيرته، وكم تابوا عن المعاصي وتضرَّعوا إلى الله، وكم ابتعدوا عن البدع والخرافات، وكم طبَّقوا الشريعة على حياتهم.

وتلك حركة دعوية عالمية يرجع فضلها إلى الداعية محمد إلياس ومدرسته الأمِّ دارالعلوم بديو بند ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

***

جهود الجامعة في مجال الاجتماع والسياسة

لم يقصِّر أبناء الجامعة جهودهم على التعليم والتثقيف والتربية والدعوة والإصلاح، وإنما خاضوا ميادين أخرى تتصل بالاجتماع والسياسة ومصالح عامة الناس، وظلُّوا على اتِّصال دائم بجميع طبقات الشعب الهندي، وقاموا لهم بما استطاعوا من خدمات. فشنُّ حملةٍ النهضة التعليمية في الشعب الهندي، والمساهمة في كفاح تحرير البلاد مظهر من مظاهر جهودهم الاجتماعية والسياسية.

لقد أنشؤوا بعد قسمة البلاد مؤسَّسات ومنظَّمات اجتماعية وخيرية، وسياسية أو شبه سياسية، من أكثرها أهميةً وأوسعها نطاقًا و أضخمها إنجازاتٍ «جمعية علماء الهند»، وتليها هيئة القوانين الشخصية للمسلمين، وما إليهما من المؤسسات و المنظمات والهيئات التي دعموها بنشاطاتهم وخدماتهم.

وفيما يلي نظرة عابرة على جهودهم الاجتماعية والسياسية.

جمعية علماء الهند وجهودها الاجتماعية والسياسية

كما أسلفت أنَّ جمعية علماء الهند أقدم الجمعيات الإسلامية وأكبرها في تاريخ مسلمي الهند، وهي جمعية قامت بأداء خدمات جليلة في الحفاظ على أنفسهم وأموالهم وشعائر دينهم، ومكافحة التطرُّف الطائفي، وبثِّ الوعي التعليمي، وإعادة الإسكان، وتوفير وسائل الراحة للمتضرِّرين في الكوارث.

وقد تولّى منصب رئاستها وأمانتها العامة منذ تأسيسها مشايخ دارالعلوم وعلماؤها، على رأسهم المفتي كفاية الله الدهلوي، وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ فخرالدين المرادآبادي، والشيخ محمد ميان الديوبندي، والشيخ السيد أسعد المدني، والشيخ أرشد المدني، و الشيخ المقرئ محمد عثمان المنصورفوري، وغيرهم من كبار العلماء في الهند.

ولـمَّا استقلّت البلاد عام ١٩٤٧م وحدثت قسمتها إلى قطرين: الهند وباكستان وقعت اضطرابات طائفية ومجازر هائلة تقشعرُّ لها الجلود، ويشيب من هولها الولدان، وصعُب البقاء للأُسَر التي قرّرتْ السكن في الهند، وضاقت عليها الأرض بما رحبت. هنالك قام مسؤولو الجمعية وأعضاؤها بدور عظيم في تثبيت أقدام أعضائها وتوفير الأمن والراحة لهم.

كما بذلت جهودًا جبَّارة لمكافحة الاضطرابات الطائفية التي وقعت- ولا تزال تقع بين الفينة والفينة- في طول البلاد وعرضها، ورفعت صوتها ضدَّها في البرلمان والمجالس الإقليمية والاجتماعات الشعبية، ونـدَّدت بالطائفية المتطرِّفة والعصبية البغيضة، وفضحت القوى المعادية للبلاد على رؤس الأشهاد.وفي جانب آخر قامت بأعمال لا تُنسى في إغاثة المسلمين المتضرِّرين في الاضطرابات، وإعادة إسكانهم وتوفير وسائل العيش لهم.

ومن أهمِّ الأيادي البيضاء للجمعية نحو المسلمين الهنود بذل مساعيها المكثَّفة في وضع البنية العلمانية لدستور البلاد، وذلك لـمَّا كان الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي عضوًا في المجلس التشريعي، سعى- ما أمكنه- أن يكون في الدستور ما ينفع المسلمين ويرعى حقوقهم، فما يضمُّ الدستور الهندي من امتيازات وحقوق وكفالات هو ثمرة جهود مسؤولي الجمعية وأعضائها. لو تمكَّن المسلمون من نيل تلك الحقوق وارتفعوا عن الشعور بالنقص لكان لهم مستقبل زاهر في هذه البلاد.

لقد نعت الجمعية على القوى التي حاولت النيل من لحمة علمانية الدستور وسداها، وقامت بإحباط مؤامرتها في هذا الشأن، فقاومت شتى المشكلات التي أثارتها تلك القوى من فرض النشيد الوطني الوثني على أولاد المسلمين الدارسين في المدارس الحكومية، وصبغ المقرَّرات الدراسية بالصبغة الهندوسية، ومطالبة وضع القانون المدني الموحّد لجميع سكان البلاد، ومشروع بناء المعابد الدينية بعد الإذن الحكومي، والتدخُّل في القوانين العائلية للمسلمين.. وسعت سعيَها

للحصول على ما للأقلية المسلمة من حقوق في الدستور، وفشَّلت مؤامرة تلك القوى المعادية لدستور البلاد وعلمانيَّته.

ومن أهمِّ قضايا المسلمين في الهند قضية الأوقاف، فاغتصاب الأراضي الموقوفة من المساجد والمقابر وبيعها واستغلالها وعجز لجان الوقف و ما إلى ذلك، ممّا أثار مشكلاتٍ دينيةً واقتصاديةً.

فلفتت الجمعية عنايتها إلى قضية الأوقاف، فوافقت على القرارات نحوها، واستعانت بالحكومة، واستخدمت لذلك النفوذ، واتخذت إجراءات للحفاظ على الأوقاف. عقدت الجمعية مؤتمرًا في موضوع الأوقاف في فبراير ١٩٧٩م، وافق على القرارات التي وضعتها اللجنة المكوَّنة من قبل الجمعية، ثمَّ عرضت هذه القرارات في البرلمان الهندي الذي وافق عليها.

ومن أهمِّ قضاياهم وأكثرها خطورةً قضية المسجد البابري في أجودهيا، التي طالما سبَّبَتْ الاضطراب الطائفيَّ، وسفك الدماء، وإهدار الأمن، والاختلاف والافتراق، حتى هدمه جموع حاشدة من الهندوس المتعصبين في ٦/ ديبسمر ١٩٩٢هـ.

إنَّ قضية المسجد البابري قضية أثارها بل اختلقها الإنجليز لشقِّ كلمة المسلمين والهندوس، وتمزيق وحدتهم ليُحكموا قبضتهم على البلاد، فاستغلُّوا الشائعات القائلة بأنَّ المسجد البابري بني في الموقع الذي كان فيه معبد راما بعد هدمه.

بينما قد مرَّ على المسجد البابري نحو ثلاثة قرون، ولم يكن حوله أيّ نزاع، ولم يثبت تاريخيًّا أنه هُدمَ معبد راما وبُنِيَ مكانه المسجد البابري.

أول صدام واضطراب حدث بين المسلمين والهندوس في أجودهيا في مارس عام ١٩٣٤م، فذهب المفتي كفاية الله الدهلوي رئيس الجمعية أيامئذٍ إلى أجودهيا واستعرض الأوضاع، ثم قدَّم تقريرًا إلى المجلس التنفيذي للجمعية.

ولـمَّا اقتحم طائفة من الهندوس بشكل مدروس المسجد البابري ليلًا في

١٩٤٩م، ووضعوا فيه الأوثان اعتبرشيخ الإسلام حسين أحمد المدني والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي هذا الحادث وصمة عارعلى علمانية الدولة. و نظرًا إلى خطورة الموقف قرَّرَتْ الجمعية منذ ذلك الوقت أن لا تُجْعَل هذه القضية قضيةً شعبيةً، فتكلَّمت في هذا الصدد مع الحكومة ورفعت القضية إلى المحكمة في نفس العام.

وفي جانب آخر اتصلت الجمعية بالهندوس المنصفين وتبادلت معهم الآراء وقدَّمت إليهم حقائق تاريخية فيما يتعلق بالمسجد البابري، وذلك حفاظًا على هيكل المسجد، ووحدة البلاد وسلامتها. غير أن نفاق الحكومات وقوة الطائفيِّين المتصاعدة قد جعل القضية قضية طائفية وسياسية بالغة الحسَّاسية في العقد الثامن من القرن العشرين، حتى هدمه جمع حاشد من الهندوس المتطرفين على مرأى من الحكومة ومسمع منها.

لقد ظلت جمعية علماء الهند تتابع قضية المسجد البابري في المحاكم، حتى قضت محكمة لكناؤ فرع محكمة إله آباد العالية في ٣٠/ سبتمبر عام ٢٠١٠ بتقسيم موقع المسجد إلى ثلاث قطع: قطعة للمسجد، وقطعتين للطرفين من الهندوس: رام للا، ونرموهي اكاره.

لم تقبل جمعية علماء الهند هذا الحكم؛ بل رفعت القضية إلى المحكمة العليا. وقد صعَّد الطرف الهندوسي جهوده لعقد الصلح مع الطرف المسلم لأخذ موقع المسجد ما وراء المحكمة؛ لكن الجمعية وقفت موقفًا صارمًا لا هوادة فيه بأن موقع المسجد هو موقوف على الله وفي ملك الله، لا يملك أحد أن يهبه لآخر أو يستبدل به موقعًا آخر، وأبت أن تتنازل عنه بصورة أو أخرى.

ومن المؤسف جدًا أن قضاة المحكمة العليا أصدروا الحكم في ٩/ نوفمبر ٢٠١٩م بأنه يُعطى مكان المسجد للهندوس، ويُعطى المسلمون مكانًا آخر للمسجد في أجودهيا، مع الاعتراف بأن المسجد كان قد بني في مكان لا يملكه أحد، ولم يُبنَ بعد هدم المعبد، وأن وضع الأصنام في المسجد في الليلة كان خرقًا للقانون، وأن هدمه على أيدي المتطرفين والمتشددين كان انتهاكًا لحرمة القانون.

كانت الأدلة تؤيد دعوى المسلمين؛ و لكن المحكمة قضت بغير ما تقتضيه الأدلة، لم تقض على أساس الأدلة والمستندات، إنما قضت على أساس العقيدة الهندوسية المزوَّرة.

لقد وقفت الجمعية من المسجد البابري موقِفًا معتدلًا حكيمًا، لا إفراطَ فيه ولا تفريط، وقد لامها بعض الناس على اعتدالها في الموقف، واتَّهمُوها برعاية المصالح؛ ولكن الأوضاع أثبتت أن موقف الجمعية هو الذي كان صحيحًا، ولو وقفت الأطراف من المسلمين من القضية ذلك الموقفَ لكانت النتائج غير ما هي الآن.

جملة القول أن الجمعية قامت بخدمات جليلة في ميادين مختلفة، فقد بذلت جهودًا جَبَّارةً في الحفاظ على اللغة الأردية، والحفاظ على طابع كون جامعة عليجراه الإسلامية، والجامعة الملية الإسلامية للأقلية المسلمة، كما قامت بإنشاء الإمارة الشرعية لتوحيد كلمة المسلمين وحل مشكلاتهم الدينية، وشنِّ حملة إصلاح ما دخلَ المجتمع المسلم من انحرافات ومفاسد، والعمل على بسط الأمن والانسجام الطائفي، ودعم العلمانية والحفاظ عليها، كلُّ ذلك من مواقف الجمعية المشرقة التي لن ينساها المؤرخون المنصفون.

الحفاظ على القوانين الشخصية للمسلمين

إن القوانين العائلية والشخصية للمسلمين لها أهمية في البلاد ذات الدستور العلماني، فهم مطَالَبونَ دينيًّا بممارسة الأحكام الدينية في القضايا الشخصية والعائلية. وقد أولى مشايخ دارالعلوم وعلماؤها أهمية بالغة لهذه القضية في العهد البريطاني وبعده. ففي عام ١٩١٧م لدى مقدْم حاكم إنجليزي جديد إلى الهند كان من المتوقع إدخال تغييرات في القوانين العائلية للدستور، فلقي وفد من العلماء برئاسة الشيخ محمد أحمد رئيس الجامعة الأسبق الحاكم الإنجليزي، وقدم إليه مذكِّرة قد وقَّع عليها نحو خمس مئة عالم.

كانت المذكرة مشتملة على بندين أساسيين:

أحدهما: أن يُقام في الهند مجلس للقضاء يتم له تعيين قضاة مسلمين من أهل السنة والجماعة، وأن يكون للمجلس أعضاء وممثلون من مختلف الطوائف الإسلامية، ويتم حل المسائل في ضوء ما يعتقده هذه الطوائف.

وثانيهما: أن يُقامَ منصب دينيٌّ جليل، ويُعَيَّن له شيخ الإسلام الذي يرعى الشعائر الدينية والمساجد والأوقاف والمقابر والزوايا والمؤسسات للمصالح العامَّة.

ثم في عام ١٩٢٩م أثيرتْ قضية الوقف الإسلامي و وُجِّهت إليه اعتراضات. ولاشك أنَّ الوقف من القضايا التي تخص المسلمين. قامت الحكومة بتكوين لجنة للوقف، وقد أرسلت اللجنة أسئلة عن الوقف وما يحوم حوله من شبهات إلى مختلف الفرق الإسلامية في الهند.

فردًّا على الأسئلة وما أثير من شبهات قام حكيم الأمة أشرف علي التهانوي بكتابة مذكرة باسم «الإنصاف في قانون الأوقاف»، وقَّع عليها العلماء، وقاموا بمايلزم من الإجراءات في هذا الشأن.

كما رفضوا القانون المدني الموحَّد لجميع المواطنين من الهندوس والمسلمين والسيخ والمسيحيين؛ لأنه يُعارض الشريعة الإسلامية على طول الخط وعرضه.

هيئة القوانين الشخصية للمسلمين

و في عام ١٩٧٢م بدأت المطالبة بإدخال تغييرات في القوانين الشخصية للمسلمين، واشتدَّت، وادعى المطالبون أنَّ الأحكام الشرعية الفقهية لا تفي بحاجات العصر ولا تساير ركب الزمان. فتمَّ تكوين لجنة من أساتذة دارالعلوم ومفتيها، لتدرس الشبهات المثارة وتتولى الدفاع عن الشريعة الإسلامية.

وفي هذا الخصوص عقد الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس الجامعة سابقًا اجتماعًا في دارالعلوم في مارس ١٩٧٢م دعا إليه كبار علماء ديوبند و المفكرين الإسلاميين الهنود، لدارسة الموضوع ومناقشته، واتخاذ موقف إسلامي موحد، تحسب الحكومة له حسابًا. وقد وافق الاجتماع على عقد مؤتمرٍ عام في «مومباي» في ٢٧-٢٨ ديسمبر عام ١٩٧٢م.

ونظرًا إلى أهمية الهدف وجلالته ارتأى أرباب الحل والعقد أن يُوجِّه أصحاب المدارس الفكرية ومسؤولو المنظمات الإسلامية الدعوة إلى المشتركين في المؤتمر للحضور فيه.

وفعلًا عُقد المؤتمر في اليوم المذكور في «مومباي»، وقد حضره أصحاب المدارس الفكرية، وممثِّلو الجماعات والطوائف الإسلامية من أهل السنة والشيعة والمهدوية والبريلوية وأهل الحديث والجماعة الإسلامية، ولم يتخلف عنه طائفة إسلامية تُذكر، واختاروا جميعًا الشيخ المقرئ محمد طيب رئيسًا للمؤتمر.

كان المؤتمر مثالًا لاجتماع كلمة أصحاب المدارس الفكرية والطوائف الإسلامية وتضامنهم، لم يسبق له مثيل إلا أيَّام حركة الخلافة. وقد وافق المشاركون في المؤتمر على أنّهم لن يحتملوا أيّ تدخل في القوانين الشخصية للمسلمين، وأنها جزء من الشريعة الإسلامية.وقد ترك المؤتمر تأثيرًا كبيرًا على الحكومة والبلاد جميعًا.

كان هدف عقد المؤتمر الحفاظَ على القوانين الشخصية للمسلمين وصيانَتَها من كل تغيير وتعديل، وبلاغًا من المدارس الفكرية والطوائف الإسلامية على بكرة أبيها، بأنَّ المسلمين لن يتخلوا عن قوانينهم الشخصية، ولن يسمحوا بأي تغيير و تبديل، ولن يقبلوا قانونًا يُبطل أي جزء من قوانينهم الإسلامية، أو بتعبير آخر أن المسلمين لن يتخلوا عن خصائصهم الاجتماعية والثقافية التي يقوم عليها صرح كيانهم الديني والحضاري [(١)].

فهيئة القوانين الشخصية للمسلمين لعموم الهند مؤسسة ذات اعتبار كبير، تمثل المسلمين الهنود، وقد اختير الشيخ المقرئ محمد طيب أول رئيس لها، والشيخ منة الله الرحماني أول أمين عام لها، ثم تولى رئاستها الشيخ أبو الحسن علي الندوي، ثم القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، ثم الشيخ السيد المفتي نظام الدين، ويضطلع بأعباء رئاستها الآن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي.

---

(١) تاريخ دارالعلوم ديوبند لمحبوب الرضوي ١/ ٤٠٣، ٤٠٩.

مؤتمر السلام العالمي والتنديد بالإرهاب عام ٢٠٠٨م

لا شك أنَّ دارالعلوم مؤسسة تعليمية تصرف كل عنايتها إلى التعليم والتربية وما إليهما، إلا أنَّها لم تبتعد بنفسها عما يحدث من الأحداث و ما يظهر من المشكلات والقضايا على الصعيدين: المحلي والدولي؛ بل أصدرت رأيها فيها و أعلنت بصراحة عن موقفها الذي وقفت منها.

ومن أهم المشكلات في هذا العصر هي مشكلة الإرهاب التي استقطبت انتباه العالم، وأقضَّت مضاجعه. قامت دارالعلوم دائمًا بالتنديد بالإرهاب بكل أنواعه والنعي عليه وعلى الطائفية و التعصب العنصري و المذهبي والإقليمي واللغوي، وأكّدت على أهمية الأمن والسلام واستتبابه في العالم.

لقد استهدف المتعصبون الطائفيون دارالعلوم والمدارس الإسلامية مؤخرًا، ووصفوها بـ «محضن الإرهاب»، وألصقوا بها أنواعًا من التُّهم، ففنَّدت دارالعلوم هذه التهم ونَفَتْها نفيًا مؤكدًا. ولما كثرت هذه الاتهامات بعد هجمات ١١/ سبتمر ٢٠٠١م، وهجمات أمريكا على أفغانستان، وردَّد الإعلام العالمي اسم دارالعلوم، قابل مسؤولو دارالعلوم هذه الظاهرة بحكمة وروية، ففتحوا أبوابها على مصاريعها للصحفيين والإعلامين حتى يروا دارالعلوم ونشاطاتها عن كثب، ويعرضوها على العالم كماهي.

هكذا فشلت حملة المعادين لدارالعلوم والمدارس الإسلامية، وحصحص للعالم حبُّ دارالعلوم السَّلامَ والتسامح الدينيَّ.

وقد أصدرت دارالإفتاء التابعة لها فتاوى متنوعة في تشنيع الإرهاب وقتل الأبرياء، حتى عقدت دارالعلوم في هذا الخصوص مؤتمرًا لعموم الهند في فبراير عام ٢٠٠٨م، حضره ممثلو جميع الفرق والجماعات الإسلامية في الهند. وقام المؤتمر قومة رجل واحدٍ ضدَّ الإرهاب بأنواعه وأشكاله، سواء كان على مستوى الحكومة، أو الجماعة، أو الشخص، وأعلنَ أنَّ قتل الأبرياء ظلم وقتل للإنسانية جمعاء.

وقام الإعلام المحلي والعالمي بتغطية نشاطات المؤتمرومداولاته وقراراته،

مما أثمر نتائج مفيدة وإيجابية.

إنَّ دارالعلوم والمدارس التي تسير على منوالها تقوم بدور عظيم في بناء المواطن المثقف المحبِّ للسلام الوَقُور، فهي تربِّي الجيل الدارس فيها على القيم الدينية والخلقية في جانب، وتُربِّيه تربيةً نفسيةً ورُوحيّةً في جانب آخر؛ لذلك فالمتخرِّجون منها بعيدون كلَّ البعد عن الجرائم الاجتماعية، ومحظيُّون بمكانة مرموقة في المجتمع.

تكوين الأحزاب السياسية وأعضاء البرلمان

أما مجال السياسة فلم يتغافلوا عنه في يوم من الأيام، فقد ساهم الإمام محمد قاسم النانوتوي برفقته في الثورة الكبرى عام ١٨٥٧م، حيث خاضوا معركة دامية ضدَّ الإنجليز في بلدة شاملي كما تقدَّم ذكرها.

ولما قامت روسيا بشن الهجوم على المناطق الخاضعة لتركيا جمع الإمام محمد قاسم النانوتوي التبرعات من المسلمين في الهند، وبعث بها للخلافة العثمانية مساعدةً لها ووقوفًا بجانبها، وقد قيل إنه سافرإلى الحجاز ليحُج، ثم يتوجه بعد أدائه إلى تركيا ليحضر الجبهة ويقاتل القوَّات الروسية، إلا أنه ذهب للحج ولم يتمكن من الوصول إلى تركيا.

ولما أنشئ المؤتمر الوطني في الهند بعد الاحتلال الإنجليزي للمطالبة بحقوق الشعب الهندي، أفتى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي بالمساهمة فيه والانضمام إلى لوائه خدمةً للشعب الهندي ومساندة لقضاياه.

ولما حاكت بريطانيا المؤامرة الماكرة ضد الخلافة العثمانية التي كانت - على ضعفها- معقد آمال المسلمين و رمزمجدهم وعنوان عزتهم، وحاولت إسقاطها نهض علماء دارالعلوم ومتخرجوها رغم أشغالهم التعليمية والدعوية والإصلاحية، ونظَّمُوا احتجاجات ومسيرات في طول البلاد وعرضها تأييدًا للخلافة وحفاظًا عليها من مؤامرة الإنجليز ومكرهم.

وقد سبق أن ذكرت أن خطة الرسائل الحريرية قد قادها شيخ الهند محمود

حسن الديوبندي وأصحابه تخليصًا للبلاد من براثن الاستعمار البريطاني، فلما افتضح سرها زُجَّ في السجن عقابًا على قيادتها.

أما جمعية علماء الهند فقد تقدَّم ذكرها أنها قد ساهمت في تحرير البلاد، و أبلت بلاءً حسنًا في حل قضايا المسلمين ومشكلاتهم خلال تاريخها الطويل الممتد على قرن كامل.

ولما بدأت العصبة الإسلامية بحركة إقامة دولة باكستان عارضها عدد من علماء ديوبند نظرًا إلى مستقبلِ ومصالحِ من يتبقى من المسلمين في الهند، بينما أيّدها عدد منهم، على رأسهم حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والعلامة شبير أحمد العثماني، والشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي رجاءَ أن تكون الدولة الناشئة معملا للقوانين الإسلامية.

وكما أسلفت أن علماء ديوبند هم الذين قد أنشؤوا هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين التي لاتزال تدعم القوانين الإسلامية وتقوم بالدفاع عنها في المحاكم الهندية.

مجلس التشاور الإسلامي

ولما قامت الأحزاب السياسية المعادية للديموقراطية بإجحاف حقوق المسلمين وإبادة أرواحهم وممتلكاتهم نهض المفتي عتيق الرحمن العثماني (المتوفى ١٤٠٤هـ) خريج دارالعلوم وعضو مجلسها الاستشاري وكوَّن جبهة موحدة لمختلف الأحزاب والجماعات الإسلامية، وذلك باسم «مجلس التشاور الإسلامي»، لمنع الاعتداءات التي تصبُّ على المسلمين.

حزب أيو دي أيف (AUDF)

كان حزب المؤتمر الوطني يحكم ولاية آسام وكانت حكومته الإقليمية تغمط حقوق المسلمين، وتُوَرِّطُهم في المشكلات، وتضع في سبيلهم العراقيل، فقام السيد أسعد المدني رئيس جمعية علماء الهند مطالبًا الحكومة بحقوق المسلمين

وحل مشكلاتهم وإزالة العراقيل من سبيلهم. فلما لم ترفع الحكومة بمطالبته رأسًا أنذرها إنذارًا نهائيًّا بأنه إن لم تمنح الحكومة المسلمين حقوقهم نضطَرُّ إلى تكوين حزب سياسي يكون جبهة موحدة للمسلمين والمنبوذين من الهندوس، وحدّدَ الأجل، وهو ٢/ أكتوبر ٢٠٦م. وظلت الحكومة مُصِرَّة على عنادها، وانقضى الأجل، فقام تلميذه الشيخ بدر الدين أجمل بتكوين حزب سياسي في ٣/ أكتوبر عام ٢٠٦م، وسماه الجبهة الديموقراطية الموحدة لعموم الهند (All India United Democratic Front) ، وأصبح هو أول رئيس له. والحزب في رقي وتطور، وقد وصل أعضاؤه إلى المجلس التشريعي والبرلمان الهندي.

أعضاء البرلمان والمجلس التشريعي

وهناك عدد من متخرجي دارالعلوم قد مثَّلوا الشعب الهندي في البرلمان الهندي و المجالس التشريعية الإقليمية خيرَ تمثيلٍ، منهم من خاضوا الانتخابات وفازوا فيها، ومنهم من اختارهم الأحزاب السياسية وبعثتهم كأعضاء ممثلين لها إلى البرلمان أو المجالس التشريعية. ومن أعضاء البرلمان والمجالس التشريعية المعروفين الشيخُ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخُ إسحق السنبهلي، والشيخ السيد أسعد المدني، والشيخ محمود أسعد المدني، والشيخ بدر الدين أجمل القاسمي، والشيخ المفتي إسماعيل القاسمي، والشيخ أسرار الحق القاسمي، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والحافظ محمد عثمان الأنبيتوي، والشيخ جميل أحمد القاسمي.

* * *

جهود الجامعة في تحرير البلاد

لقد أسهمت الجامعة في كفاح تحرير الهند إسهامًا عظيمًا، حيث اشترك فيه ثلاثة أجيالٍ من مشايخها المؤسِّسِين وأبنائها المتخرِّجين، فلقُوا من الإنجليز صنوفًا من الأذى وألوانًا من العذاب من الحبس والنفي و الجلاء. وقد امتدَّ كفاحهم على نحوقرن من الزمان، بدءًا من ثورة عام ١٨٥٧م وانتهاءً إلى جلاء الإنجليز من الهند عام ١٩٤٧م.

مقدم الإنجليز إلى الهند

بدأ الإنجليز تجارتهم في الهند عام ١٦٠٠م، وكوَّنُوا لذلك شركة الهند الشرقية، وحصلوا على الإذن بالتجارة في الهند من الإمبراطور المغولي جهانكير، الذي منحهم في مرسومه الملكي حقوقًا وامتيازات من إقامة المصانع، وتأسيس المراكز التجارية، وإعفاء الكثير من الرسوم الجمركية.

واستمرَّ نشاطهم التجاري بمباركة من الحكومة البريطانية التي منحت الامتيازات الكثيرة للشركة، حتى توسَّعت أعمالها، فأسَّست مراكز رئيسة في كل من كالكوتا، ومدراس، وموماي. وفي عام ١٦٩٨م أسست شركة جديدة باسم الشركة العامة للتجارة في الهند وما جاورها من المناطق، واندمجت القديمة في الجديدة عام ١٧٠٩م، وسُمِّيت باسم شركة الهند الشرقية (East India Company) وهذه الشركة هي التي لعبت دورًا رئيسًا في تثبيت النفوذ الإنجليزي، وحتى نهاية النصف الأول من القرن السابع عشر كان طابع شركة الهند الشرقية تجاريًا، ولكن بعد ذلك أخذت السياسة تتغلَّب على القضايا التجارية، وأصبح لها جيوش وأساطيل بحرية، وفي عام ١٦٨٤م عيّنت الشركة قائدًا عامًّا لجيشها، وأميرًا لبحريتها، وتحوَّلت السياسة الاقتصادية إلى سياسة السيادة الإقليمية على الأرض خاصة في القرن الثامن

عشر، فكانت الشركة تعقد المعاهدات، وتعلن الحروب، وتسنُّ القوانين، وتضرب النقد، وما مدير الشركة إلا حاكم أعلى، يساعده في أعماله حُكَّام مقاطعات وولايات، وله مجلس إدارة هو أشبه بالبرلمان، وتحت إمرته الجيوش.

فلما استتبَّ الأمر للإنجليز أسفر عن وجههم الحقيقي وكشفوا عن نياتهم الاستعمارية، واعتمدوا على القوة العسكرية لمجابهة مهاراجات الهند وأباطرة المغول والتغلب عليهم، بعد ذلك[١].

ثم بدأ الأخطبوط الإنجليزي يزدرد هذه البلاد قطعةً قطعةً وإمارةً إمارةً، وقد انتبه بعض الملوك والحكام والعلماء لهذا الخطر العظيم، وتفطنوا أنه إذا لم يقض على هذه الجرثومة الإنجليزية السامة تسري في البلاد كلها.

فلمّا رأى سراج الدولة نوايا الإنجليز التوسُّعية في بنغال شنَّ الحرب عليهم عام ١٧٥٧م، وانتهى أمره بالهزيمة لخيانة وزرائه وأعوانه.

كما أنَّ الملك الغيور فتح علي خان المشهور بالسلطان تبيو (١٢١٣هـ= ١٧٩٩م) أوَّل من انتبه لهذا الخطر، وعرف ببصيرته وألمعيته أنّ الإنجليز سيزدردون هذه البلاد كلقمة سائغة إذا لم تقم في وجههم قوة منظمة، وحارب الإنجليز حربًا عنيفة لا هوادة فيها، وكاد ينهار كل ما بناه الإنجليز وأملوه في الهند لولا أنّهم نجحوا في ضم أمرا ء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم، وسقط الملك المجاهد صريعًا في المعركة ١٧٩٩م، ولما بلغ القائد الإنجليزي هورس (Horse) حضر ووقف على جثته وقال: «اليوم الهند لنا»[٢].

قَوِي الإنجليز بعد شهادة تبيو وتجرَّؤوا، ولم يجدوا في وجههم قوة تمنعهم من السيطرة والاستيلاء على البلاد، فأخذوا يسيطرون على المناطق وثرواتها، وحصروا الحكم المغولي في دهلي وأكنافها، حتى جرى على ألسنة الناس: حكومة شاه عالم من دهلي إلى بالم.

---

(١) تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين للشيخ أحمد زين الدين المعبري المليباري المتوفى سنة ٩٩١هـ

(٢) المسلمون في الهند، ص: ١٧٧.

ولـمّا أجبر مندوب الشركة الإنجليزية الملك المغولي على توقيع قرارات سنة ١٢١٨هـ، وأعلن أنَّ الخلق لله والملك للملك والحكم للشركة، مشيرًا إلى أن السطلة تكون في يد الإنجليز، أمّا الملك فيبقى رمزيًّا بلا نفوذ وسلطة، عارض الإمام ولي الله الدهلوي هذه الفكرة، وقال: «لا يُتَصوَّر ملك مسلم بدون نفوذ إلّا إذا تصوّرنا الشمس بدون ضوء»[1].

فتوى الإمام عبد العزيز الدهلوي

ولـمّا رأى الإمام عبد العزيز الدهلوي قوة الإنجليز وتدخُّلهم في شؤون البلاد، وإهانة الشعائر الإسلامية على أيديهم، ووضع العراقيل في إقامة الدين وشعائره أصدر فتواه المشهورة بأنَّ الهند أصبحت دار حرب، وعلى المسلمين أن يهبُّوا جميعًا للجهاد؛ لإنَّ الحل والعقد صار بيد المسيحيين الإنجليز، فهم يديرون الأمور، ويعينون الموظفين، ويشرفون على القضاء والأمن، ولا يحترمون الأمور الأساسية للإسلام، ويهدمون المساجد بدون اكتراث، من أجل ذلك انتقلت الهند من دار إسلام إلى دار حرب[2].

حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

وا نتشرت هذه الفتوى في سائر البلاد، وكان لها تأثير كبير على المسلمين، وهي التي ألهبت فيهم شعلة الجهاد ضدّ الإنجليز، وتخليص البلاد من أيديهم الآثمة. وهذه الظاهرة هي التي دفعت الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وأصحابه إلى شنّ الجهاد ضدّ الإنجليز وحلفائهم من السيخ، حتى استشهد هو وصاحبه الشيخ إسماعيل في معركة «بالاكوت» ١٨٣١م = ١٢٤٦هـ.

ثورة عام ١٨٥٧م

حدثت ثورة عارمة ضدّ الإنجليز عام ١٨٥٧م؛ لأنّهم عاملوا المواطنين

(١) الداعي، عدد خاص، مارس وأبريل ١٩٨٠م.

(٢) المصدر السابق.

بالظلم والاضطهاد، ، ولم يحتفلوا بكرامتهم، وجرحوا عواطفهم الدينية، ونهبوا ثروة البلاد. وكانت ثورة عامة اشترك فيها المسلمون والهندوس سواء بسواء، وتوجَّه الثُوَّار إلى دهلي وجعلوا الملك المغولي الأخير سراج الدين بهادر شاه ملكًا لهم شرعيًا ودهلي عاصمة للحكومة الوطنية. وقد فشلت الثورة لأسباب قيادية وتنظيمية.

رغم أنَّ هذه الثورة أو حرب التحرير -كما يصح أن تسمى- شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهندوس جنبًا بجنب، وكان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه، وكان منهم العدد الأكبر والأهمُّ من القادة والزعماء، وقد صرَّح السر وليم هنتر بأن جمرات الجهاد التي أشعلها السيد أحمد الشهيد (١٢٤٦هـ) هي التي ألهبت نارهذه الثورة.

وقد كان من أكبر العلماء والمشايخ الذين قادوا الثورة وأشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت علي، وهما اللذان تزعَّما الحركة، وكان الجنرال بخت خان هو القائد العام ونائب الملك[1].

معركة شاملي النضالية

ولـمَّا قامت ثورة ١٨٥٧م وعمَّت المناطق وشملتها اجتمع طائفة من العلماء الربَّانيين في تهانه بهون، وهم المربي الكبير إمداد الله التهانوي، و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمد قاسم النانوتوي، و الشيخ محمد منير النانوتوي، والحافظ ضامن، وتشاوروا فيما يجب عليهم تجاه هذه الظاهرة الحديثة، فاتفقوا على أن يقوموا بالجهاد ضدَّ الإنجليز، وكان الشيخ محمد منير يرى خلاف ذلك، لعدم الاستعداد وعدم وجود أسلحة توازي ما لدى الإنجليز من الإسلحة، وقد رفع الخلاف الشيخُ محمد قاسم النانوتوي قائلًا: ألا توجد معنا أسلحة مثل ما كانت لدى أهل بدر؟، قالوا بلى، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فشمَّروا عن سواعدهم ودعوا الناس للجهاد، وجعلوا الحاج إمداد الله إمامًا لهم، والشيخ

(١) المسلمون في الهند، ص: ١٧٧.

محمد قاسم قائدًا عامًا، والشيخ رشيد أحمد قاضيًا، والشيخ منير النانوتوي قائدًا على الميمنة، والحافظ ضامن قائدًا على الميسرة. وكان هؤلاء العلماء محلَّ اعتقاد لعامة الناس، فاجتمعوا حولهم من كل ناحية، وكانت أسلحتهم من الطراز القديم، وكانوا يُعنون بالتدريب من قبل.

بدأ المجاهدون أعمالهم النضالية، فاستولوا على تهانه بهون وما حولها، وأقاموا فيها الحكم الإسلامي، وأخرجوا من فيها من الحُكّام الإنجليز.

ومن حسن المصادفة أنَّ كتيبة من الجيش الإنجليزي كانت متجهة من سهارنفور إلى كيرانه، ومعهم مدافعهم وأسلحتهم، وقد علم المجاهدون ذلك، وفكَّروا كيف يقاتلون المدافع بالسيوف والبنادق القديمة؟ ولم يلبثوا كثيرًا حتى رأى الشيخ رشيد أحمد أن يقوم بعمل جريئ ضدَّ هذه القوة الزاحفة، وأسرع مع كتيبته المكوَّنة من أربعين مجاهدًا، وكمنوا بين الأشجار في طريق هذه القوة، حتى إذا مرَّت بهم أمطروا عليها وابلًا من رصاص بنادقهم، فقُتِل الضابط الإنجليزي وفَرَّ غيره من الإنجليز تاركين مدافعهم وأسلحتهم، واستولى عليها الشيخ رشيد أحمد وأصحابه وحملوها إلى إمامهم الحاج إمداد الله، وألقوها أمامهم في المسجد، وقد أثار هذا الانتصار شعلة الحماس في نفوس المجاهدين.

وبعد هذا الانتصار العظيم تقدمَّ المجاهدون صوب بلدة شاملي، وقد كان فيها عدد قليل من رجال الجيش الإنجليزي، وقد جعلوها كقلعة حصينة، وأغلقوا بابها حفاظًا على أنفسهم. أما المجاهدون فكانوا في الميدان خارج القلعة، فأصابتهم رصاصات من الإنجليز. وقد تجرَّأ الشيخ محمد قاسم فأشعل النار في الباب، واقتحم المجاهدون القلعة من بابها غير مبالين بلهيب النار، فجرت معركة حامية بينهم وبين الإنجليز، حتى أسفرت عن انتصارهم، فألقى رجال الجيش الإنجليزي أسلحتهم، بينما استُشْهِد الحافظ ضامن قائد الميسرة، وقد قُتِل – على ما روى هنري جارج كين مسجل الأحداث آنذاك – ١١٣ ممن كانوا في القلعة من رجال الجيش.

استولى المجاهدون على شاملي وخرَّبوا قلعتهم التي تحصَّنوا بها، وقد قامت هذه المعركة في ٢٤/ المحرم ١٢٧٤هـ=١٤/ سبتمر ١٨٥٧م.

ومن عجيب المصادفة أنّه يومَ فُتِحتْ شاملي على أيدي هؤلاء المجاهدين دخلت الجنود الإنجليزية دهلي وهزموا الثُّوَّار واستولوا على القلعة الحمراء. فشلت هذه الثورة؛ لأن الشعب الهندي لم يُنَظِّم قوته، فتمَّت سيطرة الإنجليز على البلاد كلِّها.

بعد ما قمع الإنجليز الثورة وأحكموا قبضتهم على دهلي أخذوا ينكلون بأهلها، ويطاردون الثُوّار، ومن لهم إصبع في الثورة، لينتقموا منهم.

كل ذلك فتَّ في عضد المجاهدين، وأخمد فيهم روح الحماس، فهاجر الشيخ إمداد الله إلى مكة، وقبضوا على الشيخ رشيد أحمد، وظلّ في السجن ستة أشهر، حتى صدر قانون العفو العام فأفرج عنه، وأما الشيخ محمد قاسم فقد ظلَّ مختفيًا سنتين، لم يتمكَّنوا من القبض عليه حتى صدر قانون العفو العام، فسلم من السجن[1].

خطة الرسائل الحريرية

أخفقت الثورة وانسحب المجاهدون من المعركة، إلّا أنَّ نار عداء الإنجليز المحتلِّين مازالت متقدة في صدورهم، ففتحوا جبهةً جديدةً، وهي جبهة تعليمية ثقافية، فأسَّسوا مدرسة في ديوبند، وهي أول حلقة من السلسلة الذهبية للمدارس الإسلامية، وأورثوا الجيل المتعلِّم فيها الغيرة على الدين، والحمية له، والحقد والعداوة للمحتلِّ الأجنبيِّ. ولم يمض على إنشائها إلا ربع قرن، حتى قام من أبنائها شيخ الهند محمود حسن الديوبندي صاحب الإمام محمد قاسم النانوتوي بقيادة أكبر وأوسع حركة سِرِّية لإنقاذ الهند و معظم بلاد العالم الإسلامي التي احتلّها الإنجليز الغاشمون، وهي «حركة الرسائل الحريرية» التي تُعرف بـ« خطة الرسائل الحريرية»، والحركة عبارة عن خطة للقضاء على الحكم

(١) تاريخ دارالعلوم ١/ ٥٠٦-٥١٠، ومولانا محمد قاسم نانوتوي حيات وكارنامے، ص: ٨٢- ٩٤.

الإنجليزي باستخدام القوة العسكرية، وذلك بالثورة في داخل الهند والهجوم العسكري من خارجها.

وقد بدأ شيخ الهند حركته هذه في العقد الثاني من القرن العشرين، واستعان فيها بأصحابه وتلاميذه النُشطاء المنتشرين في الهند وخارجها، كما استعان بالزعماء الوطنيين العاملين في مجال تحرير الهند.

ومن أهمِّ أعضاء هذه الحركة الشيخ عبيد الله السندي، والشيخ بركة الله البوفالي، والأمير مهندر برتاب سنغ، والشيخ منصور الأنصاري، والشيخ فضل ربي، والشيخ فضل محمود، والشيخ محمد. ومن مستشاري الحركة ومؤيديها الشيخ عبد الرحيم الرائفوري، والشيخ محمد أحمد الجكوالي، والشيخ محمد صادق الكراتشوي، والشيخ عبد الرحيم السندي، والشيخ أحمد الله الفاني فتي، والدكتور مختار أحمد الأنصاري، والزعيم الوطني الشيخ محمد علي جوهر، والشيخ أبو الكلام آزاد، والشيخ أحمد علي اللاهوري، والطبيب أجمل خان، وغيرهم[١].

وقد قام الشيخ عبيد الله السندي- صاحب شيخ الهند محمود حسن- بدور عظيم في هذه الحركة، وقد بعثه شيخ الهند إلى دولة أفغانستان ليُرضيَها للمساهمة في تحرير الهند مساهمة خلقية وعسكرية.

كما أنه قام بإنشاء حكومة هندية موقتة في «كابول»، رئيسُها الأمير برتاب سنغ، ورئيس وزرائها الشيخ بركة الله البوفالي، ووزيرخارجيتها هو نفسه. وبعثت الحكومة الموقتة خمس بعثات إلى الدول المختلفة من روسيا، وتركيا، واليابان، والصين، والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لكسب التأييد لقضية تحرير الهند، وتعبيد الرأي العام ضدَّ الإنجليز.

وقد أنشأ شيخ الهند للحركة تسعة مراكز سرية في دهلي، وكراتشي، وأتمان زئي، وراندير، والأماكن الأخرى داخل شبه القارة، وذلك للتدريب العسكري

(١) راجع للاستزادة: نقش حيات، ٢/ ١٣١- ١٧٨، ومؤامرة الرسائل الحريرية للشيخ محمد ميان الديوبندي.

وتحريض الجنود الإنجليزية على الثورة، وتهيئة المناخ للانتفاضة الشاملة داخل البلاد.

كما أنشأ خمسة مراكز في كل من تركيا، والمدينة المنورة، وبرلين، والقسطنطينية، وأنقرة؛ وذلك لتحريض بعض الدول على إشعال نار الحرب والحصول على التأييد المعنوي والدعم العسكري من بعضها.

ولتحقيق أهداف الحركة والحصول على الدعم العسكري لها سافر شيخ الهند إلى الحجاز عام ١٩١٥م، حيث مكث سنتين، ولقي هناك من مسؤولي الخلافة العثمانية غالب باشا حاكم المدينة المنورة، وأنور باشا وزير الحربية وغيرهما من المسؤولين، وأخبرهما بأوضاع الهند وخطته التي جاء لأجلها، فاستحسن كل من غالب باشا وأنور باشا رأيه، وأكَّدا له بكل نوع من الدعم ضد الحكومة الإنجليزية، وكتب له غالب باشا رسالة مفادها: أنَّ الشيخ محمود حسن رجل ثقة، يُؤكَّد له بكل نوع من الدعم من الحكومة التركية، وعلى كل من يعيش في الحكومة التركية مُوَظَّفًا كان أو من عامة الناس، يثق به وينصره.

وقد وضعت هذه الفرامين في جوف صندوق خشبي، وأرسل الصندوق إلى الهند، ثم صُوِّرت الفرامين صُورًا شمسيةً، وأرسلت الصور إلى أفغانستان وياغستان وغيرهما من مراكز الحركة.

هذا، وقد كتب الشيخ عبيد الله السندي إلى شيخ الهند في المدينة المنورة ثلاثَ رسائل على ثلاث قطعات من الحرير الأصفر؛ لذلك تُسَمى الحركة بـ« خطة الرسائل الحريرية». أما الأولى فقد كانت أرسِلتْ- عن طريق الشيخ عبد الرحيم السندي- إلى شيخ الهند، وغرضها أن لا يقصد هو إلى كابول، وأما الثانية فقد كانت مرسلة إليه كذلك تُطلعه والآخرين من رجال الحركة على التدريب العسكري للجيش المتطوع: جنود الله، و١٠٤ ضباطٍ، ونشاط «راجه مهندر برتاب»، وإقامة الحكومة الموقتة في كابول، وتفاصيل البعثات الروسية واليابانية والتركية.

وأما الثالثة فهي كذلك كانت مُرسَلة إلى شيخ الهند تخبره بمن يمارسون أعمال الحركة بنشاط، ومن يُهملون فيها، وتخبره كذلك بأن ألْقِيَ القبضُ على

مولانا أبو الكلام آزاد، و مولانا حسرت موهاني، وبنشاطات المجاهدين في منطقة «مهمند» و«سوات»، ومَقْدَم البعثة الألمانية و أسباب إخفاقها، وما تمس الحاجة إليه لإرضاء أفغانستان للاشتراك في الحرب.. وما إلى ذلك، وبأن يبقى هو في المدينة المنورة ويحاول لعقد الاتفاقية بين إفغانستان وإيران وتركيا، ولا يتوجَّه إلى الهند؛ لأن الحكومة الإنجليزية قد عقدت عزمها على إلقاء القبض عليه.

ومن سوء الحظ أن هذه الرسائل قد وصلت إليها يدُ «خان بهادر رب نواز خان» الذي كان مواليًا للإنجليز، فأخذها وسلَّمها إلى الحاكم الإنجليزي في ملتان، ثم قامت المخابرات السرية في ولاية بنجاب بالتحقيق فيها، وسمَّى الإنجليز هذه الحركة «مؤامرة الرسائل الحريرية» (Silk letter conspiracy case)؛ لذلك عُرِفتْ هذه الحركة بـ«خطة الرسائل الحريرية». وتفاصيل هذه الحركة وما يتعلق بها مودعة الجناح السياسي والسري للمكتب الهندي من مكتبة لندن.

هذا وقد خرج أيّامئذ الشريف حسين أمير مكة على الحكومة التركية، وأصدر العلماء المؤيدون له فتوى تقضي بتكفير الجنود التركية، ورفض خلافة آل عثمان، وإقرار خروج الشريف حسين. وقد وقَّع عليها العديد من العلماء، وتردَّد كثير منهم وخافوا في شأن التوقيع عليها.

ولما عُرضت الفتوى على شيخ الهند أبى أن يُوقِّع عليها إباءً شديدًا، فتشجع كثير من العلماء وامتنعوا عن التوقيع عليها. فأمر الشريف حسين- على طلب من الحكومة البريطانية- بإلقاء القبض عليه. فقُبِضَ عليه وهو في الطائف في ١٥/ فبراير ١٩١٧م، فسُجِنَ في جزيرة مالطا التي اتخذتها بريطانيا منفى للسجناء السياسيين، وكان معه صاحبه الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عزير غول البيشاوري، والأستاذ وحيد أحمد الفيض آبادي، والطبيب نصرت حسين الأمروهوي. ثم أُطلِقَ سَراحُهم في ٨/ يونيو ١٩٢٠م بعد ما مكثوا في السجن ثلاث سنوات وسبعة أشهر.

وفي جانب آخر لما افتضح سرُّ خطة الرسائل نشطت الحكومة الإنجليزية

في الهند لاتخاذ الإجراءات ضدَّ المساهمين فيها، فاعتقلت ٢٢٢ شخصًا للتحقيق، واتهمت ٥٩ شخصًا بالخروج على الحكومة، والاستعانة في ذلك بالدول الأجنبية.

وقلب الأمير حبيب الله ملك أفغانستان ظهرَ المِجَنِّ، وأمر- على ضغط من الإنجليز- بإلقاء القبض على الشيخ عبيد الله السندي وأصحابه واعتقالهم.

إنَّ بداية الحرب العالمية الأولى، وخروج الشريف حسين على الحكومة التركية، وغدر الأمير حبيب الله، وما إلى ذلك من العوامل..قد جعَل الحركة لم تبلغ غايتها المرجُوَّة، إلا أنها مهَّدت السبيل لحركات التحرير الأخرى.

إنَّ قيادة حركة سرية وسياسية كهذه إن دلَّت على شيء فإنَّها تدلّ على عُلوهمّة هؤلاء العلماء وبُعد نظرهم، وبصرهم بالشؤون السياسية؛ لذلك فحركة الرسائل الحريرية لها أهمية كبيرة في تاريخ تحرير الهند.

قدَّر شيخ الهند خلال أسره بمالطا أنَّه لا يمكن للمسلمين أن يحرِّروا البلاد بأنفسهم، ولابدَّ من تضامن واتحاد جهود المسلمين والهندوس جميعًا، فلما عاد من مالطا إلى الهند صحب الزعماء الوطنيين، وساهم في كفاح التحرير مساهمة فعَّالة، وأنشأ الجامعة الملية الإسلامية.

جمعية علماء الهند

قامت حركة الخلافة عام ١٩١٩م، وهي أقوى الحركات الهندية الوطنية تأثيرًا وأكثرها أعضاءً، قد أسِّست لصيانة الخلافة العثمانية والتأييد لها، وهي حركة ضمَّت المسلمين والهندوس، وجمعتهم في خندق واحد ضدَّ الحكومة الإنجليزية، وكان كثير من العلماء من المساهمين في الحركة.

عُقِدَ اجتماع حركة الخلافة في دهلي برئاسة الشيخ فضل ربي، وذلك في ١٣/ نوفمبر ١٩١٩م، وقدَّم فيه المفتي كفاية الله الدهلوي قرارًا للإضراب عن احتفال بريطانيا بالصلح، وأيَّده أبو الأمة «غاندي» في كلمته التي ألقاها.

بهذه المناسبة استشار العلماء فيما بينهم وأحسُّوا بالاحتياج إلى تكوين جمعية للعلماء تكون منبرًا للعلماء يمارسون من عليه النشاطات السياسية والاجتماعية.

فانطلاقًا من هذه الحاجة كوَّنوا جمعية باسم «جمعية علماء الهند» واختاروا المفتي كفاية الله أوَّلَ رئيس لها. وما زالت ولا تزال يتولّىٰ رئاستها وأمانتها العامة أبناء دارالعلوم وعلماؤها.

بعد قيام هذه الجمعية بدأ علماء دارالعلوم نشاطاتهم التحريرية والسياسية والاجتماعية من منبرها. وكان من أهمِّ أهدافها تحرير البلاد.

قامت جمعية علماء الهند، وقد بلغ الاستعمار البريطاني في القوة منتهاه، ولم تتجرَّأ حركة من الحركات أن ترفع عقيرتها ضدَّه، والجمعية أول حركة أو جمعية هتفت بهتاف التحرير الكامل للبلاد.وبهذا الهتاف سبقت الجمعيات والحركات الوطنية الأخرى.

وافق مؤتمرالخلافة الذي عُقد في إله آباد في يونيو ١٩٢٠م على قرار الإضراب عن التعاون مع الحكومة الإنجليزية ودوائرها ومؤسساتها. وأفتى شيخ الهند محمود حسن بحرمة التعاون مع الحكومة في يوليو ١٩٢٠م، ثم نشرهذا الفتوى أبو المحاسن سجاد البهاري من جمعية علماء الهند بعد ما وقَّع عليها ٤٨٤ عالمًا، وقد كانت مقاطعة البضائع الأجنبية والإضراب عن التعاون مع الحكومة أمضى سلاح استخدم في كفاح التحرير، و كاد يُشَلّ الجهازُ الحكوميُّ، وتقوم الثورة العامَّة.

عقدت الجمعية اجتماعها الثاني العام في «دهلي» برئاسة شيخ الهند محمود حسن، وذلك في نومبر ١٩٢٠م، وأكّد الشيخ في خطابه الرئاسي على ضرورة توحيد وتفعيل الجهود المبعثرة للكفاح من الهندوس والمسلمين، واجتماع الزعماء الوطنيين جميعًا على منبر المؤتمرالوطني، مما نفخ روحًا جديدة في كفاح التحرير.

وفي يوليو ١٩٢١م عقدت حركة الخلافة مؤتمرها في كراتشي، وقد حضره العديد من الزعماء السياسيين. أعلن فيه الشيخ حسين أحمد المدني بصراحة أنَّ التعاون مع الحكومة البريطانية والتجنُّد فيها حرام، فأُلْقِيَ القبضُ عليه وعلى من حضره من الزعماء مثل: محمد على جوهر، وشوكت علي، والدكتور سيف الدين

كتشلو، وشنكر أتشاريه، وحُكمَ عليهم بالحبس مع الشغل لمدة سنتين.

وفي يناير ١٩٢٤م عقدت الجمعية اجتماعها الذي ألقى فيه الشيخ حسين أحمد المدني كلمته، وأشار على الأعضاء بالمطالبة بالتحرير الكامل للبلاد. ثم لـمَّا عقدت الجمعية اجتماعها السابع برئاسة الشيخ السيد سليمان الندوي، وذلك في ١٤/ مارس ١٩٢٦م، وتـمَّت الموافقة فيه على قرار التحرير الكامل للبلاد. فالجمعية أول جمعية أو منظمة طلبت من الحكومة الإنجليزية التحرير الكامل. وقد كانت الجمعيات والمنظمات كالمؤتمرالوطني إلى ذلك الحين تكتفي بمطالبة عدد من الامتيازات من الحكومة.وقد أصبح قرار الجميعة هذا هُتَاف كلِّ فرد من أفراد الشعب الهندي.

وفي عام ١٩٢٩م بدأ أبو الأمَّة «غاندي» حركة صنع الملح، ومقاطعة الأملاح التي تصنعها الحكومة، وقد اشترك في الحركة مسؤولو الجمعية: الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والمفتي عتيق الرحمن العثماني، والشيخ فخرالدين المراد آبادي، والشيخ محمد ميان الديوبندي، والشيخ بشير أحمد بته، وألقي القبض عليهم كالزعماء الوطنيين الآخرين.

وفي عام١٩٣٠م قام المفتي كفاية الله الدهلوي رئيس الجمعية، والشيخ أحمد سعيد الدهلوي أمينها العام بحركة العصيان المدني، فأُلقِيَ عليهما القبض وحُكِم عليهما بالحبس مع الشغل عقابًا على العصيان.

أعادت الجمعية حركة العصيان المدني عام١٩٣٢م وأنشأت الإدارة الحربية كالمجلس الحربي للمؤتمرالوطني، وقاد هذه الحركة الشيخ أبو المحاسن سجاد. ثم قادت الجمعية حركة العصيان عام ١٩٣٤م، فأُلقِيَ القبض على رئيس الجمعية المفتي كفاية الله الذي خرج بمسيرة تضمّ مئة ألف شخص، كما أُلقِيَ القبض على الشيخ حسين أحمد المدني وهو في الطريق من ديوبند إلى دهلي، ثم أُلقِيَ على غيرهما من المساهمين في الحركة، مثل: سحبان الهند أحمد سعيد الدهلوي، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ محمد ميان الديوبندي، ورئيس

الأحرار حبيب الرحمن اللدهيانوي، ومن إليهم. وقد قبض في هذه الحركة على نحو ٣٠ ألف مسلم.

وضعت الحكومة الهندية قانونًا عام ١٩٣٥م، وقامت جمعية علماء الهند لدى وضعه بتقديم مشروع لحلِّ مشكلات المسلمين الدينية والوطنية، عُرف بـ مشروع الشيخ حسين أحمد المدني، ولو روعي المشروع بكامله لدى وضع القانون لانحلَّت مشكلات المسلمين الهنود إلى حدٍّ كبير، ولمَّا انقسمت الهند إلى قُطْرَين.

وما ناله المسلمون من امتيازات في قانون الحكومة الهندية الصادر عام ١٩٣٥م هو نتيجة هذا المشروع.

وفي عام٣٧- ١٩٣٦م قدَّم المفتي كفاية الله رئيس الجمعية مشروع تطبيق الشريعة في المجلس الإقليمي في ولاية سرحد، وتمَّ الموافقة عليه كقانون الشريعة، وهو مطبَّق في ولاية سرحد حتى الآن.

وفي عام ١٩٣٧م قدَّم الشيخ حسين أحمد المدني فكرة الوطنية الموحَّدة (المسلمون والهندوس أمة واحدة؛ لأنهم يضمُّهم وطن واحد) وبَرْهَنها بالكتاب والسنة.

وفي عامي ٤٠- ١٩٣٩م لدى الحرب العالمية الثانية عارضت الجمعية التجنيد الإجباريَّ من قبل الحكومة الإنجليزية، وأعلن مسؤولوها: أنَّنا لا نتعاون مع الحكومة أصلًا، فلقاءَ ذلك أُلْقِيَ القَبْضُ على مسؤولي الجمعية ونُشَطائِها آنذاك، وهم الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ أحمد علي اللاهوري، والشيخ محمد قاسم الشاهجهانفوري، والشيخ أبو الوفاء الشاهجهانفوري، والشيخ محمد إسماعيل السنبهلي، والشيخ شاهد ميان فاخري الإله آبادي، والشيخ أخترالإسلام المراد آبادي، ومن إليهم.

وفي أبريل عام ١٩٤٢م عقدت جمعية علماء الهند مؤتمرًا في بلدة «بتشرايون»، وألقى الشيخ حسين أحمد المدني خطابًا طالب فيه بالتحرير. فألقت الحكومة الإنجليزية القبض عليه في يونيو عام ١٩٤٢م مُدَّعيةً أنّه أغرى الشعب بالخروج على

الحكومة، وحكمت عليه بالحبس لستة أشهر، ثم حبسته مرة أخرى لفترة غير محددة.

وفي ٥/ أغسطس قام أربعة أعضاء للمجلس التنفيذي للجمعية: المفتي كفاية الله الدهلوي، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ أحمد سعيد الدهلوي، والشيخ عبد الحليم الصديقي اللكنوي بنشر بلاغٍ في الصحف بتوقيعاتهم. وكان معنى البلاغ: «اخْرُجُوا من الهند يا إنجليزُ». وقد كان هذا البلاغ من مبادرات الجمعية.

ثم قام المؤتمر الوطني بعقد اجتماع في مومباي في ٨/ أغسطس ١٩٤٢م، وتبع الجمعية في الموافقة على قرار: «اخرجوا من الهند يا إنجليز». ولقاء نشر هذا البلاغ قُبِضَ على آلاف من أعضاء الجمعية، كأعضاء المؤتمر الوطني، مثل: الزعيم الوطني أبو الكلام آزاد، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، والشيخ محمد ميان الديوبندي، والشيخ نور الدين البهاري، ومن إليهم.

فلما كاد أن تشرق شمس الاستقلال استخدم الإنجليز سِلاحًا ماضيًا، طالما استخدموه، ونجحو في هدفهم، وهو سلاح التفريق والتمزيق، فبذروا بذور الاختلاف والتفريق بين المسلمين والهندوس، ومزَّقوا وحدتهم التي تجلَّت خلال كفاح التحرير في أروع مظاهرها، فتخلى عدد من الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم محمد علي جناح عن المؤتمرالوطني، وأنشؤوا العصبة الإسلامية التي طالبت بإنشاء دولة مستقلة للمسلمين، وشدَّدت في مطالبتها، أما جمعية علماء الهند فقد عارضت هذه الفكرة أشدَّ المعارضة، وذلك لمصالح وعوامل مختلفة. لم تفلح الجمعية في معارضتها، وانقسمت الهند إلى قطرين: الهند وباكستان، إلا أن الوطنية الموحدة التي نادت بها الجمعية هي التي مهَّدت السبيل إلى وضع دستور علماني للهند، واعتبارِها دولة علمانية، ينال فيها المواطنون- مسلمين كانوا أو هندوسًا- حقوقهم من العمل بدينهم ونشره وإقامة المعاهد والمؤسسات التعليمية والثقافية.

ولولم تكن الهند علمانية لما وسع المسلمين العملُ بدينهم، ولضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولحدث ما تقشعرّ منه الأبدان.

فلما استقلت الهند، وانقسمت إلى دولتين، وتم تبادل الإسكان حدثت مجازر هائلة واضطرابات طائفية مخيفة في المناطق الحدودية، ودبَّ اليأس والخوف إلى قلوب المسلمين فيما يتعلق ببقائهم في الهند. هنالك قامت جمعية علماء الهند بتثبيت أقدامهم وإزالة ما تسرَّب إلى قلوبهم من الهلع والخوف، ولعب نشطاؤها في هذه الأوضاع العصيبة دورًا لا يُنسى.

فلجمعية علماء الهند ماضٍ مجيد، وهي مازالت- و لا تزال- تعمل منذ تأسيسها جاهدةً لصالح الوطن والمسلمين. وهي أكبر الجمعيات والمنظمات الإسلامية في الهند وأكثرها أعضاءً، وهي سبَّاقة إلى حل مشكلات المسلمين الهنود الدينية والاجتماعية.



فهرس الموضوعات

***

تصويبات

يرجى من السادة القراء أن يتكرموا بتصحيح الأخطاء التالية قبل قراءة الكتاب.

الجزء الأول

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٧	المسامحامات	المسامحات
٢٧	٢	يدي	أيدي
٦٠	٢	إنجازت	إنجازات
٦٤	٢٣	ضاع	ذاع
٦٨	٣	مُسَبَّقًا	مُسْبَقًا
٩٠	٢	١٣٨٢م	١٣٨٢هـ
٩٠	١٩	١٣٨٢م	١٣٨٢م
٩٤	١٣	مليون ونصف	مليونين ونصف
١١٦	٥	عن هذه	من هذه
١٢٥	١٣	١٤٢٦	١٤٣٦هـ
١٢٦	٤	تجمتع	تجتمع
١٣٤	٢١	٢٩.٧	٢٩٧
١٣٥	٩	محمد حسن	محمود حسن
١٣٩	٢٠	معاصي	معاص
١٤٠	١٣	أعددت	أعدَّت
١٤٦	٢٢	الإنترنيت	الإنترنت
١٦٤	١٤	كمكتباتهم	لمكتباتهم
١٧٠	١	الخلوص	الإخلاص
١٨١	١٠	دائمة	دائبة
١٩١	٢٠	الإفتاء	التقوى

١٩٧	١٢	الاستفتاءآت	الاستفتاءات
١٩٨	١١	الصادرة من	الصادرة عن
٢٠٨	٦	بَلِيَتْ	بَلِيَت
٢٠٨	١٢	فتصداها	فتصدى لها
٢١١	١٢	مصحف	صحائف
٢١٣	٢٠	فتح	فتح الله
٢١٩	١٩	الباهضة	الباهظة
٢٤٠	١٢	نخبة الفكر	نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر
٢٥٠	٦	الإنترنيت	الإنترنت
٢٥٥	١٥	الدراسي	العام الدراسي
٢٥٦	٤	القراءآت	القراءات
٢٥٦	٧	للشمس	لشمس
٢٦٣	١٠	نخبة الفكر	نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر
٢٩٢	١	اسمً اً	اسمًا
٢٩٢	٢	ذوقً اً	ذوقًا
٣٠٤	١٩	فكل من رسول الله مقتبس	فكلهم من رسول الله ملتمس
٣١٢	٦	في البرزخ	في البرزخ حياة برزخية
٣٤٤	٧	في عالم البرزخ	في عالم البرزخ حياة برزخية
٣٤٥	١٦	لاتمسح	لاتسمح
٣٤٦	٢١	إدارك	إدراك
٣٥٣	٨	رأية	راية
٣٦٨	٨	الشرقي	الشمالي
٣٧٨	١٨	دهكة	داكا
٣٨٤	٢٢	خيرا لكم	خير لكم
٣٨٦	١	مالطة	مالطا
٣٩٨	١٧	عنهم	عنه
٤٠٠	١٥	نخبة الفكر شرح نزهة النظر	نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر
٤٠١	١١	تلمذوا إليهم	تلمذوا لهم

٤١٧	٨	بجزئيه	بجزأيه
٤١٩	١٧	جميعة	جمعية
٤٤٥	٦	المتنبئ	المتنبي
٤٩٥	١٨	مُسَبَّقًا	مُسْبَقًا
٥٠٢	١٣	بهوتو	بوتو
٥١٠	١٩	أجاب على	أجاب عن
٥٣٠	١٨	بأهل الحديث	باسم أهل الحديث
٥٣٢	٢	حربًا شرعيا	حربا شرعية
٥٣٢	١٦	تلمذ عليه	تلمذ له
٥٣٥	٥	الأنجليز	الإنجليز
٥٤٤	١٣	هي	هو
٥٧٥	١٠	تقدم	سيأتي
٥٧٦	٣	فقد تقدم	فسيأتي
٥٨١	٣	السطلة	السلطة
٥٨١	١٠	لإن	لأن
٥٨٢	١٩	الإسلحة	الأسلحة
٥٨٣	١٤	أمامهم	أمامه
٥٩١	٦	لَـمَّا	لَـمَا
٦٠٤	١٥	نسبهم العلمي	علماء ديوبند نسبهم العلمي